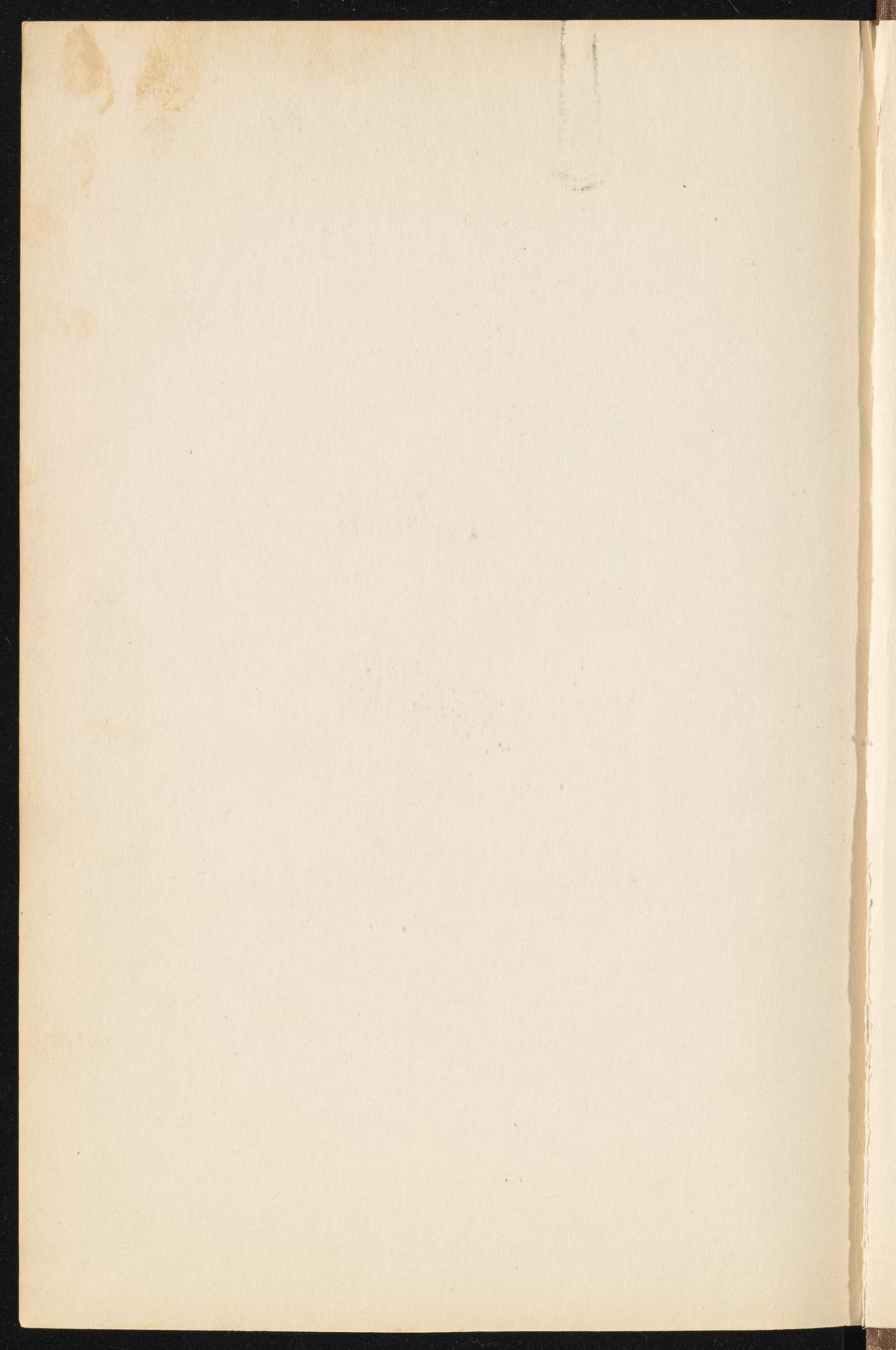
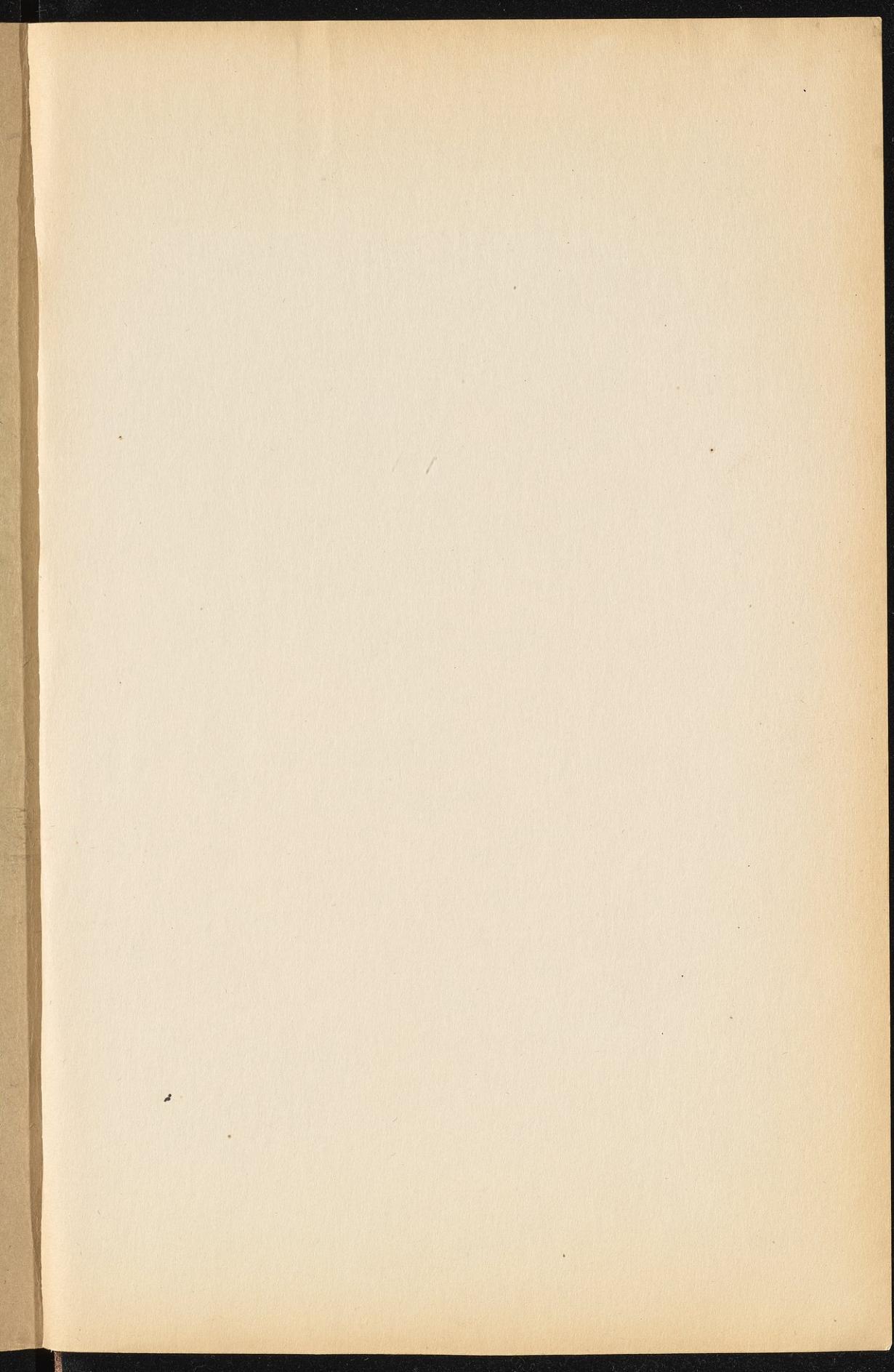


Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES







تطور الصحفة المصرية

١٩٥١ - ١٧٩٨

تأليف

الدكتور ابراهيم عبده

أستاذ باحث في الصحافة بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

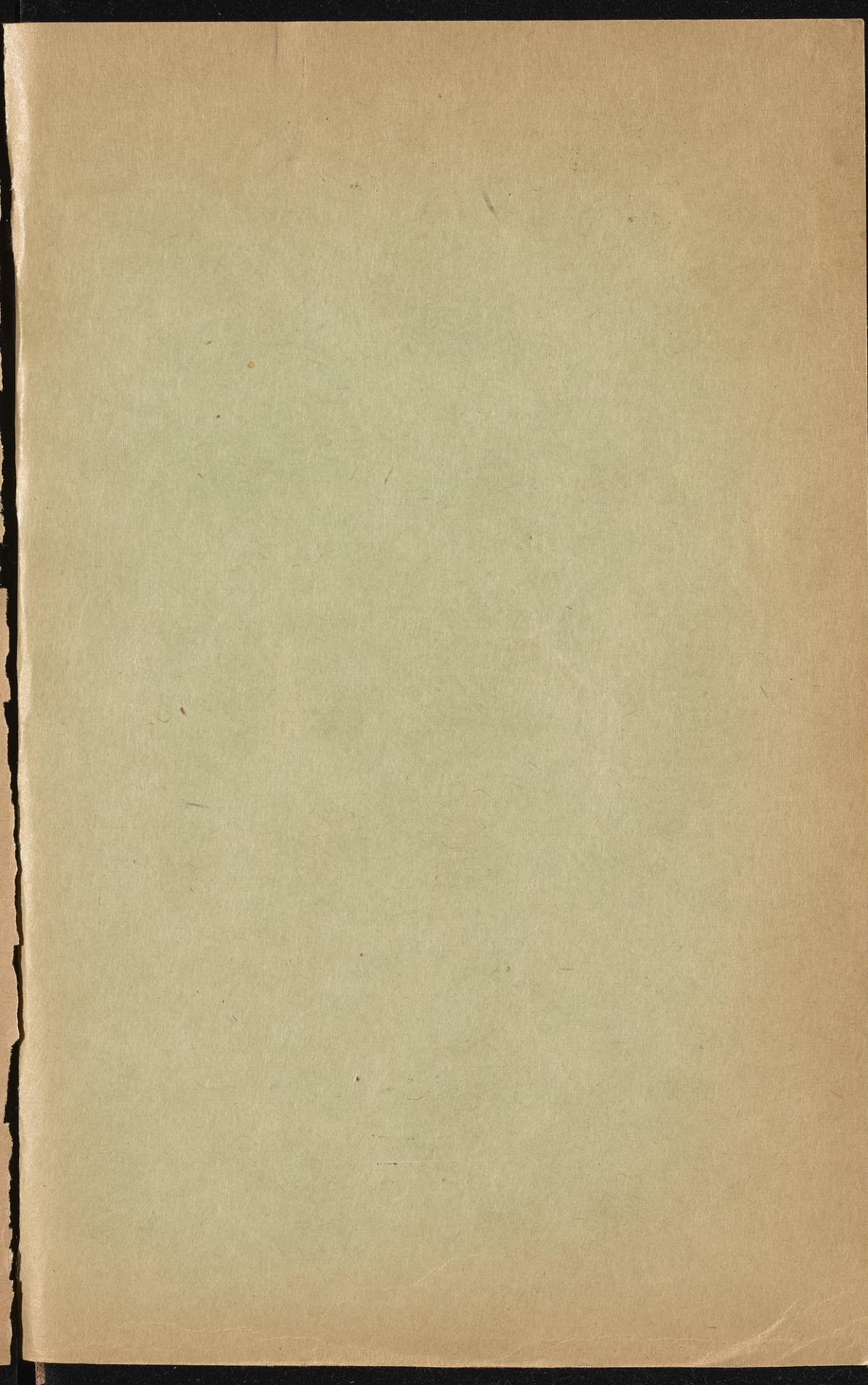
الطبعة الثالثة

مزيدة مملأة بالصور مؤيدة بالوناتق

ملازم الطبع والنشر

مكتبة الآداب باب الحماميز ٢٢٧٧

الطبعة المعرفة جمهورة
بعدد اثنين عشر بالمائة السعر



تطور الصناعة المصرية

1901 — 1991

تألیف

الدكتور ابراهيم عبده

آسازی از این روش

الطبعة الثالثة

مذہب الطبع والنشر

مکتبہ الادب باجماعت ۱۹۷۷

الطبعة المنوفة

٦ بَكَةُ الْيَمَنِيِّ بَوْرَى بِالْيَمَنِيَّةِ الْمَدِينَةِ

893.185
Ab 323

للمؤلف

١ - كتب في الصحافة

١ - تاريخ الطباعة والصحافة في مصر {
الطبعة الأولى: ١٩٤١ خلال الجملة الفرنسية
الطبعة الثانية: ١٩٥٠ }

٢ - الواقع المصري (١٨٢٨-١٩٤٢) {
الطبعة الأولى والثانية: ١٩٤٢ الطبعات الأولى والثانية:
الطبعة الثالثة: ١٩٤٦ }

٣ - تطور الصحافة المصرية وأثرها في
النهضتين الفكرية والاجتماعية {
الطبعة الأولى: ١٩٤٤ الطبعات الأولى والثانية:
الطبعة الثانية: ١٩٤٥ الطبعات الأولى والثانية:
الطبعة الثالثة: ١٩٥١ }

٤ - أعلام الصحافة العربية {
الطبعة الأولى: ١٩٤٤ الطبعات الأولى والثانية:
الطبعة الثانية: ١٩٤٨ }

٥ - حول الصحافة في عصر إسماعيل {
الطبعة الأولى: ١٩٤٧ الطبعات الأولى والثانية:
(حقائق غير مطوية)

٦ - جريدة الأهرام (تاريخ مصر في خمس
وطبيعة الأولى: ١٩٥٠ وسبعين سنة)

٢ - كتب في التاريخ

الطبعة الأولى : ١٩٣٦
الطبعة الثانية : ١٩٤٦

٧ - في السودان

٨ - تطور النسخة النسائية في مصر (بالاشتراك) الطبعة الأولى : ١٩٤٥

٩ - تذكرة طلعت حرب (بالاشتراك) الطبعة الأولى : ١٩٤٥

٣ - كتب في الأدب

الطبعة الأولى : ١٩٣٣
الطبعة الثانية : ١٩٤٤
الطبعة الثالثة : ١٩٤٧
الطبعة الرابعة : ١٩٥٠

١٠ - الحياة الثانية

الطبعة الأولى : ١٩٣٤

١١ - في المصايف

تحت الطبع

١٢ - دراسات في الصحافة الأوروبية (تاريخ وفن)

فصل في مراجع البحث

توافرت على دراسة تاريخ الصحافة المصرية منذ خمسة عشر عاماً ، وكلما نشرت كتاباً في جانب من هذا التاريخ ، شجعني نتيجة البحث المنشور على كشف المستور في جانب آخر ، وقد كان هذا الكتاب الذي أقدمهاليوم لقراء العربية والمعنيين بشئون الصحافة جاماً - كل جوانب تاريخ الصحافة في مصر ، وهو - في طبعته الثالثة - مستكملاً كثيراً مما فاتني في طبعاته الأولى ، وجدير بأن يكون في مكتبة طلاب هذه الناحية من التاريخ .

وسوف يجدد فيه قراوه تارياً للصحافة المصرية منذ نزول بونابرت وادي النيل في سنة ١٧٩٨ إلى تاريخ نشره في سنة ١٩٥١ ، وقد استعرضت في هذه الفترة الطويلة ما أصاب الصحافة المصرية من تطور ملحوظ في موضوعها وشكلها ، وراعيت في تفاصيل الكتاب الدقة المستندة إلى الوثائق والأسانيد التي بدونها يفقد كل كتاب قيمته العلمية ، وأشارت إلى ذلك كله في هوامش المتن .

وإن التعرض لتاريخ الصحافة يقتضي في بعض الأبواب أن نفصل في تاريخ صحيفه على اعتبار أنها مثل مئات أو عشرات من نظيراتها ، سواء كانت صحيفه شعبيه أو رسميه ، وسواء كانت صحيفه للسياسة أو الآداب أو الفنون أو التجارة أو الزراعة أو ما إلى ذلك من جوانب النشاط الفكري الذي قطعه مصر في حوالي مائة وستين عاماً .

وقد شهدت مصر في هذه الحقبة الطويلة مئات الصحف التي عالجت كل موضوع يدور بخلد إنسان ، سواء كانت صحيفه عربية أو فرنجية ، وقد رأيت زيادة تلتفائدة المرجوة من نشر هذا الكتاب أن أضع فيه ثبتاً بأسماء الصحف التي صدرت في مصر ، منذ عرفت مصر الصحافة إلى اليوم ، وذلك ليكون هذا الثبت في

خدمة من يريد الرجوع إلى الصحف نفسها سعياً وراء دراسة تاريخية أو أدبية أو اجتماعية أو غير ذلك من الدراسات .

وسوف يرى القارئ أيضاً أنها تعرضاً بكم شير من التفصيل لشخصيات خالدة في تاريخ الصحافة المصرية فشرحنا ما أدرته من خدمات للصحافة ، وماتركته من آثار لا تزال واضحة في نهج صحافتنا المعاصرة ، وهذه أيضاً ناحية من تاريخ الصحافة لم تكن معروفة أو واضحة قبل دراسة هذا البحث وكشف دخائله ، وتفسير النصيب الكبير الذي كان لهؤلاء الصحفيين الممتازين .

وتعتبر دراسة هذا التاريخ دراسة لتاريخ مصر الحديث في أوضاع صوره ، دراسة الرأي وتطوره ، والفكرة وتعددها ، والمزاج وتبانيه ، والغرض والاختلاف من أجله ، أي بمعنى أوضح مصاحبة الكيان المصري بمثلاً في نظام الحكم والحاكميات المتعاقبة والجماعات الظاهرية ، والأفراد المتفوقيين ؛ منذ نشأ هذا الكيان على عهد الفرنسيين وحملتهم إلى أيامنا الحاضرة ؛ وهذا وضع من شأنه أن يفرض علينا الرجوع إلى مطولات الكتب والمحفوظات العربية والفرنسية ، والبحث فيما خلفته لنا الأجيال من الوثائق الرسمية والفردية ، سواء كانت عربية أو تركية أو فرنسية ، ثم تطبيق ذلك كله على ماجاه في الصحف جيلاً بعد جيل ، ومن هذا المزاج خلصنا إلى تاريخ للصحافة المصرية قسمناه إلى فصول وعرضناه هذا العرض الذي أرجو أن أكون قد وفقت إليه .

أما الكتاب العربي الذي رجعنا إليه في هذا البحث فليس فيما كتاب يشمله أو ينصب عليه وحده ، وإن كانت هناك كتب عنيت بالصحافة المصرية ككتاب فيليب دي طرازي عن « تاريخ الصحافة العربية » ، وهو مؤلف عرض فيه صاحبه في أجزاءه الأربع لتاريخ الصحافة عامة في الشرق والغرب ، وقد نشر في الجزأين الأول والثانى كثيراً من أخبار الصحافة المصرية ورجالها في نشأتها الأولى ، ففتح في ذكر بعض الحقائق التي لا تبني تاريخاً وإن كانت من مواده الأولية ، ثم أخطأ في كثير من الحوادث وحمل الصحف أو صافاً لم تسكن لها ، وميز الصحفيين المصريين الذين عرض لهم بمزايا لم تؤثر عنهم ، وهو بذلك يعتمد على نشاطه الشخصى

وتقديره الذاتي للحوادث والأخبار ، غير أن الجزء الرابع في تاريخه جاء أقرب إلى النكال من أجزاءه الثلاثة الأخرى ، فقد نشر فيه أسماء الصحف ، المصرية ومواعيد صدورها منذ عرفت الصحافة في مصر إلى سنة ١٩٢٩ وقد حرص على ذكر الصحف العربية وحدها ، كما أنه ظن في مراجعته لوثائق إدارة المطبوعات المصرية أن الأمر بتخصيص الجريدة أو الموافقة على إصدارها معناه ظهور الجريدة في مصر ، وهذا غير صحيح . لأن كثيراً من الصحف المرخصة لم تصدر ولم تعرف المطبعة اسمه .

ثم أنه أراد أن يكمل نقص إدارة المطبوعات فعاد إلى دار السكتب المصرية؛ وهذا اعتمد على البيان الذي قدم إليه من الدار المذكورة ؛ وهو بيان ناقص لأن بعض الصحف القديمة التي اشتراها الدار لم يكن قد رصد بعد في سجلاتها ، كما أني وجدت صحفاً في دار السكتب بالصادفة أو يائماً من أصحاب التجارب القدماء . وقد أكتفى طرازي بهذا الجهد ؛ وأغفل مكتبة طلعت أحرب باشا المحفوظة في بنك مصر بالقاهرة ، ومكتبة الجمع العلمي ، حيث تحفظ بعض الصحف القديمة التي خلت من نظير لها في دار السكتب وأغفلتها سجلات إدارة المطبوعات .

وقد حاول غير فيليب دى طرازي التخصص في بحث هذا التاريخ أو علاج أمره فكتب إلياس عطارة الحلبي كتابين أحدهما « تكوين الصحف في العالم » سنة ١٩٢٦ والثاني « تاريخ تكوين الصحف المصرية » سنة ١٩٢٨ ، فأما الكتاب الأول فقد احتفظ بأقوال العظام وأحاديثهم عن الصحافة وقدرها في حياة الشعوب ، وعن الثاني بالصحافة المصرية عنابة تشبه في الإيجاز والتفصيل ما كتبه طرازي في جزأيه الأولين ، غير أن عطارة الحلبي أرخ لصحافة مصرية المعاصرة لزمنه تاريخاً لحيته الغرض وسداه الإيجام .

ثم نشر كاتبان مؤلفاً « في الصحافة » هما يوسف محمد دسوق « من حملة شهادات التربية العالمية » ، ومحمد كامل دسوق من المحامين . وقد عرضا معاونات الصحافة عامة ومعاونتها في مصر خاصة : كالمطبعة ومكتبة الصحيفة ثم ذكرا تاريخاً موجزاً لنشاطها والمحاولات التي بذلت في سبيل النقابات الصحفية . وأشارا إلى

بعض الصحفيين المعاصرين والصحف التي عالجوا فيها سياساتهم . وقد اعتمدوا على
الاجتهد الذاتي واللاحظات الشخصية .

ثم إذا فرغنا من المؤلفات التي اتصلت بالصحافة اتصالاً مباشراً على الصورة
التي شرحتها رجعنا إلى السكتب الكثيرة المتباينة التي كتبت باللغة العربية أو عربت
عن مصر وتطور حياتها السياسية والفكرية . وقد نشرت في آخر البحث ثبتاً
لبعض منها . وهي كتب إن صدقت في تقرير الواقع والحوادث فقلما كانت تعرض
للحاجة المصرية عرضأ عميقاً أو تمسها مسأ أصيلاً ، وإنما كانت تذكرها عابرة
ولا تتفق عندها أو تعنى بتفصيل لها .

ومن خير السكتب التي رجعنا إليها من وجهة نظر وطنية كتب عبد الرحمن
الرافعي بك فقد حرص المؤلف في تاريخه عن الحركة القومية على الإشارة إلى
الصحافة في كل جزء من هذا التاريخ . وهي وإن كانت إشارات خفيفة لم يقف
الرافعي عندها طويلاً إلا أن فيها تقريراً صادقاً لبعض حوادثها . وقد اعتمد الكاتب
على الصحف نفسها في تقرير وشرح هذه الحوادث ، وقد لاحظنا أن عنايته بالصحافة
المصرية أخذت في الوضوح منذ عاجل التاريخ السياسي لمصر في عهد إسماعيل إلى
أيام مصطفى كامل ومحمد فريد . أما السكتب العربية الأخرى التي رجعنا إليها فقد
كانت عنايتها بالصحافة دون عناية الرافعي بها وإن كان بينها كتاب سليم خليل نقاش
« مصر للمصريين » الذي عنى بحوادثها ومحاكمتها خلال الثورة العربية وبعدها .
وكتاب محمود رشيد رضا عن تاريخ الأستاذ الإمام الشیخ « محمد عبده » في ثلاثة
أجزاء حفلت بكثير من الواقع التي تمس الصحافة المصرية من قريب كلما عرض
المؤلف للأستاذ الإمام في المطبوعات أو في الواقع أو في المنفى في باريس . هذا
إلى السكتب القليلة التي ذكرت بعض الفصول عن شئون الصحافة وهي تعرّض
للمقوانيين واللوائح ككتاب أحمد محمد حسن بك وإيزيدور فلدمان عن « مجموعة
المقوانيين واللوائح المعمول بها في مصر »

وقد رجعنا إلى ما كتبه المعاصرون أو المعنيون بهذه الشئون في الصحف والمجلات المصرية عن الصحافة وتاريخها؛ ومن أهم هذه الدوريات مجلة الملال التي عنئت في سنواتها الأولى بتاريخ بعض جوانب الصحافة المصرية في أعدادها الأولى، كذلك نشرت مجلة الأجيال لميخائيل بن أنطون بحثاً في سنة ١٨٩٧ عن «الصحافة في الفطر المصري»، وهو بحث ناقص ويشوهه كثير من الأخطاء التاريخية، ثم أرخت مجلة الشباب سنة ١٩٣٦ في مقالات متتابعة للأستاذ أمين عبده الحامى حوادث الصحف والصحفيين المصريين منذ بدأ الاحتلال البريطانى لمصر، وهي من أهم المقالات التي صورت صحافة ذلك الوقت من الناحيتين السياسية والاجتماعية.

أما الكتاب الفرنجية التي بحثت موضوعنا في شيء من التفصيل فن أهمها كتاب

عن Le Journal, Origines, Evolution et Rôle de La Presse Périodique مؤلفه G. Weill وهو من أحسن المؤلفات التي بحثت نشأة الصحافة الأجنبية وتطورها، وأفادتنا في المقدمه التي صدرنا بها هذا البحث، ثم عرض Munier في كتابه La Presse En Egypte (1799-1900) صورة حية للصحافة الفرنجية المصرية في الفترة التي بحثها، وهو من أدق الكتب لأن مؤلفه صاحب أهم عهود هذه الصحف وخبرها بنفسه وعمل في بعضها وإن لم يعالج الصحف العربية إلا بإيجاز لا يغنى الباحث في هذه الناحية. وقد نشر الدكتور محمد صبرى مؤلفاً عن La Genèse de L'Esprit National Egyptien و قد عنى فيه بتاريخ الصحافة المصرية وخاصة في عهد الخديو إسماعيل، وهو لا يصورها أو يشير إليها فقط بل يعتمد اعتماداً كاملاً في تحقيقه العلمي على مانشريته هذه الصحف، وهو فيما نعلم أول مؤرخ لناحية من نواحي النشاط المصرى يجعل من الصحافة الشعبية مرجعاً له وحججاً يعتمد عليها، فقد كان العهد بالاعتماد وعلى الصحف وقفًا على الواقع المصرى وحدها.

وإذا كان الدكتور صبرى قد نشر ملخصاً لا بأس به عن نشأة الصحافة الشعبية وأقر وجودها في الحياة المصرية سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية فأنا *Baignières* أرخ للصحافة المهزولة المصرية أجمل تاريخ في كتابه : « Egypte Satirique » وهو يكتب صحيفية يعقوب بن صنوع صاحب مجلة (أبو نضارة) في مصر وباريس ، وهو خير ما كتب عن يعقوب وغير ما كتب عن الصحافة المهزولة ، بل خير ما كتب عن الصحافة المصرية في جانب من أهم جوانبها . ثم يعرض هارتمان في كتابه « The Arabic Press of Egypt » للصحافة العربية المصرية متاثراً الطرق العلمية الصحيحة ، غير أن الحقائق في بحثه كانت غير كاملة ، كما أنه قرر في غير تحفظ أن التصييب الأوفر في نشأتها يعود إلى الشاميين وليس للمصريين يماثل حظهم من الدأب والاجتهاد في جميع مراحل نشاطها ، وقد وقف بنا إلى نهاية القرن التاسع عشر وقفه بدأ التاريخ الصحفى المصرى يأخذ بعدها صورة واضحة ملأت نشاط المصريين في جوانب الحياة المصرية جمعياً .

ثم يؤرخ قرياقص ميخائيل في كتابه (Copts and Moslems Under British Control) للصحافة المصرية وتصييبها في الخلاف القبطي الإسلامى ، وهو يصور هذا الجانب تصويراً بدليعاً حقاً وإن كان الغرض فيه ظاهرآً والغاية فيه معروفة ، فهو شديد الميل إلى الصحافة القبطية من غير تحفظ ، يزري بالصحف المصرية الأخرى سواء كانت صحفاً إسلامية أو صحفاً تمثل إلى الجانب الإسلامي ، ومن الكتب التي رافقني فيها جهد صاحبها كتاب كمال الدين جلال وهو رسالة تقدم بها إلى إحدى جامعات المانيا عن

« Entstehung Und Entwicklung der Tagespresse in Egypten » وينتاز هذا الكتاب باعتماد صاحبه على الطرائق العلمية الحديثة ، وقد وفق في فصله الأول عن الصحافة خلال الحملة الفرنسية ، غير أن اعتماده في تاريخ الصحافة المصرية كان قائماً على الكتب الغربية والفرنسية التي أشارت إليه إشارات خطأ ، وهنا يخلو تاريخه من حقيقته المنشورة في الصحف نفسها أو في الوثائق المعروضة هنا وهناك .

وتحصص اثنان من المصريين في علاج شئون الصحافة من وجهة النظر القانونية فتقىدم أولهما - محمد فؤاد - إلى جامعة باريس بر رسالة عن « Le Régime de La Presse En Egypte » وهي بحث سطحي غالباً في العنصر الذاتي القواعد العلمية الصحيحة ، وأنكر فيه كاتبه كثيراً من الوثائق والقوانين واللوائح التي تمّت الصحافة منذ عرفت في مصر إلى سنة ١٩١٢ ، ولم يعن إلا بعودة قانون المطبوعات في سنة ١٩٠٩ . ومع ذلك فقد خلت هذه العناية من العمق الذي رأيشه في رسالة زميله عبد الحميد صادق رمضان التي نال بها درجة الدكتوراه من جامعة باريس في سنة ١٩٣٥ عن :

« Evolution de La Législation Sur La presse En Egypte »
وهو هنا أفضلي المراجع التي عدنا إليها في دراسة تطور التشريع الخاص بالمطبوعات في مصر ، وخاصة الفترة التي بدأت بصدور قانون المطبوعات المصري في سنة ١٨٨١ إلى سنة تقديم رسالته ، أما الفترة السابقة على هذا التشريع المصري فيعتبرها شيء من النقص مرجحه فيها نعتقد امتناع الوثائق عليه ، وهي الوثائق التي يحتفظ بها قسم المحفوظات التاريخية بسرای عابدين ، وفيها خلا هذه الكتب التي عرضنا لها عدنا إلى الكتب الفرنجية المختلفة التي كتبت عن مصر من وجهة نظر أجنبية ، وهذه كتب عرضت عرضاً خفيفاً للصحافة المصرية والتزاماتها ومتاعبها ، وتکاد هذه الكتب تجمع - والكتاب الإنجلizية بالذات - على نقد الصحافة نقداً لاذعاً ، ويمثل هذه المؤلفات Cromer في كتابه (Modern Egypt) أما المراجع الأجنبية الأخرى فقلما كانت تعنى بهذا التاريخ ، ولم تذكر حواضنه إلا عرضاً .

إذا كانت الكتب التي نشرت عن مصر الحديثة باللغات الأجنبية قد أشارت في غير تفصيل وفي غير اهتمام إلى الصحافة المصرية فإن الوثائق الرسمية وخاصة مکاتبات القنصلات عنيت بأمور هذه الصحافة وأحدادها ، وكان أقل القنصلات اهتماماً بشئون الصحافة المصرية القنصل الأمريكي وإن اعتمد على لومونيتور أجبيسيان ونظيراتها من الصحف الشبه رسمية ، وكذلك كان شأن القنصلين

الإنجليزى والفرنسى في الكتب الزرقاء والصفراء (The Blue Books Livres Jaunes) غير أن المعتمد البريطانى بعد الاحتلال الإنجليزى أفرد لها في تقاريره لحكومة فضولاً قصيرة وطويلة، تصور حياتها من وجهة نظر إنجليزية، وإن أصحاب كتابها أحياناً في تقرير بعض مسائلها.

وقد عرض بعض المؤرخين للصحافة المصرية في المجالات العلمية كيغروب أرتين باشا في مجلة المجمع العلمي سنة ١٩٠٥ حيث نشر بحثاً لا يأس به عنوانه (Etude Statistique Sur La Presse Egyptienne) غير أن معظم ما كتب في المجالات العلمية عن صحافة مصر كان خاصاً بالصحف الرسمية وقد أشرنا إلى ذلك في ثبت المراجع، وأخيراً أرجعنا في تاريخ الصحافة المصرية إلى الوثائق التركية والعربية، وخاصة إذا اتصل البحث بالصحف الرسمية، وبأغفال هذه الوثائق ما كان للبحث أن يستقيم منذ نشأت الصحافة المصرية في كنف الحكومة في عهد محمد على إلى أيام الخديو إسماعيل؛ وعن هذه الوثائق وضح لنا شيء كثير من جهد الحكومة وتقديرها للصحافة والصحفيين، وظهر لنا مدى العلاقة التي كانت تربط الدولة بالمطبوعات والصحف خاصة في عهدي سعيد وإسماعيل، وقد أشرنا إلى هذه الوثائق في هوامش المتن كلما أعزنا البرهان أو الدليل.

عرضت الكتب صورة للعصر للتاريخ إجمالاً، وحددت الوثائق العربية والفرنسية والتركية جانبها كبيراً من البحث، وخاصة ما اتصل منه بالصحافة الرسمية ثم عدنا في آخر الأمر إلى الصحف نفسها، عربية وفرنسية، لمستكمل الحقائق من مصادره الأولى، ولتؤرخ لهذا الموضوع من جدوله الأصيل، ولنزاوج بين الحقائق العلمية المنشورة في الكتب والوثائق الرسمية وبين الاتجاهات الصحفية المتباعدة، ثم نستخرج من هذا كله الصورة الصادقة لتطور الصحافة المصرية منذ نشأتها إلى اليوم، وقد نشرنا ثبتنا في نهاية هذا البحث يشتمل على أسماء الصحف التي صدرت أو صدر بها الترخيص، واعتمدنا على الصحف الهامة منها في تصوير هذا التاريخ، وأشارنا إلى ذلك في مكانه.

ونختم هذا الفصل القصير بذكر الدور الذى قصّدناها لتطبيق بحثنا ، وفي مقدمتها
دار المحفوظات بالقلعة والمحفوظات التاريخية بسرى عابدين ودار الكتب
المصرية والجمع العلمي المصرى ومكتبة جامعة فؤاد الأول ومكتبة وزارة
الخارجية وإدارة المطبوعات المصرية ومكتبة طلعت حرب باشا ، وكذلك وجوب
التنوية بالمساعدات القيمة التى تفضل بها المشرفون على هذه الدور فكان حرصهم
على إبراز الحقائق لهذا البحث حرص العارف بقدر العلم ، وهو حرص يشகرون
عليه ويستو جب منى التقدير والاعتراف بالجميل .

مقدمة

لا يستطيع شعب من الشعوب المتحضرة أن يمضى حياته اليومية من غير صحف. هذه ظاهرة اجتماعية حديثة لا يمتري فيها أحد ، والصحافة في ذاتها وسيلة لغاية، اهتمت بها الحكومات الحديثة كا حرصن علمها شعوبها مهما تختلف هذه الحكومات ومهما تتفاوت هذه الشعوب في إدراك حياتها السياسية وتناول شئونها الاجتماعية ، فالحكومة النازية أو الفاشية تحرص كاحترص الحكومات الديمقراطية على هذه الوسيلة وتعمل على التكين لها لأن وراءها غايات قد تتشعب ومارب قد تتبادر ، أما الوسيلة نفسها فقد فرضت وجودها على المذاهب السياسية والاجتماعية والاقتصادية جمعيا بلا استثناء؛ وحظ مصر من هذه الوسيلة كحظ غيرها من الجماعات المتحضرة ، وكادت الحاجة إلى نشأة الصحف في أوروبا منذ عدة قرون؛ كذلك أمللت النظم الجديدة على مصر الحديثة أن تنهي صحفاً تعددت أغراضها وتباينت أهدافها وإن يكن عمرها لا يجاوز قرناً ونصف قرن من الزمان للظروف السياسية والاجتماعية التي حالت دون النشاط الصحفى وأخرته عن أوروبا زهاء ثلاثة قرون. وقد عرفت الصحف في أوروبا بعد أن ظهرت الطباعة بفترة طويلة إذ انتصر فن جوشنبرج خلال قرن على طبع أوراق الدفاتر وكراسات الأعمال التجارية وما إلى ذلك من الأشياء التي تمت إلى الحياة العملية ولا ترتبط بالصحافة والصحف ، غير أنه قد لوحظ في تلك الفترة أن من بين الكراسات التي طبعتها المطبعة في صدر عمرها كراسات تحمل الأنبياء للناس ، والأنبياء كما نعلم أهم عناصر الصحفية ، وقد سبقت إذاعة الأنبياء فن الطباعة ، فكانت تلقى في أول الأمر مشافهة ثم مضى أصحابها

ينسخونها، فلما عرفت، الطباعة صارت تذاع بعد طبعها في كراسات خاصة^(١) ولم تكن إذاعة الأخبار المخطوطة من وظائف الحكومات بل تختص بعض الأفراد لنسخ الأخبار الهامة ليقف على مضمونها النبلاء، وكان لهذه الطريقة أهمية خاصة في غضون القرن الخامس عشر في إيطاليا، وقد ساعدت الحياة الفكرية والتجارية والاجتماعية على نشاط هذه الطريقة الإخبارية، فإيطالييا في ذلك الوقت شعب راجت تجارةه وزكت علومه ومعارفه وسيطر تفكيره على معظم أرجاء أوربا، فكان طبيعياً أن يتاح لهم نيلواه وأغنياؤه ومفكروه أخبار دوليات أو روما والبلاد الأجنبية خارج القارة بما يحمله التجار وما تنقله السفن من أحاديث وروايات، فوجد أشخاص يتحققون لهم هذه الرغبة، وكان هؤلاء يدفعون ثمنها بسخاء، وكانت البندقية قطب الدائرة، دائرة العلوم والتجارة ودائرة الأخبار المنسوخة أيضاً، ولم يكن نشاط تجارة الأخبار المخطوطة يقف عند البندقية بل كان لهم عملاً وحرفاً في المدن الإيطالية والألمانية من التجار ورجال المال، وقد ألمان وغيرهم الإيطاليين في هذه الصناعة الجديدة.

وفي القرن السادس عشر ظهر الخبر المطبوع فلم يقض على الخبر المنسوخ وذلك لندرة المطبع أولاً وهي في أكثرها حكمة من الحكومة أو رجال الدين، كما أن ناشري الأخبار المخطوطة كانوا قلة قادرة صقلتها المرأة فتمسكوا بها العالى في أخبارها وأسلوبها، وتبع ذلك تمسكها بعملائها وحرفاً، ولما انتشرت الطباعة وأصبح الخبر المطبوع سهل النشر يسير التناول هبط مستوىه ولم يعده يليق إلا بال العامة، كما أن المطبوعات جميعاً كانت موضع رقابة خاصة من السلطات كما كانت موضع شكوكها وتصنيعها، ففضل العظام الأخبار المنسوخة وهي أخبار لا تخضع لرقابة رقيب ولا يعنها أكان في الحكم سلطة استبدادية أم سلطة عادلة، لذلك كانت أخبارها أصدق وأقرب إلى الحقيقة، وهذه الصحف المخطوطة آثار في المكتبة الأهلية بفينسا وبعضها الآخر في مكتبة الفاتيكان.

(١) عرض لهذا الموضوع Georges Weill في كتابه

ولقد لقي مذيعو الأخبار من البابوات والحكومات المختلفة ضيقاً وحرجاً شديدين فصودرت أموالهم وبترت أيديهم وقطعت أسلتهم ونصبت المخانق لكثير منهم ، ولم يوهن نشاط مذيعي الأخبار الخطوط والمطبوعة أو يفتر بالرغم من هذه القسوة التي ذكرنا بعض أمثلتها ، واضطربت السلطات آخر الأمر إلى الرجوع عن هذه القسوة ، بل جعلت ترضي بعض المخبرين المحترفين وتتكلفهم العمل لحسابها فنفقت سوق هذه التجاره في أوربا عامه وروما خاصة .

لسكن الخبر المنسوخ لم يعمر طويلاً بل أخذ يتقدم أمام الخبر المطبوع ، بانتشار الطباعة وتوسيط ثمنه وتساهل الحكومات وتنازلها عن رقبتها ، فتلونت الأخبار وتبينت ، وظهرت شرعاً ونثراً ، ولم تعد الأخبار وقفأ على الحوادث العادية المتواضعة بل كان للحروب والحوادث الطبيعية والمشاكل الدولية أثر في ترويج هذه الصناعة بما كانت تذيعه المطابع من الأنباء المشيرة ، كما عمدت بعض الأوراق الخبرية إلى نشر فيض من الحوادث المنقوله عن أوراق دول أخرى . وقد كبرت أوراق الخبر رويداً ثم حديثاً ، فادا هي دوريات تظهر كل ستة أشهر ثم دوريات تظهر كل شهر ثم كل أسبوع ثم كل يوم ، وقد شهد القرن السابع عشر مولد هذه الدوريات جميعاً في فرنسا وإنجلترا ، وفي غيرهما من البلاد الأوروبية ومضت هذه النهضة قدماء وعبرت البحار إلى أمريكا الشماليه ، بينما مضى الشرق في عزلته وتركته . فلم يعرف الطباعة إلا بعد أن غرقت أوربا في السكمه المطبوعة والصحف السيارة في المدن والمطاععات المختلفة .

وكان من الأمور الغريبة حقاً لا تشارك مصر دوبلات أوروبا في تقديم الطباعة وتقديم الصحافة ، وألا تمر بها الأدوار الصحفية التي مرت بأوروبا ، وأن تكون آخر بلاد الشرق الأدنى معرفة بالمطبوعة وأقلها احتفالاً بها ، ذلك لأن مصر أباحت على تراث فكري كاد يندثر بسقوط الدولة العريبة وتفرق كلامها . وقد حملت علم النهضة ولم يقف نشاطها في العلوم والفنون بالرغم من غشاوات الجهل التي أعمت

بعض حكامها وبالرغم من نوبات الفتور التي مسّت الحياة الفكرية المصرية آنذاك
آن منذ عهد الفاطميين إلى أيام المماليك البحريّة والبرجية (الشراكسة) وقد ظهر
فيها كثيرون من العلماء والأدباء والمؤرخين كالقلقشندي وابن هشام وابن خلkan
وابن تغري بردي وغيرهم من فطاحل العلم والتاريخ. وقد اتصلت مصر في عصورها
الوسطى بملك البحر الأبيض المتوسط وجنوب أوروبا وجمهورياته الهامة للمتاجرة
معها ، وكانت مصر واسطة العقد بين الشرق والغرب وكان يرجى لها التوفيق إلى
كل جديد تعرفه أوربا في ذلك الوقت .

وكانت جمهورية البندقية وغيرها من البلاد الأوروبية تهيأ لاستقبال النصّنة
الحديثة ، وفي هذه الفترة عرفت الطباعة في مدن إيطاليا والمدن الحرة الأخرى .
وكان الأمل واسعاً في أن يستفيد أعظم علماء أوربا من هذا الحدث الجديد
لو استمر الاتصال قائماً وعرف المصريون قدره ، غير أن مركز مصر قد تدهور
بعد كشف رأس الرجاء وسلوك التجارة سبباً عنها عن طريقه ، فانقطعت الصلة بين
مصر وعملاًها إلى حد بعيد ، وأوقفت الأبواب دون الإحساس بخطر المطبعة
زهاء ثلاثة قرون كانت مصر قد بلغت فيها من التقىقر والاضطراب مبلغاً تقوّضت
فيه دعائم الحياة السياسية والاقتصادية ، وانطفأت الذبالة الباقية من حضارة
الأمس ، وشغلت بنزوات حكامها وقاست من جهلهم وعسفهم ما قاست حتى
انقطع ما بينها وبين كل جديد من أسباب ، وأهمل شأن المدارس والتعليم ويعتبر
الكتب واتّهبت ، وتخرّبت دور الفن وعماراته ، وكانت مصر آخر من عرف
المطبعة بين دولات السلطنة الهامة .

وإلى أوربا يرجع الفضل في صناعة الحروف الشرقية والعربية ، عنوا في أول
الأمس باللغة العبرية وحروفها لأنها لغة الانجيل والتوراة ، وقاموا بنشرها في إيطاليا ،
ثم مضوا بنشر ونكتبة أدبية مختلفة ، ثم اتجهوا إلى العلم فلذروا باللغة العربية بعض
كتبيه . وفي مستهل القرن السابع عشر احتدمت المنافسة بين روما وباريس وليدن

ولندن على طبع السكتب العبرية والعربية ، وأحس الشرق هذه المخافسة بغلب إليه الطباعة من الغرب ليقوم هو أو يسامح على الأقل في نشر آثاره وتعاليمه ، وقد أوحى بذلك أيضاً الفسكة الدينية ، لذلك بدأت المطبعة في الشرق أول مابدأ تنشر كتاباً دينية باللغة العبرية ثم كتاباً أخرى باللغة العربية ، وتخلصت أخيراً من الاتجاه الديني ، ومضت تذيع المؤلفات والترجمات العلمية والأدبية .

ولقد سبقت الآستانة جميع بلاد الشرق في معرفة الطباعة ، وإلى اليهود يعود الفضل في نشر هذه الصناعة ، فقد أنشأ أحدهم مطبعة عبرية في عاصمة الخلافة لتنشر كتبهم وتعالييمهم الدينية ولتنعيمهم عن المخطوطات التي كانت تتكلفهم أجرًا كبيراً وجهداً عسيراً ، وكان هذا اليهودي ينشر بين آن وآخر كتاباً في التاريخ والعلوم بجانب كتب الدين اليهودي وتعاليمه ، وقد بدأ عمله هذا في أواخر القرن الخامس عشر ^(١) ولم تعرف الآستانة الحروف العربية إلا في أواخر القرن الثامن عشر أي بعد أن قطعت المطبعة العبرية من وجودها في الشرق زهاء قرنين من الزمان ؛ وقد نشط اليهود في بلدان الشرق الأخرى فأنشأوا المطبع هنا وهناك .

أخذت الطباعة تنتشر في بلاد الشرق الأدق . وقد بدأت كارأينا في الآستانة وحروها عربية ، غير أن هذا الشرق ولغته الفضل في اللغة العربية ، على عناية خاصة بحروفها ، فأنشأ أحد البطارقة مطبعة عربية في حلب في أوائل القرن الثامن عشر حوالي سنة ١٧٠٢ وقيل إن حروفها من بخارست وهي أول مطبعة عربية في الشرق ، ثم أنشئت في الآستانة المطبعة العربية الثانية ، وقد اقى إنشاؤها عنتاشيدا من الحكومة ورجال الدين فقد أقى العلماء بأن المطبعة رجس من عمل الشيطان ! إلى أن قيض الله لها بعض المصلحين ، واستطاع الصدر الأعظم بمعاضدة بعض هؤلاء العلماء أن يستصدر من السلطان فرماناً عالياً موقعًا عليه بالخط الشريف في

سنة ١٧١٢ بالاذن لسعيد أفندي (وقد صار صدرأً أعظم فيها بعد) بانشاء المطبعة وطبع جميع أنواع الكتب إلا كتب التفسير والحديث والفقه والكلام ^(١) . ثم عرفت الطباعة العربية في قرية الشوير من أعمال لبنان في دير من أديرتها المعروفة حوالي سنة ١٧٣٢ . وقد نافس الأرثوذكس أصحاب الشوير من الكاثوليك وأنشأوا بيروت مطبعة عربية قدروا فيها حروف مطبعة الشوير سنة ١٧٥٠ .

في أصغر القرى عرف بعض أمم الشرق المطبعة على حين جهل المصريون هذا الفن ، إلى أن جاءت الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ فعوضت بين بضاعتها مطابعها العربية واليونانية والفرنسية ، وقد ناسب نشاط المطبعة الفرنسية قدر الحملة ، فلم ت العمل مطابع الفرنسيين على غرار المطابع الشرقية الأخرى بحيث يكون جهدها منصباً على نشر الكتب والتعاليم الدينية وحدها بابل كان الاحتلال الفرنسي يرمي إلى أشيهاء هامة من وراء مطابعه ، فقد بدأت عملها قبل أن يبدأ الجيش عمله ، نشطت وهي في البحر والحملة في طريقها إلى مصر ، فأعادت المنشورات العربية وأذاعت أوامر القائد العام ، وفيها إذن جزء للدعائية وجزء آخر للأوامر الإدارية والحكومية ، حتى إذا استقرت في مصر فتحت صدرها للكتب المؤلفة والمترجمة لعلماء الحملة وأدبائها ، ثم أضافت إلى ذلك شيئاً جديداً لم تعرفه مطابع الشرق الأدنى ، وانفردت به مصر أول الأمر ، وكانت بمعرفته سباقاً بلاد الشرق جميعاً ، ذلك إخراج الصحف ، فمن طريق هذه المطابع عرفت مصر الصحيفة ، أو الدورية في صورتها الكاملة ، ومنذ ذلك الوقت يستطيع المؤرخ أن يحدد نشأة الصحافة في مصر ^(٢) .

أنشأ الفرنسيون صحيفتين في مصر ، إحداهما يقال لها كوربيه دوليجيميت والثانية يقال لها لا ديكان أجيسين La Décade Egyptienne

(١) تاريخ جودت اص ٨١ — ٨٢

(٢) راجع تاريخ الطباعة والصحافة في مصر خلال الحملة الفرنسية للمؤلف — القاهرة ١٩٤١

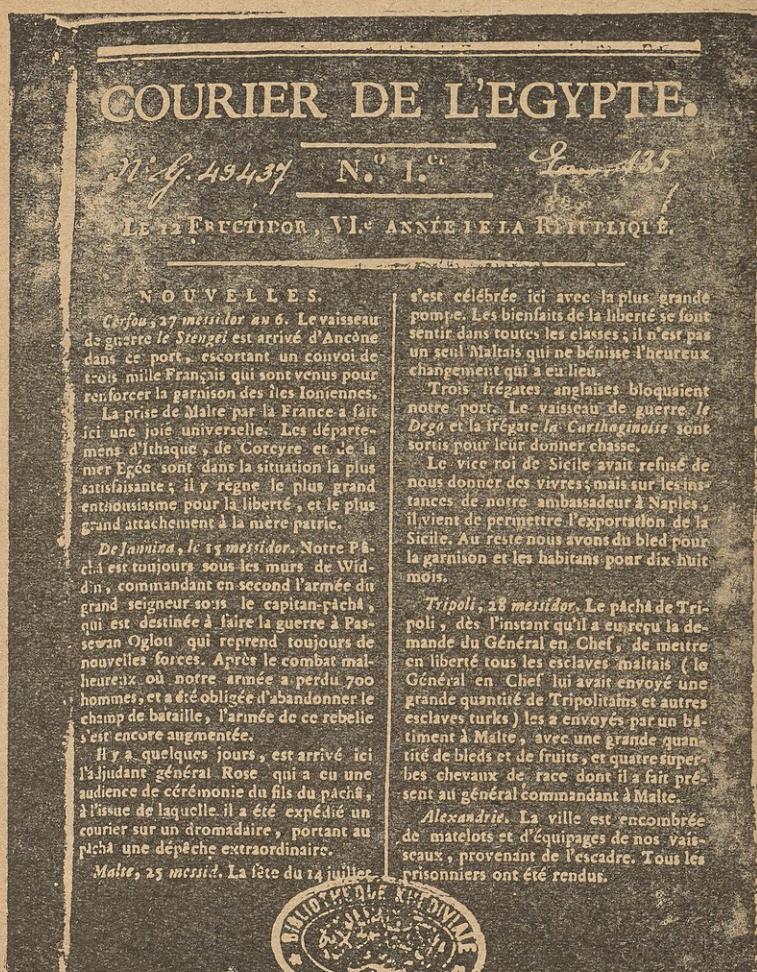
فتاريخ إنشاء الصحف في مصر إذن يجب أن يحدد بالحملة الفرنسية ولا يجوز
للمؤرخ أن يحدد تاريخ الصحافة المصرية بإنشاء هاتين الصحفتين ، لأنهما صحيفتان
أجنبيتان وان ظهرتا في مصر ، وإذا كان لكل صحيفة فكرة ولكل جريدة هدف
وغاية ، فأهداف هاتين الدوريتين
تجعلنا نقرر أنهما ليستا من الصحافة
المصرية في شيء اللهم إلا المكان الذي
صدرتا فيه وهو القاهرة .



صـ- درت جريدة كوربيه بعد
الاستيلاء على القاهرة مباشرة في ٢٨
أغسطس سنة ١٧٩٨ (فيكتور دو روسفيه
جمهوريـة) في حجم كتاب وسيط
باللغـة الفرنسـية وقطعـة اللغة التي
صدرت بها كوربيه الصـلة التي بينها
وـبين المـصـريـن، فالمـصـريـون في ذلك
الوقـت لم يكن لهم بهذه اللغة ولا
بـأصحابـها عـهد مـوصـول لـأسـبابـ لا
تعـيـبـ عن دارـسـ هذه الحـقـبةـ من
التـارـيخـ المـصـرىـ، وقد حـملـتـ هذه
الـصحـيفـةـ أـخـبـارـ مصرـ الدـاخـلـيةـ وهـىـ
الـأـخـمـارـ الـحـلـمةـ فـيـ القـاهـرـةـ وـالـأـقـامـ،

الأخبار المحلية في القاهرة والأقاليم، الجنرال بونابرت أول من أنشأ صحفاً في مصر وكان القصد من نشر هذه الأخبار أن يعرف الفرنسيون في القاهرة ما يجري لدى زملائهم في ريف مصر وأقاليمه حيث توزعت فصائل الجيش الفرنسي، وفي ذلك يقول الجنرال إن «ال القوم كان لهم مزيد اهتمام بضبط الحوادث اليومية في جميع دواويرهم وأما كن أحکامهم ثم يجتمعون المترافق في ملخص يرفع في سجلاتهم

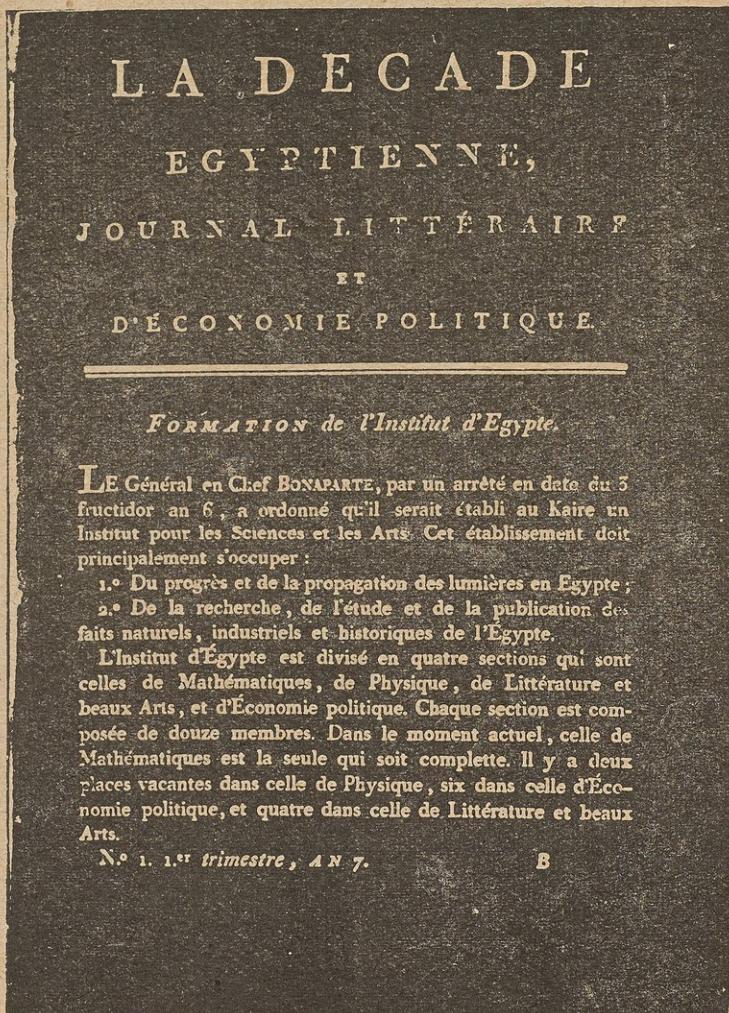
بعد أن يطبعوا منه نسخاً عديدة يوزعونها في جميع الجيش حتى لم يكون منهم في غير مصر من قرى الأرياف فتتجدد أخبار الأمس معلومة للجليل والحقير منهم،^(١).



جريدة لو كورييه دوليسيت

هدف كورييه إذن هو الجنود الفرنسيون أو الجالية الفرنسية التي ينبغي أن تعرف عن طريقها أخبار مصر وشئونها فقد انقطعت الصلة بين فرنسا وجنودها في مصر، وهذه حقيقة يعلمها قادة الحملة وأعلامها، لذلك هيأوا هذه الصحيفة لجنودهم، على

أن تنشر بين آن وآن أخبار فرنسا التي تجدها خلسة بالرغم من حصار الأسطول الانجليزي للشواطئ المصرية^(١) كما أنه لم تغفل أنباء سورية وفلسطين وأخبار أوروبا مطولة أو مختصرة . على أنها في هذه الأنباء جميعاً كانت تخضع لامتحان من



صحيفة لا ديكاد أجبيسين
الرقابة الشديدة^(٢). وأضافت هذه الصحيفة كثيراً من القمع من الغربة عن مصر

Canivet, Bull. de L'Institut Egypt. 1909. p, 15, 16 (١)

Charles-Roux, Bon. Gouverneur d'Egypte. Paris 1936 p 145 (٢)

ترفيها لقراءتها وتسلية لهم ، وكانت اعلاناتها جميعاً بلا استثناء اعلانات لهم
الفرنسيين وحدهم .

وصدرت لأديكاداجيسين في أول أكتوبر سنة ١٧٩٨ (فانديمير سنة ٧ جمهورية) وحمل العدد الأول منها اتفاقه احيته ، وهي تقرير اتجاه الصحيفة وهدفها ، فهي صحيفة علمية لدراسة شئون مصر ، ونشر المسائل الخاصة بالحياة المصرية ، اجتماعية وأدبية واقتصادية ، وهي صحيفة المجتمع العلمي المصري ، وهو جماعة من علماء الجملة الفرنسين ليس بينهم مصرى ، فهي بمعنى أوضح وثيقة رسمية أو سجل للنشاط الجملة العلمي ، تصدر في القاهرة للفرنسيين المقيمين فيها الذين تعنيهم شئون الأدب والاقتصاد أكثر مما تعنيهم شئون الحرب أو أخبار المدن والأقاليم وصور الحياة المصرية العارضة .

ويستطيع المؤرخ للصحافة المصرية أن يحكم في اطمئنان بأن الجريدةتين الفرنسيتين اللتين صدرتا في القاهرة خلال الجملة الفرنسية لتمثلان الصحافة المصرية في شيء ولا تعتبران دعامة لها . وقد شرحتنا مبلغ ما في تقرير هذه الحقيقة من قوة وصدق ، وإنماهما صحيفتان أنشأتهما الظروف وحدها ، وهي ظروف بعضها طارى كما حدث في إصدار كورييه ، وبعضها عرف عن تصميم سابق أداته هذه الجماعة الضخمة من العلماء والأدباء والشعراء التي صاحت الجملة لتباحث وتنق卜 وتدرس وتقررو ثبيت هذا كله في مجلة حتى لا يفوتوت بونابرت فضل غزو الحياة المصرية بدراسة تاريخها وآثارها وأمراضها وإنتاجها كما كان يرجو غزو مصر وثبتت العلم الفرنسي فيها ، وقد نجح في الأولى وأخفق في الثانية .

ولم يحاول بونابرت إنشاء صحيفة عربية في الوقت الذي أنشأ فيه الصحيفتين الفرنسيتين ، وهي أجدى عليه وعلى صحبة من جند ومدنيين وعلى فرنسا نفسها في توجيه المصريين وتعزيز الحضارة الجديدة التي حلها معه إلى وادي النيل ، وهو يكاد يؤمن بهذه الفكرة ، فـ فكرة الصحيفة العربية فقد جعل من المطابع العربية إحدى الوسائل التي تصله بالمصريين بما كان يذيعه من منشورات على الجماهير المصرية « في

مفارق الطرق ورموس العطاف وأبواب المساجد (١)، ولم تساعد هذه المطبعة العربية في الاتصال بالمصريين وحدهم، بل كثيرون أ Mata بع لامر الحج و زعماء العرب وغيرهم في الشرق

الجزء من صاحب (التنمية)



كبير أطباء الحلة أمر الاضطراب الذى يسود العلاقات المصرية الفرنسية فاقتراح عليه هذا إنشاء جريدة عربية ت تكون لسان الحكومة ويشرف عليها جماعة من الفرنسيين المنشقين وبعض سرّاه المصريين ، وتوظف هذه الجريدة في تذوير

(١) الجبرتي — عجائب الآثار ج ٣ ص ٢٠

(٢) الجبرتي - عجائب الآثار - ج ٣ ص ٩٤

عقول العامة الذين يعدون الاصلاح الفرنسي في مصر خرافات من الخرافات ، فأمر منو باصدار جريدة التنبيه (Avertissement) في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٠٠ (فرميمير سنة ٩ جمهورية) على أن توزع في جميع أنحاء القطر المصري وفي بلاد اليمن والشام وداخل إفريقيه ، وتقوم المطبعة الأهلية بنشرها ، ويحيز أمور النشر فيها علماء الديوان حتى لا ينشر ما قد يفسد الغاية منها أو يسيء إلى التقاليد والعادات المتتبعة في مصر ، على أن يشرف على تحريرها الشيخ الخشاب أحد أعلام الأدب في ذلك الوقت وسكرتير الديوان ، فتكون صحيفه إخبارية تنشر أنباء الحكومة وحوادث الديوان المصري ، وتذيع بعض الحوادث الأوروبية والآسيوية العامة كما تعنى بالأدب والفنون والعلوم ، ويكون مراقبها العام رئيس إدارة العدل ، في مصر

ويعنيينا من أمر هذه الجريدة أنها لم صدرت لكان بحق ألم الصحف المصرية جميعا غير أن الأمل المعقود بهم ورها لم يتحقق لأن الظروف المحيطة بمصر إذ ذاك لم تسمح بأخراجها فبقي مرسوم إنشائهما معطللا ولم يعمل به^(١)

الصحافة الرسمية في مصر

ولى محمد على شئون مصر في سنة ١٨٠٥ في جو لم يعرف الولاية العثمانيون له شيئاً من قبل ، فقد كان للشعب المصري دخل في هذه التولية فهو الذي طلبها وألح في طلبها ، وأقر السلطان هذه الرغبة الشعبية ، فآذنت هذه الحالة الجديدة بكتابه صحفة جديدة في تاريخ مصر ؛ ومضى الوالي الجديد يرتب أمره على هذه الحقيقة التاريخية ، أى أنه ربط مستقبله وحياته بمستقبل مصر وحياتها ، ولم تستطع أساليب الدهس في الآستانة وكل مشاكل الأرname ود في القاهرة أن تحول دون ولاية محمد على مصر سنة بعد أخرى . ثم قامت الأزمات بين السلطان وواليه وتدخلت الدول العظمى لتصفية الأزمة التركية تصفية نهائية في سنة ١٨٤٠ وفربت محمد على ما أقره المصريون من قبل وجعلت له مملوك مصر مدى حياته على أن يليه من بعده أعقابه جيلاً بعد جيل .

شهدت مصر قبل ولاية محمد على احتلالاً أجنبياً مهما يكن أمره فقد برق في حياة المصريين وشغلهم بمجد لم يكن يعرفه الشعب المصري ، سواء في الإدارة العامة أو في تفاصيل الحياة المصرية المتباعدة ، وأصبحت البلاد في مفترق الطرق بعد هذا الاحتلال ، يعوزها الاستقرار حتى تتبين ما كان ينوي الفرنسيون صنعه ، لذلك لم تختلف كثيراً الأساليب التي اتبعها محمد على عن الأساليب التي فرضها الاحتلال الفرنسي ، ومن هنا نشأت حاجته إلى الفرنسيين فأستعان بهم لإنشاء مصر الحديثة .

وقد قطعت الحوادث التاريخية في عهد محمد على بأنه كان مجدها مصر في جميع ما صنع في إدارته لها ، وأنه كان يدعم نظامه الجديد بما يمكنه من التقدم ويهيء له أسباب النضج والاستواء ، فقد رأى تنظيم مصر إدارياً في سنة ١٨١٣ فقسم كل

مديرية إلى أقسام وعین لكل قسم ناظرا ولكل مديرية أو مديريةتين مأموراً أو متصرفاً (١) وذلك توطئة للعناية بأهم المصالح المصرية وهي الزراعة فأنشأ ديوانها بعد التنظيم الإداري بستين (٢) واستتبع ذلك حفر الترع (٣) وإنشاء الفابريقات (٤) فالتنظيم الإداري تدفع إليه رغبة تسهيل عمارة القطر وتقدم زراعته ، (٥) ولم يكن البشاير حم عاملأ أو موظفأ يسى إلى مصالح الإدارة أو الزراعة ولا يقبل تعلة أو اعتذاراً بل يدفن المهممل حياً في الأرض التي أهملها أو في المصنع الذي أسماء اليه ليكون عبرة لأقرانه الأحياء . فهو يريد بذلك أن تنظم حسابات الأقاليم والمصالح وشئونها الإدارية بحيث يقدم إليه ملخص عنها في نهاية كل شهر أو في نهاية كل سنة ، أو في فترات أقل من الشهر والسنة ، وهي طريقة جديدة في نظام مصر الإداري والمالي ، يعرف بها البشاير حال البلاد آنـا بعد آنـ ، وكان هذا الملخص يقدم له كتابة في صورة تقرير يقال له (الجرنال) وقدر أي محمد على أن مدة الشهر والعام قد تخفى عليه ما يجب أن يظهر ، وقد تجعل هذه المدة قصرت أو طالت مجالاً للعب عماله وتكلساتهم (٦) فأصدر المسؤولون أمرآ بأنه «في اليوم الأخير من كل أسبوع ترد إلى جنابه العالى كشوف الأقاليم البحريـة والقبليـة بمقدار المال المتـحصل وكـيمـات الغـلال والأصناف الأخرى حيث يعلم منها نشاط المـأمورـين أو تـكـاسـلـهم» ، وتبين له بعدئذ أن من الأمور مـا لا يـتحمل الـانتـظـار سـبـعة أيام ، فأـصـدرـ أمرـه بـجـواـز عـرضـ «الـجـرـنـالـاتـ يومـياـ أوـ فيـ أـىـ سـاعـةـ إـلـىـ البـشـاـرـ لـالـنـظـارـ فـ الشـئـونـ الـاسـتعـجلـةـ» (٧)

(١) و (٢) أمين سامي باشا تقويم النيل ج ٢ ص ٢٤٦ و مص ٢٥٧

(٣) تقويم النيل ج ٢ ص ٢٦١

(٤) محفوظات عابدين دفتر ٣ معية تركى أمر رقم ١٧٢ في ٥ ربيع الأول عام ١٢٣٤

(٥) محفوظات عابدين دفتر رقم ٣ معية تركى أمر رقم ٣٢٠ في ١٣ جادى الآخرة لعموم جهات القطر المصري بتفسير قسمة القطر إلى أقسام

(٦) محفوظات عابدين دفتر ٧٤٧ خديوي تركى وثيقة رقم ٣٦ نمرة ١٢٤٤ هـ من الجناب العالى الى حبيب افندي مأمور ديوان الخديوي .

(٧) محفوظات عابدين . أمر كريم في ٩ شوال عام ١٢٥١ هـ ص ٦ مجموع ترتيبات ووظائف

و هذه التقارير التي كانت ترفع اليه في كل عشرة أيام أو في الفترات الأخرى التي عينها وحددها كانت قطبيع في مطبعة القلعة و تقدم اليه بعد طبعها ، وقد أنشأ لذلك «ورشة مخصوصة بطرفه كأعين كتاباً مخصوصين » (١) ويضم هذا الديوان الكبير نخبة من الكتاب الذين يجيدون اللغتين العربية والتركية (٢) وكان محمود افندي « جرنال ناظري »، أي ناظر التقارير التي ترفع للوالى يستقبل تقارير الأقاليم ويعدها للعرض على البشا حيـث يقضـى فيها بأمر ما (٣) وكان للمدن المصرية الكـبـيرـة دواوين على غرار الـديـوان الرئـيسـي فـي القـاهـرة ، يـرـأسـها نـاظـرانـ عـامـانـ للـتـقـارـيرـ ، أحـدـهـماـ فـي الـوـجـهـ الـقـبـيلـ وـالـثـانـيـ فـي الـوـجـهـ الـبـحـرـىـ يتـلـقـيـانـ أـخـبـارـ المـدـنـ والأـقـالـيمـ ، كلـ فـيـمـاـ يـنـصـهـ ثـمـ يـرـسـلـهـاـ إـلـىـ القـاهـرةـ (٤) ، وـفـيـ القـاهـرةـ يـتـولـىـ دـيـوانـ الـجـرـنـالـ العـامـ بـحـثـهاـ وـتـبـوـيـهـاـ وـعـرـضـهاـ عـلـىـ الـبـشـاـ ، ثـمـ يـبـلـغـ قـرـارـ الـوـالـىـ إـلـىـ الـمـجـالـسـ وـمـاـ إـلـيـهـاـ (٥)

انتظمت أمور الجرنال وتشعبت مواده ، بعد أن قامت المطبعة مقام النسخ ، لذلك حرص عليه البشا حرضاً شديداً ، فـكان إذا رأى تهاوناً في إصداره أو تكاسلـاـ فـيـ إـخـرـاجـهـ اعتـبـرـ ذلكـ خـلـلاـ ، لـمـلـصـحةـ ، إـذـ ، أـنـ فـائـدةـ الـجـرـانـيلـ هـيـ مـطـالـعـتـهـ وـتـحـرـيرـ الـاسـتـعـلامـاتـ بـمـاـ يـلـزـمـ لـلـاجـابـةـ عـنـهـاـ فـيـ وـقـتـهـ ، لـذـلـكـ يـعـاقـبـ الـبـشـاـ موـظـفـيـ الـجـرـنـالـ الـمـهـمـلـيـنـ مـنـهـمـ فـيـجـازـيـهـمـ ، كـبـصـ الـقـانـونـ بـالـضـربـ ٣٠٠ـ نـبـوتـ ، إـذـ أـنـ اـضـطـرـابـ نـظـامـ الـجـرـنـالـ ، قـدـ أـوجـبـ اـغـرـارـ خـاطـرـهـ ، ثـمـ يـقـولـ فـيـ حـاشـيـةـ

(١) أمر من محمد على في ٢٤ الحرم سنة ١٢٥٢

(٢) محفوظات عابدين دفتر رقم ٧٤٠ ديوان خديوي ترك وثيقة رقم ٣١ في ٦ رمضان عام ١٢٤٣ هـ من ديوان الخديوى إلى ناظر التقارير.

(٣) محفوظات عابدين دفتر رقم ٣٠ معية ترك وثيقه رقم ٢ في ٣ رمضان عام ١٢٤٣ هـ من الجناب العالى إلى محمود افندي.

(٤) محفوظات عابدين دفتر ٧٤٨ خديوى ترك وثيقة رقم ٢١٥ في ٤ جمادى الثانية ١٢٤٤

(٥) محفوظات عابدين دفتر ٧٤٠ ديوان خديوى ترك وثيقة رقم ١٢٢ في ٨ ذى القعده عام ١٢٤٣ هـ من ديوان الخديوى إلى الأفندي ناظر التقارير.

أمره «أن عدم تقديمهم الجرزال حال بيته وبين معرفة معاملتهم للعباد وأنه لا يليق بأخير المصالح لأجل راحة أنفسهم وبقاء عباد الله في التعبد فيلزم المبادرة لترك بربخ الاستراحة وإرسال الجنانيل في أوقاتها المقررة» (١)

استمرت الأفاليم والمصالح ترسل إلى ديوان الخديو أخبارها وملخصاً وافياً عن أحوال البلاد الزراعية والإدارية الأخرى، وقد يبدو من هذا العرض لماهية «الجرزال» وديوانه أنه كان وفقاً على الوالي دون حكمته وأن مطبعة القلعة كانت تقوم بخدمة هذا التقرير الخاص بمحمد علي وحده، بيد أن فورنـي سكرتير روكي في مطبعة بولاق يحدثنا عن هذا الديوان ويوضح لنا قيمة تقريره، ويعرض صورة لعلها أفضل الصور التي وصل إليها جرزال الخديو قبيل إنشاء الواقعية المصرية (٢).

يذكر فورنـي أنه كان يطبع من الجرزال كل يوم مائة نسخة باللغتين العربية والتركية متضمناً الأخبار الرسمية الحكومية وبعض قصص من ألف ليلة وليلة. وكان هذا التقرير الذي يمكن تسميته بالجريدة الرسمية مع شيء من التجاوز يرسل إلى رجالات الدولة وأماموريها الذين يعنفهم أن يقفوا على أحوال البلاد والنظام الجديد فيها، وفي ذلك تقول الواقعية المصرية في افتتاحية العدد الأول، ووضع ديوان الجرزال قاصداً من وضعه أن ترد الأمور الحادثة الناتجة منها النفع والضرر إلى الديوان المذكور وأن ينتخب وينتفع فيه منها ما منه ينتفع والإفاده حتى إذا ظهر عند المأمورين نوعاً من النفع والضرر ينتخب ما منه تصدر المنفعة ويكتتب ما منه يحصل الضرر، وهذه الإرادة الصالحة الصادرة من حضرة سعادة ولـى النعم وإن كانت قد جرت في ديوان الجرزال إلى الآن إلا أنها لم تكن عمومية (٣).

تحقق مقدمة الواقع كرأينا مع تقرير فورنـي، فليس جرزال الخديو تقريرات

(١) أمر من محمد علي في ٢٤ الحرم سنة ١٢٥٢ هـ — تقويم الفيل ج ٢ ص ٤٦٧
F. Bonola. Rev. Int. d'Egypte. Octobre 1905, P. 151 (٢)

(٣) الواقع المصرية العدد الأول في ٢٥ جمادى الأولى عام ١٢٤٤ هـ

خاصة بالوالى تقدم اليه كا كان الأصل فى إنشاء الديوان وجرناله ، بل تطور هذا الجرنال الخاص فأصبح هادياً للأموريين بما يذاع فيه من أخبار البلاد ، خيرها وشرها ، حتى يرى هؤلاء المأمورون أوامر الوالى وإرشاداتاته فيقبلوا على تنفيذه ما يرى تنفيذه ويختبوا منه عنه أوامره ، هو خلاصة لنشاط الحكومة وأعمال الموظفين واجتهاد العمال ، ينشر فى مائة نسخة توزع على رجال الدولة المستولين فى انتظام ، لذلك بقيت هذه الجريدة التى ارتبط تاريخها بانشاء النظم الجديدة وفقاً على المأمورين وحدهم ، لأن نشاط الحياة المصرية كله كان موزعاً بين الوالى



محمد علي الكبير من قائم اوقائع المصرية

وموظفه فقط ، وهى أقدم الصحف المصرية على الإطلاق ، سجلت نشاط الحكومة فى نشأتها الحديثة الأولى وأدت وظيفتها على أحسن ما تؤدى الوظائف فى الصحف الرسمية .

أنفق محمد على زهاء أربعين عاماً في حكم مصر باذلاً أقصى الجهد في تنظيم الحكومة المصرية، فعنى بترتيب البلاد إدارياً ورعاياً، مصالح الزراعة والحراتة وباقى أنواع الصناعات التي باستعمالها يتأتى الرخاء والتيسير، ثم فسّر «في نظام القرى والبلدان ورفاهية سكانها وراحةتهم»، فإذا نجح في ذلك كله، وضع ديوان الجنال، على الصورة التي شرحتها وللغاية التي بينها، ثم وجد الباشا في نهاية الأمر أن جرنال الخديو قد أدى وظيفته، وأن القواعد والنظم التي وضعها لحكومة قد أثرت في المصريين ومست حياتهم مسا عميقاً وأن قصر الأخبار على مأموريه ورجال دولته دون شعبه ليس من أصلالة الرأى في شيء، فلما لاح هذا الشيء في ضمير الذات السنوية، أمر بطبع شتون الحكومة والمحكومين معها في جريدة تنشر «عموماً وقد سميت واشتهرت بالواقع المصرية»، وتقول الواقع المصرية في خطتها التي أذاعتتها افتتاحية العدد الأول، أراد وللنفع أن الأخبار التي ترد إلى الديوان المذكور — ديوان الجنال — تتنقح ويتحجب منها ما هو مفید وتمشى عموماً مع بعض الأمور التي ترد من مجالس المذاكرة السامي والأمور المنظورة بها في ديوان الخديوي، والأخبار التي تأتي من أقطار الحجاز والسودان ومن بعض جهات أخرى، فكأن ديوان الجنال باق وإن سمي بعد إنشاء الجريدة قلم الواقع^(١) ييد أن اختصاصاته قد توسيعت، فقد كان جرنال الخديو يعني بالتقدير التي تأتي من الأقاليم، أما المجالس العليا كديوان الخديو ومجلس المذاكرة السامي — وهي من آثار التنظيم الجديد للحكومة سنة ١٨٢٦ — فأخبارها شيء لا يتصل بشتون الجنال وديوانه، وهذه المجالس تبلغ من الأهمية مكاناً يجعل قراراتها وأخبارها متصلة بالشعب وحياته، فيها تقرر مصائره وعنها تصدر كافة القرارات التي لها قوة القانون، فإذا نشرت على المصريين أخبارها كان ذلك عملاً له خطره في إذاعة حداثة الدولة الكبار وقد يحد مؤرخو الصحافة المصرية كثيراً من النتائج في نشر الواقع المصرية، وخاصة بعد أن أذاعت افتتاحيتها بمجمل ما مسحته على عليه أعدادها، وهي موضوعات

(١) محفوظات القلعة — كراسات ملخصات الأوامر العلية — كراسة رقم ٩ ص ١٧٢

طيبة حقاً ، بالإضافة إلى تغرييرها حقيقة هامة وهي أنها ستمثل لـ كلّافة الناس . فوزعت على العلماء (١) وعلى تلاميذ المدارس (٢) والذوات الملكية والجهادية (٣) وأرسلت إلى كريت والشام وببلاد العرب والسودان (٤) وقرأها المبعوثون في أوروبا (٥) ولكن هؤلاء جميعاً لم يتجاوز عددهم ستمائة قارئ (٦) ، وذلك في أعظم أوقات الحكومة خطرآً ، يوم كانت جيوشها تحارب في الشام وهي في أشد الحاجة إلى الدعاية والإعلان . ومصدر هذه القلة في عدد قراء الواقع أسباب كثيرة من أهمها أن مجال الاشتراك فيها لم يفتح على إطلاقه بل قرر البالشا أن من له حق الاشتراك فيها من بلغ مرتبه في كل شهر ألف قرش فأكثر (٧) ومن الشافت أن كثيرين من كانوا يتلقون مرتبياً أقل من ألف قرش كان في استطاعتهم قرأتها والاستفادة منها . وقد تحدد عدد المشتركين في الواقع أو القارئين لها ، ولم يطلق توزيعها على الصورة التي اتبعت مع مشيلاتها من الصحف الرسمية في الدول الأخرى كذلك تحددت أخبارها ، فإن إشارة افتتاحية الواقع إلى « بعض الأمور التي ترد من مجلس المذاكرة السامي والأمور المنظورة بها في ديوان الخديو » يدلنا على أنه ليس كل ما يدور في هذه المجالس يصبح حقاً مباحاً لقراءتها ، بل تقتصر على نشر ما من شأنه لا يخل بسرية هذه المجالس ، وكذلك كان الشأن في الأخبار العادية

(١) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٩٣ دفتر ٤٨ مدارس عربي ص ٤٨ في ٦ شوال عام ١٢٦٣

(٢) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٣٨٠ دفتر ٩٣ مدارس عربي ص ١١١ و ١١٨ في ١٩ شوال

عام ١٢٦٣ من ديوان المدارس إلى ديوان الماليه

(٣) محفوظات القلمة كراسات ملخصات الأوامر العلمية ، كراسة رقم ٩ ص ١٧٢

(٤) محفوظات عابدين وثيقه رقم ١٧٦ و ٢١٦ في ٢٩ صفر عام ١٢٤٩ هـ دفتر ٧٨٧ ديوان

خديوي تركي

(٥) تاريخ الواقع المصري (١٨٢٨ - ١٩٤٢) الطبعة الثانية من ٣٨ - ١٠٦

Dowin. La Mission Du Baron De Boislecomte. L, Egypte et (٦)

La Syrie En 1833. P. 139

(٧) محفوظات عابدين وثيقه رقم ١٢٧ دفتر رقم ٩ مدارس عربي في ذى القعده عام ١٢٦٠

من ديوان المدارس إلى المطبعة

الآخرى الذى درجت الجريدة الرسمية على نشرها فهذه أيضاً كانت لاتنشر إلا بعد امتحان قاس من ديوان الخديو وبعد رقابة عنيفة من الحكومة و محمد على نفسه^(١) كانت النظم الجديدة من أهم الأسباب التى دعت إلى إصدار الواقع كجريدة للحكومة المصرية ، فإن الوالى كان يريد أن يرى المصريون أو خاصة المصريين بمعنى أوضح المثل الذى رسماه لسياسته العامة ، فهو قد احتىكر الأرض وأصبح التجار الأول



الشيخ وفاعة الطبرطاوى محرر الواقع المصرية

والصانع الأول في مصر ، ومعظم هذا النظام غريب على المصريين ، له حسنااته وله سوءاته ، وقد فرض على الدولة فرضا ، فلا أقل من إذاعة النتائج الطيبة التي سينتجها فعلا هذا النظام ، والواقع المصرية وسائله عند الراضين والساخطين على السواء . وهو ينشىء القنطر والجسور ويشق الترع وهذا يكلف الناس جهداً فوق طاقتهم ، ويتحمله شيء من ظلم الجماهير بتسخيرها في الحفر والشق وتعبيد الطرق ، فلا أقل من أن تكتب المقالات تصف كفاح الحكومة من أجل عمران مصر . ثم هو ينشئ مصانع النسيج ومعامل الغزل ودور الصناعات الحريرية بجانب المدارس على اختلاف أنواعها ويرسل البعوث هنا وهناك ويبيه أحواض السفن

(١) مـ٣ـ صحافة

(١) تاريخ الواقع المصرية ص ٥٥ وما بعدها

لبناء أسطوليه التجارى والحربي فيربط مصر بأوربا بعد أن انقطعت الصلات
عدة قرون ، ثم يأمر فينشر هذا كله في صحيفته وهى الميدان الفسيح لمدحه والثناء
عليه ، وهكذا تعطى الواقع المصرية بمقالاتها وأخبارها صورة للحكومة العادلة
القادرة المجددة .



رأس أول عدد من الواقعية المصرية

وهو يريد أن يرى الناس جزاء المجد أو المهمل فيأمر بنشر أخبار الموظفين « ترقيتهم وعز لهم ، ثم يأمر بنشر القضايا الهامة التي تتصل بالشرع والعرف مع ذكر الحكم والقصاص ، ثم يؤكّد على المحرر بأن يذيع بين آن وأن مارم من المساجد وما أنشأه من المؤسسات الخيرية إلى غير ذلك من الأخبار التي تتصل بالزرع والحيوان (١) ثم لا يغيب عن صفحاتهما بعض الأدب وأخبار السياسة الخارجية وشئون الدول الاجتماعية لعل فيها عظة وعبرة لقراءها . ويعين خدمتهما بعض رجالات العصر كرفاعة رافع الطهطاوي وأدهم بك مدير المدارس غير بعض السوريين الذين ولاهم شئونها الصغرى في التحرير والإدارة كأحمد فارس الشدياق والسيد شهاب الدين باشصلاح مطبعة بولاق (٢) . وقد اقتسمتها اللغتان التركية والعربية وتغلبت الأولى مرّة والثانية مرّة أخرى إلى أن صدرت كل منهما في صورة منفصلة .

(١) محفوظات شابدين وثيقة ٦٥ في غرة صفر ١٢٥٨ هـ دفتر ٢٨٦ شوري المعاونة

(٢) تاريخ الوفاقم المصرية للمؤلف ص ٩٩ وما بعدها

وعلى هذا النحو نشرت أقدم الصحف المصرية ومضت قدماً كأول مثال للصحيفة المصرية بالمعنى المفهوم ، وهي سجل للحكومة وصدقى لنشاط رجاتها ، وان اختلفت أشد الاختلاف مع نظائرها من الصحف الرسمية في أوربا التي تخصصت للأوامر الرسمية والقوانين واللوائح خسب .

* * *

ارتبط تاريخ الصحافة الرسمية في مصر بالنظام الجديدة التي قررها ولـى النعم ، فقد شاهدنا كيف أنتج نظامه الإداري الأول الجنـال دـيوـانـه ، وهو نظام يفضل بالطبع نظام المـاـيلـك ، وكيف تطور هذا الجنـال فأصبح جـريـدة رـسـميـة يومـيـة لـكـبـار موـظـفيـه وـمـأـمـوريـه . ثم رأـىـ الـباـشاـ أنـ يـعـدـلـ نـظـمـهـ وـيـؤـسـسـ حـكـوـمـةـ منـ جـديـدـ ، وـاسـتـلـمـهـ فـذـلـكـ القـوـاعـدـ الفـرـنـسـيـةـ الـتـيـ اـتـبـعـتـ فـيـ مـصـرـ خـلـالـ الـاحتـلـالـ الفـرـنـسـيـ ، فـأـسـسـ فـيـ سـنـةـ ١٨٢٦ـ بـمـجـالـسـ الـدـوـلـةـ وـأـنـشـأـ الـوزـارـاتـ فـيـ صـورـةـ دـوـاـيـنـ وـعـدـلـ التـقـسـيمـ الإـادـارـيـ ، كـاـنـشـأـ مـعـ نـظـامـهـ هـذـاـ الـمـدـارـسـ ، وـأـخـذـتـ مـطـبـعـةـ بـوـلاـقـ تـزـدـحـمـ فـتـلـكـ الـفـتـرـةـ بـسـكـتـبـهـافـ كـشـيرـمـ العـلـومـ وـالـفـنـونـ ، كـاـعـقـبـ عـلـىـ نـشـاطـهـ الإـادـارـيـ وـالـتـعـلـيمـيـ بـتـنـظـيمـ زـرـاعـيـ لـاـ بـأـسـ بـهـ (١) وـقـدـ تـبـعـ إـنـشـاءـ الـنـظـامـ الـجـديـدـ كـشـيرـ مـنـ التـغـيـيرـ وـالتـبـدـيلـ فـيـ مـصـالـحـ الـحـكـوـمـةـ وـاـخـتـصـاصـاتـهـ ، وـبـذـلـكـ أـنـشـأـ مـحـمـدـ عـلـىـ أـوـلـ نـظـامـ ثـابـتـ لـحـكـوـمـةـ مـصـرـ وـكـانـتـ قـدـ حـرـمـتـ الـنـظـامـ وـالـاسـتـقـرارـ عـدـةـ قـرـونـ ، وـارـتـبـطـ إـنـشـاءـ الـوـقـائـعـ الـمـصـرـيـ بـهـذـاـ الـنـظـامـ وـأـصـبـحـتـ لـسـانـاـ لـهـ وـصـدـىـ لـآـمـالـهـ الـكـبـارـ . وـأـعـظـمـ مـاـ بـهـرـ الـمـؤـرـخـينـ وـشـخـلـهـمـ فـيـ تـارـيـخـ مـحـمـدـ عـلـىـ الـنـظـامـ الـعـسـكـرـيـةـ الـتـيـ أـدـخـلـهـاـ فـيـ مـصـرـ وـكـونـ جـيـشـهـ بـمـقـضـاهـاـ ، فـقـدـ كـتـبـ الـمـؤـرـخـونـ عـنـ هـذـهـ الـنـظـامـ بـمـلـدـاتـ ضـخـمـةـ أـحـدـهـاـ مـاـشـرـهـ الـجـنـالـ فـيـ جـانـ العـسـكـرـيـ الـفـرـنـسـيـ الـمـعـرـوفـ (٢)ـ . وـيـتـبـيـنـ لـنـاقـدـ هـذـاـ الـجـيـشـ إـذـاـ عـلـجـنـاـ خـدـمـاتـهـ لـلـوـالـيـ ، فـبـهـ قـضـىـ عـلـىـ الـمـاـيلـكـ وـزـعـامـهـ .

(١) الوقائع المصرية عدد ١١٣ في ٢٨ شعبان عام ١٢٥٤ .

(٢) وـاسـمـ كـتـابـهـ ١٩٣٦ـ Histoire Militaire de Moh. Aly et de ses fils, 2 Vols.

وطرد الانجليز في سنة ١٨٠٧ وفتح بلاد العرب وأراح السلطان من الوهابية وسطوتها ، كما استعان به في فتح السودان وكريت واليونان والشام أخيراً ، وهو القوة التي ارتكبز عليها في سياسته الخارجية إزاءباب العالى ودول أوربا ، فلاغروا إن رأى المؤرخون أن العسكرية المصرية في عهده فرضت النظام على شعبه وخلقت حساً وطنياً لم يكن معروفاً من قبل ووضعت أساس الاستقلال المصري (١) وأنها في رأى آخر مكتته من «أن يلعب في مصر برعى موارده المحدودة دور أمة قوية السلطان» (٢).

هذا رأى بعض المؤرخين في النظام العسكري وآثاره في مصر ، غير أن مؤرخ الصحافة الرسمية لا يعنيه من هذا شيء بقدر ما يعنيه الأثر الذي خلفه الجيش المصري في الصحافة المصرية ، وقد قامت الواقع بنشر أخبار هذا الجيش (٣) وفسحت صدرها الذي تقدمه وانتصاره.

ولما كان جرزال الخديو لم يعد يتحمل نشاط الدولة بعد اتساعها وتنظيمها الجديد كذلك لم تستطع الواقعية المصرية أن تنفرد وحدتها بتسجيل التفاصيل التي تتصل بالجيش وهو يكتب صحيفته الرائعة في حروب الشام ، وهذه التفاصيل من شأنها الخاصة ، لذلك اختص الجيش بجريدة له سميت «الجريدة العسكرية» وإن مضت الواقعية المصرية تنشر تفاصيله وترقيات ضباطه وتصور فعاله المجيدة ، ييد أنها لم تتمكن من أن تلم بكل ما يتصل بحياة جيش يبلغ زمامه ثلاثة ألف جندي وضابط (٤) وقد طبعت هذه الجريدة العسكرية في مطبعة ديوان الجنادية في مستهل حملة الشام سنة ١٨٣٣ ، وقد أنكرتها الوثائق والمراجع قبل هذا التاريخ ، ولعل

Clot. A. B. Aperçu général sur l' Egypte 1840 (١)

De Freycinet — La Question d'Egypte. p. 19 (٢)

(٣) عابدين ونيقة ٣٢١ في ٢٧ جمادى الآخرة ١٢٥٠ هـ ثم ونيقة ٢٤٢ في ٢٦ ربيع الثاني ١٢٤٩ هـ دفتر ٤٩ معية تركي وونيقة ٦٦٨ في ٣ جمادى الآخرة ١٢٥١ هـ دفتر ٦٦ معية تركي

(٤) راجع فيودات الأوامر العلية وتحريرات المعية لسنة ١٢٤٩ هـ

حوادث الجيش وجرائم الآلات لم تكن تتحتمل تخصيص صحيفه له قبل تنظيمه وازيد ياد جنده هذه الزيادة التي قلما تجاري في تلك الظروف ، وقد فصلت إحدى الوثائق قدر هذه الصحيفه حيث قالت إنها « الجريدة الخاصة بنشر الجرائم التي تقع في الآلات » وأنه يصدر منها « شهرريا خمس عشرة نمرة الجارى طبعها في مطبعة ديوان الجهادية » (١) وقد شكا حضرة صاحب الدولة البشا السر عسکر من الناون الملاحظ في نشر هذه الجريدة العسكرية ، فقرر مجلس شورى الجهادية التبيه على « أحمد أفندي ناظر مطبعة ديوان الجهادية لأن يبذل جهده حتى لا يقل عدد ما يطبع خاصا بالجرائم العسكرية من خمس عشرة نمرة في كل شهر » وتکليف « ثابت أفندي كاتب مجلس شورى العسكرية بأن يختار من بين المستخدمين في شورى الجهادية موظفا قدرا ويوليه مهمة تسلیم ما يرد إلى المجلس من أعداد الجريدة العسكرية ، وإرسال أعداد هذه الجريدة بالبريد إلى الديوان الخديوى » ثم يكلف مجلس شورى الجهادية « الأفندي وكيل ما مور الديوان الخديوى » بأن يعني بإرسال الجريدة إلى الجهات المختصة مرتبة في كل أسبوع .

ولم نوفق إلى الحصول على نسخة من الجريدة العسكرية حتى نصورها في الصورة اللائقة بها ، ولسken في استطاعتنا أن نقرر من قسمية هذه الجريدة أنها كانت تنشر تفاصيل هذه الجرائم والقصاص الذى نزل بمرتكبها ، وأنها قياسا على ما كان يحدث في أمر توزيع الجنود والوقائع نرجح أنها كانت توزع على ضباط الجيش ، ولعلها كانت تقرأ على الجنود أو يفسر لهم ما فيها ، وأكبر الظن أن حياة هذه الجريدة لم تستقيم على ما كان يهوى دولة السر عسکر فإن الجنود المصرية لم تكن خلال حرب الشام في حالة تسمح باستقرار ينتجه صحيفه تصدر خمس عشرة مرة في كل شهر ، لأن الحوادث والجرائم التي تقع في الجيش كان يتعدى نقلها في انتظام إلى مصر من

(٢) محفوظات عابدين وثيقة رقم ١٣ أصلی دفتر ٤٩٨ ديوان خدیوص ٢٥ في ٢٨ محرم ١٢٥٠ مسلسل ٤٣

حدود الأناضول أو من أعمق السودان لتنظيم أمور الجريدة وحوادثها ، وفي ذلك شكا دولة السر عسكر كأ رأينا . ونخن نرجح أن عمر هذه الجريدة لم يطل لأن الوثائق التي اتصلت بالجيش ونظامه وحربه وظفره أنكرتها إنكاراً تاماً فيها خلا تلك الوثيقة التي أشارت إليها ، وعندى أن معاهدة لندن وقد حدث من نشاط العسكرية في مصر قد حالت دون استمرار الجريدة واضطلاعها بالأعباء التي حدثتنا عنها وحقيقة مجلس شورى الجمادية أو لعلها تطورت إلى شيء يشبه الغارنة العسكرية المعروفة بأخبار الترقيات والتنقلات بين صفوف الجيش ، وهو عمل صحفي هادئ تدعو إليه الحاجة وليس له موعد معلوم .

* * *

أثبت جرزال الخديو والواقع المصرية والجريدة العسكرية أن ول النعم كان يوم من بقدر الصحافة وخطرها في المسائل العامة التي كان يدرس حياته من أجلها ، وقد أدى جرزال الخديوي وظيفته من حيث تمثيله للنظم القديمة ، كما أدى الواقع المصرية رسالتها من حيث أنها كانت أكثر عمومية وأوسع إدراكاً لمعنى الجريدة بصفتها الرسمية والعامة كما أنها كانت لساناً طيباً لإصلاحاته وتنظيماته التي أدخلتها في سنة ١٨٢٦ . وهكذا كان الغرض من الجريدة العسكرية ، فقد ارتبط وجودها باتساع الجيش اتساعاً لم يكن معهوداً من قبيل .

وقد يبدو غريباً ألا تكون للشئون الزراعية أو التجارية جريدة مائة لصحف النظم الإدارية والعسكرية ، مع أن هذه الشئون قد شغلت الدولة كأشغالها الجيش وتجديده ، فقد حفلت محفوظات عابدين بنات الأوامر واللوائح والقوانين التي تتصل بتقوية جسور النيل وتنظيم البلاد الواقعة على شاطئيه والعنابة بالرى وزراعة الأنماط وغرس الأشجار ، ومراقبة مياه محمودية ، ونظام بيع المحتولات وما إلى ذلك من الموضوعات التي تتصل بالزراعة والتجارة^(١)

(١) محفوظات عابدين - دفتر مجموع زراعة وهو في ٢٥٠ صفحة من الحجم الكبير

وأهم الوثائق التي تلتقطن أغراض البشا في التجارة والزراعة تبدو من أمره الخطير بانشاء بنك في الإسكندرية « مثل بنوكه الملك المتعددة ويكون له امتياز وسلطة في تسعير العملة المصرية والعملة الأجنبية والأوراق وتسعير سائر أصناف الزراعة والتجارة الجارى الأخذ والعطاء فيها سواء كانت بالمزایدات أو بالمارسة أو بالاعلانات ، وفتح اعتمادات وقبول التحاويل والرجوع الميرية لما فيه من إزالة الضرر واتساع نطاق التجارة »^(١)

وفي انتظام شئون الزراعة واتساع المجال في الحياة التجارية كما رأينا ما يبرر إنشاء حسيفة لها تكون على غرار ما كان للجيش ، ولعل الوالى قد وجد في الواقع كفاء هذا بما اعتادت نشره من هذه الأخبار ، ولعل الفترة التي تحررت فيها الأمور بينه وبين السلطان ، وهي تقع بين سنتي ١٨٤٣ - ١٨٤٠ . لم تتحقق له الانصراف القائم إلى مثل هذه الشئون الجزئية إن صحت التعبير ، فقد كان كل شيء في خدمة الجيش ، فإذا انجلت الأمور عن معاهدة لندن واستقرت الأحوال بين القاهرة والاستانة انصرف جهد الحكومة عن الجيش واتجه إلى الإصلاح الداخلي وفي مقدمته الزراعة وحياة الفلاح ، وهو ولی نعمته كما يقول هو^(٢)

وفي ذلك العهد - عهد المدرو والاستقرار - صدرت لأنّة زراعة الأراضي وقد ضمّنها الوالى جملة دلائل على القصد منها فقد قال في مقدمتها « إن رفاهية الأهالى هي من الزراعة »^(٣) ، ثم توسيع في إنشاء الترع والقناطر وأهمها القناطر الخيرية ، ولم يكن ابنه وخليفة ابراهيم باشا بأقل منه اهتماما بالزراعة ، فقد توفر عليها يرعى مختلف شئونها^(٤) فليس غريباً إذن أن يكون محمد على قد فكر في إصدار جريدة

(١) أمر صادر عن اللائحة المختصة بانشاء بنك في الإسكندرية في ٢٥ ذى الحجة ١٢٥٨ هـ
(٢) من أمر محمد على إلى مفتش عموم الفابريقات في غاية جادى الآخرة عام ١٢٥٢ هـ تقويم النيل ص ٢٧٤

(٣) أمر محمد على إلى ديوان الجنفاك في ٢٦ ذى القعده عام ١٢٦٢ هـ تقويم النيل ص ٥٤٠

(٤) تقويم النيل لأمين باشا ساى ص ٥٤٣ و ٥٤٤

للزراعة والتجارة وحال مرضه دون اتمام هذا المشروع، ومن ثم أخذ ولده إبراهيم على عاتقه أن يصدر هذه الصحيفة فأمر بإنشائها في ٤ ذي القعدة سنة ١٢٦٤ هـ وجاء في أمره : « حيث استحسننا في هذه الدفعه ترتيب جرナル يحتوى على الإعلانات الملكية والأخبار التجارية لأجل الحصول على الفوائد العمومية واستحصوب أن يرسل لكل منه كافة البنادر والقرى صورته الآتى نظيرها أدناه ليحصل لكل أحد فايدة من الجرナル المذكور ، وربما أن الحصول على ذلك كایجنب فهو منوط لإرسال الأفادات والكشفوفات والإعلانات المقتصى جلبتها لديوان المدارس جمعة بجمعة بدون توقيف » (١) ثم يبدى الوالى ضرورة العناية بهذا الموضوع والغيره على نجاحه حتى يطبع في كل أسبوع ويوزع في البلاد والقرى كافة . ويشتمل الجرナル على « الأشياء التي تباع في ظرف كل جمعة بساحات وسواحل محروسة مصر واسكندرية والبنادر الكبار بالأقاليم المذكورة . أعني يكون مشتملا على الأسعار التجارية في بيع الغلال والابزار والاصناف وأجناس الحيوانات المباعة في المدة التي هي من ابتدئ يوم السبت لغاية يوم الخميس ، ثم يفرض نشر أخبار المبيعات التي ترسل إلى البلاد الخارجية بحراً ، على أن يتولى ديوان المدارس هذه الأخبار بوساطة المديرين ومن اليهم أقوال أمور الدواين .

فإذا فرغ من أخبار التجارة وتفاصيلها ذكر البند الثاني أنه يجب أن تنشر في هذا الجرナル . « الأعمال التي تفيد الزراعة وأخبار الأطيان المزروعة زيادة عن العادة ببذل الجهد أو طرق مخصوصة لتربيه الحيوانات أو زراعة تقاوي نظيفة أو زراعة أنواع النبات التي لم تعرفها مصر أو غرس أشجار نافعة مشمرة أو غير مشمرة ، كما ينبغي الا تفوت الجريدة ، مشاهدات أطباء المديريات عن الصحة والأمراض والعمل النادر الوقوع والأدوية وأوجه العلاج ، ثم يقرر الأمر في بند ثالث الموضوعات الأخرى التي يجب أن تنشرها الجريدة وهي « أوصاف

(١) محفوظات عابدين دفتر مجموع ترتيبات وظائف ترتيب وظائف ديوان شورى المعاونة من ٩ و ٣٠

وفوائد البد، في الترع والجسور والأبنية والمعمار الميرية وعدد الأنفار والصناع
وماصرف عليهم وحوادث كسور الفناظر أو قطع المدود والجسور فضاء وقدرا
أو بفعل فاعل ومعالجة ذلك بالتعمير وكذلك أخبار الأضرار والخسائر التي تنزل
بالغيطان من طغيان المياه ونشر الجهدات التي بذلت لإصلاح الحال،

هذا بجمل لأهم ماجاه في أمر ابراهيم باشا بإنشاء الجريدة ، وقد علقت الواقع
في ١٢ ذى القعده سنة ١٢٦٤ هـ على ذلك الأمر بقولها « لما كان أمر التجارة
والزراعة أساساً للرفاية والثروة وقد أراد الجناب الخديوي أن يطبع (جرنال
جمعي) في شأن ذلك بحيث يشتمل على أخبار التجارة والزراعة والاعلانات
المملوكية وأن ينشر على البلاد والقرى كافة زيادة على نسخ الواقع المعتمد نشرها
في كل أسبوع لتعلم أرباب التجارة والزراعة بطالعته ما يحصل من الرواج ويكون
وسيلة إلى انتظام الفوائد العامة » ثم ذكرت الواقع في ٣ ذى الحجة من نفس
السنة أنه « يودر إلى الشروع في طبع الجرنال المذكور من الآن ، طبق مراد
الأصفى على الشأن ، ويسينشر في كل يوم جمعة بدون انقطاع ، وقد حررت في هذا
الأسبوع أول نسخة منه وطبعت ، وعلى كافة المديريات نشرت »

ويبدو من الأمر الخديوى أن فكرة إنشاء هذه الصحيفة ليست جديدة فقد ذكر
أنه استثنى عبد ابراهيم باشا في «هذه الدفعة» ترتيب هذا الجرنال، ومعنى هذا
كما يدل منطق أمره أن هناك محاولات قد بذلت مرة على الأقل قبل «تلك الدفعة»
التي تقرر فيها إنشاء الجريدة، وأن هذه المحاولات غالباً ما بذلت في عهد والده
محمد على الذى نرجم أن صحته لم تطاوه فى الماضى نحو تحقيق هذا المشروع الصحفى،
وهي كذا نشرت جريدة التجارة والزراعة فى عهد خلفه «زيادة على نسخ الواقع
المعتاد نشرها فى كل أسبوع» كما تقول الجريدة الرسمية فى تعليقها على تلك الصحيفة
وقد وزعت الجريدة على كافة المديريات، وسمتها الواقع فى كثير من أعدادها
«الجرنال الجمعى» كما نقلت عنها بعض محتوياتها، ولم يطرع عبدها فقد كفت الواقع
عن ذكرها بعد وفاة ابراهيم باشا، ولم نعثر على نسخة منها، وأكبر الظن أنها نشرت

خمس مرات فحسب منذ صدر الأمر بإنشائها إلى يوم وفاة مؤسسيها في ١٤ ذى الحجة
سنة ١٢٦٤ .

* * *

بلغت الصحافة الرسمية مكانة سامية في عهد ابراهيم باشا ، فلما خلفه على شئون مصر عباس الأول تغيرت الحال ، وتغيرت نظم الحكم الداخلية كلها على وجه التقرير ، وأثرت أخلاقه الخاصة فيها صنعه جده العظيم : فقد كان سيء الظن بالناس شديد التطير عزوفا عن كل جديد ، فأقصى معظم الخبراء الذين استعانا بهم محمد على من فرنجية ومصريين ^(١) ، وأقفل معظم المدارس بدرجاتها جميعاً بحجة الاقتصاد أو بداع من طبيعة الحرص فيه ؛ ثم أغلق المصانع والمعامل وهي نتيجة حكم لا يؤمن بأثر التعليم ، وأفسد عامداً خيراً ما صنعه جده لوحدة البلاد ؛ فشاب مصرية الجيش بلون من الجنود الأرname وهم فئة عابثة حاول جده مدة سنوات التخلص منها والقضاء عليها ^(٢) .

هذه العقلية التي أشرنا إلى بعض تصرفاتها في إيجاز لم تحتمل بالطبع آية صحافة مهما يكن لونها ، وآية ذلك أن الجريدة التجارية الزراعية اختفت فجأة ولم يعد لها ذكر لا في الواقع المصري ولا في الوثائق المختلفة ، والواقع نفسها انتقد من الصدق في عهد عباس الأول ما حججها عن القراء معظم أيام حكمه .

وتدلنا إحدى الوثائق على مدى فهمه لوظيفة الصحيفة الرسمية فهو يأس بأن يقتصر توزيع الواقع على « الحائزين على رتبة فريق ورتبة ميران ورتبة مير لوار ورتبة ميرالاي فقط » ^(٣) ومعنى ذلك أن السétame نسخة التي كانت توزع على المشترين من الموظفين والعلماء وتلاميذ المدارس وأعيان المصريين ، قد انخفضت إلى بضع عشرات النسخ لعدد محدود من كبار ضباط جيشه ، ومصدر هذا كله أن الوالي قد علم أن الجريدة ترسل « بجماعه أمية وسفراء مثل حسن أغا وكيل الخراج

(١) Merrau. L'Egypte Contemporaine. Paris 1857 p. 123

(٢) الخطط التوفيقية لعلى مبارك باشا ج ٤١ ص ١٢٦

(٣) محفوظات عابدين وثيقة ٤٩٧ دفتر ٤٨٤ معية تركى في ٢٣ صفر ١٢٦٩ هـ إدارة

وفيض الله أغاث الطاهي وموسى اليهودي الآلات (المرج) ، ثم يصور الأثر الذي تركته قرامة هؤلاء لواقع في كتابه إلى مجلس الأحكام ، فلما رأيت ذلك خجلت من نفسي ورأيت أن إرسال الجريدة إلى أمثال فيض الله أغاث وحسن أ GAMEN الامية والجهلة الذين لا يعرفون معنى الجريدة ولا سيما موسى اليهودي الآلات ، فقد عدلت إرسال الجريدة لهم ذلاً زائداً (١)

هاله أن تقرأ هذه الطبقة صحيفـة الحكومة من أمثال وكيل الخراج وموسى الموسيقـ، وهو اتجاه يجري في برج نظامـه العام ، ويتفق تماماً مع تفسـيره وترفعـه عن عامة الناس ، فيـينما كان جـده يفرضـها فـرعاً وينـاقـها خـلقـاً ، يـابـي هوـأن تـنـدرـ إلىـ أمـثالـ هـؤـلـاءـ منـ الـآـمـيـةـ وـالـسـفـلـةـ .. وـكـانـتـ الصـحـيـفـةـ فـيـ أـعـدـادـهاـ القـلـيلـةـ التيـ صـدـرـتـ فـيـ عـهـدـهـ تـبـرـعـ عنـ قـصـدـ الـبـاشـاـ قـامـ التـبـيـبـ ، فـلـمـ نـعـدـ نـقـرـأـ فـيـهاـ مـقـالـاتـ ذـاقـيمـةـ أوـ خـبـراـ فـيـهـ طـلـوةـ العـبـارـةـ أوـ جـدـةـ المـعـنـ

ولم يكن حظ الواقع والصحف الرسمية القديمة في عهد سعيد بأحسن من حظها في عهد سلفه وإن بدأ سياسـتهـ فيهاـ بدـأـ حـسـنـاـ فـقـدـ ذـكـرـ بـعـدـ توـلـيـهـ الحـكـمـ بـعـدـانـةـ أـيـامـ فيـ أمرـ لـهـ إـلـىـ مـدـيـرـ المـدـارـسـ أـنـهـ لـمـ كـانـ جـوـدـتـ أـفـنـدـيـ مـحـرـرـ الـوـقـائـعـ منـ أـهـلـ الـعـلـمـ وـأـخـبـارـ الـاجـتـهـادـ كـانـ الـوـاجـبـ الـمـتـبـعـ لـدـيـنـاـ فـيـ تـرـقـيـةـ الـمـوـظـفـينـ أـنـ نـرـقـ أـمـثالـهـ فـاعـلـمـواـ أـنـذـاـ مـنـ حـنـنـاهـ رـتـبـهـ الـقـائـمـاـنـ وـقـيـدـواـ لـهـ مـرـتبـ الـقـائـمـاـنـ وـجـرـاـيـنـهـ اـبـتـداءـ مـنـ تـارـيخـ أـمـرـناـ وـأـصـرـفـوـهـ مـاـ كـلـمـاـ اـسـتـحقـهـ مـاـ طـبـقـ الـأـصـوـلـ (٢)ـ وـهـذـاـ الـأـمـرـ يـعـنـيـ أـنـ وـلـيـ مـصـرـ الـجـدـيدـ سـيـعـنـيـ عـلـىـ الـقـلـيلـ بـالـصـحـيـفـةـ الرـسـمـيـةـ وـلـكـنـهـ عـلـىـ عـادـتـهـ الـمـعـرـوفـةـ مـنـ التـقـلـبـ وـقـفـ عـنـ تـحـقـيقـ هـذـهـ الـنـرـضـةـ الصـحـفـيـةـ الـمـرـجـوـةـ فـيـ عـهـدـهـ ؛ وـتـارـيخـهـ حـافـلـ بـهـذـاـ التـقـلـبـ الـمـلـحوـظـ فـيـنـماـ يـنـعـمـ الـفـلـاحـ دـيـنـ حقـ مـلـكـيـةـ الـأـرـاضـيـ الزـرـاعـيـةـ وـيـتـجاـوزـ عـنـ الـضـرـائـبـ الـمـتأـخـرـةـ عـلـيـهـمـ وـيـلـغـيـ نـظـامـ الـاحـتكـارـ (٣)ـ بـجـدـهـ يـعـنـ فـيـهـ صـنـعـهـ سـلـفـهـ

(١) محفوظات عابدين وثيقة ٤٨٤ معيّنة تركى في غرة ذي الحجة ١٢٦٨ من المعيّنة إلى مجلس الأحكام

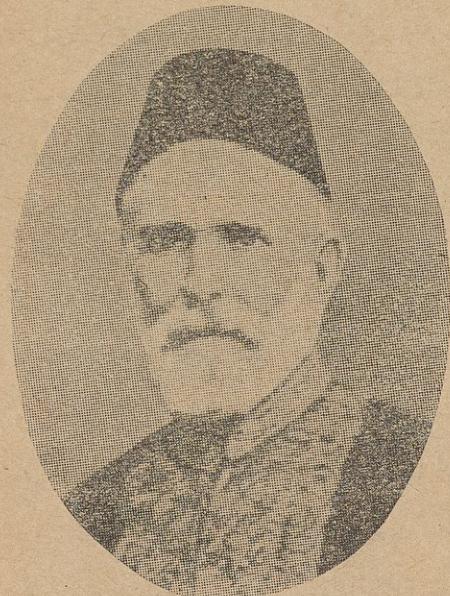
(٢) محفوظات عابدين وثيقة ٤٨٤ معيّنة تركى في ٢٨ شوال عام ١٢٧٠ هـ

Merruan. L'Egypte Contemporaine. p 64 (٣)

من تغذية المدارس وينصرف عن الجيش ويحوله إلى عمال لقناة السويس (١) بعد أن اهتم به في أول الأمر ، وكان الأمل عظيماً في أن تجني مصر في عهده كثيراً من نعمة المهدوء والاستقرار ولكنـه لا يستقر على اتجاه فلما عجب إذن إن لقيت الصحافة الرسمية في أول عهده تشجيعاً ملحوظاً آيته ترقية محررها ثم نراه يردها إلى الجمود المطلق الذي تجاوز في آثاره أسوأ مما صنعه سلفه عباس .

أراد سعيد باشا أن يتخلص من مطبعة بولاق وتكليفها كاتخاصل من المدارس السكثيرة التي أنشئت في عهد والده محمد علي ، وذلك بعد أن أدت واجيها أحسن الأداء منذ إنشائها مخطية كثيراً من الصعاب ، بيد أنها في عهد سعيد لقيت عناء

أثر في نشاطها واضطربت إلى التعطيل فاحتسب جهدها من يوم يونيو سنة ١٨٦١ إلى ١٩ أغسطس سنة ١٨٦٢ ثم عادت إلى الحياة فتقررت نطبع بعض ما كانت الحكومة في حاجة إليه من الكتب والمدارات ، ثم أنعم بها على صديقه عبد الرحمن رشدي بك مدير الوابرات الميرية وملوك العقار والآلات (٢) .



تعطلت الواقع المصرية سنة

كاملة بوقف مطبعة بولاق كارأينا ثم عادت إلى الحياة بعد تملك رشدي بك للمطبعة ، وأذن له الخديو اسماعيل — وكان قد تولى الحكم بعد منحة سعيد لرشدي بك بشهرين تقريباً — « بنشر وإعلان

(١) Lettres, Journal et Documents pour servir à l'histoire du Canal du Suez. F. De Lesseps. T. 4. p. 333.

(٢) أمر عالى نظارة المالية فى ١٣ ربى الثاني عام ١٢٧٩ هـ دفتر الأوامر العلية الصادرة للالية — محفوظات القلعة

الوقائع الرئيسية الخاصة بالأهل والحكومة على أصلها، ثم أعاره بعض الموظفين
القادرين على أداء الخدمة الصحفية في الجريدة الرسمية (١) فأطلقت الجريدة من
المقال وجالت في ميدان المقال، وشرعت تنشر الأخبار المصرية والأجنبية لكن
في هيئة غير رسمية، (٢)

بقيت الواقع المصرية في كنف رشدي بك زمام ثلاثة أعوام حتى وافت
سنة ١٨٦٥ فإذا الخديو إسماعيل يشتري المطبعة الأميرية من صاحبها (٣) ويضمن
للحافة الرسمية تاريخاً بين تاريخها في عهد أسلافه جميعاً، ويجدد في مذايئها ويخلق
في أنواعها، فيبدأ بالواقع ويقول في أمره لنظرارة المالية وإن من المسلم به أن
الجرائد مذانع ومحسنات عند الأهالى ولدى الحكومة ، ولذلك فانى أرحب في
إدخال جريدة الواقع المصرية في عداد



الخ-يو اسماعيل

دخل جريدة الوقائع المصرية في عداد
الجرائم المعتبرة، ودخلت الوقائع
فعلاً في عداد الجرائم المعتبرة،
وافت في عهده تاريخها السابق
فنشرت من الأخبار قديماً وحديثاً
ونقلت عن الصحف الغربية خبر
ما فيهـا، ونشطت البرقيات بين
صحفاتها، وعنيت بالبلاد الشرقية
وأمورها كما خصصت مكاناً رحباً
لأخبار الداخل وتفاصيلها، ولم
تقطع من حسامها الأمور التجارية

(١) اراده لأحمد رشید بـٰ ناظر المالية في ٧ شعبان عام ١٢٧٩ هـ ترجمة ص ٤٠ دفتر ٥٢٥

(٢) الوقائع المصرية من مقالة احمد خيري بـك العدد الصادر في ٢٥ نوفمبر عام ١٨٦٥

(٣) تقويم النيل ج ٣ ص ٥٩٨

والمسائل الاقتصادية والأبواب الاجتماعية والأدبية، وفتحت صدرها للإعلانات
كباب من أبواب رزقها ، كأن نصبت نفسها لساناً يدافع عن الحكومة وتصرفاً لها
ويهاجم خصومها من الصحف الأجنبية في مصر أو الصحف الغربية في بلادها ،
ونظم الخديو أمورها وعين لها خيرة العمال والمحررين وبذل لهم في سخاء لم يعهده
محرووها من قبل (١) .



الصورة التركية لواقع مصرية في عهد اسماعيل

ويشاء الخديو أن يجعل لسنة ١٨٦٥ شرف النهضة الصحفية الرسمية فتصدر
الحكومة صحيفتين أخريين ، صدى لنهضة عميقه في الطب والجيش ، فقد أقبل
اسماعيل والمدارس مغلقة ودور العلم معطلة ، فشاء أن يرد إليها الحياة في غير تردد ،
وعنى عنابة خاصة بمدرسة الطب فـكان تقدمها سريعاً حتى جاوز عدد طلابها المائة ،
ولم تكن وقفاً على الشعب المصري وحده بل فتحت صدرها للطلاب من البلاد
الشرقية (٢) غير من ضمت من طلاب الصيدلة والقابلات المصريات ، وإلى جانبها
قامت مدرسة الطب البيطري يشرف عليها جميعاً فئة من أعلام الطب المصريين
والأجانب على السواء .

(١) محفوظات عابدين وتنمية رقم ٦٤ دفتر ١١٨١ أوامر المالية في ٣ ربى عام ١٢٨٢ هـ

(٢) أمر عال إلى مجلس الصحة في ٤ ربى الأول عام ١٢٨٢ هـ ص ٢١ دفتر ١٩١٣ عربي

رأى الخديو إسماعيل أن يكون للنشاط الطبي في مصر أثر يخلد فعاله ويعاونه على نشر أفضل المسائل الطبية كأيكون مجالاً يهتم به الأطباء بانشاء الموضوعات المفيدة ، فأصدر مجلة « يعسوب الطب » وهي أقدم الصحف الطبية في الشرق كله ، على أن تشرف عليها الحكومة المصرية ، وتمدها بالمال ، وقد قامت المطبعة الأميرية بطبعها ، ومضى يحررها محمد علي باشا الحكيم كبير الأطباء الناصريين ، وهي ترجو — كأنذكر خطتها — أن تقدم لطالعها من رياض الطب وأزهاره ما يغනهم عن الرجوع إلى مطولات الكتب وشروحها أو المجلات الأجنبية وفصولها الطوال كما يجني اليعسوب وهو أمير النحل في دولته موارد العسل من أزاهير الرياض ، وكان شعار الجملة « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » .

وكانت موضوعاتها طريفة تغري بالقراءة حقا (١) فلم تتعرض للمسائل الصحية الجافة . وكانت تعالج الموضوعات العلمية في أسلوب يدركه القارئ العادي ؛ وقد ساهم في تحريرها الأطباء المصريون والفرنجية ؛ ومنح الشيخ ابراهيم الدسوقي علاوة على راتبه مائة وخمسين قرشاً مقابل قيامه بتصحيح فصول الأطباء الأجانب (٢) ومن أهم ماحملته هذه الجملة الفصول التي كتبتها القابلة جليلة تمرهان ، وهي فيما نعلم أول مصرية تكتب في الصحف موضوعاً، وموضوعاً فنياً بالذات وأكبرظن أن الجملة كانت توزع على الأطباء وطلاب الطب في مصر جرياً على ما اتبع مع مثيلاتها وطلبتها لتحقيق الفائدة منها .

وكذلك أصبحت الجريدة العسكرية المصرية الصحفة الرسمية الثانية التي أنشأتها حكومة إسماعيل في سنة ١٨٦٥ باستثناء الواقع المصرية ، ومن سقط القول أن نقدم لإنشائها بحدث عن النهضة العسكرية في ذلك الوقت ، فذلك أمر يعرفه كل من درس عصر إسماعيل وألم بأظرافه وعدد المدارس التي أنشئت لتعليم الفنون العسكرية وما أنشأه معاونها من المدارس ، غير البعثات الحربية

(١) احتفظت دار السكتب بأعدادها ابتداء من العدد ٢٤ في ٢٣ محرم عام ١٢٨٥ هـ

(٢) أمر حال إلى مجلس الصحة في ٢٤ ربيع الأول ١٢٨٢ م ص ٢١ دفتر ١٩١٣ عربي

إلى فرنسا (١) والبعثة الحربية من فرنسا ، وهيئة أركان حربه من أمريكيين ،
ومطبعة الجيش ومكتبه ومتحفه .

وإذا استقام أمر الجيش على هذه الصورة التي عرضناها في إيجاز فمن الطبيعي
أن يصدر الخديو صحيفته تكون عنوانا له فقد اقتضت مرؤوته - أي مرؤوة الخديو -
وتعلقت عناليته بأحداث هذه المجموعة العلمية الدورية المسماة بالجريدة العسكرية
المصرية بحيث تطبع وتنشر بوجه الانتظام على طرف حكومته العالية ، إذ كان
الغرض الأصلي منها أن تنشر بالخصوص على سائر الضباط والجندية وضباط
الصفوف والعساكر بالجيوش المصرية وعلى تلامذة المدارس الحربية ، ولا تختص
بالاشتغال على بنود تتعلق بأنواع العلوم والفنون العسكرية المتحصلة عند الملل
المتأخرن والأمم المعاصرن فقط ، بل يندرج فيها أيضاً فوائد جليلة وإرشادات
جميلة مما لا بد منه لـ كل انسان متمدن ، ولا يأس به لـ كل حاذق متقن من المعارف
النافعة والفنون المتعددة ، مع ما ينضم لذلك من تحملية هذه المجموعة بإدراج يوميات
محصل ما يحصل في سائر أقطار الدنيا من الحوادث الكبيرة البوتقةية أي السياسية
والواقع الشهيرة العسكرية ، ثم تستمر الجريدة في إعلان خطتها وتبیان أغراضها
فتعلم أنها استظهرت في كل شهر مرة في شهرية قرية ، فكل من أراد من المستخدمين
الميرية وضباط الجيوش المصرية وغيرهم من أصحاب المعارف الخصوصية وأرباب
المناصب العلمية أن يودع فيها فائدة مناسبة من معلوماته ، أو نادرة مقبولة من
تأليفاته ليساعد المعنيين بها على دوام تحريرها ، ويجهد مع الرفقاء في سبيل العلم
والمصلحة العامة على تمام تسطيرها فليوجه من فضلاته إلى حضرة ناظر عموم المدارس
المصرية ما استنساب إدراجه في ضمن سطورها أو استصوب استيداعه في طى
مشورها حيث كان الم Howell الأعلى على حضرته في عموم إدارة أمورها ، (٢) . فهي
إذن تختلف أشد الاختلاف مع الجريدة العسكرية في عهد محمد علي : إذ كانت

(١) حقائق الاخبار عن دول البحار لأسماعيل سرهنوك . القاهرة ١٣١٢ هـ ج ٢ ص ٣٠٧

(٢) من مقدمة الجريدة العسكرية في غرة جمادى الثانية ١٢٨٢ هـ (٢٢ سبتمبر عام ١٨٦٥)

الأولى للجرائم العسكرية وحدها . أما جريدة هنا فليست جريدة ضيقـة المعنى محدودة الغرض ، وهي ليست مقصورة على الشئون العسكرية بل يندرج فيها أيضاً فوائد جليلة من المعارف النافعة والفنون المتنوعة ، وهي تفسح صدرها لـ كل كاتب غير ضباط الجيوش المصرية من المستخدمين الميرية وغيرهم من أصحاب المعارف الخصوصية وأرباب المناصب العلمية . ولم تشغل الجريدة العسكرية المصرية أفلام السـكتـاب والضـبـاط المصريـين وحـدـهـم بل غـنـيـتـ صـفـحـاتـها بـقـالـاتـ المـعـلـمـينـ وـالـضـبـاطـ الـأـجـانـبـ حـتـىـ أنـ مـعـظـمـ أـعـدـادـهـاـ كـانـ وـقـفـاـ عـلـىـ أـفـلامـ هـؤـلـاءـ الـأـجـانـبـ وـخـاصـةـ ،ـ مـرـشـيرـ بـكـ Mircherـ رـئـيسـ الإـرـسـالـيـةـ الـعـسـكـرـيـةـ الفـرـنـسـاـوـيـةـ فـيـ مـصـرـ ،ـ وـكـانـتـ الـخـرـائـطـ الـتـيـ تـنـشـرـهـاـ الـجـرـيـدـةـ الـعـسـكـرـيـةـ الـمـصـرـيـةـ حدـثـاـ جـدـيدـاـ فـيـ تـارـيخـ الصـحـافـةـ الـمـصـرـيـةـ .

وزارت الجريدة العسكرية أخرى مشابهة لها وإن صدرت بعد مـدـهـاـ بـعـدـةـ سـنـوـاتـ (١)ـ عـقـبـ تـأـلـيفـ هـيـةـ أـركـانـ الـحـرـبـ الـمـصـرـيـةـ ،ـ وـهـيـ هـيـةـ عـسـكـرـيـةـ كـوـنـتـ عـلـىـ أـفـضـلـ صـورـةـ مـائـةـ لـمـاـ كـانـ عـلـيـهـ جـيـوشـ أـورـباـ ،ـ ضـمـنـتـ الـهـيـاـفـاتـ مـنـ الـمـيـكـانـيـكـيـمـيـنـ وـالـمـهـنـدـسـيـنـ وـالـخـبـرـاءـ فـيـ عـلـمـ طـبـقـاتـ الـأـرـضـ ،ـ كـاـ خـصـصـتـ لـهـاـ جـمـاعـةـ لـوـضـعـ المـصـورـاتـ الطـوـبـوـغـرـافـيـةـ الـدـقـيـقـةـ عـنـ مـصـرـ وـالـسـوـدـانـ وـغـيـرـهـماـ ،ـ وـكـانـتـ أـعـمـالـ الـكـشـفـ أـهـمـ أـغـرـاضـ هـذـهـ الـجـمـاعـةـ الـأـخـيـرـةـ (٢)ـ إـذـاـ كـانـتـ الـجـرـيـدـةـ الـعـسـكـرـيـةـ قـدـ جـاـوـزـتـ حـدـودـهـاـ فـأـذـنـتـ لـكـلـ صـاحـبـ عـلـمـ أـوـ فـنـ أـنـ يـعـرـضـ مـعـارـفـهـ عـلـىـ صـفـحـاتـهـ مـهـمـاـ يـخـتـلـفـ الـمـوـضـوـعـ عـمـاـ يـوحـيـ بـهـ اـسـمـهـ ،ـ فـإـنـ زـمـيلـهـاـ (ـ جـرـيـدـةـ أـركـانـ حـرـبـ الـجـيـشـ الـمـصـرـيـ)ـ لـمـ يـسـمـحـ بـهـذـاـ اـخـتـصـاصـهـاـ فـإـنـ دـالـقـصـدـ مـنـ إـنـشـائـهـاـ تـقـدـمـ الـجـيـوشـ الـمـصـرـيـةـ فـيـ الـفـنـونـ الـحـرـبـيـةـ ،ـ وـاطـلـاعـهـمـ عـلـىـ الـوـقـائـعـ وـالـحـوـادـثـ الـعـسـكـرـيـةـ الـتـيـ تـقـعـ فـيـ الـبـلـادـ الـأـجـنـبـيـةـ ،ـ (٣)

(١) الـأـفـيـ عـصـرـ إـسـمـاعـيلـ جـ ١ـ صـ ١٩٠ـ (٢) الـمـصـدـرـ الـاسـابـقـ صـ ١٨٩

(٣) رـاجـعـ الـجـزـءـ الـأـوـلـ مـنـ الـجـلـدـ الـأـوـلـ لـلـسـنـةـ الـثـالـثـةـ

وهي صحيفة الضباط وحدهم لا يوذن لغيرهم بالنشر فيها أو الاطلاع عليها ، فقد تعطلت فترة من الزمن فإذا أسباب احتجابها « تفرق الضباط الذين هم روح حياتها وواسطة حسن إدارتها في الأقطار السودانية والبلاد الخيشية شهر أو مدة امتدادها ، (١) . فهي صحيفة تحمل صفتها حقاً وترتبط بينها وبين هيئة أركان الحرب أغراض متماثلة واتجاهات معينة ، فعندها المسائل الحربية العلمية التي من شأنها أن تتفق أذهان الضباط وتوسيع آفاقهم العسكري وتضييف إلى معلوماتهم شيئاً جديداً ، في أسلوب رائع يشرف على تهذيبه الشيخ حسن الطويل مصحح ديوان الجهادية (٢) وهي آنذاك طبعاً في أجزاءها المتأخرة حين طبعت في مطبعة عموم أركان حرب بعد أن قامت بالنشر لها فترة طويلة مطبعة وادي النيل . وجريدة أركان حرب ليست صحيفة علمية عسكرية فقط بل فيها من المعانى الوطنية فصول عن وقائع الجيوش المصرية المظفرة في الشام وبلاد العرب وكريت وغيرها كما حفلت أعدادها الكثيرة بألوان من المصورات المختلفة وأحدث الصور لآلات الحرب في ذلك الوقت .

وإذا كانت رعاية إسماعيل للطب والصحة العامة أنتجهت يعسوب الطب ونمضة
في الجيش وأقسامه استحدثت في عالم الصحافة الرسمية جريدة، فإن عنایته بالتعليم
وهو من أظهر مفاخر عصره كان قيمها أن تكون له صيغة تعبر عن هذا النشاط
الذى أخذ يدب في المدارس وقد أغفلتها بعض أسلافه ولم يبق إلا على فئة منها
لاتغنى ولا تشعر، فأعاد إسماعيل تأليف ديوان المدارس بحيث يضطلع في تنظيمه
الجديد بالشئون التي أقيمت على عاتقه.

أنشأ الخديو شتى المدارس التي كان لها فضل النهضة الأدبية والفنية في عصره وفي عصور خلفائه من بعده، فشهدت مصر لأول مرة مدرسة الهندسة في سنة ١٨٦٦ وعارض عن مدرسة الحقوق بمدرسة الألسن التي لم يستحسن وجودها عباس

(١) جريدة أركان حرب الجيش - الجزء الأول - المجلد الأول - السنة الثالثة

(٢) جريدة أركان حرب الجيش - الجزء الثالث - المجلد الثاني - العدد التاسع

الأول وشغل ديوان المدارس بأمر اللغة العربية ، كلاحظ الخديو نفسه إهمالها في مصالح الحكومة ، فرأى من ناحيته أن يرد لها اعتبارها فأمر بأن « المكاتبات التي تداول من الآن فصاعداً بكلفة الدواوين والمصالح الميرية التي بداخل جهات الحكومة تكون باللغة العربية »^(١) .

ولما كانت لغة الدواوين في ذلك الوقت ركيزة العبارات ضعيفة الأسلوب شاء الخديو أن يقود أمر إصلاحها في مصر ، دواوينها ومدارسها فأمر بإنشاء مدرسة دار العلوم .

ولم يقف نشاطه عند هذا الحد من التجديد فأوحى إلى إحدى زوجاته أن تتولى أمر تعليم البنات فأنشأت لهن مدرسة كان عدد طالباتها أربعينات فتاة^(٢) ثم افتتحت مدرسة أخرى في العام الثاني؛ ولم يبق من أنواع المدارس نوع إلا أقام الخديو صرحه ، فأسس مدارس للصناعة والمساحة والمحاسبة والزراعة ، هذا بجانب ما أنشأ من المدارس الحرة التي لقيت عطفه وبره كمدارس الأقباط والمدارس الأوروبية المختلفة .

أنسكون هذه النهضة العلمية الضاربة في كل علم ، الآخذة بكل فن من غير وسيلة تعبّر عنها كما عبرت عن جزء منها يعسوب الطب ؟ ما كان يمكن للصحافة الرسمية اكمال من غير إنشاء الروضه لمدارسها ، وهي مجلة أنشأها على مبارك باشا في سنة ١٨٧٠ في وقت كان يلي فيه شئون التعليم ، فهي صحيفه ديوان المدارس تتفق عليها الحكومة ، وكان الغرض من إنشائها التهوض باللغة العربية وإحياء آدابها ونشر المعارف الحديثة ، وقد أقيمت مقايد أمورها إلى أستاذ الصحافة الرسمية في القرن التاسع عشر رفاعة رافع الطهطاوى محرر الواقع في عهد محمد على وناظر قلم الترجمة في عهد إسماعيل ، يعاونه في إصدارها جهابذة العصر في العلوم والأداب والفنون المختلفة .

(١) أمر صادر للبالية في ٦ شوال عام ١٢٨٦ هـ دفتر ٩٣٠ ص ٤٦ .

(٢) الواقع المصرية العدد ٥١٩ في ٥ أغسطس سنة ١٨٧٣ ، وما بعده

ورئيـس التـحـرـير أـديـب اـخـتـصـصـت فـيـه ثـقـافـة الشـرـق وـالـعـرـب، فـهـو مـن حـفـاظـةـ القرآن وـمـن تـلـامـيـذـ القـضـابـيـ وـالـعـطـارـ، درـسـ فـيـ الأـزـهـرـ ثـمـ اـخـتـيرـ إـمامـاـ لـأـولـ بـعـثـةـ عـلـيـةـ أـرـسـلـهـ مـحـمـدـ عـلـىـ إـلـىـ فـرـنـسـاـ، وـهـنـاكـ اـسـتـغـلـ المـكـانـ وـالـزـمـانـ، فـأـفـادـ

الـمـسـتـشـرـقـينـ وـاسـتـفـادـ مـنـهـمـ، وـعـادـ إـلـىـ مـصـرـ لـيـقـودـ أـجيـالـ الـمـشـفـقـينـ

وـرـفـاعـةـ الطـهـطاـوىـ هـذـاـ أـدـيـبـ لـمـعـ اـسـمـهـ زـهـاءـ أـرـبعـعـ عـامـاـ فـيـ الـقـرـنـ التـاسـعـ عـشـرـ، فـكـانـ مـعـلـيـاـ وـشـاعـرـ آـوـ نـاثـرـ آـوـ مـتـرـجـماـ، وـعـلـيـهـ اـعـتـمـدـتـ الـنـهـضـةـ الـثـقـافـيـةـ، وـمـنـ بـحـرـهـ

شـرـبـتـ النـخـيـةـ الـتـىـ سـيـطـرـتـ عـلـىـ أـجـيـالـ مـصـرـ الـمـتـابـعـةـ، وـقـدـ جـاءـ اـخـتـيـارـهـ لـتـحـرـيرـ

روـضـةـ الـمـدـارـسـ اـخـتـيـارـ آـمـرـفـقاـ بـدـاـ أـثـرـهـ فـيـ إـنـشـاـهـاـ وـمـعـانـيـهاـ^(١)

وـقـدـ كـانـتـ روـضـةـ الـمـدـارـسـ مـيـداـنـاـ رـحـيـماـ مـنـ مـيـادـيـنـ الـأـدـبـ يـتـبـارـىـ فـيـهـ أوـلـئـكـ

الـجـهـاـنـبـةـ بـمـوـضـعـاتـهـ الـطـرـيـفـةـ وـأـسـالـيـبـهـ الرـفـيـعـةـ فـيـ الـأـدـبـ وـالـاجـتـمـاعـ وـالـتـارـيخـ وـالـفـلـكـ

وـالـرـيـاضـيـاتـ وـكـانـتـ تـصـدـرـ حـافـلـةـ بـذـلـكـ مـرـتـيـنـ فـيـ كـلـ شـهـرـ . وـقـدـ أـمـرـ إـسـمـاعـيلـ بـتـوزـيعـهـاـ

مجـازـاـهـ عـلـىـ الـتـلـامـيـذـ، فـعـودـهـمـ مـلـكـةـ الـمـطـالـعـةـ وـالـبـحـثـ، وـفـتـحـتـ صـحـافـهـ الـلـنـاـ بـغـيـنـ مـنـهـمـ

فـكـانـ ذـلـكـ يـشـجـعـهـمـ وـيـرـفعـهـمـ إـلـىـ الـبـحـوثـ وـالـمـجـهـوـدـاتـ الـمـسـتـقـلـةـ عـنـ دـرـوـسـهـمـ،

وـهـىـ أـوـلـ صـحـيـفـةـ اـحـتـفـتـ بـعـلـمـ مـنـ أـعـلـامـ الـشـعـرـ فـيـ الـقـرـنـ الـمـاضـىـ فـنـشـرـتـ الشـعـرـ الـحـدـيـثـ

الـرـقـيقـ وـلـلـشـابـ النـجـيـبـ إـسـمـاعـيلـ أـفـنـدـىـ صـبـرـىـ (ـهـوـ إـسـمـاعـيلـ باـشـاـ صـبـرـىـ فـيـمـاـ بـعـدـ)

وـهـوـ أـحـدـ تـلـامـذـةـ مـدـرـسـةـ الـإـدـارـةـ

وـقـدـ أـعـيـنـاـ اـفـقـتاـ حـيـتهاـ عـنـ الطـوـافـ بـرـيـاضـهـاـ لـنـسـجـيـلـ غـايـهـاـ وـتـبـيـانـ أـغـرـاضـهـاـ،

وـفـهـىـ تـذـكـرـ وـظـيـفـةـ مـصـرـ فـيـ ذـلـكـ الـعـصـرـ، عـصـرـ إـسـمـاعـيلـ وـالـمـتـكـفـلـ بـسـمـوـ

دـرـجـتـهـاـ وـنـمـوـ بـهـجـتـهـاـ وـتـفـوـيـمـ صـعـدـتـهـاـ وـتـمـكـنـنـ بـجـدـتـهـاـ، هـذـاـ الـأـمـيـرـ الـذـىـ اـسـتـحـقـ

ثـنـاءـهـاـ لـأـنـهـ رـدـ إـلـىـ دـيـوـانـ الـمـدـارـسـ مـكـانـتـهـ، وـهـوـ دـيـوـانـ كـلـ مـاـ يـرـجـوـهـ

ـ اـعـتـهـادـأـعـلـىـ مـسـاعـدـةـ العـنـيـاهـ الـخـدـيـوـيـةـ تـعـمـيمـ الـعـلـومـ وـتـقـيمـ الـمـعـارـفـ، وـاـنـتـشـارـ الـفـنـونـ

ـ وـإـكـيـشـارـ الـلـطـافـ، وـمـدـاـوـلـهـاـ بـيـنـ جـمـعـ أـبـنـاءـ الـوـطـنـ، وـتـسـوـيـهـمـ فـيـ الـوـرـودـ عـلـىـ

مـسـتعـذـبـ هـذـاـ مـشـرـوـعـ الـحـسـنـ، ثـمـ تـضـيـفـ الـمـقـدـمـةـ إـلـىـ ذـلـكـ أـنـ الـإـرـادـةـ الـخـدـيـوـيـةـ

(١) أـعـلـامـ الصـحـافـةـ الـعـرـيـةـ لـمـؤـلـفـ — الـطـبـعـةـ الثـانـيـةـ — صـ ٢٨ـ وـمـاـ بـعـدـهـاـ

شامت أن تصدر صحيفة باسم (روضة المدارس) تصبح مجالاً لأنفس المواد العلمية ، بحيث تكون فيها الفوائد المتنوعة والمسائل المتصلة والمتفرعة أقرب تناولاً للمطلع المستفید ، وأسهل مأخذاً لمن يعانيها من قریب الفهم والبعيد ، بقلم سهل العبارة واضحة الاشارة ، وأنفاظ فصيحة غير حوشية ولا متجمدة لصعب التراكيب ، ثم تبين لنا الغرض من إنشائها بقولها «إن المرام من ظهورها بهذه الصورة هو أن تكشف لل العامة مخدرات العلوم وترفع حججها المستوره وتستحضر بنورها أرباب العقول السليمة وأصحاب الطبائع المستقيمة ، وخصوصاً بين أبناء المدارس حتى تتسع دائرة معقولهم ومنقولهم ويعينهم على ازدياد اهتمامهم إذا علم كل منهم أن ما يظهر من أعماله المستحسنة ، ويشهر من أشغاله الدائرة على الأفيدة والألسنة سيقين بهذه الصحيفة ، أما موضوعاتها فهي «رسائل مؤلفة جديدة ونبذ مصنفة مفيدة من فنون وعلوم مختلفة ومسامرات من مستحسن الحكایات والأخبار مقتطفة ، وبعض تراجم من لغات أجنبية» ، وسيكون كتابها من خيرة عمال ديوان المدارس ويصبح تحريرهم في الروضة من أهم وظائفهم ، لذلك «صار كل منهم برسم عضو تأسيس يتشكل به جسم هذه الصحيفة مندوباً من طرف الديوان» وكان أظهر من عمل فيها أبو السعود أفندي الذي اختير لترجمة مقالات الأساتذة الأجانب المنشورة في الروضة . وقد عنيت إلى جانب ماذكرنا بشئون المدرسين ، تنقلاتهم وترقياتهم^(١) وقد استغرقت بداية الصيف من كل عام أخبار الامتحانات المدرسية وخلافتها كما ازدحمت بعض أعدادها بروائع من الشعر وقصائد المدح في الخديو إسماعيل ، وشغلت بعض سطورها بالاعلانات ، وهي اعلانات شديدة الصلة بوظيفتها كفتح المدارس وبيع الكتب وال الحاجة «إلى خوجات» وما إلى ذلك .

هذه هي الروضة التي بلغنا بها آخر مرحلة النشاط الصحفي الرسمي في عهد الخديو إسماعيل ، وهي نهاية موقعة كما كان البدء موقعاً في الواقع المصرية ، ويکاد يكون عهد الخديو خاتماً لنشاط الصحافة الرسمية في مصر ، فيما خلا مجلـة شهرية علمية طبية

(١) روضة المدارس — العدد الخامس

نشرتها الحكومة في أواخر سنة ١٨٨١ وقد أذاعت الأهرام في مجليلاتها أن الأطباء الذين درسوا الطب في أوربا «شرعوا يفكرون في إصدار جر نال طبى وأنهم عرضوا الأمر على رئيس الناظارة فسهل لهم وقرار معاونتهم باحالة نفقة الجرنال على الحكومة، وأن أعضاء الجمعية الطبيعية انتخبوا للثانية تحريره الدكتور حسن بك محمود»^(١)، وإلى أن عين الشيخ محمد عبده محرراً للواقع لم نشهد جديداً في الواقع المصرية عما كانت عليه قبل عزل إسماعيل وتوالية توفيق، فإذا أخذ الاستاذ الإمام مكانه في تحريرهافي ٩ أكتوبر ١٨٨١ تغير تاريخها كله، وأثبت أن تعطى صورة لصحيفة الرسمية - لولا وظائف محرريها في الدولة ونشرها في طبعة حكومية - فهى قد جاوزت وظيفتها وتحنطت حدودها وأصبحت صحيفة رأى وفكرة قبل أن تكون صحيفة حكومية تخرج لنشر القوانين وتسجيل الحوادث الرسمية، فهى في ذلك الوقت من حيث سعادة مصر أو شقاوتها، طمأنيتها أو قلقها، تقدمها أو تأخرها، صورة حية لهذه الآمال والآلام، فإن كان تاريخ مصر بمجموع حوادث شعب له حياة سياسية وأدبية وعلمية، فلتتغير سير الجريدة الحكومية وتتحريرها أيام الشيخ مكان رفيع من تلك الحوادث ومقام سام من ذلك التاريخ فهو قد أحدث للجريدة نظاماً رفعت من قدرها وقومت تاريخها، وبدلت غاييتها وسار بها رويداً ثم حثيثاً إلى الصحافة الحرة المعاصرة، وإن ردها الاحتلال البريطاني إلى رسميتها الأولى ومقامها القديم.

لم تشهد السنوات الأخيرة من عهد إسماعيل صحفاً رسمية أخرى؛ بل إن الصحف الرسمية بدأ يعتورها الانحلال لعدة أسباب، فهى قد بدأت في أوائل عهد الخديوي يوم أخذت الحكومة على عاتقها شئون الحياة السياسية والاجتماعية وتصویرها في صحف تصدرها هي وتتملي عليها التوجهات وتحضنهما الرقابتها، ثم خرجت هذه الشئون في نهاية عصر إسماعيل من يد الحكومة حين ظهر رأى عام لم يعد يتحمل هذه الصحافة المحدودة أو يكتفى بأفقها الضيق. فنشأت صحف شعبية ملأات الفضاء، وخففت بشبابها الصحافة الرسمية القديمة، ومن هذه الأسباب أيضاً أن حكومة

إسماعيل قبضت يدها عن البذل لهذه الصحافة بعد الأزمة المالية التي أخذت بخناق الدولة في جميع دواوينها ومصالحها ، ومن بينها ديوان المدارس وصحيفته والجيش وبجلاته والطاب ويعسوه

ويجدر بنا ونحن نشيع هذه الجرائد الرسمية ونكتب صحفتها التاريخية أن
نذكر أفضالها على الحياة المصرية في جميع جوانبها ، فاما أقدمها وهي الواقع
المصرية فلم تتعثر في حياتها إلا لاماً ، ولم يعرف في تاريخ الصحف الشرقية جريدة
بقيت على الزمن وتخطت أحداث الحياة ومضت قدماً كصحيفة الواقع ، ولم يعرف
في تاريخ الصحافة الرسمية جريدة شغلت الحياة الفكرية كالواقع الرسمية ، فقد
كانت معلمةً لأدباء الشرق ولمفکرى مصر السκثيرين ، تحنو على طلاب العلم
وسبعونى الدولة^(١) ففتح لهم صدرها وتسمح للعامة بالنشر مقابلتهم وآراءهم
فيها ، وإذا كانت الصحافة في عمومها مدرسة للتعليم والتشقيف فإن الواقع بقيت
زهاء أربعين عاماً وهي وحدها هذه المدرسة ، تذيع على المصريين بعض الأدب
والاجتماع والسياسة أحياناً ، وكان ظل هذه المدرسة يمتد مرة إلى بلدان أوروبا
حيث يقرؤها الطلاب المبعوثون في دولها الكبيرة ، ومرات أخرى على كريت
والشام وببلاد العرب والسودان حيث تطالعها الجاليات المصرية من جند وضباط
ومدنيين ؛ ولا يذكر تاريخ الصحافة الرسمية في العالم كله جريدة حكومية تفقد
الحكومة ورجال الدولة^(٢) نقداً ينبعص عليهم حياتهم كما كانت تفقد المسؤولين
في مصر قبيل الثورة العـراـية نقداً لاذعاً أفاد جوانب الحياة المصرية ومكـنـ
للاصلاح في إدارات الدولة ومصالحها^(٤) الأمر الذى نقلها إلى مصاف جرائد
الرأى الذى تصدر عادة عن الأفراد والجماعات . والواقع المصرية فوق ما ذكرنا
تعتبر مصدرآ خطيرآ من مصادر التاريخ المصرى الحديث ، وكل مؤرخ لنواحى

(١) الوقائع المصرية في ١٤ يوليه ١٨٧٠

(٢) تاریخ الامام ج ١ ص ١٧٩

(٣) الاسلام والتجديد في مصر من

هذا التاريخ لا يعود إلى الواقع ولا يمكن حقيقته من صفحاتها يعتبر مؤرخاً ناقصاً غير محقق لأنَّه لم يستقِ تارِيخه من جدوله الأصيل ، ويعتبر بحثه - مهما يكن جهده فيه - بحثاً تنقصه الدقة التاريخية وتعوزه الحقيقة الأولى المنشورة في الواقع المصرية في أسلوب الأوامر والاحكام والقوانين وفي بعض المقالات الهامة التي تصور طبائع الشعب ومثله في الحياة .

ولا يستطيع مؤرخ الصحافة المصرية أن يزعم للصحافة الرسمية أثراً مباشرأً في توجيه الرأي العام أو خلقه ، يبدأ أنه يستطيع أن يجزم بأن هذه الصحافة عاونت على تهيئة الأفكار وتفعيل العقول وتنوير الأذهان ولفت النظر إن صح التعبير . بجريدة أركان حرب الجيش تذكر كثيراً من مواقف الجيش المصري المخلدة في أيام محمد علي وإبراهيم ، وتصور لضباطها موقف ضباطه في النزود عن الوطن والدفاع عن حرمة وكيف طرد الانجليز في سنة ١٨٠٧ ، وهي لا تذكر ذلك اعتباطاً أو مجرد الذكرى في عددها السادس من المجلد الأول في سنتها الثانية بل تعلق قائلة ، وإذا قدر الله بعزو هذه الديار مرة أخرى : فليتمذكِّر ضباط الجيش المصري غزوة سنة ١٨٠٧ ، ول يكن كل ضابط مصمماً على المدافعة والنزود عن وطنه ولا يرتكب العار في التسلیم كما ارتکبه أمين أغاث ، بل يدافع بنفسه وبعساً كره عن كل نقطة يتوجه الهجوم إليها ، كما فعل على يد السلانكى الذي اكتسب الفخر والشرف ومنع العدو وصدَّه عن الوطن .

وكانت الصحف الرسمية عموماً مدرسة لصحفى مصر فيما بعد ، فمن تلاميذها كما ذكرنا رفاعة الطهطاوى ، وهذا له مدرسته التي ضربت بسهم صائب في الصحافة الشعبية كعثمان جلال في نزهة الأفكار وأبى السعود افندي في وادى النيل وولده أنسى في روضة الأخبار وصالح مجرى وعبدالكريم سلمان وأحمد عبد الرحيم في الواقع والشيخ عبد الله في العروة الوثقى . والصحف الرسمية مهما يكن عدد قرائتها قليلاً لها أثر عميق جداً في مقومات النهضة العلمية الحديثة ، فقد عودنا العهد القديم أن يكون الأزهريون وحدهم رجال العلم الفارئين له الكاتبين فيه ، ولكن

الصحافة الرسمية أشركت معهم بل قدمت عليهم فئة أخرى غير رجال الدين من التلاميذ والموظفين والضباط والمعلمين ، فلم تعد القراءة أو الإنشاء وقفاً على الأزهررين أو احتكاراً لهم ، كما نزع المطبعة في أوربا احتكار الكنيسة للعلم والمعرفة ، وتولت الصحف الرسمية في كثير من المواقف الدفاع عن الحكومة وشرح سياستها وتعداد أفضالها وآثرها ، ودحض ما يراه الآجانب من السوء في تصرّفاتها كما حدث يوم تولي الطهطاوى تحرير الواقع واشتدت المشاكل على مصر قبيل معااهدة لندن وبعدها ، وأعادت الصحيفة الرسمية سيرتها في أوائل عهد اسماعيل ، بل جعلت سياستها ، ليس مجرد الدفاع عن الحكومة ، بل مهاجمة خصومها في صحفهم المنشورة في مصر أو الدائمة في أوربا .

في هذا وبغيره من مقالات الصحف الرسمية رأت المجموعة القارئة في ذلك العصر شيئاً جديداً لم تعتنته . كأ هيأت للطلاب والكتاب والمدرسين فرصة المنافسة بالاطلاع والإفادة والإنشاء في غير موضوع واحد ، والإعلان عن الأكفاء والنجودين في شتى العلوم والفنون ، وأناحت الفرصة للشعر والشعراء في الروضة أوفي الواقع ، ونشرت فيها الكتب تباعاً ، وهي كتب للعلم أو الحكاية التهذيبية كما ترجمت الفصول الطوال وأرخت بذلك لعصر الترجمة أجمل تاريخ . وبجمل القول في أسلوب هذه الصحف أنها أزاحت أحياناً بنوع من السجع الذي يزدحم بالفوacial ويشغل بالجناس ، وبعضاً يقل على السمع وينبو عن الفهم ويخرج على آداب اللغة العربية فلا يعد من أساليبها المرضية

وأفضل ما في تاريخ الصحافة المصرية الرسمية أنها نشأت مصرية خالصة ، ليس لغير المصريين فضل في إنشائها أو تقدمها أو ارتقاءها ، بل كان لها هي الفضل على البلاد الشرقية بما علمت من رجالها أصول الإنشاء والتحرير ، حتى عادوا بعد قليل يقودون النهضة الصحفية في الشرق ، وفي مقدمتهم أحمد فارس الشدياق صاحب (ال gio اب) التي عظم شأنها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وكان لها في

تاریخ الشرق و تیاراته السياسية أثر وأی اثر ، كما كانت وثيقة الصـلة بالخدیو
إسماعیل^(١)

وإذا كانت المطبعة صاحبة فضل على الصحافة الرسمية في مصر فإن الصحافة نفسها تقارضها هذا الفضل وتبادلاها هذا المعروف ، فإن إنشاء الواقع استتبع توسيع مطبعة بولاق أول الأمر^(٢) ثم فرض أخيراً إنشاء مطبعة خاصة بها في عهد محمد علي وقبيل الاحتلال الانجليزى كأوحت الصحف العسكرية بإنشاء مطبعة الجہادية وروضة المدارس بالتكىن مطبعة الحكومة من التقدم والارتفاع

(١) محفوظات عابدين ٤٥-٢ Dossier في سنة ١٨٧٠

(٢) راجع في ذلك كتابنا « تاریخ الواقع المصرية عام ١٨٢٨ - ١٩٤٢ » طبعة ١٩٤٢

الصحافة الشعبية في مصر

نشأت الصحافة الشعبية في مصر نشأة غريبة عنها ، إذ تولى زمامها رجل دخيل في عهد سعيد باشا ، وقد دعت ميول الوالي الجديد في سياساته الداخلية إلى نشر هذه الصحيفة ، وهي الميول المعروفة عنه ، المؤثرة عن أيامه فقد خول سعيد الفلاح حق الملكية العقارية للأراضي الزراعية ، وسن لذلك قانوناً مشهوراً باللانحة السعيدية (١) ثم وجد الوالي شعبياً ينوه بالضرائب ، وعليه التزامات حربية ثقيلة أسماء إلى النشاط الزراعي ، فعين الضرائب وربطها وألغى المكوس والجمارك الداخلية ، ثم هون الخدمة العسكرية وحفظ للجيش نقاوته من العناصر الأجنبية واحتفظ بطابعه الوطني (٢) ثم ألغى الوالي متآخرات الضرائب (٣) وحافريضة العين واستبدل بها نقداً بعد إلغاء نظام الاحتياط (٤) ويعتبر به بالفلاح إنقلاباً اجتماعياً خطيراً فقد نال كماراً ينادي حقوق الملكية العقارية وأجازت ملكية الحالات ومنح سلطنة التصرف في بيدها وقد تغير شكلها ، ولها أثر عميق في شعب كان ولا يزال ملك الأرض عنده مادته الأولى والأخيرة ، فهدأت نفوس الفلاحين واستقرت أمورهم بعد أن كانت حياتهم لا تستقر على حال من القلق ، يهربون من قريتهم أو من القرى إلى الصحراء خوف الإذلال والركراجر .

وقد استبدل سعيد المصريين بالأتراء في وظائف الدولة ودوائر أعماله (٥) كما حارب بعنف الأرمنية التركية التي كانت تسيطر في الجيش والإدارة ، وأسس مجالس لبحث المشروعات التي تعود على البلاد بالفائدة ، وأنشأ الوزارات

(١) الأطيان والضرائب لترجمة بك حنين ص ٣٨٨

(٢) Sabry, La Genèse de L'Esprit Nat. Egyp. P.13

(٣) مروء مصر المعاصرة ٦٤

(٤) الرافقى عصر اسماعيل ج ١ ص ٢٦

(٥) صبرى كتابه السابق ص ١٤

المختلفة (١) كما أنشأ شركات الملاحة ، ومدخطات حديدياً، وأشاع بين المدن أسلاك البرق الحديبية، وشرع في شق قنال السويس كأشق غيرها من القنوات الداخلية (٢) لم تكن هناك حروب كثيرة على تفرق بين الأسرة وعائالتها أو تقضي تجنيد الأفراد السنتين الطوال، وكانت سبل المعيشة هينة ليمتاز على أفراد الناس وأكثرهم إملاقاً، وفي هذا العهد قامت الحرب الأهلية في أمريكا خالات دون استئثار قطنهما وأفادت مصر من ذلك فائدة عظيمة ، وبلغ ثمن قطنهما ثلاثة أمثال الثمن القديم (٣) وهذه السياسة المشربة بروح العطف من الوالي ، وهذا الرغد — مما يكن حكم التاريخ فيه — قد أنعش حياة المصريين الأدبية واللادبية ، وإلى جانب هذه الافتتاحات من الوالي سعيد يحب أن يذكر أن الموافقة على امتياز قناة السويس في سنة ١٨٥٤ كان عملاً لا يقره السلطان ، إذ لم تؤخذ فيه مشورته ، وهو عمل فيه من استقلال الرأي وحرية العمل ما يزعزع قواعد التبعية للدولة العثمانية .

حقاً لم يكن هناك رأى عام بالمعنى المفهوم ليحس هذه السياسة العليا ، وإن كانت هناك موجة من الرضا والإطمئنان إلى العيش في ظل هذا الوالي ، لذلك سامت سياسة سعيد الداخلية والخارجية الدولة العثمانية ، كما سامت الاتراك في مصر وملأت قلوبهم حقداً عليه ، فكان خصومه أحقر منه على خطابة الشعب المصري عن طريق الصحف ، فقد أحسن الباب العالي أن هيبيته في نفوس المصريين قد هون من شأنها سعيد الذي لفت المصريين إلى جوانب من الحياة رضية لم يعتادوها من قبل ومن شأنها أن تصرفهم إلى حب واليهم والركون إليه ، وهذا مما يهدد مكانة الدولة العلوية في مصر ، ولم يذكر سعيد في دعم سياساته العامة بتتجديد الواقع والعمل على انتشارها كما فعل أبوه من قبله أو خلفه من بعده ، وكذلك لم توح الساعة لفرد من الأفراد بأن يأخذ على عاتقه هذه المهمة ، فبقاء الدواائر الرسمية والشعبية خلواً من صحيفية قد تفيض في الدعاية أو تشير برأى فيما يصنع الوالي أو تبين مواضع الخطأ

Bréhier. L'Egypte de 1798-1900 p. 156-158

(١)

(٢) المصدر السابق من ١٥٨ — ١٥٩

(٣) تاريخ المسألة المصرية لروذشتين ترجمة العبادي وبدران الطبعة الثانية ص ٤

والصواب في سياسته ، ولكن الحكومة التركية على جملها بقى الصحافة ومعاييرها لم تفوت الفرصة ، فأرسلت اسكندر افندي شلوب إلى مصر فأصدر مجلة السلطنة Alsultana وهي صحيفة أسبوعية كان الغرض من إصدارها باللغة العربية أن تلفت المصريين إلى واجباتهم نحو الباب العالى وما له عليهم من حقوق (١) ، ثم تذيع من وقت آخر الأخطاء التي ترتكبها الحكومة المصرية (٢) وهي أخبار في رأى الدولة تبين للصريين أنهم منساقون إلى أمور خطيرة ، كما أن من غايات هذه المجلة أن تثال هيبة الأسرة العلوية في أسلوب ملتو لا يسىء إساءة علمية

هذه هي الصحيفة الشعبية الأولى التي شهدتها مصر ، وهي كما يدلنا تاريخها لا تستطيع أن يذكرها مؤرخ الصحافة المصرية أو يذكر عليها وجودها كصحيفة شعبية ، وكما أول صحيفة تعارض الحكومة ؛ فشلوب يجوز له أن يكون صحفيًا في مصر أو الشام أو الأستانة ويحسب على المكان الذي ينزل فيه مadam يلتسب بالرعوية إلى السلطان كتفيد اللراوح والقوازين السارية في الدولة العالية ومتلکاتها إذ ذاك ، ولكنها ليست صحيفة مصرية لا في كتابها ولا في اتجاهها وأغراضها ، ومهم ما يكن أمر هذه الصحيفة فقد أخفقت ولم تبلغ القصد الذي أرادته ؛ إذ أن الناس في ذلك الوقت لم يكونوا على قدر من التعليم يسمح لها بالبقاء أو الرواج ، فلم يعد لشلوب ولا جريدة أى أثر في تفسيرهم فاحتاجت بعد بضعة أعداد (٣)

ومنذ صدرت مجلة السلطنة في سنة ١٨٥٧ لم تشهد مصر صحيفة شعبية أخرى إلا بعد عشر سنوات من ذلك التاريخ ، فقدر أيها الوالي الجديد يتم بالصحف الرسمية اهتمامه المأثور ؛ ثم يتم بالصحف في خارج مصر ، وخاصة في باريس والأستانة ، فيدفع لها من ماله ، ويسقط يده لها كل البسط (٤) ذلك لأن إسماعيل وجه في أول حكمه باتفاقية القنطرة التي عقدها سلفه فأراد تعديلها ، ونام وزيره نوبار بحملة

Munier. La Presse En Egypte. p. 1-2

(١)

Clément Huart « La Littérature Arabe » Paris 1902. p. 428
Ramadan. Evolution de Législation by La Presse En Egypte. p. 8

(٢) (٣) محفوظات عابدين. 1—44

مروفة في فرنسا وفي صحفها ضد الانفافية، انتهت بتعديل كثير من الشروط
المجحفة (١)

ثم كانت له حاجات عند السلطان في وراثة العرش فرشا رجال دولته وصحفىي
الاستانة، فرنحة وأتراكا (٢) وأخذ بره هذا بالصحف والصحفيين ينتقل من باريس
إلى عاصمة الدولة ثم من بلاد الشرق الأدنى، وأخيراً أوضح أثره في صحفته
الرسمية على الصورة التي شرحتها في فصل سابق.

تولى اسماعيل حكم مصر والناس يرون شتونهم العامة والخاصة ملائحاً كفهم
أو من يوليه تدبير أمورهم، وكان شقاوهم أو سعادتهم موكيain إلى عده أو ظلمه
وليس لأحد منهم رأى يبديه أو إرادة يتقدم بها لعمل ما، وكانوا بعيدين عن معرفة
حال الأمم الأخرى سواء كانت إسلامية أو أوربية، ومع كثرة بعوث محمد على لم
يشعر الأهالي بشيء من ثمرات الأسفار والبعوث العلمية.

ومع أن هذا الرأى صحيح من حيث انتباطه على صدر حكم الخديو فإن
اسماعيل أسس لهم مع ذلك مجلساً تشريعياً في سنة ١٨٦٦ هو مجلس شوري النواب
الذى شغل إنشاؤه الصحف الأجنبية (٣) وكان من حق هذا المجلس أن يعلم حالة
المصر بين وأن يقرر فيها القرارات وهي في الواقع لا ترفع إلى الخديو على أنها قرارات بل
تقدمة إليه على أنها رغباته أن يفصل فيها بالرفض أو القبول. وهذا المجلس لا يستطيع
بحكم لائحة أن يؤثر تأثيراً فعلياً في اتجاهات الحكومة والتزاماتها (٤) وذلك لأن حاكى
مصر في ذلك الوقت وإن كان قد عمل على نهضة بلاده إلا أنه عاش فيما يختص بالحكم
ونظمه بوحى من عصور الأحكام المطلقة، لذلك لم توح اللائحة ولا الوالى ولا شخصية
الأعضاء بأن يحرق المجلس على فهم وظيفة النياية كاهى الحال في أوربا، فبقي أداة طيعة
لحاكم مصر لا يقوى على معارضته أو لعله لم يعرف بعد كيف يأخذ المعارضة.

(١) راجم حفظاً عابدين في الوثائق الفرنجية والتركية والعربى وهى أكثر من أن تعد

(٢) كرايميس — اسماعيل المقفى عليه — ترجمة صروف ص ٥٣

Douin. His. du Régne du Khed. Ismail. T.1 p. 297.

(٤)

الرافعى فى كتابه «عصر اسماعيل» ص ٢٩٢ وما بعدها

ذكرنا هذه الإمامة بشئون مصر العامة ، ثم أشرنا إلى مجلس شورى النواب لأنه حدث جزيد غير معروف في مصر ، هو شيء يتصل بأبيه الملاك وتقليله أو ربما فكان غريباً حتى على عقول أعضائه ، أو لئن العمد الذين يأتون من بلادهم ويختتمون على لوان لا يعرفون ما فيها بل ولم يعرفوا ما عزى إليهم من الأقوال ^(١) . وإذا كان المفروض أن يكون في مصر مجلس لشورى يجتمع وينقض على هذا النحو فإن الصحافة الرسمية لا يجوز أن تكون معتبراً عن هذا المجلس الشعبي ، ومن هنا بدأ إسماعيل يرى وجوب إنشاء صحيفه شعبية تمثل المجلس أو اتجاه هذا المجلس أو تساير الفكرة في وجود هذا المجلس ، فأوحى إلى أبي السعود أفتدى بأن يصدر جريدة (وادي النيل) .

قد يظن بعض المؤرخين أن جريدة وادي النيل صحيفه شعبية بالمعنى المفهوم ففيليب دى طرازي يذكر في كتابه أنها « مجلة سياسية علمية أدبية أنشأها» سنة ١٨٦٦ عبد الله أبو السعود ناظر المدرسة الـكلية التي أسسها محمد على الـتكبير في القاهرة وهي أول صحيفه عربية تناولت مثل المباحث التي كانت تنشرها في القطر المصري وصدرت مرتين في الأسبوع ، وعباراتها صحيحة وأفكارها سليمة ، وساعدها الخديو إسماعيل لأنها كانت تخدم أفكاره بأخلاق واعتدال دون ان تتعرض للمسائل الدينية ^(٢) .

فالذكر إذن في إنشاء هذه الصحيفه هي خدمة الخديو بأخلاص وتحقيق سياسته في اعتدال ، وما كان يمكن أن تمثل جريدة « وادي النيل » الصحافة الشعبية في غير هذا الحيز الضيق من الحرية ، ذلك لأن صاحبها موظف في الحكومة له مآثر وخدمات في الصحافة الرسمية ، وهو من تلامذة رفاعة رافع رأس هذه الصحافة ^(٣) فلا غرو أن أوحى إليه إسماعيل بأصدار وادي النيل ، فذكرت

(١) الوطن في ديسمبر عام ١٨٧٨

(٢) تاريخ الصحافة العربية ج ١ ص ٩٦

(٣) راجع « أعلام الصحافة العربية » للمؤلف

الواقـع المصرـية خـبر إـنـشـاها فـي حـلـيـانـا^(١) وحيـتها إـحدـى الصـحـفـ الـفـرـنسـيـةـ المـعاـصـرـةـ فـيـ مدـيـنـةـ الـاسـكـنـدـرـيـةـ قـائـلـةـ وـ قدـ حدـثـ صـحـيفـةـ مـصـرـيـةـ جـدـيدـةـ بـمـدـيـنـةـ القـاهـرـةـ تـسـمـيـ وـادـيـ النـيـلـ ، وـ قدـ أـوضـحـ مـنـشـئـهاـ وـ نـاظـرـهاـ أـبـوـ السـعـودـ أـفـنـدـيـ فـيـهاـ أـورـدـهـ مـنـ بـيـانـ الغـرـضـ المـقـصـودـ بـاـنـشـائـهاـ أـنـ التـزـمـ بـأـنـ يـلـشـرـ فـيـهاـ الـأـخـبـارـ النـافـعـةـ لـلـدـيـارـ المـصـرـيـةـ سـوـاءـ كـانـتـ تـرـدـ مـنـ أـورـباـ أوـ مـنـ الـأـفـالـيمـ المـصـرـيـةـ ،^(٢) وـ يـبـدـوـ مـنـ الـعـدـدـيـنـ النـادـيـنـ الـلـذـيـنـ حـصـلـنـاـ عـلـيـهـمـاـ^(٣) أـنـ وـادـيـ النـيـلـ مـحاـولـةـ لـأـبـسـ بـهـاـ كـانـوـلـ صـحـيفـةـ وـطـنـيـةـ فـيـ مـصـرـ ، وـ قدـ اـرـدـحـتـ مـعـظـمـ صـفـحـاتـهاـ بـأـخـبـارـ الـخـدـيـوـيـ وـ رـجـالـ حـكـومـتـهـ ، وـ لـوـ لـأـنـهـ أـعـلـمـتـ شـعـبـيـتـهاـ لـظـنـ مـتـصـفـحـهاـ أـنـهـ صـحـيفـةـ رـسـمـيـةـ ، فـيـ صـورـةـ لـلـوـقـائـعـ فـيـ تـفـكـيرـهـاـ وـ اـنـجـاهـهاـ ، يـعـرـفـ أـسـلـوبـهاـ الـأـدـبـيـ روـاـيـةـ الـخـبـرـ وـ يـتـعـاقـلـ مـحـرـرـهاـ بـالـسـجـعـ ، فـهـيـ تـحـاكـيـ الـوـقـائـعـ وـ تـخـطـوـ عـلـىـ أـثـرـهـاـ فـيـ الشـكـلـ وـ الـمـوـضـوـعـ مـعـاـ .

وـ كـانـتـ جـرـيـدـةـ وـادـيـ النـيـلـ ، دـارـآـ وـاسـعـةـ لـلـنـشـرـ ، إـذـ توـلتـ مـطـبـعـتـهاـ فـيـ حـيـ بـابـ الشـعـرـيـ نـشـرـ ، جـرـيـدـةـ أـرـكـانـ حـربـ اـلـجـيـشـ المـصـرـيـ ، وـهـيـ صـحـيفـةـ رـسـمـيـةـ كـانـتـ تـصـدـرـهـاـ الـدـوـلـةـ — كـماـ ذـكـرـنـاـ مـنـ قـبـلـ — لـضـبـاطـهـاـ حـافـلـةـ بـأـمـتـعـ الـبـحـوثـ وـ الـمـوـضـوـعـاتـ ؛ كـمـاـ أـنـ «ـ روـضـةـ الـأـخـبـارـ »ـ كـانـتـ تـطـبـعـ فـيـ مـطـابـعـ وـادـيـ النـيـلـ ، هـذـاـ إـلـىـ جـانـبـ الـكـتـبـ الـكـثـيرـةـ الـتـيـ نـشـرـتـ فـيـهـاـ .

وـ أـبـوـ السـعـودـ أـفـنـدـيـ صـحـيفـيـنـاـ الـأـوـلـ فـيـ صـحـافـةـ مـصـرـ الشـعـبـيـةـ شـاعـرـ مـبـدـعـ يـصـوـغـ الـقـوـافـيـ ، وـ نـاثـرـ مـفـتنـ يـجـيدـ الـبـيـانـ ، وـ مـتـرـجـمـ مـنـ عـيـونـ الـمـتـرـجـمـيـنـ فـيـ عـهـدـهـ لـمـ تـسـتـغـنـ عـنـهـ صـحـيفـةـ شـعـبـيـةـ أـوـ رـسـمـيـةـ ، كـاتـبـاـهـاـ أـوـ مـتـرـجـمـاـ لـفـصـوـلـهـاـ ؛ وـهـوـ فـيـ صـحـيفـتـهـ قدـ جـعـلـ الـصـحـافـةـ الـمـصـرـيـةـ فـيـ مـفـتـرـقـ الـطـرـقـ ، إـذـ عـنـدـ صـحـيفـتـهـ خـلـصـتـ تـلـكـ الـصـحـافـةـ مـنـ

(١) الـوـقـائـعـ الـمـصـرـيـ فـيـ ٢٣ـ رـبـيعـ الـأـوـلـ عـامـ ١٢٨٤ـ

(٢) هـذـاـ الـحـبـرـ مـنـقـولـ عـنـ ذـيـلـ الـمـدـدـ الـعـاـشـرـ مـنـ وـادـيـ النـيـلـ وـمـعـهـ خـبـرـ مـاـيـلـ تـحدـثـتـ فـيـهـ جـرـيـدـةـ

حـدـيـقـةـ الـأـخـبـارـ بـيـرـوـتـ عـنـ صـحـيفـةـ أـبـيـ السـعـودـ

(٣) هـمـاـ الـمـدـانـ ١٠ـ وـ ١١ـ وـ ماـ يـدـلـانـ عـلـىـ أـنـ الصـحـيفـةـ صـدرـتـ عـامـ ١٨٦٧ـ لـأـ ١٨٦٦ـ كـ

رـوـتـ ذـلـكـ مـعـظـمـ كـتـبـ الـتـارـيخـ

(٤) مـحـفوـظـاتـ عـابـدـيـنـ وـنـيـقـةـ رـقـمـ ٢١١ـ مـعـيـةـ تـرـكـيـ فـيـ ٢ـ جـادـيـ الـثـانـيـةـ ١٢٨٩ـ هـ

رسميتها وبدأت تتجه إلى هذا اللون الحر من الصحافة التي نعرفها اليوم .
ويعتبر جهد أبي السعود الصحفى محاولة لا بأس بها ، فصحيفته أول صحيفه
وطنيه شعبية في مصر ، وقد زحم معظم صفحاتها بأخبار الخديو ورجال حكومته
وتولى فيها مناقشة ما اعتادت نشره جريدة (الجواب) التي كان يصدرها في
الاستانة زعيم الصحافة العربية في ذلك العصر الأديب احمد فارس الشدياق
صاحب المؤلفات الممتعة في الأدب والتاريخ والاجتماع ، وكان خلافهما واتفاقهما
في المسائل الأدبية والباحث العلمية خير ما في صحافة الشرق الأدنى خلال تلك
الفترة من تاريخ الصحافة العربية .

وكان الخديو إسماعيل يؤثر صحيفه وادى النيل وصاحبها بالعاطف والرضا ،
فهمى لسانه عند خاصة دولته من قرائتها الذين وجدوا فيها متعاماً ولذذا ، ووجدوا فيها
أيضاً جديداً من شئون الصحافة كأخبارها الطريفة الصادقة التي أمر الخديو بأن
تنشر فيها ، ولذلك كان قدرها محفوظاً عند الناس لعلهم بصلات صاحبها وقربه من
ذوى السلطان ، وقد عاونتها الحكومة بالمال أيضاً خصصت لها في إحدى السنوات
إعانة قدرها ثمانية وعشرون ألف قرش .

وقد سار على درب أبي السعود افتندى كاتبان معروفاً في عصر إسماعيل بعلو
الهمة وواسع الدراسة ، والدراسة الغربية بالذات ، وهما إبراهيم الموily وعمان
جلال^(١) فأنشئا مجلة (نزهة الأفكار) صحيفه سياسية أسبوعية ، وكانا جديدين
حقاً على الصحافة المعاصرة في سنة ١٨٦٩ فصدرت جريدهما غربية عن الوسط
الصحفى ، بعيدة عما يقرره الخديو من آراء ، فلم يكتمل هذا التجديد في الرأى والمعانى ،
 فهو يريد صحافة حرة ولكن بمقدار ، وهذا شأن شابان قد غرتهما مظاهر التجدد
الذى أخذ يدب في الحياة المصرية فظننا أن لقليلهما حرية الكتابة على ما يهويان

(١) راجع عنهم « أعلام الصحافة العربية » للمؤلف . والحلبي في تكوين الصحف في العالم ص ٦١
والاسلام والتجديد في مصر ص ٢٢ . والمثار ج ٢٢ ص ٧١٠ والرافى عصر إسماعيل ج ٢

لم يكن إسماعيل في أول الأمر يريده صحافة تعبّر عن مصر أكثر مما كان يعبر عنها مجلس شورى النواب ، يريدها صحافة موالية في جيدها حبل من رقابته ما بقيت يدها ممدودة لخدمته ، صحافة هادئة تكون في خدمته ل تستحق عطفه عليها واحتفاءه بها ؛ وقد كان له أبلغ الأثر في نصيتها ، ومساعداته الأدبية والمادية للقائمين عليها غير منكرة ، وقد فتح صدره وصدر بلاده للصحفيين الشاميين بعد أن جربت الصحافة المصرية بجهد المصريين وأقلامهم ، فأقبل هؤلاء على اصطناع الفلم والخدنوها الصحافة حرفة لهم حتى كان أكثر أصحاب الصحف من أهل الشام والبلاد المجاورة لها (٢) .

كصابونجي والنحل ، وحموى وشعاع السكوكب ، ونقلاء والأهرام وكان لي بعض هذه الصحف ووقف كريمة أخذت فيها جانب الخديو ودافعت عن استقلال مصر ، فقد بدأت العلاقات بينه وبين السلطان حين استوزر نوبار باشا وكلفه الدفاع عن وجهة نظر مصر في بعض المسائل المصرية في أوبر بافالصل نوبار بالحكومات الأوروبية وتحدث معهافي أمر إنشاء المحاكم المختلطة فإذا كانت السفارية العثمانية في صحف فرسا أنها تحذر المسؤولين وعامة الناس من معاملة شخص يسمى نوبار باشا ويدعى لنفسه لقب وزير الخارجية المصرية ، لأن مصر كأنها ليس لها صفة دولية ولا حق لها في تعاقد دولي ؛ فكان أن ردت الصحف المصرية على السفارية التركية

(١) الرافعي عصر اصحابه ج ٢ ص ٢٦٣

(٢) راجع تاريخ جريدة الأهرام المؤلف طبعة المعارف ١٩٥٠

وأخذت تناقضها الرأى وتوّكّد حق مصر في مصالحها الخاصة لأنّ مصر لا يمكن أن تنزل إلى مكان الولايات العثمانية الأخرى وقد سبق لها أن أمضت عقد قنال السويس دون تدخل تركية أو وصايتها (١)

ولما كانت الصحافة الشعبية في شأنها الأولى يقوم على تحريرها جماعة من الشعّاميين، وهي حقيقة تاريخية لا ينكرها أحد، لذلك وجب علينا أن نبحث - قبل التاريخ لهذه الصحافة - إلى أي مدى بلغت هذه الحقيقة التاريخية من التقدير والاعتبار ؟ فلويس شيخو يقرره أنه كان للسورين في هذه الحركة نصيب عظيم حتى كان أكثر تلك المنشورات ومنشئها من أهل سوريا وزاد عددهم في مصر بعد ضغط الدولة العثمانية على المطبوعات حتى أنان على ثانية السكتبة المصريين فتقديموه على غيرهم بما عرفا به من النشاط والتفنن والحق يقال إن أكبر مجلات القطر المصري كانت تطبع وأعظم جرائد الأهرام كان يحررها السوريون ، (٢) .

وهذا القول على ما فيه من صدق لا يخلو من المبالغة، فالسوريون حقاً كان لهم في مصر فضل على قوى التمثيل والصحافة ، وكان نشاطهم ملحوظاً في هذين الفنانين وهذه المؤرخ واجب التقدير، ولكن ليس معنى هذا أن الصحافة المصرية ما كان لها أن تظهر وتسقى لولا وفود هؤلاء إلى مصر ، فقد ظهرت جريدة وادي النيل ونـزـهـةـ الـأـفـكـارـ فـيـ الشـقـ الـأـوـلـ منـ حـكـمـ إـسـمـاعـيلـ قـبـلـ ظـهـورـ أـىـ جـرـيـدةـ سورـيـةـ في مصر بعـدـ سـنـوـاتـ ، فـأـنـ مـصـرـ وـجـدـهـاـ هـيـ الـنـيـةـ الـأـنـجـانـيـةـ هـيـ هـذـهـ الفـرـصـةـ ، فقد كانـ وـالـيـهـاـ يـشـتـرـكـ بـمـيـاتـ النـسـخـ وـيـقـومـ مـوـظـفـوـ حـكـوـمـتـهـ بـمسـاعـدـةـ هـذـهـ الصـحـفـ فـيـ تـحـصـيـلـ اـشـتـراـكـاتـ هـاـ مـنـ الـأـهـالـيـ وـمـنـ يـهـنـهـمـ مـنـ فـرـضـتـ عـلـيـهـ هـذـهـ الـاشـتـراـكـاتـ مـعـ جـهـلـهـ بـالـقـرـاءـةـ وـالـسـكـتـابـةـ (٣)

وللخديو في هذا تاريخ معروف أنّبنته الوثائق فقد كان حفياً بالصحف المصرية

(١) Douin. His. du Règne du Khed. Ismail T.1 P. 72

(٢) لويس شيخو ج ٦٧ —

(٣) المصدر السابق ص ١٣١

على اختلاف جنسية أصحابها وتبان أغراضها، وقد أمد بعضها بأعذان مالية كبيرة، فاهتم الحاكم المصري بالصحافة قد سمح للسوريين بأن يجدوا مجال النشاط والعمل بمهد آن في مصر.

ولا يمكن لمؤرخ الصحافة المصرية أن يغفل من حسابه في بحث هذه الحقيقة التاريخية الكتاب الوفدين على مصر أو المقيمين فيها من أبناءها المصريين، أولئك الذين ملأوا صحف المتصرين وجالوا فيها بأفلامهم وألقوا إليها بما امتازت به عقولهم من عمق وفهم كجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وأبي السعدود فأفتدي وغيرهم من له في كل صحيفة من صحفهم ذكر سواء كانت جادة في وطنيتها أو هازلة في رسالتها، ولو ل بهذه البينة الحرة لما استطاعوا إلى النجاح سبيلاً.

وإلى جانب هذه الحقيقة يجب أن نذكر أن الحرية — حرية القول والكتابة — قد عزت في بلاد الدولة العثمانية جميعاً حيث ضغطت الحكومة على المطبوعات وطبقت قوانينها العنيفة التي أفلتت منها مصر بتشجيع وإيهامه لها، وقد استطاعت صحف الشاميين وغيرهم أن تعيش وتتقدم بمعاضدة بعض الدول الأجنبية مادياً وأدبياً مما أقيمت من عن特 الحاكم أحياناً فقد كان لتدخل قناصل الدول في مصر وحمايتها لهم لهذه الصحف أثر كبير في بقائها ونجاحها، وهذه ميزة لم تتحقق للمصريين إلا في النادر من أصحاب الصحف الشعبية الأولى.

فالبيئة المصرية، والبيئة المصرية وحدتها من بلاد السلطة هي التي كانت تتمتع بحرية منقطعة النظير لا توجد في سوريا ولا لبنان، والطبيعة المصرية والتفكر المصري سبباً بوجود صحافة تقر لأن النهضة المصرية كانت أوسع مدى مما عليه بلاد الشرق جميعاً، وظروف الحياة المصرية بخديوها وأزماتها واضطراب الأفكار فيها بجديد في شتى الميادين، كل أولئك جعل مصر تتحتمل في سعة آدابها وصحفها وسياسة، وقد فرضت شخصيتها المعنوية المميزة وجودها على الدولة العالمية مستمدة هذا الوجود من تاريخ حافل وذكريات يحسب لها في مقومات الشعوب ألف حساب،

وقد ثبتت أن الصحف الوطنية الحالصة التي ظهرت بجانب الصحف الشامية في مصر لم تكن أفل منها نضجاً أو أثراً في نفوس الناس وتهذيب الرأي العام وأن مصر لو لم يكن في ربوعها الحرية وفي أمرائها الأريجية والتشريط ،^(١) كما يقول شيخوا لما قصدها فرد من هنا أو هناك .

وبجمل القول إن مصر كانت في ذلك العهد أمّة لها رأي عام مهمًّا يكن أمره فقد كان يفرض وجود صحافة بدأت لينتهي ثم تطورت مع أحداث الزمان . والصحفيون السوريون مهما يقضوا التاريخ في مكانهم من الصحافة المصرية لم يكونوا شرآ على البلاد فقد أخصب جدهم وآتى كلّه في الأرض الطيبة التي تعذّبهم طبيعتها وتسمو بهم إلى وضع أصحابوا اليوم فيه أكرم الأمثال .

وقد سمح اسماعيل بوجود الصحافة الشعبية للمصريين والشاميين والأجانب على السواء وأجاز لبعضها البقاء وأغلق من تجاوزت حدودها ، ولم يكن في النصف الأول من حكمه يسمح بصحافة لا تماطل في اتجاهها وتفكريها الواقع المصرية فأباح محمد أنسى ابن عبدالله أبي السعود في سنة ١٨٧٥ نشر جريدة (روضة الأخبار) في القاهرة على أن تنشر ثلاث مرات في الأسبوع وهي على مثال الجريدة الرسمية ، وقد نخصصت للسياسة والعلم والأدب والزراعة والتجارة وأعمال الخديو بالمال^(٢) وأذن لها بنقل أخبارها من الواقع المصري وترجمة موضوعاتها من جريدة لي凡انت هيرالد Levant Herald التي تصدر في القسطنطينية وتعمل لحساب الخديو ثم هي تشغّل صفحاتها جميعاً بمدح ولئن نعم وإن بحثت قليلاً في الشئون

(١) نويس شيخو . ج ٢ ص ١٣١

(٢) محفوظات عابدين وثيقة رقم ١١٥ في ٢١ ذي الحجة ١٢٩١

(٣) لقيت هذه الصحيفة من مساعدات الخديو ووكيله ابراهام بك في القسطنطينية تأييداً قوياً راجع محفوظات عابدين في سنة ١٨٧١ وما بعدها وكذلك كرايسس في كتابه اسماعيل المفترى عليه وكان لمعررها دلال غريب على الخديو فزار مصر وهيا الخديو قطاراً خاصاً انقله إلى القاهرة . (محفوظات عابدين وثيقة ١٩٠ ص ٥٦ دفتر ١٩٤٩ غير رسمي)

الدولية (١) وترجمت بعض الكتب التي ألفت عن مصر .
وفي نفس هذه السنة يتقدم سليم تقلا - وهي شامي ناشر وله حظ في قرض
الشعر (٢) ، يلتمس التصريح إليه بإنشاء مطبعة تسمى (الأهرام) كائنة بجهة المنشية
بأسكندرية يطبع فيها جريدة تسمى الأهرام تشتغل على التلغرافات والمواد التجارية
والعلمية وكذا بعض كتب كأقامات الحريري وبعض ما يتعلق بالصرف والنحو
واللغة والطب والرياضيات والأشياء التاريخية والحكمة والقواعد والأشعار والقصص
الأدبية وما يماثل ذلك من الأشياء الجازية طبعها ، وقد رخصت الخارجية بإنشاء
جريدة الأهرام (٣) على ألا يتعرض صاحبها للدخول مطلقاً في المواد الابولو تيقية
وامتثاله لقانون المطبوعات ، وصدر الأمر
لحفاظ الإسكندرية « بعدم المعارض للخواجه
المذكور في إنشاء المطبعة المحكى عنها ، (٤)



سـلـمـيـنـ تـقـلاـ بـكـ

تمثيل اتجاهات آخر في جريدة وطنية غير أنها تعطى فرنسا ومشهرا مكانا طيبا (٥) وأشاعت عند قراءها هذه المثل في كل عدد من أعدادها تقريرها، ويبلغ قاريء

(١) روضة الأخبار في ٢٧ يونيو ١٨٧٥

۱۳۳ — ۱۳۱ ص ۲ شیخو ج (۲)

(٣) صدر كتاب عن تاريخ جريدة الأهرام للمؤلف سنة ١٩٥١

(٤) مفهومات وزارة الداخلية — قلم المحفوظات ١١ - ٢ - ٩٤٦ الجزء الأول

(٥) وزيه . الصحافة في مصر ص ٦

الأهرام في نشأتها الأولى شيئاً من الضيق والتبرم بالسياسية الانجليزية^(١) وقد غنيت بالأخبار الداخلية العادلة التي لا توحي باتجاه سياسي خاص وإن ازدحمت بالمقالات الاجتماعية وهي مقالات استقبلتها الخاصة في مصر بزيد التقدير والإعجاب^(٢).

تحتم روضة الأخبار والأهرام^(٣) الحلقة الثانية من نشاط الصحافة الشعبية، كانت الحلقة الأولى تجري بغير ناضجية تولى شئونها المصريون وحدهم فاتت إحدى الصحف وهي وادي النيل لعوامل يقتضيها الفن الصحفي وكانت خلاؤ منها، كجدة الأخبار وهي في أخبارها رجع الصدى للصحيفة الرسمية فلم تغير الناس بشرائها أو التعلق بها، وقضت (نزة الأفكار) لأنما تجاوزت الغرض من ظهورها ورأرت الحكومة أن المباحث التي تطرقتها أبعد مما تحتملها الظروف السياسية والاجتماعية في سنة ١٨٦٩ ومع أن روضة الأخبار سبقت صحيفة الأهرام في الظهور ولقيت من عطف الخديو وبره الشيء السكثير وحفلت بالموضوعات الأدبية وترجم

Martin Hartmann : The Arabic Press of Egypt P.53 (١)

(٢) صبرى في كتابه السابق ص ١١٠.

(٣) ظهرت صحف قليلة الأهمية بجانب هاتين الصحفتين منها (شمام السكوكب) لسليم جوى في سنة ١٨٧٦ وأغلقت بأمر الحكومة وأصدرت الأهرام في ٩ سبتمبر ١٨٧٦ صدى الأهرام وهى تشبه الأهرام من حيث الموضوع وأصغر منها حجماً وهى (يومية التجارة والحوادث والاعلانات) وقد احتفظت مكتبة طلمت حرب باشا بينك مصر بنسخ منها . وأصدر صاحب الأهرام في نفس السنة مجلة المنارة نصف شهرية (بهاية كتاب وتبعد عن الأمور التجارية والصناعية والزراعية والأخبارية والطبية والكماوية) (راجع محفوظات الداخلية قلم المحفوظات ١١ — ٤ — ٩٤٦ الجزء الأول) وقد وتأخر صدورها إلى سنة ١٨٧٨ حيث قالت جريدة الوطن في العدد الخامس عشر (قد سرنا ما يلفتنا من أن صاحب جريدة الأهرام قد أدى أن ينشر جريدة علمية تسمى المنارة فتهنىء حضرته على هذا المشروع الحسن) ولا ندرى أبقى أمر هذه الجلة مشروعاً حسناً أم وضع موضع التنفيذ لأننا بحثنا عن هذه الجلة فلم نجد لها أنيراً

ويظهر أن صاحب الأهرام أصدر في سنة ١٨٧٦ جريدة أخرى من غير اذن ولم يذكر اسمها . وقال فيها محافظ الاسكندرية إناظر الحقانية والخارجية في كتابه إن صاحب الأهرام دأب على نشر جرئال « تلخيص للجريدة المذكورة » بدون اذن ويطلب إليه منع ذلك (محفوظات الداخلية ١١ — ٢ — ٩٤٩ جزء أول)

طأ أبو السعود افندى فإن نشاطها حده الجهل بفنون الصحافة ، وحدته هذه الرسمية
التي طغت على صفحاتها ، ولم يسلم من هذه الأزمات المتواترة للصحافة الشعبية
غير جريدة الأهرام فهى شئٌ جديد حقاً بما حملت من برقيات الانباء الخارجية الى
ذخرت بها الموضوعات الأدبية والاجتماعية الطريفة التي ساهم في كثير منها شيخوخ

الكتابة في ذلك العصر كالشيخ محمد عبده^(١)

ولم تكن الحكومة راضية كل

الرضا عن الأهرام وسياستها في

سنة ١٨٧٦ فلفت نظر محارها الى

الـ ١ـ الـ أـ لـ آـ لـ زـ عـ الـ آـ لـ حـ الـ كـ

ا ت آن ز ت ا ز آن ک ز ا ا ا

لبعضها في دفاعه إدعاً ضد مدير المطبوعات

انه فيما يتعلق بالاخبار الداخلية فإنه

ينقلها عن الواقع والمونيتور وكلتاهم

رسمية، أما المقالات السياسية فإنها

ينقلها عن الجورنالات الشهيرة

الخالية من التعصب والمحبولة من

والفهار دالكسندر، نجح هو بـ كـ

انقاده الحکم و مذکور ملائمه لها

مناجات علیه السلام



بشاره تقلا أحد صاحي الأهرام

ودفاعه عما تذرعه الجرائد الى تعبي
في لندن ، (٢)

ومن كتاب صاحب الأهرام نتبين مقدار الحرية التي منحها الصحافة الشعبية ،

(١) الأهرام في ٢ سبتمبر سنة ١٨٧٦

(٢) وزارة الداخلية - ١١ - ٢ - ٩٤٦ جزء أول . من سليم تفلا إلى عز تلو مدير قلم المطبوعات

الأخنوم . الاسكندرية ١٨٧٦

صاحب الأهرام يكاد يكون لساناً للحكومة وهو مع ذلك لم ينج من المؤآخذه على ما نشر من أنباء حرست الحكومة على عدم إفشاءها في الصحف العربية ، لذلك تحظر الحكومة على سليم تقلاً أفندي بأنه محظور عليه نشر الأخبار والمقالات السياسية بما في ذلك النقل عن الصحف الأجنبية سواء كانت حكومية أو غير حكومية ثم تحرمه حتى من التعليق على الأخبار العادية في الإسكندرية وإلا تعرضت صحفته ومطبعته للعقوبة الشديدة (١)

وفي هذا الجو من التضييق على حرية القلم تخطر الأهرام جميع العقبات بلباقة فاقت نزهة الأفكار وباجتهاد لم تبلغه وادي النيل وبذكاء أعز روضة الأفكار وبحسن صحفي نزل بصاحبها يوماً إلى مرتبة العمال وصها في الحروف لتصدر صحيفتها في موعدها ولا تختلف عن قرائتها (٢)

* * *

لقد رأينا كيف ظهرت الصحافة الشعبية في مصر أول ماظهرت ، ماثلة من حيث الشكل وال موضوع للصحافة الرسمية المعاصرة لها ، معنية بتناول الأخبار ناشرة لقديم الأدب المحفوظ في بطون السكتب ، وكل ما كان يدور بين السلطات المصرية العليا وبين الدولة العالمية أو دول أوروبا كان باطنها أكثر من ظاهره ، وكان ما يباح نشره من المسائل الهامة يستوجب رقابة الحكومة ويخضع لوحيمها ، ولم تكن حالة مصر الاجتماعية والسياسية حتى سنة ١٨٧٦ تسمح بأكثر من هذه الصحف وأهمها صحفة الأهرام ، فقد فقدت الصحافة الشعبية منذ إنشائها حتى تلك السنة أهم عناصر الشعبية فيها ، وهي إبداء الملاحظة وإسداء النصح ، والنقد والمعارضة إذا استوحيت الظروف ذلك .

لم تكن الحياة المصرية تحمل رأيا عاماً في تلك الفترة من حكم عاهاتها إسماعيل

(١) وزارة الداخلية ١١ - ٩٤٦ جزء أول في ٦ ديسمبر عام ١٨٧٦

(٢) جورج زيدان . مشاهير الشرق ج ٢ ض ١٠١ طبعة ١٩٠٣

(من كلام تقلا بك إلى جورج زيدان)

فقد عاشت مصر في عهد محمد علي كأكاديمية القرية في كنف شيخ محنك ذكي أرسلها إلى أوروبا فعاد معظمها وتولى مصالح الدولة ودوافعها، وبذلت تتساوى في مصر طبقة وسطى لم يظهر أثرها في عهده، وبذلت هذه الطبقة تتفوق في الصناعة والزراعة ومنازل الحرب وبيوت العلم في عهد سعيد وخلال حكم إسماعيل، وانتقلت مقاليد الأمور في عمومها من الأتراك إلى المصريين، وأيقظت هذه الطبقة البلاد يقظة سريعة موقفها، ولم يكن ينقصها إلا التنظيم وشئ من الشجاعة ل تستقيم لها الأمور، غير أن الخديو وإن كانت هذه الطبقة أهم أدوات حكمه أبى أن يرفع أحد عقيرته بفقد الحكومة أو معارضتها وإلا كان نصيبيه العقاب الشديد.

وفي هذه اللحظة قامت الحرب التركية الروسية وكان لها آثار بعيدة المدى على تفكير الناس واتجاه الصحافة الشعبية، فقد كانت هذه الحرب أول مسألة خارجية اهتم بها المصريون لأنها تتصل بأمر الدولة صاحبة السيطرة عليهم وهي في كفاح مع دول أخرى، وكان إلى جانب في مصر يتناولون الصحافة الأوروبية الواردة من الخارج وفيها من تفاصيل الحرب ودقة الأخبار ما يغير بقراطتها، وهؤلاء الأجانب أصحاب مصالح عند خاصة المصريين وعامتهم فكانوا يتحمدون عليهم بهذه التفاصيل، ولم تجد الصحف الشعبية بدأ من إرها ظلماً قرائياً بنشر تفاصيل هذه الحرب، فقلدت الصحافة الغربية وانطلقت في إبراد الحوادث ونشرها . وظهر من بين السطور ميلها إلى ما كانت تأتى به العساكر الروسية من ضروب الشجاعة، كما ظهر ازدواجها لما كان ينسب إلى الجنود العثمانية من التهاون، واختلف الناس في أمر هذه الصحف واستقبلوها بين منفر ومحبذ؛ وقد نشأ عن هذه الحرب ، أن استحدثت صحف لنشر أخبارها، ونشطت هذه الصحف الجديدة في رواية الأخبار والتعليق عليها ومعارضة الصحف القديمة في الرأي والمذهب حول هذه الحرب، و Ashton المنافسة بينها، وكانت المحاجلات الصحفية في ذلك الوقت أول حدث في تاريخ الصحافة الشعبية، وبذلك تغير الاتجاه الصحفي التقليدي في الاقتصاد على تأثير الأخبار وغيرها .

وأهم ما أثر عن هذه الحرب^(١) أنها افاقت الصحف المصرية إلى الدول الأجنبية وخاصة ما كان منها متصلة بالسلطان والدولة العثمانية فأخذت تنشر عن أحوال الأمم الأخرى التفاصيل الغربية وتشرح سيرتها السياسية والاجتماعية والمالية وتقارنها بما عليه مصر من سوء الأحوال^(٢) وقد أخذت جريدة الوطن^(٣) وهي من آثار تلك الحرب تماماً صفحاتها الكبيرة بأنباءها شارحة تاريخ الروس وجغرافية بلادهم باحثة أسباب الحرب مشيرة إلى موقف الروس من الدوليات العثمانية في أوربا الشرقية وأحقيقة هذه الشعوب بالحرية التي تسعدها والدستور الذي تلح في طلبه والمذاهب السياسية الجديدة التي تقف تركيا دون تحقيقها وقد أصبحت جريدة الوطن سجلاً لأطوار الحزب الروسية التركية بما نشرت من مقالات عن أسباب الحرب وأدوارها وختامها والمعاهدات التي تمت في نهايتها^(٤) وهي بحوث تدل على منتهى العمق والفهم، وقد أثرت هذه الحرب في الأخبار الداخلية فقللت في صفحاتها قلة ملحوظة .

وما أثر عن هذه الحرب أيضاً جريدة « مصر » لأنديب اسحق فقد صدرت في ٣٠ يوليه سنة ١٨٧٧ ويبدو من العددان النادران اللذين حصلنا عليهمما أن عنايتها بالحرب الروسية التركية قد مالت فيها إلى جانب السلطان وهي في أحد هما تتحدث عن الحرب وأطوارها وأمل الروسيا في « الحياة » من الدول وموقف الباب العالي

(١) لقد أثرت هذه الحرب على الصحافة الأوروبية نفسها، فبدأ واضحاً للناس حمل المراسلين المخصوصين إبان تلك الحرب، واشتركت عشرات من الصحفين في تقطيع أخبارها وسط الميدان، وكان ذلك حدثاً جديداً على حياة الصحف التي لم توظف مراسليها مدنيين وحربيين على نطاق واسع قبل تلك الحرب، كما أن الصحف المصورة كمجلة :

Illustrated London News استنادت في تطور فن الرسم والتصوير أثناء الموجة الحربية بما أدخلته من جديد في هذا الفن بمناسبة الحرب الدائرة بين الروس والأتراك وهي حرب شبه طالية اشتراك فيها أكثر من دولة

(٢) تاوين الأستاذ الإمام ج ١ ص ٣٧ — ٣٨

(٣) صاحبها ميخائيل عبد السيد ومديرها جرجس ميلاد

(٤) الوطن في نهاية عام ١٨٧٢ وأوائل ١٨٧٨ وخاصة العدد السادس عشر

من ذلك كله ثم تذكر في ثانية مباحثية الأمل التي لاحقت جنود الخليفة وتصور هذه الخيبة في ألم وحسنة .^(١)

ولم تكن الأهرام أقل حماسة لأخبار هذه الحرب ، فقد انتزت هذه الحرية التي أباحتها الحكومة وأخذت تندد بأثار الحرب في مصر ثم مضت تدعو المواطنين إلى مساعدة جرحها من المصريين ، وفي هذه المقالات تنشر أعنف الأحاديث عن الظالم والظالمين وحكم الفرد وآثاره حتى تنبهت الحكومة إلى أن هذه الأحاديث تتجه إليها مباشرة ولا تتعلق بالحرب وظروفها فقط^(٢) فأذرت الأهرام وهو الإنذار الوحيد في غضون هذه الحرب ، واستكانتيتها الحكومة تعهدأ بالا ، تدرج المواد الموجبة لتهييج الأفكار الأهلية عن أحوال الحرب الحاضرة ،^(٣)

وإذا راجعنا صحف ذلك العدد ، رسمية أو شعبية تبين لنا أن جرائد مصر بأسرها شغلت بالحرب الروسية التركية ، فقد طفت أنباؤها على جميع الأنبياء الداخلية والخارجية ، وكانت الأهرام ضمن الصحف التي وقفت إلى جانب السلطان ، توآزره بمقال ، وتوّيده بالأخبار السارة عن موافق جنوده في بعض الواقع ، كما أنها ذهبت إلى أبعد من ذلك فأنشأ بشارة تقلاً مجلة صغيرة سماها (حقيقة الأخبار) كان يجمع فيها ترجمة وافية للبرقيات التي تتلقاها دار الأهرام عن الحرب الروسية التركية ، ولا تستطيع استيعابها صحف الدار الأخرى ؛ وكان ربع المجلة يذهب قسمة عادلة بين دار الأهرام ومساعدة الجنود العثمانيين^(٤)

ويبدو أن الجهات الرسمية في مصر لم تحاول من ناحيتها عرقلة هذه النهضة الصحفية فغضبت الطرف عما نشر من آراء أو أذيع من أخبار تمس الدولة العلية وإنفائها في تلك الحرب ، وذلك لأن الحرب الروسية التركية تتصل بمصر من حيث التزاماتها أمام السلطان ، فقد طلبت الحكومة التركية مساعدة مصر في

(١) جريدة مصر العدد ١٨٥٣

(٢) الأهرام عدد ٧٣ عام ١٨٧٧ وما بعده

(٣) محفوظات الداخلية ١١ - ٢ - ٩٤٦ جزء أول

(٤) جريدة الأهرام — تاريخ مصر في خمس وسبعين سنة — المؤلف من ٨١

هذه الحرب ، وقد ذكر الخديو في مقالته الخديوية لجلس شورى التواب في ٣٠ أبريل سنة ١٨٧٨ أنه على استعداد لتقديم الجنود ومساعدة السلطان بيد أنه عقب على ذلك في براعة بأن هذه المساعدة معلقة بحال الميزانية ومرتبطة أيضاً برعاية الدين العام (١) ومعنى ذلك أن الخديولم يكن متھمساً غایة التھمس لاشراك مصر في هذه الحرب لأن المساعدة المطلقة من هونة بحال الميزانية ، وميزانية مصر لم تكن تتحمل الاشتراك في الحرب ثم إن ارتباط مصر برعاية الدين العام معناه اقتصار المساعدة على صورة ضيقه جداً فلم تشارك إلا بضعة آلاف من الجنود لم تتجاوز سته آلاف جندي ، وهذا عدد يسير جداً إذا علمنا أن سكان البلاد في ذلك الوقت كانوا سته ملايين نفس .

فلا غرو إذن أن كان موقف الحكومة المصرية مما كانت تنشره الوطن وغيرها موقفاً سلبياً بل موقفاً فيه من التشجيع ما يسمح بهذه الصحف بالحديث في أمور « بوليتقية » ما كان يسمح لها بالخوض فيها من قبل ، ولم يكن للحرب الروسية التركية من فضل في تطور هذه الصحف ونقلها إلى جو من الحرية خسب بل كان لها فضل آخر وهو أن هذه الصحف أخذت على عاتقها وظيفة الدفاع عن الشئون المصرية الدولية وبذلك شاركت الصحافة المصرية الحكومة فيما كانت تختص بها الحكومة نفسها ، فقد أتت بنتجت الحرب الروسية التركية صلح سان استفانو بين الدولتين ثم مؤتمر برلين وما تزامب على ذلك من تصريحية المسألة المصرية من غير مبرر ، واقتسام الإشراف على مالية مصر بين فرنسا وإنجلترا (٢) .

(١) Egyptian Despatch from the consulate general of the U. S.
30 may 1877 N 173

(٢) عقد صلح تركيا وروسيا بمقتضى معااهدة سان استفانو فلم توافق إنجلترا على هذا الصلح وأمرت أسطولها بالتقدم إلى الدردنيل كما أرسلت جنوداً إلى مالطا ثم انتهى الأمر بموافقة روسيا على عقد مؤتمر برلين وقد اتفقت إنجلترا سراً مع روسيا ضد تركيا على حين اتفقت مع الأخيرة على أن تتنازل لها عن قبرص ، وأعلن سلسليوري أن ليس بينه وبين الدولتين أي اتفاق سري ولكن صحافة إنجلترا تذيع اتفاق قبرص . وهنا يوجد سفير فرنسا بالأنسحاب من المؤتمر فيضطر الأنجلوز إلى ترضية فرنسا بمسائل خاصة بتونس ومنها أيضاً حق الإشراف على المالية المصرية معاصفة (راجع ص

ولم تقف المطامع الأوربية في مصر عند فرنسا أو إنجلترا بل تجاوزتهما إلى روسيا التي طلبت رهن خراج مصر لفسد منه تركيا غراءمة الحرب بعده زيمتها، وهنا تبدأ الصحافة الشعبية وظيفتها الجديدة فتشير قصة الحرب مرة أخرى وتعلق جريدة الوطن على ذلك لافتة الأنظار إلى طمع الدول الأوربية في المصريين وخاصة إنجلترا، ثم تحمل في شيء من العنف على الحكومة الانجليزية وعلى The Standard الصحيفة التي تمثلها في ذلك الوقت، وتشير إلى النيات السيئة التي تنبأها إنجلترا مصر، فإن الصحف الإنجليزية دعت خلال الحرب إلى احتلال البلاد حتى تحول القوات البريطانية دون تغلغل الروس إلى قناة السويس^(١)

كانت الحرب الروسية التركية حجر الزاوية في تطور الصحافة الشعبية إلى صياغة حرة، فقد شبت عن الطوق ورأى شئون مصر تسير في اتجاه فيه غبن شديد على البلاد، وقد أثار وجود الأفغاني في مصر قبيل الحرب التركية الروسية وفي أثناءها تياراً من التفكير الحر، إذ تلمذ له الكثيرون من طلاب العلم والمتعطشين إلى الآراء الجديدة وكان حدّيثه « ينير العقل ويظهر العقيدة ويدهب بالنفس إلى معالى الأمور ويستلتفت الفكرة إلى النظر في الشئون العامة مما يمس مصلحة البلاد وسكانها، وكان طلاب العلم ينتقلون بما يكتبهونه من تلك المعارف إلى بلادهم أيام البطالة، والزوارون يذهبون بما ينقلون إلى أحياهم فاستيقظت مشاعر وتباهت عقول وخف حجاب الغفلة في أطراف متعددة من البلاد خصوصاً القاهرة»^(٢).

ولم يقف حظ الحياة الفكرية من فضل هذا الرجل عند حدّيثه الحلو ومحاضراته الممتعة لطلاب العلم ورواده من خاصة الناس فإن له على الصحافة الشعبية فضلاً يعدل فضل الحرب الروسية التركية فهو الذي أوحى ليعقوب بن صنوع بأصدار مجلة « أبو نظارة» أقدم الصحف الهزلية المصورة في الشرق^(٣) وهو الذي اقترح على أديب إسحق إنشاء جريدة « مصر» في القاهرة^(٤) ويرجع إلى الأفغاني فضل السعي في إخراج

(١) الوطن في ٩ مارس عام ١٨٧٨

(٢) الاستاذ الامام - ١ ص ٣٧

(٣) طرافي ج ٢ ص ٢٨٣

(٤) مشاهير الشرق ج ٢ ص ٦٠

جريدة «مرآة الشرق»، فقد توسط لصاحبها هنا وهناك حتى منح الترخيص بها^(١) ولم يكن للأفغاني فضل الإيحاء والإشارة بإنشاء هذه الصحف وحدها بل كانت له فيها المقالات الممتعة كحديثه عن «الحكومات الشرقية وأنواعها»، ومقالته عن «روح البيان في الانكليز والأفغان»، وكان ينشرها باسمه تارة وتارة تحت حجاب اسم مصنوع مثل (مظہر بن وضاح) ومن أهم مقالاته فيها حملته على الانجليز تلك الجملة التي ترجمتها صحفهم^(٢). وكذلك كانت التجارة مجالاً لتأمذنه كأستاذ الإمام^(٣) وكانت هذه الصحيفة تذكر الأفغاني وتقيلاته في أسلوب غريب فتسمية «سيدينا فهرست كتاب السکال وفڈلکه حساب الجلال أستاذنا الأجل الفیلسوف الأکبر السيد جمال الدین الأفغان»^(٤) وقد لقيت التجارة حتفها على يديه فقد ملاها بالمقالات الثورية ابتداء من عددها السادس عشر ثم زعمت في خبر من أخبارها أن الأمة وكانت إليه السفارة بينها وبين الخديو وكان هذا الخبر سبب تعطيلها الحقيقى^(٥).

عرضنا لأثر الحرب الروسية التركية في الصحف الشعبية وأوضحتنا لهم الأفغاني في نقلها إلى مصاف صحف الرأي، وهذا عاملان لها خطرهما في تاريخ الصحافة الشعبية وتطورها، وقد ظهرت بجانبها بعض العوامل التي لا تقل عنها أهمية ومصدرها الحالة في مصر نفسها، فقد جهد الخديو من ناحيته في تهيئة الأفكار بما جد في حياة مصر الأدبية والمادية مما كان له أثره الواضح فيما بعد؛ وأنتجت محاولات

(١) أصحابها سليم عنحورى ولكتنه تخلى عنها لابراهيم القافنى لرضه وعودته إلى وطنه وهو من الشاميين تلاميذ الأفغاني، وساعدته فيما استكشاف نحاس كثير لها وسعيد البستاني كمترجمها الأول وكتب فيها محمد عبده والشيخ على يوسف، وهي لسان الحزب الوطنى فى نهاية عصر إسماعيل (راجع مرآة الشرق فى ٢٤ يوليو عام ١٨٧٩ عن كونها لسان الحزب الوطنى والتجارة فى ٢١ أبريل عام ١٨٧٩ عن تغيير أصحابها .)

(٢) الأستاذ الإمام ج ١ ص ٣٩ — ٤١ و ص ٤٥

(٣) التجارة فى ١٧ يونيو عام ١٨٧٩

(٤) التجارة فى ١٩ مايو عام ١٨٧٩ وصاحب التجارة هو أدب اسحق (راجم أعلام الصحافة العربية)

(٥) تاريخ الأستاذ الإمام ج ١ ص ٤٧ و ٤٨ من ترجمة سليم عنحورى للأفغاني

الخديو الإصلاحية نتيجة لها المروبة فإذا الناس متبرمون لم تغفهم إصلاحاته ولم تحتمل طبيعتهم الرضية مساواه بطانته، فهو يعمل على إسعادهم في ناحية وتعمل بطانته على إفقارهم في ناحية أخرى، وأقرب الأمثلة ما ذكره قنصل الولايات المتحدة في تقرير له وهو يتحدث عن الإصلاحات التي أدخلها الخديو في مصر، ويعقب على ذلك بحديث عن الأرض وتوزيعها وكيف استولى البعض على أكثر من خمسها، وكيف كان هذا الجنس يفوق الأخماس الأربعين الباقة من حيث الجودة ومن حيث عناية الحكومة بآرائها وموقعها وتسخير النام لخدمتها^(١)

والخديو يستدين ويصبح دينه خطراً على السكين المصري في نهاية عام ١٨٧٥ وأوائل عام ١٨٧٦ ، إذ أن هذا الدين أجاز للدول الأوروبية حق التدخل في شؤون مصر ، ثم يشعر بالضيق المالي فتضييع أسهم قناة السويس في صفقة خاسرة، ويستقدم بعثة كيف الانجليزية لتفحص مالية البلاد ثم توقف الحكومة عن أداء أقساط الديون، وقد لاحقتها الأزمة من جميع جوانبها الأمر الذي ترتب عليه إنشاء صندوق الدين^(٢) وتدخل الأجانب في الشؤون الداخلية .

لم يفدى إنشاء صندوق الدين أو مشروع توحيد الديون في مايو عام ١٨٧٦^(٣) أو إنشاء مجلس أعلى للمالية نصفه من الأجانب^(٤) لم يفدى كل هذا في وقف تدخل الأجانب تدخلاً مباشراً في شؤون مصر الداخلية بل ساعد ذلك على هذا التدخل حتى أصبحت حياة مصر المالية تحت رقابة مشتركة من الانجليز والفرنسيين ، ثم ترافق لهؤلاء أن يؤلفوا لجنة للتحقيق في ٢٧ يناير سنة ١٨٧٨ ، وكان من أظهر رجالها ريفرز ولسن Rivers Wilson أحد الوكيلين^(٥) وينتهي أمر هذه الأزمات المالية المتلاحقة بإنشاء مجلس النظار لأول مرة في تاريخ مصر ، وتحقق بذلك

Despatch N 272 December 30. 1878. vol 15.p 78^(١)

(٢) فليب جلاد . القاموس العام للادارة والقضاء عام ١٩٠٠ ج ٢ ص ١٤٤

(٣) نفس المصدر والجزء ص ١٣٣ (٤) نفس المصدر ص ١٥١

(٥) الرافعى . عصر إسماعيل ج ٢ ص ٨٢

فكرة المسئولية الوزارية في الحكومة المصرية ييد أن هذه اللقبة يشوبها وجود وزررين أحذنيين في مجلس النظار أحد هما إنجلزي مالي والثانى فرنسي للأشغال^(١) كانت هذه التطورات في حياة مصر الداخلية امتحاناً لصحتها ومحكًّا لضججها وكفايتها فقد استففت الوزارة المختلطة أعمالها الأولى باخطار رسمي لم يحيى الصحف التي تتضمن الاعتراف بحالة خارجة عن حدود وظائفهم على مسلك الهيئة الحاضرة ، ^(٢) ولم يكن قد بدأ بعد من الصحف اعتراض على الهيئة الحاضرة بل إن (الوطن) وهي صحيفة حرة في ذلك الوقت، استقبلت الحكومة النوبارية استقبالاً حسناً وأنذت على رجالها ثناء طيباً على اعتبار أنها وزارة مسئولة لا تظلم ولا تقضي بغير ما يوحى به القانون وخاصة المسائل التي تتصل بالمال وجباية الضرائب ^(٣) وقد اهتزت الصحف، تعين الوزارة الجديدة فأخذت تشرح مساوىء العهد القديم في تقريره « ضرائب غير مقررة ولا جائزة ولا مبررة » وتذكر موظفيه الذين أثروا من فقر الفلاح ^{plus de la pluie} ونجه حتى أصبحوا من أهل اليسار والثروة والعقار وصارت في حيازتهم أخصب الأطيان ، ثم تتجه إلى ولسن واضعة بين يديه آمال الفلاح في القضاء على المفاسد والمفسدين ^(٤) وتعقب في موضع آخر بعد نشر تقرير ولسن على الخلل المالى حاملة أشد المحملة على الحكم المطلق الذى كان يلزم الفلاح بالضرائب الفادحة ومع ذلك كانت خزانة الدولة خالية الوفاض « بينما زادت عقارات الدائرة وبلغت مليون فدان ، ^(٥) .

وكان تشجيع الصحف الشعبية لوزيرين أحذنيين ظاهراً جداً حينما دافعت عن تعينهما دفاعاً شديداً لما طلب إيطاليا أن يكون لها في الغنيمية وزير ، فقد شرحت خدمات الوزارة المختلطة في ارتفاع الأوراق المالية واستلام الموظفين

(١) لومونيتور أجسيان ٣ أغسطس ١٨٧٨

(٢) التجارة ٨ يناير ١٨٧٩

(٣) الوطن في ٢١ أغسطس عام ١٨٧٧ وعدد ٤٤ في سبتمبر عام ١٨٧٨

(٤) الوطن في ٢١ سبتمبر ١٨٧٨

(٥) الوطن في ٩ أكتوبر ١٨٧٨

رواتبهم والسكن من عقد القروض الجديدة بفائدة ضئيلة وإن لم تفوت الشكوى من الموظفين الأجانب ورواتبهم المرتفعة . فالصحافة الشعبية لم تستقبل تعين الوزارة استقبالا سلبيا ، وكان ذلك بعض واجباتها مدافعت شئون الحكم أقيمت إلى الأجانب ، ولكنها سالمت العهد الجديد لعمله ينفذ مصر من العهد القديم ويقضى على المساوىء التي أساءت إلى الفلاح والموظف ، وأساءت إلى كثير من المرافق العامة وخاصة ، وقد راضت الحكومة نفسها على أن تخن الصحف بعض الحرية حتى تستطيع أن تفهم المآسى التي لقىها الشعب ، ولا يعنيها في أول الأمر بعض الملاحظات التي تبديها الصحافة في عنف كحمتها على مدير السكة الحديد الإنجليزى أو مقاالتها في الحالة المالية وماهية الحكومة المطلقة والمظالم الخالصة والوزارة الشورية » (١) .

ولم يضغط الخديو على الصحف الشعبية خلال الحرب الروسية التركية ما بقيت ملتزمة مدحه والثناء عليه وكل ما شغلت به صفحاتها لم يمسه من قريب ، فإذا حدث التدخل الأجنبي سلطان الخديو فسع المجال لهذه الصحف فتنفست عما في صدرها ونشرت مساوىء الحكم قبل سنة ١٨٧٨ ولم تخرج كارينا من مساملة الحكومة المشتركة وتحيتها ، واستطاعت أن تقول ماحالت دون قوله السلاطة المطلقة فيما مضى ثم قلدت الهيئات المختلفة الصحافة في الشكوى وإذاعة الفضائح بالمدكرات والمنشورات وأهمها مذكرة التجار الأجانب في الاسكندرية التي أدخلوها إلى قناصل الدول ناعتين العهد السابق في تصرفاته المالية بأقبح الأوصاف (٢)

كادت ظاهرة الإعجاب بالحكم الجديد تستغرق صفحات الأهرام والوطن وغيرهما من الصحف المعاصرة التي لم تبلغ قدرهما من الزيوع والانتشار، غير أن هذه الصحف رأت بعض المآخذ في الوزارة النوبارية فبدأت تلتف إليها النظر في ١٥٠ ، فذكرت الوطن ما يجري على ألسنة الناس من أن المستر ولسن سمعن.

(١) الوطن في ١٢ أكتوبر و ٢ نوفمبر و ١٦ نوفمبر ١٨٧٨

(٢) وثيقة رقم ١٣٦ ص ١٤٥ Blue Books 1878

موظفين إنجلز و سيفتدى به « دو بلنيار الفرنسي » وأن ذلك سيحرم أبناء الوطن المتعلمين حقاً أجازه لهم تعليمهم و ثقافتهم (١). ثم تشدد بعض الشيء فترى جريدة التجارة أن حرمان المصريين حقهم في الوظائف ببربرية أو ريبة لا يجوز السكوت عليها لأن القوم نازعون الأرض المحبولة بدم آبائنا، وأصبحوا أمراء في بلادنا وهي إمارة ، الأجير و ملكية المستعير و تأصل الدخيل ولا لوم عليهم في ذلك ولا تشريب ، فإن من لا يصون ماله يعلم الناس سرقته ، ثم تهاجم الصحف الفرنجية « المطبوعة تحت سماعنا » لأنها لامت الوزير الفرنسي حين استخدم المصريين في المسائل الهندسية ، وتذكر لها أن عهد الاستبداد و تقدير حرية الكتابة قد انتهى ، وأن الآراء الحرة و الفكرة الناضجة ليست وقفاً على الفرنجية دون المصريين وقد ظفت الحكومة الجديدة أن تنفيص الصحف عن نفسها بذلك مساوى العهد السابق و ملاحظة شئون التوظيف في المصالح المصرية ورمي واسن بالجهل في الأمور المالية (٢) هو غاية ما تصبو إليه الصحف المصرية ، بيد أن الصحافة المصرية كانت قد بلغت من القوة و نضج الرأى واستقامة التفكير ماجعلها تبحث في أعماق المسائل التي عالجتها ، فقد كانت فكرة الشورى تأخذ عليها حياتها و جهادها فبدأت تنشر المقالات في أن المسئولية الوزارية تكون عبئاً على الصورة التي تألفت بمقتضاهما الوزارة المختلطة فأمام من تكون هذه الوزارة مسئولة إذا لم يكن هناك مجلس للنواب ؟ وهو يكون أهم شيء في مصر كما أنه أهم شيء في الملك المحمدية وإذا كان مجلس النواب لازماً في بلاد أو ربا فهو ألزم لنا نحن المصريين لأن وزارتنا مختلطة من وطنيين وأوربا و بين والأوربا و يوون لا بد أن يقدموا مصالح بلدكم وأرباب الديون على مصالح الوطنيين ، ثم تأخذ الصحيفة في معالجة أمر تشكينه و حقوقه والتزاماته ثم تذكر في مقال آخر الأهمية التي تعلقها على انعقاد هيئة تشريعية تسأل أمامها الوزارة إذ أنه لا يخفى أن قوة المحاكمة وغناها لا يقوم

(١) الوطن في ٣٠ نوفمبر عام ١٨٧٨

(٢) التجارة في ١٠ أبريل و ٨ فبراير ١٨٧٩ و ١٥ يناير ١٨٧٨

إلا بانتظام مجالس شوراها ،^(١)

فإذا دعت الحكومة مجلس شورى النواب إلى الانعقاد استبشرت الصحافة بهذه الخطورة وأملت في أن يضرب المثل على حيوته حتى يحس الناس وجوده ، وتحدثت عن اعتنائه بأنهم قوم لا تأخذهم في الحق لومة لأنهم مع العلم بواجباتهم وحقوق الأمة وما بها من الآلام وبودهم لو افتدوا الإصلاح بدمائهم ،^(٢) فإذا تم انعقاد المجلس في ٢ يناير ١٨٧٩ تشجعت الصحف بوجوده وانتقلت إلى معارضتها الحكومة في سفور وفي غير تحفظ ، فلمات على ريفرز واسن الذي ليس مسوح الرهبان حتى تمنت البلاد وجوده على مايتها فلما تحقق له ذلك ألم الفلاح بدفع الأموال المتأخرة في السنوات الثلاث الماضية ، مع غرق الأرض وشرقها فإذا لم يرض الفلاح بدفع هذه الأموال المتأخرة ألموه أولاً ببيع أرزاوه ومحصولاته ثم بيع مواسيه وأطيانه وجميع عقاراته ، بل زاد على ذلك بأن أمر بالاستعانت بالتساوية القديمة ، وعلقت على ذلك بأن السياسة القاسية لا تتفق مع حملات ولسن في تقريره عن العهد القديم ثم تفصل ظلمه وجوره في رفت المستخدمين المشهورين بالخدمات الصادقة ، ثم تعاقدوا على مجلس شورى النواب في رفع المظالم جميعاً .

والصحافة تشجع مجلس النواب وتعضده كما شجعها وجوده فهي تذكر أنباءه كأهم ما يعني المصريين من أخبار منتشر المقالة الخديوية والرد عليها ، وتبز بعض النواحي في هذا الرد وتشير إلى الجل القوية فيه مثل مخاطبة الخديو بأنهم نواب الأمة المصرية ووكلاوها المدافعون عن حقوقها الطالبون لصلحتها ، ثم يتحدث الكاتب عن مجلس النواب .. وهو السبب الموجب لنوال الحرية وهو الباعث الحقيقي على بث المساواة في الحقوق ، ثم يذكر مجلس النظار المسؤول أمام الأمة

(١) الوطن في ٢١ ديسمبر و ٢٨ ديسمبر ١٨٧٨

(٢) التجارة في ٢٣ ديسمبر ١٨٧٨

ويشير المحرر إلى جملة هامة صدرت من مجلس النواب إلى الخديو على اعتباره
ملكًا لمصر المستقلة، ونعلن من صميم القواد سرورنا ومكال ابتهاجنا بما تشرفت به
مسامعنا من خطاب جلالتكم، ثم يقرر المحرر أن مقالة الخديو ورد النواب أو جدا
جواً من الشقة وأحياً آمال هذه الأمة التي لاتزال راجية أن تinal شرفها التلميذ «الذى
شهدت به التوارىخ وأنبأت به الآثار»⁽¹⁾.

وإن هذه التحية التي يلقاها مجلس النواب من الصحافة الشعبية لا تحملها على التهان في أمور البلاد إذا قصر المجلس في واجب من واجباته فهي تبيث شركوها لظلم الموظفين الوطنيين وخاصة في السكة الحديدية، وتبدى دهشتها من انصراف المجلس عن بحث مثل هذه الحالة فقد «كان بودنا أن مجلس شورى النواب الذي انعقد وضررت له المدافع أن يكون عن الوطن خير مدافعا»

وتنمى الصحف في تهيئة الأفكار وتفتيق الأذهان وتفسير بين آن وأن
اقتراحات النواب أو لوايهم كما تسميه ، فتذيع مع التقدير والتشجيع اقتراح
 محمود بك العطار وبعد السلام بك المولى عبده بالغاء الضرائب القديمة دفعه واحدة
 وفرض ضرائب جديدة لا ترهق الفلاح ، ولكن رئيس الحكومة لا يعترف

(١) الوطن في ٤ و ١١ يناير ١٨٧٩

(٢) الوطن في ٢٥ يناير وأول فبراير ١٨٧٩

بحق النواب في ذلك ولا يرفضه، أيضاً وتعرض جريدة التجارة هذه الحالة في أسلوب عنيف وحجة قوية وتدكر في شيء من الفخر بأن هذا البيان، بيان النائبين علم الناس، أن في السويداء رجالاً سودتهم نقوسهم فلا تسام خسفاً ولا تضام عسفاً^(١).

ثم تعالج الصحف أسلوب ولسن في الحكم وطراوئه في التفريق بين طبقات الأمة وبذر عوامل الفتنة بينها بتفضيله قوماً على قوم، هو يبسط السوط لجيء الضرائب من الفلاح وهو عار تقتله المسغبة ثم يأذن، بصرف شهرين للعلماء الكرام إجازة لسؤالهم، وتروي هذه الفضيحة في سياسة وزير المالية الإنجليزي وتعجب للعلماء من موقفهم «لأنهم لم يراعوا إلا أنفسهم ولم يسألوا إلا إجراء أرزاقهم خاصة. وكان العهد بهم أن يؤثروا الغير على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة لوقفهم موقف الرئاسة والإمامية وعلمه بأن الذين لهم أرزاق متأخرة في الرز念ة هم ما بين يتم وأيم و زمن ومقدار وغيرهم من لا يستطيعون حراكاً لإصابة الرزق من غير هذا الباب»^(٢).

في مثل هذا الأسلوب القوى عاجلت الصحافة المصرية شتون مصر متخطية جميع الصداب الرسمية من إنذار و تعطيل مؤقت ، فتحدثت عن مساوىء البطانة الخديوية والوزارة النوبارية معاً، وهاجمت الأجانب وزيرهم، وشجعت مجلس النواب وأتاحت له فرصة الظهور ومدت رجاله بالرأي المديد الموفق وناقشت أموره الفقهية كواجب انتخاب رئيسه لتعيينه وحقه في فرض الضرائب والمسؤولية الوزارية^(٣) كما بحثت في وجوب فرض الضرائب على الأجانب وخاصة الوزراء الذين يتقادرون بنحو ستة آلاف جنيه في السنة من شعب يتشدقون بإفلاته، غير فصوتها الأخرى في المسائل المالية الدقيقة كالدين الموحد والثقة المالية والنقد.

ومهما يكن قضاة المؤرخين في الوزارة النوبارية التي ضمت وزرين أجنبيين

(١) التجارة في ٣ و ١١ يناير ١٨٧٩

(٢) التجارة في ١٨ مارس ١٨٧٩

(٣) الوطن في ١١ يناير ١٨٧٩

فإنها صاحبة فضل على الصحافة الشعبية وهو فضل غير مباشر؛ فقد تولى نوبار
الناظارة طبقاً لمرسوم ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ وهي أول وزارة في تاريخ مصر الحديث
تتحمل المسئولية الوزارية، والمسئولة الوزارية تستوجب الحذر أحياناً وتفترض
سعة الصدر فتعامل الصحافة بالرفق والتلطف وحسن البيان، كما تقول جريدة
التجارة وخاصة أن الوزارة ضمت ناظرين أجنبيين وهي صدمة وطنية أحسّ أثرها
العامة والخاصة على السواء، فقد كان المعروف أن الوزارة برمتها جاءت لتفرض
الأزمة المالية يعني جاءت لتحمي مصالح الأجانب وترد إليهم أموالهم بشتى الطرق.
ولم يقف سلطان الوزراء عند هذا الحد بل تدخل في شئون الدولة جميعاً، فبدأت
الصحافة تصور هذا التدخل بمقابلات سياسية ذكرنا طرفاً منها وكان لها أبعد الأثر
في أعيناء مجلس شورى النواب، فنشط أعضاؤه وأخذوا على عاتقهم مهمات تتبعها لاحقاً
المجلس الأولى ولكنهم تشجعوا بعد أن رأوا في الصحف قوة تنصرهم وتدفعهم
وتحميهم فقد كانت لهم في هذه الأيام بذلة المصالح في ظلمات الأحوال، (١)
ثم أدت هذه الوزارة بأزماتها مع الموظفين ومشا كلها مع ضباط الجيش (٢)
إلى اتفاق بين الصحافة والخديو لم يكن مكتوباً أو منصوصاً عليه ولكن كنهه كان اتفاق
مصلحة مشتركة اقتضتها الظروف القاسية على الطرفين، فالحكومة تشجع الصحف
على إظهار ظلم بطانة الخديو ثم تشجع الفلاحين والسرأة على كتابة العرائض فيها
أصحابهم من غبن على يديها (٣) ويستقبل ريفروز ولسن هذا كله استقبالاً حسناً
ثم لاخرج الحكومة من ورطة إلا لتفعم في أخرى وتنقلب الحال وتبدأ الطبقات
شكاها من العهد الجديد الذي ساوي العهد القديم في الظلم وزاد عليه أنه جرح
الكرامة المصرية بتعيين وزيرين أجنبيين في بلد مستقل؛ وكان من أظهر الطبقات
ضيقاً وتبمراً ضباط الجيش الذين أحيلوا إلى المعاش فهؤلاء مثلوا المصريين جميعاً
بالظلم الذي وقع عليهم والثورة التي قاموا بها، وأثر عن هذه الحركة تيارات خفية

(١) التجارة في ٥ فبراير ١٨٧٩

(٢) الرأفي . عصر اماعيل ج ٢ ص ٢٠١ - ٢٠٧

(٣) التجارة في ٢ يناير ١٨٧٩ وقد نشرت عريضة محمد بن سويف عما فيه الناس من ظلم

وعلنية بين المشايخ والأعيان وبين الخديو، وقامت الصحافة تمثل هذه الحياة الشائرة على الحكومة والأوضاع المعمول بها فقد ذكر علو همة الضباط الشاريين وعدالة مطاليهم (١) ثم تلح في وجوب اتفاق الحكومة والشعب على إنشاء برمان مسئول يجعل غايته أن تكون مصر للمصريين وحدهم (٢).

لم تفلح الحكومة المصرية برئيسها نوبار باشا وزيرها الأنجليزيين في توجيه حياة المصريين إذ أصبحت حالمهم أسوأ مما كانت قبل تولية الحكومة النوبارية أمور البلاد، وضج البرلمان الانجليزي نفسه وصور المصريين في عهد هذه الحكومة بأنهم أصبحوا بسياستها مجرد أشباح، (٣) وشاركته في ذلك الصحافة الانجليزية وعلى رأسها التيمس إذ تقول إن مجلس النظار يستبد بالأمر دون رئيس الحكومة الذي منح حكم بلاده، والإدارة تنتقل شيئاً فشيئاً إلى أيدي الأوربيين والمناصب العالية مغلقة في وجوه المصريين، مع أن مصر مهمماً لغت بها الحال ملك مصر بين، (٤)

هذا حكم الانجليز على الموقف وهم أصحابه فلا عجب أن وزعت المنشورات ضد الحكومة وأعضائها (٥) واشتدت الصحف شدة لم يعهد لها النظار فكتبت التجارة مقالاً عنيفاً ضد ولسن لإغفاله مجلس شورى النواب فعطلت خمسة عشر يوماً واستقبلت أمر التعطيل باصرار على المعارضة، فإن التجارة ت慈悲 حب الوطن ديناً والمدافعة عنه جهاداً فان عاشت فيه فهي سعيدة وإن ماتت فهي شهيدة ولقد أتتها الله النعمتين وأتاحت لها الحسينين فعاشت به وما تلت عليه وستبعث بعد أسبوعين رافلة في ثوب الشهادة من ينة بخلي السعادة على رغم أنوف حاسديها الذين أولوا كلامنا إلى مالم نقصد وحاولوا إطفاء نور الحق ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المبطلون، (٦)

(١) التجارة ٨ و ١٣ مارس ١٨٧٩

(٢) التيمس ٦ و ٢٨ أبريل ١٨٧٩

(٣) مضايقات البرلمان الانجليزي الجلد ٤ عام ١٨٧٩ ص ٨٣٨ — ٨٤١

(٤) التيمس في ٣ مارس عام ١٨٧٩

(٥) الأستاذ الإمام ج ١ ص ٢٣٨

(٦) التجارة في ١٣ فبراير ١٨٧٩

لم تستطع الحكومة التوبارية أن تواجه الحالة فاضطرت إلى الاستقالة وتولى توفيق باشا ولـي العهد رياستها وأبقى الوزيرين الأجنبيين في مكانهما القديم، وزاد سلطانهما بما منحه من حق ^{القىتو} على قرارات مجلس النظار (١) يـدـ أن بنـيانـ الحـكـمـ بـقـيـ مـتـصـدـعاـ بـالـرـغـمـ مـنـ وـلـاـيـةـ توـفـيقـ لـرـئـاسـةـ الـحـكـمـةـ . وقد استقبل مجلس شورى النواب الـوزـارـةـ الجـديـدـةـ أـشـدـ مـعـارـضـةـ ماـ كـانـ فـرـأـتـ الـحـكـمـةـ أـنـ تـفـضـ هذاـ المـجـلـسـ ؛ وـكـانـ فـيـ وـسـعـهـاـ أـنـ تـصـنـعـ ذـلـكـ دـوـنـ أـنـ يـخـسـ الرـأـيـ الـعـامـ مـاـ صـنـعـتـ ، وـلـكـنـ الصـحـفـ تـفـوتـ عـلـيـهـاـ هـذـاـ الغـرـضـ وـتـهـاجـمـهـاـ وـتـنـصـرـ الـنـوـابـ وـتـشـجـعـهـمـ وـتـعلـانـ مـوـقـفـ الـمـوـيـلـحـيـ عـضـوـ الـمـجـلـسـ مـنـ عـطـوـ فـتـلـوـ رـيـاضـ باـشاـ الـذـيـ حـضـرـ إـلـيـ الـمـجـلـسـ لـيفـضـهـ حـتـىـ إـذـاـ ذـكـرـ الـوـزـيرـ شـكـرـهـ لـلـخـدـمـاتـ الـتـىـ قـامـ بـهـاـ الـمـجـلـسـ ذـكـرـتـ الـوـطـنـ مـوـقـفـ الـمـوـيـلـحـيـ الـذـيـ اـنـبـرـىـ لـلـوـزـيرـ مـخـتـجـاـ بـأـنـهـ لـاـ مـعـنـىـ لـتـشـكـرـاتـ الـحـكـمـةـ فـانـهـمـ — أـىـ الـنـوـابـ — لـمـ يـبـدـواـ مـأـثـرـةـ قـنـشـرـوـلـمـ يـفـعـلـوـ شـيـئـاـ يـسـتـحـقـونـ عـلـيـهـ الشـكـرـ وـالـامـتنـانـ وـأـنـهـمـ مـصـمـمـوـنـ عـلـىـ دـوـامـ اـنـعـقـادـ الـمـجـلـسـ إـلـىـ آـخـرـ هـذـاـ الـحـوارـ الـبـدـيعـ بـيـنـ الـقـائـمـ وـالـوـزـيرـ .

وـقـدـ أـخـذـتـ الـجـرـيـدـةـ تـعـلـقـ عـلـىـ ذـلـكـ كـلـهـ وـهـىـ تـلـمـسـ لـلـنـوـابـ مـخـرـجاـ مـنـ الـحـرجـ الـذـيـ دـفـعـتـهـمـ إـلـيـ الـحـكـمـةـ ، هـذـاـ الـحـرجـ الـذـيـ يـحـرـمـهـمـ مـوـاجـهـةـ نـاخـبـيـهـمـ وـالـتـحدـثـ عـلـيـهـمـ لـمـ يـفـعـلـوـاشـيـئـاـ حـقـاـ وـلـمـ يـقـوـمـاـ بـوـاجـبـهـمـ الـمـفـرـوضـ عـلـيـهـمـ أـدـاؤـهـ ؛ وـالـجـرـيـدـةـ تـرـىـ مـنـ وـاجـبـهـاـ أـنـ تـذـيـعـ عـلـىـ النـاسـ ذـلـكـ الـمـوـقـفـ وـلـيـشـهـدـوـاـ الـمـعـرـكـةـ بـيـنـ الـاستـبـادـ وـالـحـرـرـيـةـ ، وـلـيـسـ هـذـاـ فـقـطـ بـلـ هـىـ تـحـرـضـ بـقـيـةـ الـهـيـنـاتـ الـأـخـرـىـ عـلـىـ مـعـاصـدـةـ الـنـوـابـ وـتـشـجـعـهـمـ وـتـدـفـعـ الـجـاهـيـرـ إـلـىـ شـدـأـزـرـهـمـ ذـاـكـرـةـ أـنـ مـجـلـسـ الـنـوـابـ الـمـصـرـىـ تـهـزـأـ مـنـ الـحـكـمـةـ وـتـرـاهـ لـاـ يـعـادـلـ مـجـلـسـ الـنـوـابـ الـبـلـغـارـ مـعـ الـفـارـقـ الـكـبـيرـ بـيـنـ الـبـلـدـيـنـ وـبـيـنـ الـشـعـبـيـنـ وـبـيـنـ مـوـارـدـ كـاـيـمـاـنـ تـطـالـبـ بـتـنـقـيـعـ قـانـونـ الـمـجـلـسـ الـقـدـيمـ إـنـ كـانـ لـهـ قـانـونـ كـاـنـقـولـ هـىـ ؛ عـلـىـ أـنـ يـرـاعـىـ فـوـضـعـ قـانـونـهـ ظـرـوفـ الزـمـانـ وـالـمـكـانـ كـاـ أـلـحـتـ فـيـ إـطـلاـقـ حـرـيـةـ الصـحـافـةـ وـسـنـ قـانـونـهـاـ يـنـظـمـ أـمـورـهـاـ . (٢)

لم تستطع حكومة ولی العهد أن تواجه الجماعة الصحفية بحزم مع أن الحكومة جمعت أصحاب (الجرانيل) وأكبدت عليهم بعدم درج شيء في جرانيتهم مما يتعلّق بمجلس الشورى والآجانب^(١)

وليس الصدفة وحدها التي زللت الحكومة وطُوحت بها بل للخديو نفسه دخل في ذلك ، لمجلس شورى النواب نصيب غير منكور ، فلم يعد هزوة فقد أظهر أعضاؤه أدلة كثيرة على وجودهم واستقلالهم ، كما تقول التيمس^(٢) ولم يمهل بعض أعضاء المجلس والأعيان الوزارة فأخذوا يحضرون الجاهير على السخط على الحكومة فدعى بسقوط رياض وغيره من الوزراء في المساجد والجوابع^(٣) ثم اجتمعوا على هيئة

«جمعية وطنية» ووضعوا مشروع تسوية مالية^(٤) وطالبوها بتتعديل نظام مجلس

(١) الرافعى — عصر إيماعيل من ٢١٣ (٢) التيمس في ١٥ أبريل ١٨٧٩

(٣) وثيقة رقم ١٠٥ ص ٦٥ Blue Books 1879.

(٤) قال مکاتب التجارة في العاصمة في ٥ أبريل ١٨٧٩ بعد أن تحدث عن الجمعية التي انعقدت في منزل راغب باشا «وبلغني أن جماعة من التجار وغيرهم وفيهم حضرة الفاضل أمين أفندي شيل نزعت بهم غيرتهم إلى تقرير أمر يحاولون به تخليص الوطن من أمر الدين في ظرف ثمانية وعشرين سنة وهو أنهم ينتظرون بذلك وطننا يكون رأس ما له أربعة عشر مليونا من الجنيهات تجتمع من سائر أفراد الأمة على أقساط ثلاثة أو أربعة» ويقول في ١٧ أبريل ستكون إدارة البنك وطنية وسيعدل بنك إنجلترا ويفوق بنك فرنسا بستة ملايين ومن فوائده : (١) توطين الدين العام وبذلك تقوى القراطيس المالية في السوق (٢) حصول الحكومة والبنك على كوبونات عشرة ملايين من غير مقابلة (٣) انتظام تجارة البلاد وزراعتها فيقبل الآهالى على المشروعات والشركات النافعة (٤) استهلاك مقدار وافر من ديون الحكومة وبذلك تخلص البلاد من الاستعباد الأجنبي . وتحترع الفكرة كما تقول التجارة مقالات أخرى سياسية واقتصادية هنا وهناك وهو أمين أفندي شيل

شورى النواب على غرار المجالس الأوروبية (١) وأقر الخديو وجهة نظر الوطنيين ودعا شريف باشا إلى تأليف حكومة وطنية جديدة (٢)

كان انتصار وجهة النظر الوطنية انتصاراً للصحافة المصرية التي ساهمت في ذلك مساهمة تحملت أثقالها وحدها من التضييق والإذلال والتغليق، لذلك احتفلت بتعيين شريف باشا رئيساً للناظارة احتفالاً عاماً، فنشرت الصحف كتاب الخديو للقتاصل الذي تضمن موافقته على اللائحة الوطنية وتعيينه لشريف باشا وأبرزت في إعجاب قوله «إن الأمة قد أجمعـت على تنفيذ مقترضـى هذه اللائحة ومعلوم لجـنـابكم أن الأمة إذا اتفـقت كـلـتها وإن عـلـى خـلـع مـلـك أو سـلـطـان فلا بد من تنـفـيـذ إـرـادـتها وإـجـابـة رـغـبـتها» (٣)

ولم تقـلـ الجـريـدة بـخطـورة هـذا التـصـرـح وـصـدقـه في تـقـدـيرـ الخـديـو لـقوـيـ الـأـمـمـ وـسـلـطـانـهاـ، ثمـ أـخـذـتـ تـصـفـ حـفـلـاتـ الـابـهـاجـ بـالـحـكـمـ الـوطـنـيـ الـجـدـيدـ وـتـرـجـوـ فيـ الـحـاجـ رـجـوعـ الـجـلـسـ إـلـىـ ماـ كـانـ عـلـيـهـ مـنـ الـانتـظـامـ» (٤) ثمـ مضـتـ الصـحـفـ بـعـدـ تـأـلـيفـ النـاظـرـةـ الشـرـيفـةـ تـعـدـ مـآـسـيـ حـكـمـ الـوزـرـيـنـ الـأـجـنبـيـنـ وـتـفـسـحـ صـدـرـهاـ لـأـنـصـارـ الخـديـوـ فـنـشـرـتـ لـلـشـيـخـ عـلـىـ الـلـيـثـ مـنـشـيـ الـمعـيـةـ السـنـيـةـ، كـماـ جـاءـ فـيـ تـقـدـيرـهاـ لـهـ مـقـالـاـ ضـربـ فـيـهـ عـلـىـ الـحـطـ منـ قـدـرـ الـحـكـمـ الـسـابـقـ الـتـيـ تـعـدـتـ اـخـتـصـاصـهـاـ وـسـلـبـتـ مـنـ الـمـصـرـيـنـ حـقـوـقـهـمـ فـيـ تـوـلـيـ شـتـوـنـهـمـ كـماـ حـيـاـ الـوـطـنـيـنـ الشـائـرـيـنـ الـذـيـنـ صـنـعـواـ الـلـائـحةـ الـجـدـيدـةـ، ثـمـ مـضـيـ فـرـدـ الـفـضـلـ كـهـ إـلـىـ الخـديـوـ وـشـجـاعـتـهـ» (٥)

وـإـذـ كـانـ الصـحـافـةـ الـمـصـرـيـةـ عـبـرـتـ أـحـسـنـ تعـبـيرـ فـيـ تصـوـيرـ هـذـهـ الفـتـرـةـ مـنـ الـحـيـاةـ الـمـصـرـيـةـ حـتـىـ أـصـبـحـتـ لـسانـ الـحـرـكـةـ الـناـاطـقـ وـجـعـلـتـ مـنـ الـمـصـرـيـنـ «ـأـمـةـ»ـ كـاـيـقـوـلـ الخـديـوـ لـهـ خـلـعـ الـمـلـوـكـ وـتـوـلـيـ الـسـلاـطـينـ، فـإـنـهـاـ لـمـ تـنـسـ حـقـوقـهـاـ إـذـ أـدـتـ

(١) التجارة في ٢٧ أبريل ١٨٧٩

(٢) الواقع المصري في ١٣ أبريل ١٨٧٩

(٣) التجارة في ٩ أبريل ١٨٧٩

(٤) التجارة في ٣٠ أبريل ١٨٧٩

(٥) الوطن في ١٩ أبريل ١٨٧٩

التزاماتها من قبل ، فتحمل التجارة على الصحف المتشيعة للحكومة الأجنبية السابقة وتدرك ألوان الضيق التي ترتب على وجود إدارتين للمطبوعات ، أحداهما للصحف الفرنجية والثانية للصحف الوطنية ، فإنهما على طرق فقيض في معاملة الجرائد تلك تطلق لها العنوان ولا تعارضها فيما تقول مع كثرة وقوعها في الحكومة وافتراضها الكذب على الوطن وسعيها في إفساد القلوب والثانية تقف بالمرصاد لوريقاتنا القائمة بخدمة الوطن وتنوير بصائر عامتها وتفكيك خواطر خاصة مع صدورها عن الغيرة الصادقة والجمية الخالصة ومع صدق ولائمها وحسن طاعتها وغزاره فوائدتها تقول هذا وفي القلب حزارات من انقسام إدارة المطبوعات شطرين متباينين بخلاف ما هي عليه في الدولة العثمانية وسائر الدول في العالم المتقدم ولكن لاغرابة في هذا الحال فهو من آثار الوزارة الساقطة ، (١)



أبحث الصحف في عدالة المعاملة وهي

أرجو هذامن وزارة الأمة على حد تعبيرها فقد فرغت من ظلم العهود السابقة وهي تعلم أن خصومها واقفون بالمرصاد للشعب وصحافته فالجانب وحوكمة لم يرضوا عن هذا النصر الشعبي الملاحوظ في المواجهة على الأئمة الوطنية ، والخديو مهما يكن عطفه على هذه الحركات فهو لن يقبل انتقال السلطة من يديه ، وكذلك حال خصومها من الوزراء السابقين وخاصة رياض باشا الذي استعان بالنعمنة

على الكفران وجعل الجحود جزاء الإحسان فأغضض الأمة ب المسلمين أو نصاراها ويمودها ، ثم يستقبل أديب أسحق محرر التجارة حكومة شريف استقبالاً حسناً ، ويدافع عن سياستها في تحصيل أموال لسد النفقات والديون ، ويذكر أن الكرجاج لم بعد

أديب أسحق محرر جريدة
مصر والتجارة

أسلوب جي الضرائب وأن الرئيس يجمعها ، بالتشجيع على الدفع عن طريق الوطنية ، ثم يطلب من المتخرصين الأزواط لأن الاستقلال والحرية اللذين يشتريان بالدم والروح يمكن بذلك المال للمحافظة عليهم ، وهي تعرض ما قالته بعض الصحف الأجنبية في مصر شهادة منها لوطنية المصريين في دفع المتأخرات المالية عن رضاه واطمئنان (١)

ولم يرض صاحبوا الأهرام وصحفهم عن سياسة الخديو فيعارضها معارضه ملؤها العنف حتى صدر الأمر بإيقاف الأهرام وصدى الأهرام ومحاكمة صاحبهم ، ولكن الحكومة تعود فتجيز نشر الأهرام وحدها (٢) وتأنب الرجوع عن غلق صداه (٣) ولم تفرح التجار وهي خصمها العتيد لهذا الإغلاق فهو شيء لا ترضاه على كل حال لذلك كتبت تأسف على ذلك لعلهم بما يترب على الجرائد من الفوائد فإنها واحدة ثلاثة هي محور التهذيب نريد المدارس والجرائد والكتابات ، (٤) ثم تعقب في العدد التالي متوجهة إلى أولى الأمر آملة « من حكمتنا السنوية الآخذة الآن بباب الشورى أن تنظر إلى الجرائد بعين الرفق ولا تمسها إلا بالمؤدة فهي واسطة الماء الماء بينها وبين الرعية فإن فنيت وهي لسان الحال فإن هيمنتنا المدنية تكون خرساء لا تحسن النطق فضلا عن البيان ، (٥) »

فالصحف المشابهة للحكومة المصرية تغار على كرامة الحكم المصري فتجادل خصومه بشدة ولو كانت صحفا مثلها كما أنها تأبى أن ينزل بدولتها عقاب قد يؤثر عليها فيما بعد فقد اتفق عن الأهرام وصداه وتدكر أن إيقافهما ساءها وتدكر المسؤولين بفضل الصحف وضرورة الإبقاء عليها ماعن أن صدى الأهرام اتخذت موقف الخصم من الخديو وحكومته ونقدت تصريحاته وللنعم فأصدرت الحكومة أمرها بإغلاق

(١) التجارة ٣٠ أبريل ١٨٧٩

(٢) محفوظات وزارة الداخلية ١١ - ٢ - ٩٤٦ جزء أول

(٣) أوقف صدى الأهرام لمقالة شديدة نشرها في ١٠ صفر عام ١٢٩٦

(٤) التجارة في ٢ مايو ١٨٧٩

(٥) التجارة في ٣ مايو ١٨٧٩

صدرى الأهرام ولسكن صاحب الأهرام لا يقر السلطات على ما فعلت ولا يطعن أمرها ويمضي في جريدة ينشر بالخديو ويصفه بأقبح الأوصاف ويعلن بأنه صرف مائة ألف جنيه من دم الفلاح ، فإذا قبض على صاحبه وأغلقت الصحفية تدخلت القنصلية الفرنسية وكتبت في هذا الشأن خطاباً للخديو إسماعيل (١).

ثم تدخل توفيق ولـى العهد ، وكان شفيعاً لـصـاحـيـرـ الـأـهـرـامـ ، فـأـجـازـتـ الـحـكـوـمـةـ
بعـدـ لـأـىـ أـنـ يـعـوـضـ سـلـيـمـ عـمـاـ فـاتـمـ بـمـنـجـهـ تـرـخـيـصـاـ لـصـحـيـفـةـ جـدـيـدةـ هـيـ جـريـدةـ
(ـالـوقـتـ) الـيـوـمـيـةـ السـيـاسـيـةـ وـهـيـ لـاـخـتـيـلـفـ فـيـ شـكـلـهـاـ وـمـوـضـوـعـهـاـ عـنـ أـخـوـاتـهـاـ
الـسـابـقـاتـ (ـ٢ـ) . وـلـمـ تـكـنـ الـأـهـرـامـ وـصـفـهـاـ وـحـدـهـاـ مـوـضـعـ الـمـؤـاخـذـةـ مـنـ الـحـكـوـمـةـ
الـمـصـرـيـةـ بـلـ كـانـتـ لـهـاـ زـمـيلـاتـ مـنـ أـهـمـهـاـ صـحـيـفـةـ الـوـادـنـ ؛ـ وـلـلـوـطـنـ فـيـ تـلـكـ الـأـئـمـاءـ
مـوـقـفـ يـدـهـشـ لـهـ المـؤـرـخـ ؛ـ حـقـآـ إـنـاـلـمـ تـكـنـ فـيـ يـوـمـ مـنـ الـأـيـامـ خـصـيـاـ لـرـيـاضـ باـشاـ
ذـاـتـهـ وـإـنـ حـلـتـ عـلـىـ الـحـكـوـمـةـ الـتـيـ كـانـ عـضـوـاـ فـيـهـاـ وـوـقـفـتـ مـنـهـاـ مـوـقـفـ الـمـعـارـضـةـ
الـصـرـيـحـةـ فـكـثـيرـاـ مـاقـرـأـ أـنـاـ مـدـيـحـهـ لـرـيـاضـ باـشاـ فـيـ أـئـمـاءـ وـجـودـهـ فـيـ الـحـكـوـمـةـ الـسـابـقـةـ
مـعـ مـقـالـ فـيـ نـفـسـ الـعـدـ ضدـ تـلـكـ الـحـكـوـمـةـ (ـ٣ـ)

والوطن على قدر مقالاتها الوطنية في حقوق الشعب واستقلال مصر نراها
تدعو إلى صرف الجيش لخدمة الزراعة ثم تطمئن الجماهير بأنه «إذا أم، صر أحد
بسوء دافعت عنه الانكلاتر أو فرنسا فإنها تعتبر تحت حمايتها»⁽⁴⁾ وهذا اتجاه لا يستقيم
مع منطق الــكفاح الذي كافته . ثم تغير رسالتها الصحفية دون أن تكشف
قناعها كشفاً يسمى جب مؤخذتها أو تعارض معارضة صريحة تبين مرماها واتجاهها
المجديين فلا تنشر مقالاً إلاً من قلم أصحابها بل تترجم معظم صفحاتها بما نشرته

مخطوطات عابدين Dossier N 44/4. (١)

(٢) محفوظات وزارة الداخلية - ١١ - ٢ - ٩٤٦ جزء أول

(٣) كتب توفيق حبيب مقالاً في مجلة مركزيس ذكر فيه أن الوطن كانت لسان حال رياض باشا (راجع مخطوطات وزارة الداخلية دوسيمه رقم ٤ مكرر) والواقع أنهما تك لسان

حاله لأن المثل التي دافعت عنها لا يهمها رياض

الصحف الخارجية في الوزارة الجديدة وخديو مصر، وهي أقوال بذلة جارحة
لولي الأمر ومشبطة للعزمات الوطنية. وفطنت إدارة المطبوعات إلى قصدها فوجئت
إليها إنذاراً على نشر أخبار غير صحيحة دون أن يراعى فيها الحال والزمان...
فإن الاستمرار على هذا السير في هذا الأوان مما يكدر الخواطر ويشوّش الأذهان
ولا يترتب عليه منفعة لأهل الوطن كما هو الغرض الأصلي بل ينتج منه ضرر بين
يسكب تعلق الأفكار بما لا يغنى، (١)

ولم يستطع الصحف العربية وحدها إلى اضطراب موقفها هذا إلا الضطراب
فانقسمت أحوازاً بينها صحف فرنجية كانت في أكثرها خصماً للخديو وحكومة
الجديدة وفي مقدمة هذه الصحف الأجنبية في مصر جريدة لاريفورم (La Réforme)
فقد دأبت على تسيفيه الرأي العام المصري ورواية الأخبار الكاذبة عنه وتشويه
حركاته السياسية السليمة فادعت أن بعض الذوات قد أمضى اللائحة الوطنية مقابل
أربعة آلاف جنيه على سبيل الرشوة، وأن غيرهم من النواب ذهبوا إلى القنصل
الإنجليزي يؤكدون له بعدهم عن هذه الحركة وأن كثيرين من سراة الأقاليم وعيون
مصر أبوا التوقيع على هذه اللائحة خافة أن يعود إلى مصر استبداد اسماعيل.
وردت عليها (التجارة) ردآ حازماً فسكنذبت كل ماجاء في مقال لاريفورم وحملت
عليها حملة شعواء (٢). ومن غريب المصادفات أن تكون مكتبات القناصل لوزراء
خارجيتهم متتفقة مع المعانى التي أعلنتها الصحف الأجنبية في مصر، فنجد قول قنصل
إنجلترا عن جيضرائب بالسوط وإسراف المديرين الذين فصلتهم وليس في
جيبيها واقتراب الفلاحين لتسديدها (٣) تجده هذه المعانى منشورة في تلك الصحف
وتقاد تقف جريدة (التجارة) وحدها في الميدان الوطنى تقارع خصوم الوطن
من الأجانب والمصريين ومن صحف الأجانب والمصريين أيضاً، تقاد تكون
وحدها لأن زميلتها جريدة (مصر) «هلاكـت في مقام الجهاد» (٤) في سنة ١٨٧٩

(١) الوطن ٨ مارس ١٩٠٦ أبريل ١٨٧٩ (٢) التجارة ١٠ أبريل ١٨٧٩

(٣) الكتب الزرقـاء، وثيقة ١٥٦ مايو ١٨٧٩ (٤) مصر ٧ ديسمبر ١٨٨١

ولذا كانت الصحف المصرية في عمومها قد اعتنت بالنواحي السياسية التي شغلت خاصة المصريين من السرة والأعيان وأعضاء المجالس النيابية كتفاصيل الانتخاب ولمن يكون الحق فيه من المصريين والشمرقيين المقيمين في مصر (٢) أو الاختلاف على لائحة المسئو تريكيتو التي تعارض اللائحة الوطنية (٣) أو تفاصيل المسألة المالية إلى ناقشتها مناقشة العليم الخبير بأصول المال ومشاكله (٤)، ، نقول إذا كانت الصحف اهتمت بهذه المشاكل المختلفة فإن (مرآة الشرق) كان لها اتجاه مختلف بعض الاختلاف عن هذه الصحف فقد عالجت (مرآة الشرق) المسائل الاجتماعية والسياسية في الخارج فناقشت المذاهب السياسية في روسيا « كالسوسيالست والنيلست، أى حزب المساواة والكومون أى الإباحيين، (٥) ثم تفصل أساليبهم وأغراضهم في أكثر من مقال، ثم تعقب على ذلك بأن ظهور مثل مذهب الكومون صر جهه ظلم الراعي للرعية، وتحمل على قيسرو روسيا الظالم المستبد ثم تحمد للحكومة المصرية أنها قررت الشورى للبلاد « فعلتنا آمنين شر الفتن والفاتحين » . وتتجه في معارضتها اتجاهها اقتصاديا وهو غريب جداً في ذلك الزمن ، هي لا يعنها أمر البرلمان ولا تفاصيل الانتخاب بقدر ما يعنها أمر أؤها الذين ، في غفلة لا يرفعون رؤوسهم عن وسائل الغرور ولا يقتصر عن تشريح الفصور ولا يفيقون من سكر الله ولا ينهضون من حطة الإهمال ، نبذوا مصالح البلاد وراء ظهورهم ونحن آلة بيد غيرنا يستعملها لمناقشته الخاصة كأن لم يكن صانع العالم قد منحنا استقلال

(١) مرآة الشرق ٧ مايو ١٨٧٩

(٢) التجارة ٩ يونيو ١٨٧٩ (٣) التجارة ٦ يونيو ١٨٧٩

(٤) الوطن ١٠ أبريل ١٨٧٩ (٥) مرآة الشرق ٥ مايو ١٨٧٩

الوجود، ثم تعاتب الإنجليز على موقفهم من مصر ولا تفوت الجملة على الفرنسيين
معهم؛ ثم يربط محررها إبراهيم اللقاني فساد الحال في مصر بفساد أخلاق
الأمراء وولاة الأمور وجهلهم بواجباتهم وسوء تدبيرهم واحتلال إدارتهم . . .
لا يعرفون شرعا ولا يرضون قانونا ولا يسمعون رأيا ولا يقبلون نصيحة بل تعدوا
الحدود وانتهكوا المحارم وثبتو الأعراض وحاربو العدل وقاوموا الإنفاق
خطفووا وبغوا ونهبوا وسلبوا وفكروا وهمتوا حبا في أغراضهم وكراهة لشهوتهم،
ثم يواجه الرأى العام بأهم ما يمكن أن يلتفت إليه الرأى العام في ذلك الوقت قائلة
«إنهم شادوا القصور وغرسوا البساتين واقتنوا الحور والولدان ، وتألقوا في
المأكل وتفنعوا في المشارب؛ وزينوا الملابس وسحبو مطارات العجب والخيال»
وأفراد الرعية على مرأى منهم حفاة عراة يتضورون جوعا ويقلظون ظماً ويموتون
برداً،^(١)

اشتغلت الحكومة الشرقية بوضع دستور «على أحد المبادئ العصرية»
وإن لم توافر ظروف إسماعيل لإعلانه والعمل به^(٢) كما عنيت الحكومة بالحالة المالية
وتسديد ديونها وأصدرت المراسيم في أبريل لتكلف طمأنينة الأوربيين على
أموالهم؛ ولكن ذلك كله لم يرضهم فطلبت الحكومة الإنجليزية والفرنسية
عوده الوزيرين الأجنبيين إلى الوزارة، فرفض الخديو ذلك وأحسن الدائتون أن
هناك خطرآ على أموالهم في مصر ما بقي الخديو على رأس الدولة يشجع بذلك
وقوة إرادته الحركة الوطنية وصحافتها على مناضلة خصوم مصر من الأجانب
ومصربيين جميعاً؛ وارتبط هذا المشاطط الوطني ب الدفاع الصحافة عن حقوق مجلس
النواب عند نظر الميزانية، وأبى بعض الصحف الفرنسية إلا الجملة على الخديو
وحكومته، ولم تبد تركيماً أى ميل لمعارضة إسماعيل أو تشجيع الحركة الدستورية
في مصر. وقد تجمعت كتلة من العيون والعلماء ورجال السياسة وراء إسماعيل تنصره

(١) مرآة الشرق ٢٨ أبريل وأول مايو ١٨٧٩

(٢) الامر في ١٣ يونيو ١٨٢٩ صحافة

في موقفه أمام الأوربيين، ولم تسكن الصحف تؤازره هرذاهه بل إن بعضها
كرأة الشرق دأبت على التعریض بأمراء الأسرة وحكام الأقاليم الذين عينهم
اسماعيل، ذلك لأن الصحافة كانت تمقتهم، فقد اعتبرتهم علة شفاء مصر وبلامها
وتحدثت في ذلك حديثاً مستفيضاً لما تم عزل الخديو في ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩.

وتنشر (مرآة الشرق) في ٣٠ يونيو مقالاً رائعاً ينطوي على تورخ به عبد إسماعيل، فهـى تذكـر ملـكـ الزـاهـرـ وبداـيـتهـ الحـسـنةـ في تـبـويـرـ الـأـذـهـانـ وـخـدـمـةـ الـبـلـادـ، ولـكـنهـ أـسـاءـ أـخـتـيـارـ الرـجـالـ فـوـظـفـ لـحـكـومـتـهـ ، الـأـمـينـ وـالـخـاـنـ وـوـغـلـ عـلـيـهـ الصـادـقـ وـالـمـائـانـ فـيـادـرـواـ الزـرـعـ قـبـلـ إـبـانـهـ وـالـثـرـةـ قـبـلـ نـضـجـهـاـ ، ثـمـ يـذـكـرـ الـحرـرـ آـثـارـ هـذـاـ الـفـسـادـ الـذـىـ أـخـذـ عـلـيـهـ نـظـامـهـ جـمـيعـاـ وـخـاصـةـ فـيـ الـمـسـائلـ الـمـالـيةـ ، فـكـانـ كـلـمـاـ تـخلـصـ مـنـ نـابـ ذـئـبـ وـقـعـ فـيـ مـخـلـابـ أـسـدـ . فـاتـهـ أـمـرـهـ بـانـصـدـاعـ الـعـزـمـ وـاـشـتـدـادـ الـأـزـمـةـ ، ثـمـ يـعـودـ إـلـىـ مـعـاـونـيـهـ وـرـجـالـهـ مـرـةـ أـخـرىـ ، مـنـ قـدـمـتـهـ الصـدـفـ وـأـعـلـتـهـ الـاـتـفـاقـاتـ وـهـوـ عـلـىـ خـشـونـةـ الـبـداـوةـ وـقـسـوـةـ الـوحـشـيـةـ لـاـ يـرـعـيـ لـلـقـوـانـينـ حـرـمةـ

ولا للعهود ذمة ، ثم يفصل دور هؤلاء في تسلیم البلاد للأجانب « حتى كاد يتم لهم الدست لو لا بقية حمية في نفوس المتصرين من أبناء البلاد » ، ثم يعطف على توقيع الخديو الجديد ويرجو أن تكون بطانته خيراً من بطانته أبيه وأن يطرد الذئاب من الدولة ثم يلفت نظره إلى الإصلاح وفي مقدمته « نشر علم الحرية في الأفكار والأقوال والأعمال » ، ثم تتوجه إلى الدول فتشن على فرنسا التي كان لها دخل في خلع الخديو وحالات دون استبداد انجلترا بمصر « تلك الدولة الشرهة النهمة ذات المحبة الدائنة المفرطة » . أما جريدة (التجارة) فتتوعد اسماعيل في آخر يوينيه بغير إفراط في ذمه وإنما ترجو الله أن يعاد البناء العظيم « على أساس الشورى وقواعد الحق ودعائم الحرية » وقد ساءتها سخريات الوطن من الحزب الوطني ومن رئيس الناظار شريف باشا فإذا تعطلت بعض الصحف بأمر من الحكومة الشريفية لم تواسها كما صنعت من قبل بل نشرت خبر تعطيلها في مكان ظاهر منها وعلقت على الخبر قائمة إن ذلك التعطيل « أحدث عند الفتاة الوطنية سروراً زائداً » ، ثم ذكرت في خلال سطورها أنها صحف لا تؤازر المتطرفين في سياستهم (١) .

اهتمت الصحف الشعبية بالشئون السياسية اهتماماً شغل معظم صفحاتها منذ الحرب الروسية التركية ، ويظهر تاريخها بين هذه الفترة وبين خلع الخديو اسماعيل في نشاطها السياسي وهو نشاط يستطع مؤرخ مصر الحديثة أن يرجع إليه ويستقصى منه أحداث البلاد وهو مطمئن إلى صدق الرواية وسلامة التصوير بعد تحيص غير عسير ، ثم خرجت الصحافة الشعبية من انزوائها بعد الحرب الروسية التركية تتحدث عن حياة الشعوب والجماعات في أوروبا والشرق حديث الناقل عن صحف الغرب الباحث في أمثلات الكتب والمراجع بين حين وحين ، وأظهر من حمل القلم في هذا الميدان أصحاب الوطن والأهرام ثم الأفغاني وتلامذته في جراند مصر والتجارة ومراأة الشرق وخاصة عن الشئون الشرقية التي تخصصت لها الصحيفة الأخيرة في الخبر والموضوع .

(١) التجارة ٧ يوليو ١٨٧٩

ولا يقف فضل الصحافة الشعبية عند هذا الحد، فهي تدعو إلى تعليم الشعب وإنشاء الجمعيات الخيرية لتحقيق هذا الغرض، وتفتح صدرها لأخبار هذه المدارس الشعبية والجمعيات الخيرية وتحدث عنها وتصف حفلاتها وتقدم للجمهور بالثناء رحاحها، وتجدد جماعة مصر الفتاة وهي جماعة تكونت في نهاية عصر إسماعيل للنهضة بشئون التعليم ففتحت المدارس الليلية وتطوع شبابها لتعليم الجاهير . (٢) وتلاحظ الصحف الشعبية الشتون الداخلية الصغيرة فلا تنفل حادث عمدة أو مأمور يتبعين لها أنه لم يؤد وظيفته أداء حسناً وتشير على الحكومة بجزائه وعقابه ثم تلتف نظرها إذا تداعت قنطرة أو غرفت أرض زراعية حتى تقوم الحكومة برأب الصدع وسد المياه وتعويض أصحاب الأراضي الغارقة (٣) ويتولى مكتابوها في المدن والإقليم موافقتها مثل هذه الأنباء برقاً وبريداً، وبذلك أصبحت الصحافة الشعبية رقيبة على الحوادث الصغيرة كرقابتها على الحوادث الكبيرة . وقد خصصت هذه الصحف جزءاً منها لنشر بعض القصص المترجمة عن الكتب الأدبية الفرنسية أو نشر الكتب التاريخية ككتاب الجغرافي أو بعض

(١) التجارية في ٥ و ١٧ أبريل ١٨٧٩

(٢) التجارة في ٣ أبريل عام ١٨٧٩ (نقاً عن مرآة الشرق)

(٣) الوطن ٢٦ أكتوبر ١٨٧٨

الرسائل اللطيفة ، وهي في ذلك تقلد الصحف الفرنسية في مصر كأنها حفظت بالموضوعات الاجتماعية والعلمية والطبية (١) والمقالات التاريخية وغيرها في على النفس والمنطق (٢) وقد جادل بعضها ببعضها في هذه المسائل العلمية .

ومن أجمل ما حفل به تاريخ هذه الصحافة أنها كانت بعيدة أشد المعد عن التعصب الديني ولم تبحث يوماً في موضوع يشير هذه الناحية التي تبرأت منها القضية المصرية في ذلك الوقت ، وكان المصريون يشعرون بجانب هذه الصفحة الطيبة أن الزعامة الصحفية لم تكن لهم ، لأن محرري هذه الصحف وأصحابها في أكثرهم غير مصريين وهذا في الواقع مصدر من مصادر التصدع في الوحدة الصحفية المصرية ، وكذلك كانت بعض الصحف المصرية أو المتمسكة تعتمد في حياتها على الفنصلية الإيطالية أو الفرنسية أو الروسية ، ومن هنا ظهر هذا الخلاف العميق بين هذه الصحف على مسائل مصر العليا وهي من الوضوح بحيث كانت تستلزم وحدة الغرض والاتجاه ووحدة الميل وللآراء . وهكذا أصبح جزء من الصحف يعيش مطمئناً إلى قوة تحكميه من بطش الحكومة وأصبح جزء آخر ضحية السلطات المصرية وقانون المطبوعات ، لاتخديمه سلطة من السلطات التي دافعت وحمت غيره من سلطان العسف والاضطهاد .

وللصحف الشعبية فضل عظيم على نشر المطابع الحرة ، فقد أسس عبد الله أبو السعود افتدي مطبعة وادي النيل بحروف شديدة الشبه بحروف مطبعة بولاق ثم عاد فأعاد لها قاعدة جديدة تميزت بها (٣) وأنشأ صاحبها الأهرام مطبعة سنة ١٨٧٥ بقى تكبر على الزمن حتى أصبحت من أكبر مطابع مصر والشرق جميعاً ، وكذلك أنشأ كاستيلي مطبعة لجريدة (السكوك المصري) وساعد الأفغاني أديب اسحق في تأسيس مطبعة مصر لينشر جريده ، وهي له فيها حروفاً من حروف المطبعة الأميرية (٤) ولا نشر المطابع من الأثر مالا يمكن أن يذكر فضلها في تشريف الأمم والشعوب .

(١) الوطن ٢١ نوفمبر ١٨٧٧

(٢) الوطن ١٩ أكتوبر ١٨٧٨

(٣) اللالل ج ١ السنة التاسعة في أول مارس عام ١٩٠١ ص ٣٢٠

(٤) الاستاذ الامام ج ١ ص ٤٢ و ٤٥

الصحف خلال الثورة العربية

عزل إسماعيل وبقيت آثاره كلها، فالحكومة الشريفية قائمة بالحكم بعد توقيع
توقف والأزمة المالية على ماهي عليه من الشدة والعنف والناس حيارى في أمر
معاشرهم مذهولون لقدرة الأجانب على خلع خديوهم ، والصحافة تتولى وظيفتها
قدشيع الخديو المعزول تشديعاً فاتماً وتستقبل الخديو الجديد أحسن استقبال فتقذر
للمصريين أن نفوسيهم سقط طيب وأن عيونهم ستقر وأنهم سيدنوا مخصوص ، بذلك الطالع
السعيد من شرك الاستبداد ورقة الاستعباد ، وأن الوطن « سيسسلم من المصائب
التي حاقت به من فساد الرأى وسوء التدبير وطاعة الأغراض والشهوات ، وينجو
من شر فئة ألفت النفاق والتسليس وتعودت التملق والتبايس وطبعتم على الجesse
والدناءة وسعت في بيع الوطن بأبخس الأثمان »^(١) .

ثم تحوط الصحف الخديو الجديد على اختلاف نزعاتها وميولها برعاية لم يظفر
بمثلها أبوه في أدق موافقه ، ييد أن هذه الرعاية يملئها الحسن الصحفى الناضج العارف
بواجباته الوطنية ، فقدر أو غسلطان فى إصدار فرمان التولية للخديو توقيق فهيت الوطن
بنزعتها المعتدلة ومرآة الشرق بتطرفها المعهود تدعوان معًا إلى صدور هذا الفرمان ،
وتشكى معهما الصحف الأخرى هذا الإهمال الذى يهدى السلطان نحو مصر الذى أدت له
خدمات « تفوق طاقتها » ، وأن هذا الإهمال لقمنى بأن يسىء إلى علاقات البلدين
« ويوهن من ارتياطهما » ، وهى سبباً للتدخل الأجنبى لافى شئون مصر وحدها
بل فى شئون تركيا أيضًا وهو يفتح باباً ترجو أن يوصى فلا يضطر أمراء مصر
إلى الاستنجاد بالأجانب لتقرير حقوقهم وحقوق بلادهم ، ثم تطلب فى حزم أن
يصدر الفرمان مقررًا جميع الحقوق التى اكتسبتها مصر بفرمانات سابقة .^(٢)

(١) مرآة الشرق فى ٢٦ يونيو ١٨٧٩

(٢) مرآة الشرق ٢٣ يوليو ١٨٧٩

وفي هذه الأوقات من تاريخ مصر العصيب يقف الصحفيون أقلامهم لتأكيد حقوقها كارأينا ويشدون أزر الوطنيين المتطرفين سواء في المسائل الدستورية الداخلية أو المسائل المالية والخارجية ، وتشرع صحيفتا الأهرام والوقت في معارضتهما القديمة للوزارة الشريفة ، وترى حكومة شريف في آخر الأمر أن تقضي عليهمما فتاً مر بإغلاقهما ، ولتكن بعض القناعات يتوسط في أمرهما كما تقول التجارة ثم تعلق على خبر التعطيل والواسطة في أمرهما، بأنه موقف موجب للأسف لأن صدور الأمر بإغلاق الجريدين ليس عملاً قانونياً ثم إن سرعة نقض الحكم



الخديو توفيق

« حل العقد ونهى الأمر على هذه الصورة غريب حقا .
وبجمل القول إن وفقاً عميقاً قد حدث بين الخديو الجديد وحكومته والصحافة

المتطرفة ، وكانت الصحف من ناحيتها أكثـر حماية لهذا الوفاق إذ تصف الخديـو بالقداسة وحـكمـته وأنصارـها بالوطـنية ثمـ هيـ تنـزـهـ ولـيـ الأمـرـ عنـ الجـنـسـيـةـ التـرـكـيـةـ وـتعـتـبـرـ ذـلـكـ شـيـئـاـ يـمـسـهـ فـيـ كـرـامـتـهـ ، وـهـوـ اـتـجـاهـ جـدـيدـ لـمـ نـشـهـدـهـ فـيـ الصـحـافـةـ إـذـ تـحدـثـ عـنـ الـأـمـرـاءـ وـالـخـدـيـوـيـنـ .

وـقـدـ كـانـ حـظـ الـجـرـائـدـ الـفـرنـجـيـةـ فـيـ مـصـرـ مـنـ هـذـهـ الـحـمـلاتـ الصـحـفـيـةـ الشـدـيـدةـ مـلـحـوـظـاـ ، فـلـمـ تـفـوتـ الصـحـافـةـ الـوـطـنـيـةـ الـمـتـطـرـفـةـ جـرـيـدةـ أـجـنـيـةـ فـرـصـةـ التـشـهـيرـ بـالـإـادـارـةـ الـمـصـرـيـةـ بـلـ رـدـتـهـاـ وـعـالـجـتـ أـمـرـهـاـ بـعـنـفـ وـقـوـةـ نـادـرـيـنـ .^(١) كـاـمـاـ أـبـرـزـتـ شـهـادـةـ الصـحـافـ الـأـجـنـيـةـ الـمـعـتـدـلـةـ فـيـ الـوـطـنـيـنـ الـمـصـرـيـنـ كـجـرـيـدةـ لـاـرـيـفـورـمـ La Réformeـ الـمـعـرـوـفـ بـأـنـحـارـافـهـ عـنـ الـحـزـبـ الـوـطـنـيـ ، وـتـحـمـدـ لـهـ شـهـادـتـهـ الـطـيـبـةـ وـتـقـارـنـ بـيـنـهـاـ وـبـيـنـ زـيـلـاتـ الـأـجـنـيـاتـ ، فـرـنجـيـاتـ وـعـرـبـيـاتـ .^(٢)

عـلـىـ هـذـاـ النـهـيـ وـصـلـتـ الصـحـافـةـ الـمـصـرـيـةـ كـفـاحـهـاـ دـوـنـ تـرـاخـ فـيـ الدـفـاعـ عـنـ مـصـرـ وـحـقـوقـهـاـ مـنـذـ نـهـاـيـهـ عـهـدـ إـسـمـاعـيلـ ، غـيـرـ أـنـ الـوـفـاقـ بـيـنـهـاـ وـبـيـنـ الـوـطـنـيـنـ مـنـ فـاطـيـةـ وـبـيـنـ الـخـدـيـوـ توـفـيقـ مـنـ نـاحـيـةـ أـخـرـىـ لـمـ يـطـلـ أـمـرـهـ .ـ ذـلـكـ لـأـنـ الـخـدـيـوـ قدـ أـصـبـحـ مـدـيـنـاـ بـكـيـانـهـ الرـسـمـيـ إـلـىـ انـجـلـتراـ وـفـرـنـسـاـ ، فـهـوـ حـرـيـصـ عـلـىـ وـدـهـمـاـ موـاتـ لـقـنـصـلـيـهـمـاـ فـيـ مـصـرـ ، وـالـقـنـصـلـانـ فـيـ خـصـوـمـةـ مـعـ الـوـزـارـةـ الـشـرـيفـيـةـ فـلـاغـرـوـ إـنـ أـبـيـ الإـصـلـاحـاتـ الـدـسـتـورـيـةـ الـتـيـ رـآـهـاـ شـرـيفـ باـشاـ ، وـاضـطـرـ نـاظـرـ نـظـارـهـ إـلـىـ الـاستـقـالـةـ .^(٣) توـلـيـ الـخـدـيـوـ رـيـاسـةـ الـحـكـومـةـ بـنـفـسـهـ وـأـلـغـيـ مجلسـ النـظـارـ وـأـعـادـ الرـقـابـةـ الشـائـيـةـ فـيـ ٦ـ دـيـسـبـرـ عـامـ ١٨٧٩ـ .^(٤) ثـمـ رـأـىـ أـنـ يـقـيـدـ حـرـيـةـ الـفـكـرـ فـيـدـأـ بـطـرـدـ الـأـفـغـانـيـ مـنـ مـصـرـ — وـكـانـ صـدـيقـيـنـ مـنـ قـبـلـ — وـلـكـنـ الـطـرـدـ جـاءـ يـاـعـازـ مـنـ قـنـصلـ انـجـلـتراـ .^(٥) ثـمـ أـلـزـمـتـ الصـحـافـ جـمـيعـاـ نـشـرـ خـبـرـ فـقـيـهـ وـادـعـتـ الـحـكـومـةـ ، أـنـ هـنـاكـ جـمـعـيـةـ سـرـيـةـ

(١) مرآةـ الشـرقـ فـيـ ٧ـ يـوـ يـوـ ١٨٧٩ـ

(٢) التجـارـةـ فـيـ ١٧ـ يـوـ يـوـ ١٨٧٩ـ

(٣) بلـتـ — التـارـيـخـ السـرـيـ لـاـحتـلـالـ انـجـلـتراـ مـصـرـ .ـ تـرـجـةـ الـبـلـاغـ صـ ٩٦ـ

(٤) الـوـقـائـعـ الـمـصـرـيـ فـيـ ١٤ـ وـ٢٤ـ أـغـسـطـسـ ١٨٧٩ـ

(٥) تـارـيـخـ الأـسـتـاذـ الـأـمـامـ جـ ١ـ صـ ٧٨ـ

من الشبان ذوى البطش مجتمعة على فساد الدين والدنيا المضر بالبرية ورئيسها شخص يدعى بجمال الدين الأفغاني، ثم ذكرت له أقبح الأوصاف « فأبعدت ذلك الشخص المفسد من الديار المصرية بأمر ديوان الداخلية ووجهته من طريق السويس إلى الأقطار الحجازية لازالة هذا الفساد من البلاد»⁽¹⁾

ولم يتحتاج أحد على نفي الأفغاني وهو زعيم له مقامه المقدور عند خاصة مصر ومفكريها ، وكان حظه من إهمال الخاصة كحظر شريف باشا الذى استقال من أجل الدستور والحرىات العامة فلم يثر من أجله أحد ، وقد نشرت الصحف جميعاً أمر الداخلية ببني الأفغانى إلأواحدة ^(٢) هي مرآة الشرق وهى دون الصحف جميعاً قد خلت من خبر النفي ، وهى الصحيفة التى ذكرت الرجل أحسن الذكر وأشارت إليه صراحة وضمنا ، فأمر بتعطيلها خمسة أشهر ، لأنها اعتادت الدخول فيها لا يعندها ونشرت مطالعات سخيفية مختربعة من تلقاء نفسها خرجت فيها عن حدود وظائفها ^(٣) وهى الصحيفة الوحيدة التى عطلت عقب نفي الأفغاني وإن أندرت معها جريدة التجارة .

(٢) الاستاذ الامام - ١ ص ١٧٨

(١) التجارة ٢ سبتمبر ١٨٧٩

(٤) الواقع ٢٥ سبتمبر ١٨٧٩

(٣) الوقائع المغربية ٧ سبتمبر ١٨٧٩

(٩) بلغت — التأريخ السرى ص ٩٧

مصر جمِيعاً^(١) وقد ساء الصحافة المصرية أن يخنعوا الخديو ورياض باشا هذا الخنوع المشين في رأيهما الدولي انجلترا وفرنسا، وكانت جريدة (مصر الفتاة) أول الصحف التي استهدفت للإرهاب وراحت ضحيته وهي لسان حزب بدأ يولد وحكم إسماعيل في الرمق الأخير، وهو يتكون من بعض اليهود كما يقول الشيخ محمد عبده^(٢) بيد أنه كان من العناصر المعارض التي احتفت بها جريدة (مرأة الشرق) وأمنت بمبادئها الجديدة ودعت لها بالتوقيق يوم عزل إسماعيل^(٣) واهتمت الصحف الأوربية بهذا الحزب وتحدثت عنه حديث البرم به الساخط عليه، وأهمها جريدة التيمس فذكرت أنه تقليد لحزب تركيما الفتاة وأنه جعل مبادئه صورة مطابقة لمبادئ الثورة الفرنسية من الحرية والإخاء والمساواة، وأن معظم أعضائه من أبناء الإسرائيليين الشرقيين الذين تولوا في مصر وصاروا من كبار الأغنياء^(٤)

وكان الخصومة بين جريدة (مصر الفتاة)^(٥) وبين الوطن خصومة ساحقة إن صح هذا التعبير، فقد عجزت الوطن عن مجادلتها فكانت عن ذلك وأعلنت أنها في قصور إذا كان الميدان الشتم والسباب^(٦). وكانت جريدة مصر الفتاة أول الصحف التي ثارت على توسيع اختصاصات الرقبيين فأذرت حملتها على الحكومة بهذه المناسبة^(٧) ثم رأت الحكومة في نفس اليوم وبإيعاز من الرقبيين أن الإنذار عقاب هين لا يليق بجرائم الجملة التي قادتها الجريدة فصدر الأمر بتعطيلها تعطيلاً نهائياً لنشرها مقارات وأخباراً عدتها الحكومة ممهوجة للاخواتر والأفكار،^(٨) وعقب أديب إسحق عقا باش شديد آلماته الصحفية على الأجانب وعلى الرقبيين

(١) الرافعي . الثورة العرابية ص ٤١ (٢) تاريخ الاستاذ الأمام ج ١ ص ٧٥

(٣) مرأة الشرق ٢٦ بوئه ١٨٧٩ (٤) الوطن ٢٧ سبتمبر ١٨٧٩

(٥) من شعارها «البحث عن حقوق كل إنسان فاكر» ومصر للمصريين . وكانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية ومن محررها أديب إسحق وقد أقامت الدعوى على الحكومة أمام المحكمة المختلطة بعد أن أغلقتها رياض باشا . « راجع طرازي ج ٣ ص ٥٧ »

(٦) الوطن ١١ أكتوبر ١٨٧٩ (٧) لومونيتور إجنسيان ١٧ نوفمبر ١٨٧٩

(٨) الوقائع المصرية ١٧ نوفمبر ١٨٧٩

والحكومة المصرية معهم ، وإصراره العنيف على ألا يتهاون في هذه الحلة فعطلت جريدة « مصر والتجارة » بعد أن أذرتا ، وقالت الحكومة في قرار التعطيل



رياض باشا

حيث سبق صدور الإنذارات مراراً عديدة وتنبيهات شفاهية من إدارة المطبوعات إلى أصحاب امتياز الجرائد الأهلية عموماً وإلى صاحب امتياز جريدة مصر والتجارة خصوصاً بعدم خروجهم عن حدود وظائفهم ولا ينشرون ما يوجب تشويش الأفكار ، صدر له آخر إنذار بأنه إذا جمع مثل ذلك فتلغى جريدة آنذاك بالكلية وحيث أنه بعد هذا الإنذار لم يترك مسلكه الأول لما نشره في جريدة « التجارة » نمرة ١٢٣ الصريح في أنه لا يرجع عما هو مصر عليه

وحيث أن ما اعتادت على نشره هاتان الجريدةتان ضرره أكثر من نفعه اقتضى الحال صدور الأمر من إدارة المطبوعات بأنماهما مؤبداً ، (١)

ثم مضت الحكومة الرياضية في خطتها نحو الصحافة فعطلت جريدة (المحروسة) وذلك لأنها تحدثت مراراً عن الأجانب المقيمين في مصر وطالبت بفرض الضرائب عليهم ثم ذكرت أن إعفامهم منها في عدم محمد على أمر استوجبه الفائدة الحاصلة من وجودهم يومئذ ثم علقت على ذلك بقولها ما من نظام أو قانون وضع في الدنيا وبقي نافذاً إلى الأبد فما كان ملائماً على محمد على باشا صار في هذا

الزمان غير ملام^(١) وبهذه وغيرها من المقالات العنيفة أثارت الحكومة فرصة تعطيلها خمسة عشر يوماً .^(٢)

وعكفت الحكومة على الصحف الأجنبية في مصر فرأى بعضها يعطف على الآمانى القومية فأنذرتها ثم عطلتها أنها آيا كيجريدة لاريفورم La Réforme وأغلقت مطبعتها بحجة أنها تنشر مقالات مشيرة للأفكار، وكذلك أنذرت جريدة (لوفار دالكسندرى Le Phare d'Alexandrie)^(٣) ثم أصدرت أمرها بحظر دخول جراند النحلاة وأبي نظارة وأبي صفاره والقاهرة والشرق إلى مصر^(٤) وهي صحف مصرية كانت تصدر في الخارج .

كانت سياسة رياض باشا في تناول أسلوب الحكم ومن أظهر أدواته الصحافة، نقطة التحول التي بدأت في أعقابها تأخذ الثورة العرابية طريقها إلى النضج والاستواء ، فقد عجز الناقون عن التعبير عما ينال شعورهم بعد أن غلقت صحفهم وكتمت أفواه الباقيات منها ، فكان طبيعياً أن يتقمصوا في السر ما عجزوا عنه في العلن فنشروا في نوفمبر أول بيان سياسى لهم حملوا فيه على مساوىء الحكم الخديوى وأسلوب رياض السياسى وضياع المصالح المصرية بين استبداد الحكومة وجشع الممولين الأجانب ، وطبعوا لهذا المنشور من عشرين ألف نسخة عجز رئيس الحكومة عن معرفة كاتبه أو ناشره^(٥) ثم رأى هؤلاء الناقون من الوطنيين كشريف باشا وسلطان باشا وغيرهما أن يعبروا عن رغباتهم في صحيفة مصرية تصدر في الخارج ، فأوزعوا إلى أديب إسحق أن يصدر صحيفته في باريس لتكون لسان حالم على أن يتکفلوا به بتوزيعها في مصر ، وكانت الصحيفة شديدة اللهجة في معارضتها ، وقد استطاع خصوم رياض أن يوزعواها بالرغم من سلطان رئيس الحكومة وعيونه من رجال الإداره .^(٦)

(١) المحرقة ١١ سبتمبر ١٨٨٠

(٢) لومونيتور أجسيان في ٢٦ و٢٧ مايو ١٨٨٠

(٣) الوقائع المصرية في ٢٨ ديسمبر ١٨٧٩

(٤) المحرقة ١١ سبتمبر ١٨٨٠

(٥) John Ninet : Arabi Pacha . 37 .

(٦) المصدر السابق من ٤٨

لایجوز لمؤرخ الصحافة المصرية في تلك الحقبة أن يسقط من حسابه حين
يحدث عن صحفتها التيارات المختلفة التي تفاعلت مع الصحافة وأنتجت حوادث
الثورة العربية وخلقت معها صحفاً أخرى هي أهم الصحف في هذا الفصل . وقد
ذكرنا حادث الأفغانى ومشروع شريف باشاوى وضع قانون أساسى لمجلس النواب ،
وشرحنا موقف مصر الفتاة والصحف المعاصرة وما لقيت من العنت والإرهاب ،
وتحدىنا عن الرقىيين واختصاصاتهم الواسعة ، وبيدو أن رياضاً بعنفه والخديو
بيطانته والأجانب برايهم تآزروا جميعاً على تهيئة الفرصة لإعلان التبرم بالحالة التي
شهدتها مصر إذ ذاك ، فقد شكا الضباط من استئثار الترك والأرناؤود بالرتب
والرواتب ، وشكا الخاصة من استبداد الحكومة وانصرافها عن كل فكرية دستورية
وتعطيلها مجلس شورى النواب زهاء سنتين ، ثم شكت العامة من ضيق العيش
والضرائب المرهقة .

أجمعـت الطبقـات جـمـيعـاً عـلـى الشـكـوـى وـاتـخـذـتـ التـبـرـمـ صـورـةـ عـمـلـيـةـ فـيـارـ الضـيـاطـ
ـلتـزـيلـ وزـارـةـ رـيـاضـ باـشاـ وـجـعـلـ الحـكـوـمـةـ دـسـتـورـيـةـ (١)ـ وـطـوـحـتـ الـحوـادـثـ
ـبـكـوـمـةـ رـيـاضـ وـعـادـ شـرـيفـ باـشاـ إـلـىـ رـيـاسـةـ النـظـارـةـ بـعـدـ الثـوـرـةـ العـسـكـرـيـةـ المـعـرـوفـةـ
ـوـاستـأـمـنـهـ الجـيـشـ عـلـىـ حـقـوقـةـ وـأـمـنـهـ الـأـعـيـانـ عـلـىـ طـلـبـاتـهـ وـأـهـمـهـ الدـسـتـورـ وـأـكـدـ
ـلـهـمـ شـرـيفـ دـأـنـ تـشـكـيلـ مجلـسـ النـوـابـ هوـ الـوـسـيـلـةـ الـوـحـيـدـةـ لـمـاـ نـقـصـدـهـ مـنـ
ـالـإـصلاحـ،ـ (٢)

هدأت الأمور بعد اضطراب وبدأت مصر تشعر بلوون من الاستقرار في عهد الوزارة الشرعية وإن زها نجم الجيش وزعيمه أحمد عرابي ، فقد كان هذا الجيش مثلاً بحق لشعور المصريين جميعاً لأن الطبقة الوحيدة بين هيآت الحكومة التي غلبت عليها مصريتها ، غير أن الزعماء العسكريين تنجوا عن الميدان مؤقتاً يراقبون الإصلاح المنشود في حذر ، واستقبلوا الأجانب العهد الجديد استقبالاً لا يأس به ،

(١) العصر الجديد في ١٣ سبتمبر ١٨٨١ وهي إحدى صحف سليم جوي

(٢) الوقائع المصرية في ١٧ و ١٩ سبتمبر ١٨٨١

ولم يحملوا على الجيش الذى دوى مافى مصر من رأى عام ، وأملوا فى أن يقضى العهد الجديد على مساوى الحكم الذى تفشلت فى البلاد ، وطلبوا الصبر والأنة من أصحاب الديون حتى تم الحكومة الشريفية إصلاحاتها فتتصبح حقيقة واقعة لا خرافة طالما نشدق بها دعاة الاستبداد . (١)



شريف باشا

الأوربيين وأسلوبهم في الحكم وتحرك التعصب الدينى ، (٢)

أما الحالة على الأوربيين لحقيقة تاريخية أحسنتها الحكومة الشريفية فأخطرت الصحف بها ولفقت النظر اليه افذكرت أن «الجرنالات تعودت من مدة على الخوض في كلام يتعلق بالأجانب مع غاية الحدة وإظهار التأثر منهم والتغنيظ بلا سبب ولا موجب . لا يراعون في كلامهم حالة البلاد المصرية وعلاقتها السياسية مع أنه لا يوجد في داخلية البلاد ولا في روابطها الخارجية ما يوجب اندفاع الجرائد المذكورة

(١) التيمس ١٠ يناير ١٨٨٢
(٢) كردمـ ٢١ ص ٢ ج

في هذا الطريق على وجه يوجب اضطراب الأفكار العمومية ويندش الأذهان،
ويبين الإخطار علاقة مصر بالسلطان وواجباتها نحوه، ثم يوضح حرص الحكومة
على مصالح البلاد أمام الدول جمعياً، ثم تزدّر الصحف بأن لا تخرج في مقالاتها
عن حد الاعتدال وألا تتعرّض لشيء من الطعن والتنديد بأحد من معاهدينا لا
على وجه العموم ولا المخصوص»^(١).

ويؤكّد وجهة نظرنا في براءة الصحف من التعصب الديني أن إلزام المطبوعات
هذا لم يشر إلى هذا التعصب في كثير أو قليل، غير أن الحكومة أرادت وقف الجملة
ممهما يكلّف المُنْ وهي سليمة الطوية تتميّز بسمة شعبيتها ، وقد أصاحت لها معظم
الصحف إلا جريدة (الحجاز) وهي صحيفية حديثة العهد بالحياة ، فقد أنشئت سنة
١٨٨١ لصاحبها السيد سراج ابراهيم المدن ، إذ استمر صاحبها في حملته على الأجانب
حيث كان يطعن في الدول الأجنبية طعناً غير أدبي ويسقط عند الكلام في
شأنها بما لا يليق وكثيراً ما طلبناه ونبهنا عليه وشددنا في الأمر وحذرناه من

(١) مصر للمسريين ج ٤ ص ٢٠٧

(٢) المفید ٢٤ أكتوبر ١٨٨١

الرجوع إلى مثل ذلك . . . فلم يرتدع ولم ينجزر . . . ثم خالف المنشور العمومي الذي بعث به إليه وإلى جميع أصحاب الجرائد العربية إلى أن أُنْ في عدده الأخير بأز يد ما حزرتاه منه مراراً ، فمن أجل هذا صدر قرار مجلس النظار بالغاء جريدة غوا مؤبداً ،^(١)

والحكومة إذا حزمت أمرها في تهدئة الحالة بإغلاق الصحف المتطرفة وهي كما نعلم حكومة شعبية قد توآخذ على مصادرة حرية الرأي بيد أنها حرية على مصلحة مصر وإن أدى ذلك إلى تعطيل الصحف ، وهي كذلك تأتي على الصحف الأجنبية في مصر أن تسيء إلى المصريين ومشاعرهم الدينية ، فـقد نشرت جريدة (ليجييت Egypte) في ٢ أكتوبر ١٨٨١ مقالاً عرضت فيه بالنبي محمد ، فهاجت ذلك الصحافة المصرية ولفتت النظر إلى هذا المقال فصدر الأمر بتعطيلها ^(٢) وحاول أصحابها أن يحتمي بالقنصلية الفرنسية غير أن حزم الحكومة حال دون هذا التدخل ^(٣) وذكرت المحروسة في اتهام شديد نسباً إغلاق جريدة (ليجييت) ووقف الحكومة المشرف من القنصل الفرنسي الذي نصّ لصاحبها بمعادرة البلاد ^(٤) بدأت الصحف بعد أن تحررت من قيودها توجه المطاعن تلو المطاعن إلى إجحاف نظام الضرائب الذي وضعته المراقبة الأوروبية فأعفعت الأوربيين منها وكانت العبرة كله على كاهل الوطنيين ، كما أنها أثبتت بأشد اللائم على كثرة تعينين الفرنسيين والإنجليز في الوظائف ومنحهم المرتبات الباهضة ^(٥) وهي شـكوى قديمة حديثة ، ثم راحت تطلب حياة الشورى لمصر و التعليم لآبنائـا ، وفي ذلك يقول حسن الشمسي وهو من ضحايا العهد الماضي ، إنه سينهي دور صحيفته (المفيد) حينما يأتي يوم يقال فيه تنبـه الغافل وتعلم الجاـهـل وغلـتـ يـدـ العـادـيـ وـردـتـ الـحقـوقـ

(١) الواقع المصري ٨ نوفمبر ١٨٨١

(٢) الرافعي — الثورة العربية ص ١٦١ ١٨٨١ (٤) المحروسة ٧ نوفمبر ١٨٨١

(٥) بلغ عدد الموظفين الأوربيين ١٣٢٥ موظف بلغت مرتباتهم المنتظمة ٣٧٩٠٥٦ جنيهـا

(مصر رقم ٦ ١٨٣ ص ٦٧)

لذويها وسلمت الأرض لبنيها ، وهو يحدثنَا عن صحيحته وهي إحدى الصحف المعبرة عن الحزب العسكري بأن ظلم المستبد حال بيته وبين التبكيت في إصدار هذه الجريدة وذكر أن الصحف الباقيَة ، إنما سايرت الظالم وغيرها سقط في ميدان الشرف والجهاد ، وأنه فضل التعطيل على النهوض في ظل الظلمة المستبدين . (١) . وتعتبر جريدة (المفيض) من خيرة صحف الثورة فقد دأبت على نشر افتتاحياتها عن مصر ومشاكلها في أسلوب وطني عنيف ، ولصاحباتها مقالات رائعة عن الاستقلال والحرية بعنوان « محاورة سياسية » (٢) وكان طبعياً أن يعنف محرر (المفيض) في مقالاته وهو لسان جامح من ألسنة الثورة ، وكان طبيعياً أيضاً أن تبرم به حكومة شريف لأنها ترجو المهدوء والاتزان ، لذلك جمعت في معاملتها للمفيض اللين والشدة معاً لترضى الوطنيين والأجانب على السواء ، فعطلت (المفيض) أسبوعين فقط وبذلك أرضت الدوائر الأجنبية ثم أرضت الدوائر الوطنية بهذا العقاب الهين ، ويظهر قدر (المفيض) بين صحف العصر من حزن زميلاً لها على تعطيلها فقال كاتب (المحروسة) « ساءنى صدور الأمر بتعطيل جريدة (المفيض) أسبوعين فإن محررها في الجريدة غير الفكر قويم المشرب لا يظهر بما يخالف المصلحة أو يخرج عن الحد ... وفي مأمولى أن (المفيض) يصدر من بعدها بمزيد الفائدة ويكون في مقدمة الجرائد الداعية إلى الوحدة الوطنية الناهية عن الإحن والعداوات المذهبية العاملة على علم بأحكام الحرية » (٣)

وتسامم (الأهرام) فيما شغل البلاد من أحداث دون أن تتطرف في رأى أو تتجاوز أسلوبها المأثور عنها بكلمة نافية أو تعبير شاذ ، وتعالج الأمور بروية ، ولا تغفل أحداث البلاد الخارجية فتنشر الكتب والمقالات الطوال عن اليوسنة والهرسك والروسيا وألمانيا كما أنها تنقل رأى الغرب في الشئون المصرية وتأخذ ذلك عن الصحف الفرنسية والإنجليزية ، ثم ينشر المحرر رأى الحكومة الانجليزية والفرنسية في الحركات السابقة على تأليف الوزارة الشرفية وهو قهماً الجديداً

(١) المفيض في ٥ أكتوبر ١٨٨١

(٢) المفيض في ١٢ ديسمبر ١٨٨١ وما بعده

(٣) المحروسة في ٧ نوفمبر عام ١٨٨١ واسكندرية في ١١ نوفمبر عام ١٨٨١ وكذلك أندرا

مجلس النظار جريدة الوطن يوم عطل المفيض

(٤) — ٨ — صحافة

«لـكـبـحـ كـلـ حـرـ كـةـ ، وـهـىـ تـنـذـرـ العـرـاـبـيـنـ » وـسـعـادـتـلوـ أـحـمـدـ بـكـ عـرـاـبـيـ ، بـالـذـاتـ (١) وـقـدـ عـمـدـتـ الـأـهـرـامـ إـلـىـ التـحـدـثـ عـنـ أـورـبـاـ وـتـقـدـمـهـاـ مـنـ النـاحـيـتـيـنـ المـادـيـةـ وـالـأـدـيـةـ ، وـقـاـبـلـتـ بـيـنـهـاـ وـبـيـنـ تـرـكـيـاـ ، فـأـفـرـطـتـ فـيـ ذـكـرـ الـمـاسـوـيـهـ الـتـيـ تـنـجـتـ مـنـ نـظـمـ الـحـكـمـ الـعـشـرـانـيـ ثـمـ نـقـلتـ عـنـ صـحـفـ لـنـدـنـ ، حـمـلاتـ عـلـىـ الـبـابـ الـعـالـىـ وـفـيـ الـفـاظـهـ مـالـاـ يـلـيقـ أـنـ يـلـشـرـ فـأـنـذـرـهـاـ الـحـكـمـةـ مـرـقـيـنـ (٢)»

مثال جريدة الأهرام

الاكتبه في يوم السبت ١٥ جوليو ١٨٧٦

صحيح الحال تحول أن الله الرحيم الرحيم
برأت العالم لأساليب ثبت في كل من لغويه وخطه
جعلها بذلك كلاماً وخطه لا يُكلمه ويُحتج به في الحديث ان
بعض علماء الفرقات منصرة بأمر الله لكن رب
الله تعالى وأبا كوكب نجاشي عليه السلام
العقل بالخلافه خطها زمانه رزيعها غيرها يكرهونه
ويفسرونها على الناس بالغباء والجهل
ذلك سكان طرس ما يدركه السيل يسرى فاصدرا
ذلك العادة التي عليها المعرفة وعلى هذا المنطق وقع
التفاوت بين قراره هذا الحبس ظطرالى لاعمال المهداد
ووالعكس وبهذا على هذه الماده رضا القوى على الماء
الخلاصه كلامه عن ذلك وتمليه دون اخرين

اللهم انتعث على كل الماء اشرف من الماء
عليه نسمة انسان الامر والبيان ماضى انسان وهو
درس العلوم الازمة التي علىها المعرفة وبها يدعى انسان
ذلك العادات كائنة في الشفاعة والطقوس المسمى بالرأبة
وزرارة حجج العالى بدره كمام بغيره وبدرك
وپاشاك ذلك حلاقاً ململ جعله الواسطة عادة ان
ما يجري من سوء ركوب بغير سبب كلها
وبيه على هذه المعلومات ان لا يذكر أى ثابت ادلة

صدر هذا المثال قبل صدور الأهرام في ١٥ يوليول سنة ١٨٧٦ وقد كان للخديو في هذا التيار الجارف من النشاط الصحفى قدر محدود ، فقد أنشأ معه فريلدي مدينة الإسكندرية مجلة أسبوعية سمياها (البرهان) في سنة ١٨٨١ ويحررها الشيخ حمزه فتح الله اللغوى المصرى المعروف ، والبرهان تعلن بأنها صحيفه السرای وتتفخر بذلك كل الفخر فقد «حلت صحيفه البرهان من اعتابه العلمي محل القبول» وأن جنابه الفخيم يقاد يستو عبها تلاوة ، وأنه أمر بأكثر من ثلاثين نسخة اشتراكاً للمعية السنوية .

والخديو عند المحرر آية من آيات الدهر فإذا رأيته وآلفيت في محياه ما يجذب إلى

(١) الأهرام في ٨ أكتوبر عام ١٨٨١

(٢) الأهرام في ١٢ فبراير عام ١٨٨١ والمحروسة في ١٤ يناير عام ١٨٨٢

التسبيح الأفواه ، لا سيما إذا تفرق ماياء البشر في عزته ، وتفتق نور المحمد من أسرته »
وإذا كانت الصحافة العربية المصرية جمعياً على اختلاف مشاربها تحبذ الشورى
وتدعى لها وتتأبى الظلم وتحمل على الاستبداد فان الشيخ حمزة فتح الله يقول بغير
هذا في مقال ضخم بعنوان « الشورى و مجلس النواب المصرى » ، وذلك على أيام
من افتتاح هذا المجلس ، نحن وإن كنا نعلم ما يترقب على الشورى من الفوائد
العديدة والمنافع الجسيمة وما ينجم عن التفرد بالرأى من سوء العاقبة ، غير أن
ذلك لم يكن يعنينا من إبداء مازراته من الملاحظات في الأمرتين كليهما ، أعني الشورى
والتفرد بالرأى المعروف بالاستبداد ، فأما الشورى فانها وإن كانت مدوحة عقلاً
وشرعاً بما ورد في الكتاب العزيز والسنن المطهرة في غير موضع إلا أن ذلك ليس
على معنى أنها واجبة حننا على أول الأمر ، بحيث لا تضى بدونها بيعتهم ولا تنفذ
أحكامهم ، لأن هذا مالا يقول به أحد ، بل إن مبلغ العلم فيها أنها من الأمور التي
ندبت إليها الشريعة المطهرة من قبل أئمماً مكارم الأخلاق » . ثم يمضي الكاتب مبيناً
وجهة نظر المعارضين للشورى « وأما الاستئناس بأن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضى
الله عنه قد ترك الأمة شوروية فهو غلط ظاهر » ثم يستمد صورة الملك من العصور
الوسطى ويذعن لها قائلاً « ألا وإن الملك ظل الله تعالى في أرضه ، لا يجوز الخروج
عن طاعتهم ولا البغي عليهم ولا نخاف ذمتهم ولا تشكت بيعتهم ولا ينقض عهدهم
في حال من الأحوال اللهم إلا بـ كفر صريح لا يتحمل التأويل » (١)

في هذه القلم الرجعي أيد الشيخ حمزة الرجعية المصرية في وضوح لا يقبل الشك
أو التأويل ، ولا يرضى الصحفيون المصريون عن هذه النغمة بل ترد جريدة (مصر)
لصاحبها أديب اسحق - وقد عاد من منفاه في باريس وأصبح ناظراً لقلم الإنشاء
والترجمة بديوان المعارف - ترد على هذه الأقلام مادحة الديمقراطية المصرية
الجديدة ، فقد نشر الكاتب في آخر ديسمبر ١٨٨١ بمناسبة افتتاح مجلس النواب
مقالاً يدل دلالة بينة على الغرض منه ، وهو غرض مزوج بتقديس الشورى
والفرحة الصادقة بالعهد الجديد ، ذكر مقتطفاً مقاله بعيت من الشعر :

(١) البرهان في ٢٦ مايو ١٨٨١ وأول ديسمبر ١٨٨١

صحفًا لصرف الدهر عن هفواته إن كان هذا اليوم من حسناته ، كيف لا وهو حاجة النفس وأمنية القلب منذ توجه الخاطر إلى السياسة الوطنية وانصرف العزم إلى إحياء الهمم وانعقدت النية على حفظ الحقوق واتحدت الوجهة في القيام بالواجبات ، وهو المنشأة التي كست الوطن رداء الفتنة فشيبياً . وهو البغية التي غرسـت للأمة غصن الأمل رطبياً . وهو مارجوناه زماننا ودافعنـا الزمن فيه وتنـيـناه أعواـما وغالـبـنا الحـدـنـاـ عـلـيـهـ ، ثم يقول « فيـاـ حـسـنـهـ منـ يـوـمـ ردـ فـائـتـ الـبـاهـ وـأـخـيـاـ مـائـتـ الرـجـاءـ . وـأـعـادـ شـيـابـ الـأـمـهـ ، وـسـدـلـ سـتـورـ النـعـمـةـ ، وـأـظـهـرـ مـقـاـصـ الـأـمـيرـ وـأـبـدـىـ مـسـاعـيـ الـوـزـيـرـ ، وـقـضـىـ لـبـانـاتـ النـهـاـءـ وـحـقـ أـمـانـيـ النـزـهـاـ ، فـلـازـالـ مـشـرقـ الشـمـسـ مـرـفـوـعـ لـوـاءـ الـأـنـسـ ، مـنـقـوـشاـ عـلـىـ صـفـحـاتـ الصـدـرـ بـأـحـرـفـ مـنـ نـورـ عـلـىـ تـوـالـيـ الـأـيـامـ وـالـدـهـورـ »

وأديب اسماعـلـ يـعـبـرـ فـيـ هـذـاـ المـقـالـ وـفـيـ غـيـرـهـ أـصـدـقـ التـعبـيرـ عـنـ التـيـارـاتـ الـفـكـرـيـةـ الـتـيـ تـخـالـفـ تـفـكـيرـ حـمـزةـ فـتـحـ اللهـ وـمـنـ عـلـىـ شـاـكـتـهـ . وـهـوـ يـشـتـدـ عـلـىـ هـؤـلـاءـ الـرـجـعـيـنـ الـذـيـنـ يـسـفـهـوـنـ الرـأـيـ الـحـرـ كـاـ يـقـسـوـ عـلـىـ أـبـوـاقـ الـأـجـنبـيـيـنـ مـنـ . أـصـحـابـ الصـحـفـ الـعـرـبـيـةـ الـذـيـنـ يـعـيـبـوـنـ عـلـىـ الـو~طـنـيـيـنـ تـطـرـفـهـمـ . فـاـخـزـبـ الـو~طـنـيـ غـيـرـ مـتـعـصـبـ إـلـاـ لـو~طـنـيـتـهـ ، وـالـحـزـبـ الـو~طـنـيـ غـيـرـ مـعـادـ إـلـاـ لـخـائـنـيـنـ يـرـومـ إـلـيـاهـ مـصـرـ مـسـكـانـ مـصـرـ وـتـرـومـونـ إـمـاـتـهـمـ جـمـيعـاـ يـأـيـهاـ الـلـؤـمـاءـ ، وـيـرـيدـ أـرـ يـكـونـ الـمـصـرـيـ فـيـ مـقـامـ الـإـنـسـانـ مـسـتـقـلاـ بـوـجـودـهـ مـتـمـتـعـاـ باـسـتـقـلـالـهـ فـائـرـأـ بـحـقـوـقـهـ تـاهـضاـ بـوـاجـبـاـهـ ؛ وـتـرـيدـوـنـ بـمـيـزـلـةـ الـحـيـوانـ يـسـاقـ لـلـحـرـثـ فـيـانـ عـجـزـ فـلـلـسـاخـ ، وـيـطـلـبـ أـنـ يـكـونـ الـو~ط~ن~ي~ آـمـنـاـ فـيـ دـارـهـ مـسـاـواـيـاـ لـجـارـهـ يـسـتـغـلـ زـرـعـهـ وـيـسـتـدـرـ ضـرـعـهـ ، وـتـلـتـمـسـوـنـ أـنـ يـكـونـ غـرـبـيـاـ فـيـ آـلـهـ مـصـادـرـ بـمـالـهـ يـطـعـمـ مـنـ يـحـرـمـهـ وـيـوـمـ مـنـ يـرـوعـهـ وـيـحـفـظـ مـنـ يـضـيـعـهـ وـيـصـوـنـ مـنـ يـبـيـعـهـ »^(١)

وـوـسـطـ هـذـهـ مـسـائـلـ الـعـامـةـ الـتـيـ فـرـغـتـ لـهـ الصـحـفـ الـمـصـرـيـةـ لـمـ تـنسـ أـنـ طـاـ حقـوقـاـ فـأـخـذـتـ تـفـكـرـ فـيـ حـالـهـ وـآـمـالـهـ ، فـالـمـطاـبـةـ بـقـانـونـ الـمـطبـوـعـاتـ يـنـظـمـ أـمـورـهـا

من أغراض الصحافة المصرية منذ أيام اسماعيل ، فلاغر و إذا تحدثت عنه اليوم وألحت في المطالبة به ، وهى تختلف فى شأنه ، وبعضاها يريده قانوناً حرآ (كسر) وبعضاها يريده صورة يرضها الشیخ حمزه فتح الله فى مقال له عن (اليراع) (١) وبعضاها يرجوه وفيه من التضييق ما يلزم بالتزام ، وأكبر الظن أن المحرر - وهو هنا سليم النقاش صاحب (المحروسة) - لم تسعفه ثقافته الضيقه بضم المعانى الحرة الموجودة فى القانون المطلوب ، فقد رأى أن يكون فى التشريع ما يضطر الصحف إلى الاعتدال ، وأن تراعى فيه حالة البلاد وأطوارها الأدبية والسياسية ، وأن يحول القانون دون حرية الصحافة فى شئون مصر الخارجية وخاصة ما اتصل بالدول الصديقة ، وهو يرجو ألا يستمد القانون أصوله من القوانين المعمول بها فى فرنسا وإنجlatر لآن عقلاً البلدين يشكون الحرية فى هذين القانونين (٢)

ومهدت الحكومة لقانون المطبوعات بأن صمت المطبوعات الفرنجية إلى العربية فى إدارة واحدة، وتساوت بذلك الصحف جميعاً فى الحقوق والالتزامات (٣) ثم صدر قانون المطبوعات المصرى فى ٢١ نوفمبر ١٨٨١ وهو أول تشريع للصحافة يرتب شئونها ويحدد واجباتها ويعلن حقوقها ، وإلى أن يحين وقت الحديث عنه مفصلاً نذكر للتيس كلة قالها فيه تتحمل الرأى عنه ، فهو عندها قانون شديد وهو أسفى من أن ينفذ (٤) وقد أشارت إلى شدته الجريدة الفرنجية الرسمية فى إحدى المناسبات (٥) وقد أصدرت حكومة شريف قانون المطبوعات ولم تطبقه على صحيفتين من الصحف العربية بالرغم من صفة التزام والتضييق الغالبة على معظم مواده بيد أن جريدة (La Gazette Des Tribunaux) كانت الجريدة الفرنجية الوحيدة فى مصر التي أذرت بمقتضى هذا القانون فى ٧ يناير عام ١٨٨٢ لخوضها

(١) البرهان ١٠ نوفمبر ١٨٨١

(٢) المحروسة ٧ نوفمبر ١٨٨١

(٣) المحروسة ١٥ نوفمبر ١٨٨١

(٤) التيس ٨ نوفمبر ١٨٨١

(٥) المحروسة ٧ يناير ١٨٨٢

في المسائل السياسية دون أن يبيح لها ترخيصها بذلك ، ثم لأنها استعملت التوبيهات المنطوية على سوء الفصل ، (١) . وفيما عدا هذا الإنذار بقى القانون ممعطلًا عن أداء وظيفته في جو علوه بالأحداث الجسام .

مضت الحكومة الشرعية توحي وظيفتها أحسن الأداء ، وأفسحت صدرها للملأحظة والنقد ، سواء من أعضاء المجلس أو من صحافة مصر ، هي لاتنذرها ولا تعطلها إلا مضطراً ، وكادت تستقيم الأمور لها وتمكّن الحياة الدستورية من التأصل والاستواء لو لا أن هذا النجاح لم يرجي الرقيبيين الأجانب ولم يرض قنصليهما ، فإذا الآخرين يخلقان أزمة بغية غير مناسبة ، فقد انهزت الحكومة من ان الانجلizية والفرنسية فرصة انعقاد مجلس النواب فأرسلتا في يناير مذكرة مشتركة تعلنان فيها تأييدهما للخديو واستعدادهما لهذا التأييد بشئ المظاهر (٢) . وكان لهذه المذكرة أثرها البعيد في تطور الحوادث وانتقال الثورة من اليدين إلى اليسار فقد رفضتها الحكومة وبلغت القنصليين هذا الرفض (٣) ثم أرسلتها إلى الباب العالي مع وجہ النظر المصرية ثم نشرت المحروسة رأى الحكومة العثمانية الذي وجهته إلى سفير إنجلترا وفرنسا وتبدى فيه « سوء الأثر الذي حصل له من جراء هذا العمل » وبعد أن ذكرت الجريدة محافظة الدولة على مصر وامتيازاتها وأن الشعب المصري هادى وسعید بحالته أبرزت كل هذه المعانى في قول الباب العالي « وفي ظننا أنه يستحيل لإبداء أقل الأدلة على ما ينافي ذلك أو الاستشهاد بأى حادث داخلى متعاقب يصر يكون داعيا لإصدار مثل هذه اللائحة المذكورة ، وبناء على ذلك لأنى شيئاً مما يقتضى باستصواب ما أجرته الدولتان من تقديم تلك اللائحة لسمو توفيق باشا » (٤) وقد أخفقت المذكرة في أثرها المطلوب في مصر وتركيا ، ولكن الدولتين

(١) الوقائع المصرية ١٤ يناير ١٨٨٢

(٢) Livres Jaunes 1881—1882 N 42.

(٣) Livres Jaunes 1881—1882 N. 28.

(٤) المحروسة في ٢٨ يناير عام ١٨٨٢

أبْتَأ إِلَى خَاقِ المَشَاكِل ؛ فَأَرْسَلَ الْقَنْصُلَانِ بِإِيَّاعَزِ الْمَرَاقِبِينَ الْأَجْنبِيَّينَ يَطْلَبُانِ
الْحَدَّ مِنْ سُلْطَانِ الْبَرْلَانَ فِي تَقْرِيرِ الْمَيزَانِيَّةِ ، وَلَمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ عَنْ جَمِيلِ النَّوَابِ
مِنْ عَدْمِ الْخَبَرَةِ وَمِنْ مَيْوَلِهِ الْعَدَايَةِ نَحْوِ الْعَنْصُرِ الْأَورْبِيِّ فِي الْحَكْمَةِ ، (١) وَهُوَ
تَحْدِيدٌ ظَاهِرٌ لَأَمْمٍ وَظَاهِنٌ لِلْمَجَالِسِ الْنَّيَابِيَّةِ
لَمْ تَرْضِ عَنْهُ صَحْفُ مَصْرُ وَحَمَلَتْ عَلَى إِهَانَةِ
النَّوَابِ الْمَصْرِيِّينَ حَمْلَةً شَعُوَّاءَ (٢)



عرابي باشا

وَقَدْ اضْطَرَّتِ الْوِزَارَةُ فِي آخِرِ الْأَمْرِ
إِلَى الْامْتِقَالَةِ بَعْدَ أَنْ رَفَضَ النَّوَابُ وَجْهَهُ
نَظَرَهَا ، فَقَدْ كَانَتْ تَرِى وَجْهًا بَعْدَ
الْمَيْزَانِيَّةِ بِمَوْافِقَةِ الْمَرَاقِبِينَ الْأَجْنبِيَّينَ
وَالْفَرَنْسِيِّيِّينَ وَرَقَابَتْهُمَا ، وَالنَّوَابُ لَا يَرَوْنَ هَذَا
الْأَيَّ وَلَا يَقْرُونَ هَذَا التَّدْخِلَ ، وَقَدْ عَلَقَتْ
(الْمَحْرُوسَةِ) عَلَى الْمَوْقِفِ بِرْمَتِهِ بِأَنَّ الْحَدِّ يَوْ
وَالنَّوَابُ وَعَامَةُ النَّاسِ قَدْ اعْتَرَفُوا بِالْدِينِ

وَفَوْ أَنْدَهُ . فَلَيْسَ مِنْ الْعَدْلِ حَرْمَانُ الْمَجَالِسِ الْفَتَشِيَّعِيِّيِّيَّةِ مِنْ أَهْمَّ اخْتِصَاصَاتِهِ وَهِيَ إِقْرَارُ
الْمَيْزَانِيَّةِ مَادَمَ أَمْرَ الدِّينِ فِيهَا لَنْ يَمْسِ (٣) وَلَا كَنْ صَحْفُ الْقَنْصُلَيَّيْنِ الْفَرَنْسِيَّيْنِ حَمَلَتْ
عَلَى الْوَطَنِيَّيْنِ وَخَاصَّةً (الأَجْبَشِينِ جَازِيَّتْ Egyptian Gazette) حَمْلَةً عَنْيِّفَةً تَوَلَّتْ
الصَّحَافَةُ الشَّعْبِيَّةُ الرَّدُّ عَلَيْهَا دُونَ الْحَكْمَةِ إِلَى شَفَلَتْ بِالْأَزْمَةِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَنَاقَشَتْهَا
وَبَيَّنَتْ مَوَاضِعَ الْجُورِ فِي عَمَلِ الدَّوَلَيْنِ وَظَلَمَتْهُمَا مَصْرُ ، هَذَا الْبَلَدُ الَّذِي يَكْرَمُ
الْأَجَانِبَ وَهُمْ يَسْيِّئُونَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ عَاتَبَتْ فِي عَنْفِ الصَّحَافِ الْأَجْنبِيَّةِ وَعَلَى رَأْسِهَا
(الأَجْبَشِينِ جَازِيَّتْ) الَّتِي تَكَيَّدَ لِلْوَطَنِيَّيْنِ وَتَزَعَّمَتْ تَعَصُّهُمْ لِلْدِينِ وَحَمْلَتْهُمْ عَلَى

(١) Livres Jaunes 1881—1882 N. 34, 38

(٢) مصر والمفید في أوائل توقيع عام ١٨٨٢

(٣) المَحْرُوسَةِ ٤ فَبْرَاير ١٨٨٢

المسيحيين ، ونفت هذه السومات عنهم وأكبدت بعدهم عن التعصب في أمور الدنيا أو شئون الدين ^(١) ثم ساهمت الصحف الأوربية في لندن وفي باريس في هذه الحلة على المصريين و مجلس نوابهم و حكومتهم فيما خلا محرر التيمس فكان رجلاً واسع الفكر مليئاً باللغات العربية وآدابها ، وكان معتدل الرأى في المسائل المصرية فلم يرها كغيره من الصحفيين لا تعنى غير بورصة لندن ، وكثيراً ما فتح صدر التيمس لآراء الوطنيين المصريين ، غير أن هذا العطف من مستر شنرى المحرر بالتيمس على الأمانى المصرية لم يستمر ، لأن مراسل هذه الجريدة وغيره من مراسلى صحف أوروبا في مصر كانوا يستمدون أخبارهم الهامة من السير أو كذلك كلفن المراقب البريطانى ، وكانت وكالتا روتر وهافاس خاضعتين لنفوذ المراقبة الشناوية ، وكل منها تتقاضى ألف جنيه في السنة ، وكانت وكالة روتر لاترسل برقياتها إلى لندن إلا بعد إجازتها من القنصلية أو الرقىب الانجليزى .

وقد أضر هذا الأسلوب الصحفى بالقضية المصرية في الخارج إذ وضعت - كما رأينا - الأنباء الصحفية تحت مراقبة الوكلالات السياسية أو ما يشابهها ، وقد كان لموظفى فرنسا وإنجلترا في مصر « السيطرة التامة على الأخبار التي يجوز أو لا يجوز إرسالها إلى لندن » وكان أجر هؤلاء المراسلين إما مالاً أو معلومات سرية لها خطرها في الفن الصحفى ^(٢) وقد اشتركت الصحف في الخارج وكالات الأنباء في مصر والصحافة الأجنبية المصرية وممثلو الدولتين ، اشتراك كل أولئك في قطع الطريق على المدوه الذى حققته حكومة شريف باشا وآزرتها بعض الأحداث الداخلية كمؤامرة الضباط الشرائكة ^(٣) وقصة الحكم عليهم ^(٤) وطرف الصحافة المصرية ، فاستقالت الوزارة الشريفية وانتقلت مقاعد الأمور إلى الحزب العسكرى وأنصاره .

(١) المجموعة ٧ فبراير ١٨٨٢

(٢) بللت التاريخى ص ١١٦ - ٩١٧

(٣) الوطن ٢٩ أبريل ١٨٨٢

(٤) الواقع المصرى ٢٢ مايو ١٨٨٢

وكان الصحف قبل الحكومة البارودية الجديدة تشغل حديثها كله بشئون مصر العامة ، وكانت لسانا طيبا للحركات الحرة ومدافعا خطرا أمام الصحف الأجنبية في مصر أو في الخارج ؛ غير أن هذا الاتجاه محمود صحبه لون من التحزب للجنس والوطن ، كان له أبعد الأثر في انحراف الصحافة الوطنية وتشكيها مثلها الرفيعة واشتباكها في معركة وزعت جهودها وفرقها شملها .

وكانت الصحف الوطنية المتطرفة تحمل على بعض المتمصرين من الصحفيين، ولم تتعذر الجملة في أول الأمر بعض هؤلاء الأفراد غير أنها امضت تتحدث عن المصريين والشآميين في دوائر الحكومة والصحافة وخاصة الدوائر الصحفية، فقد كان الصحفيون الشآميون في مقدمة العناصر الحرة يذهبون حماسة لاستقلال مصر وحياتها الدستورية، بيدأن هذه الأقلام المتأثرة خبت شم انزوت شم وقف إلى جانب علانية لما تخرج الأمر كما وقفت الصحف الوطنية أقلامها ضده وضد أسرته .

وكانت (المفيد) جريدة من جرائد الثورة العربية بلغت حمايتها في سنة ١٨٨٢ وهي لا تمثل العناصر العسكرية أو المذاهب السياسية وحدها، بل حفلت صفحتها بكثير من المقالات الاجتماعية والاقتصادية الممتدة، فهى يوماً تتحدث عن ذل المصريين المادى والأدبى^(١) وتنكتب فى يوم آخر مقالاً ثورياً عن الفلاح التعس «السيد في صورة العبد ورب الدار

(١) المفيد في ١٤ نوفمبر عام ١٨٨١ (من مقال ابراهيم الهمباوي)



جود سامي البارودي

في موقف الخادم ،^(١) وقد بلغت مكانها الصحفية قدرًا جعل الأجانب يحسون خطرها ويلتمسون عطفها وخاصة في مشروعاتهم الاقتصادية ، وقد حاولوا رشوتها لتجدد عند العامة فكرة الاقتصادية خاصة ، فتأيي المفید هذه الرشوة وتفضح أصحابها من الشرقيين والأجانب الذين نسوا في مساومتهم أن «نفس الحر لا تبيع شرفها بشمن» ،^(٢) ومنذ أبدىت محاولة رشوتها في ذلك المشروع الاقتصادي أخذت (المفید) خطوة جديدة نحو الشاميين في مصر ، فهى تكتب المقالات تطلب من الحكومة فصلهم من وظائفها لأنهم غير خلائقين بأن ينتسبوا إليها ، وإذا عاتبها الشاميون من أصحاب الصحف ردت عتابهم في منطق لا يسف وفي عبارة مهذبة بيد أنها عنيفة قاسية^(٣) وتشتد الخصومة بين (المفید) والصحف الثورية من ناحية وبين صحف الشام التي تصدر هناك من ناحية أخرى ، وهى صحف قاسية الأسلوب زاد عنفها في أوار المعركة في مصر ، وتتدخل (المحروسة) في أمر هذه الخصومة وهى آخر ما بقى في مصر من صحف الشاميين المتمصررين ، وهى ترجو في عبارة رقيقة أن تفصل في هذه المعركة وتقضى على هذا الخصم ، بيد أن المفید تهمها بإيشار فرنسا على تونس يوم امتحن هذا البلد الشقيق بقصيدة الفرنسيين وجبروتهم . ثم تأبى عليهم صفة الوطنية التي تدعيمها لنفسها ، فهى قد ولدت تسبيح بحمد الحديو توفيق سنة ١٨٨٠ وكانت صديقة لرياض باشا في وقت كان إرهاب الصحافة ديدن الحكومة وغايتها وفي ذلك من النفاق مالا تقبله صحيفية وطنية العقيدة حرمة الفكرة .

وقد رد سليم نقاش على المفید ردًا هادئًا استغرق زهاء صفحتين ونصف صفحة من صفحات المحروسة الأربع ، عرض فيه موقف صحيفته وبين فيه مواضع التيجني عليها ، فإنها وحدها تجرأت أيام الاستبداد الخوض ونادت بالحكومة الشورية .. ووحدها بين الجرائد العربية في ذلك الحين أخذت تناصر الحزب الوطني ..

(١) المفید ٢٣ يناير ١٨٨٢

(٢) المفید ٢٧ مارس

(٣) المفید في ١٣ و ٢٣ أبريل عام ١٨٨٢

وهي وحدتها أياًً عارضت النفوذ الأجنبي عند خوف الإفراط فيه وهي أول جريدة صرحت بسوء إدارة بعض المصالح الأجنبية . . . وهي وحدتها تحملت



العدد الأول من جريدة الاهرام

غضب المسيو دو بيلينيار وتحامله عليها وقد حرمت لذلك من فوائد جمة حباً منها بالوطن وأهله . . . وكم وقفت وكم أندرت وكم عطلت وكم حذرت . . . وإن لم تذكر إعجابها بفرنسا ومثابها العليا في الحياة^(١)

وتضى (المفيض) في حملتها على الشاميين وصحافتهم وتنقل عنها الصحف الناشئة في أحضان الثورة حتى شغل هذا الموضوع حياة المصريين جميعاً ، وحتى اتهمت الصحافة الشامية في مصر والشام الحكومة المصرية بأن تلك الحملة من صنعها ، وأنها تدفع صاحب (المفيض) وزملاءه إلى هذه الأزمة ؛ واضطهارت الحكومة إلى تكذيب هذه التهمة وإعلان هذا التكذيب في صحيفتها الرسمية مؤكدة أنها لا تنظر إلى موظفيها إلا من حيث كفاليتهم وجدارتهم . (٢)

ولم يكن (المفيض) موقفاً في هذه الحملة التي جاءت في وقت استندت فيه الخصومة بين الخديو ووزارته ، فاضطر كثيرون من الشاميين أصحاب الصحف وأصحاب الأعمال إلى الهجرة من مصر ، وسأله ذلك صحيفة (الطاائف) لسان حال العرابيين الرسمى فكتبت مقابلة بعنوان « المصريون والشاميون » تندد فيه بمن خلق هذه الأزمة وتسمى مهاجرة الشاميين إلى بلادهم نزوحًا سيعودون بعده « بالسلامة

(١) المروسي ١١ أبريل ١٨٨٢

(٢) الواقع المصرية ١٩ أبريل ١٨٨٢

ليعود للمصريين الأنس بأخوائهم والفرح بسلامة بنى جنسهم الذين يعز عليهم أن يروهم في روع أو اضطراب أفكار،^(١) غير أن حملة (المفید) كانت قد أثرت في بعض أصحاب الصحف الشامية في مصر، فاضطر صاحب الأهرام إلى الهجرة، ولم يعجب (الطائف) أن يمعن «بنو جنسها» في أمر لا يدعوا إليه داع، وهي ترى هجرة صاحب الأهرام عملاً لا مبرر له وتنذر ذلك معاقبة «اختفت جريدة (الأحوال) (٢) لتخيب صاحبها فراراً مما توهمه كثير من المهاجرين»،^(٣)

لم تعد الثورة تحتمل صحفاً معارضة فكانت أشد استبداداً من حكومة رياض، فقد اضطر أديب اسحق وهو موظف في الحكومة المصرية ومن خيرة الشاميين الذين لهم في الصحافة أثر غير منكور؛ اضطر إلى الانسحاب من جريدة (مصر) والتخلف عن ميدانها بعد حملة المفید وزميلاته^(٤) وفي شهر مارس ١٨٨٢ أعلنت جريدة (البرهان) وهي صحيفة الخديو توفيق أنها عزلت الشيخ حمزة فتح الله من تحريرها^(٥) وذلك لاحتفاظ بوجوها ولا تعرض لبطش الثورة وحكومتها، ومن الصحف التي لقيت حتفها في ذلك الوقت جريدة (الزمان) وذكرت المطبوعات أنها ارتكبت ما يخالف قواعد الدين الإسلامي وأنها أدانت على المطاعن الشخصية ثم أهانت جانب الحكومة.^(٦) ولم يبق من الصحف الشامية إلا جريدة (المحروسة) فقد عاشت موالية للحكومة في الظاهر حتى تبين لها أن صاحب الجريدة يعبر عن رأي القصر ورجاله ويذيع من الأخبار ما يقلق الأمن وتضطرب له الأفكار، فأمر عرابي باشا بتعطيلها ثلاثة أشهر في يونيو ١٨٨٢^(٧)

(١) الطائف ٢٨ يونيو ١٨٨٢

(٢) جريدة الأحوال لصاحبها سليم تقلا ومديرها بشارة تقلا صدر العدد الأول منه في ٧ يونيو ١٨٨٢

(٣) الطائف في ٢١ يونيو ١٨٨٢

(٤) مصر في ٨ مارس ١٨٨٢ . راجع وداع أديب اسحق لها في هذا العدد .

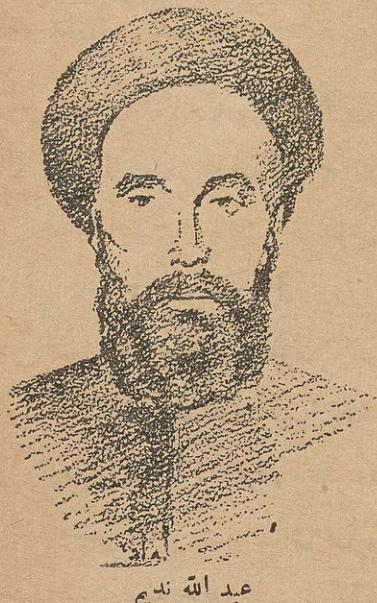
(٥) البرهان في ٣٠ مارس ١٨٨٢

(٦) المفید في ١٧ أبريل ١٨٨٢

(٧) المحروسة في ٣ يونيو ١٨٨٢ وفيه نشرت أن الأهرام عطلت شهرأ

طبعت الثورة قانون المطبوعات في شكل واسع لم يبق إلا على بعض الصحف الموالية ومن أهمها (المفید والطائف) وكانت أهم وظائف هذه الصحف الحملة على الخديو توفيق وأسرته، وشغلت (المفید) معظم صفحاتها بالحديث عن الخديو السابق حديثاً هو غایة ما يمكن نشره من بذاء، فهي لا تبتعد عن شهواته في التواء بل تفصيلاً تفصيلاً سواء اتصل الحديث بذكر أو أثني، وهي تنشيء هذه المقالات ولتحتها الادعاء وسداها المبالغة التي لا تستند إلى التاريخ (١) وتقرن (المفید) الحملة على إسماعيل بالحملة على الإنجليز في أكثر من مقال، أما الخديو توفيق فقد سفرت في الحملة عليه ونعته بالجبان المستجد . (٢) ولم تعد الصحف المصرية تطرق الموضوعات الدستورية أو تناقش المسائل العامة بخبرة الدارس الحصيف بل انتهى ذلك العهد وأصبحت الصحف المصرية تحرر بأفلام مصرية

خالصة، وأصبح كل أصحاب الصحف ، من المصريين وذلك بعد اختفاء (الأهرام) وغيرها من الجرائد في الإسكندرية والقاهرة ، وبعد أن ازوى الكثيرون من الشاميين كتاب الصحف ، وقد ظهرت على أنقاض الصحف الشامية صحف مصرية كثيرة (كالفساطط) (٣) والسفير والنجاح (٤) .



بيد أن هذه الصحف جميعاً لا تبلغ في مكانها ولا في خطرها ولا في إنشائها وتحريرها ما بلغته جريدة (الطائف) التي كان يحررها

(١) المفید في ٢٧ ابریل ١٨٨٢

(٢) المفید في ١٠ رمضان ١٢٩٩ هـ

(٣) من محضر استجواب رفعت بك - راجع مصر للمصريين ص ١٧١ - ١٧٢

(٤) حرر الشامي جريدة السفير وهي أقل أهمية من المفید وأخيراً اختفى المفید واستبدلته الشامي بجريدة النجاح في ١٨٨٢ . من مقال الشامي في السفير ٢١ أغسطس ١٨٨٢

كاتب حاد الطبع نابغ في الإنشاء وهو عبد الله النديم ، خطيب الثورة وكانتها غير منازع ، كانت صحيفته في أول أمرها تحمل على المساوىء الاجتماعية العامة كل ما خير والخانات والمرافق التي غزت القاهرة في ظل الامتيازات وتحت حمايتها ، والنديم صحفي ممتاز كثيرة ما نشر المقالات الرائعة في جريدة (المحروسة والعصر الجديد) اللتين كان يصدرهما سليم النقاش بفاء فيما بالمعجب والمطرد ، وكانت له صحيفة أدبية رائعة تسمى (التشكير والتبيكير) أصدرها في ٦ يونيو عام ١٨٨١ في حجم كتاب عادي ، صحيفة وطنية أسبوعية أدبية هزلية ، وهي مجلة كما يقول « هجورها تشكير ومدحها تبكيت ولغتها لا تتجلى إلى قاموس الفيرزابادي ولا تلزمك مراجعة التاريخ ولا نظر الجغرافيا » وسخر منها ، نفاثات صدور زفرات يصعد بها مقابلة حاضرنا بماضينا ، وهي في جموعها مقالات اجتماعية عن الحياة في مصر .

انتقلت الطائف من المقالات الاجتماعية الحالصة إلى الموضوعات السياسية العميقه والأخبار الهامة التي تميزت بها في عهد الثورة حتى إن معظم الجرائد المعاصرة نقلت عنها أكثر ما نشر ، واحتضنت « التشكير والتبيكير » وهي صحيفه نديم الثانية بموضوعات الأدب والاجتماع ، وكان من أهم وظائف الطائف الدفاع عن الثورة ورجالها وقد احتفى بها رجال الثورة وأنصارها فاشترك لها النواب بمبالغ كبيرة وأصبحت لهم لساناً فيه من العنف والشدة ما اضطر الشیخ محمد عبده إلى تعطيلها شهرآ (١) وقد اتخذ عطف الم هيئات عليها لوناً رسماً فكتب محمد سلطان باشار رئيس مجلس النواب في ١٥ ربیع الثانی عام ١٢٩٩هـ إلى « داخلية ناظری عطوه قتلوا افندم حضر تلری » يقول :

« حيث إن حضرة محرر الطائف أظهر ارتياحه إلى نشر محاضر المجلس وأفكار نوابه وما يتبع ذلك مما يستدعي القيام بالحقوق الوطنية للمجلس رقى أنه لا مانع

(١) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٣٣٦

من مكتبة الداخلية لتصدر أمرها إلى إدارة المطبوعات بمعرفة هذه الصحيفة ممتازة بهذا الاختصاص ونسبتها إلى المجلس على الوجه الذي قدمه حضرة محررها الموما إليه ، (١) وقد ذكرت جريدة (مصر) في ٢٣ مارس عام ١٨٨٢ أن مجلس النواب قد اختار جريدة (الطائف) الغراء لنشر ما يروم إبداؤه من الآراء والخواطر والتقارير والمحاضر فهي الآن صحيفته الشهادية بالرسمية ، ثم تقول « جريدة (الطائف) جديرة بهذا الاختيار فهي موصوفة بالوطنية معروفة بصدق النية ، منتشرة نافذة الكلام خطيرة من عية المقام »

ظهرت خطورة الطائف في هذه الرسمية التي حبّتها إياها الحكومة دون الصحف الثورية الأخرى ، فقد استطاع محررها أن يكون على يديه من شؤون الدولة وأن يجد في عطفها المادى والأدبى ما يعينها على تحطى المصاعد التي تعترض الصحف عادة وتحول دون تقدمها ، وهذه ميزات بجانب قدرة محررها تجعل لها مكانة خاصة بين الصحف المصرية خلال الثورة العرابية ، ولم تقتصر الطائف على « نشر محاضر المجلس وأفكار نوابه » بل صورت الأعداد القليلة التي عثرنا عليها مدى العنف في تحريرها ، وأظهر ما فيها تاريخ حياة الخديو إسماعيل في أسلوب فيه من النقاوة عليه والتشفي منه ما أبعده عن التاريخ العادل ، فقد بدأ الحبر فصل عن « الخديو السابق » بعنوان « سلب الأملاك من الملوك » في صفحتين كاملتين من صفحات الجريدة الأربع ، ثم مرض النديم وأقعده المرض عن إتمام الفصل فأرسل يعتذر عن تحرير جريدة ، إلا ما كان من تاريخ حضرة إسماعيل باشا فإني أتكلف بكتابته لأن نشره من ضمن علاج مابي ، (٢) ثم انتقلت من الحملة على إسماعيل إلى الإقذاع في الخديو توفيق في طهجة قاسية فيها تعریض بمقامه حتى أن حكومتها أمرت بتعطيلها نهائياً في ١٧ مايو عام ١٨٨٢ ترضية للخديو واعتذاراً له عما ارتكبته صحيفه الحكومة من الإساءة إلى الحاكم الشرعي (٣).

(١) محرر لمصر بين ج ١ من ٢٤٨

(٢) الطائف ٦ مايو ١٨٨٢

(٣) الرافعي ، الثورة العرابية ص ٣٧٤

تخرجت الأمور في مصر قبيل الاحتلال البريطاني بثلاثة أشهر تقريراً فند خلت
الدولتان الانجليزية والفرنسية بعد ذكرة تطلبان فيها استقالة الوزارة البارودية وإبعاد
عرابي وبعض خاصته عن مصر وإعادة السلطان المطلق إلى الخديو توفيق ، وقد
ترتب على هذه المذكرة استقالة الوزارة وتأليف الظاظرة الراغبية ودخل فيها
عرب باشا وزير للحربيّة ، ثم تطورت الحوادث سرعاً وحدثت مذكرة الاسكندرية
وانتقل الخديو إلى الشغر في ١٩ يونيو عام ١٨٨٢ واعتصم بها حتى قضى الأمر
باحتلال مصر وتسليم العرابيين .

ومنذ ضربت الاسكندرية وأخاز الخديو إلى الإنجليز حين احتلوها أصبحت
في مصر صحافتان ، صحافة في القاهرة تمثلها الواقع المصرية والطائف - وقد عادت
إلى الحياة - (والنجاح) وما إليها من صحف الحزب الثوري ، وصحافة في
الاسكندرية يقود زمامها الشيخ حمزة فتح الله في جريدة (الاعتدال) يحمل فيها
على عрабي ورجاله « البغاء الجمال العاصين الخليفة ونائبه » ^(١) ويعاون فيها
أديب أسحق الموقر من العرابيين بالمقالات والمنشورات ^(٢) . وبقيت صحف
الثورة في القاهرة خلال الحرب العرائية فيها خلا (الطائف) فهذه قد انتقلت
إلى الميدان الحربي حيث تحرر عن كشب في معسكر (كنج عثمان) وكانت معظم
مقالاتها لاستشارة الهمم والطعن على الخديو وإنجلترا ^(٣) وعن (الطائف) نقلت
صحف القاهرة أخبار الحرب وتفصيلها فضلاً عن مقالات محررها ^(٤) ثم دأبت
الجريدة على إصدار ملاحق لها تذكر فيها مساوىء أنصار الخديو ، ومن هذه
الملاحق الملحق الذي نشرته بعنوان « سليم وبشاره تقلا و توفيق باشا » وهو هجو
مقدع لا يليق ، تحمل فيه الكاتب من أسلوبه المعروف وأسف فيه إسفافاً منقطع
النظير ^(٥) .

(١) مصر المصرىين ج ٥ ص ١٧٦ - ١٩٣

(٢) نفس المصدر ص ١٩٤

(٣) مصر المصرىين ج ٨ ص ٢٩ - ٣٠ من اعترافات عرابي باشا أثناء حمايته

(٤) مصر المصرىين ج ٧ ص ٢٦٦ من محضر استجواب حسن أفندي الشعسى

(٥) ملحق الطائف في ٨ شوال ١٢٩٩ هـ

كانت الصحف الثورية خلال الحرب تتبع اتجاه الحكومة ، فـ كان مدير المطبوعات — وهو إِذَا كَ أَحْمَد رفعت بك — يمد محرري الصحف بنبذة ما جاء في الصحف الأوروبية لإبرازها إن كانت في جانب مصر ولارد عليها ومناقشتها إن كانت تختلف أغراض الثورة^(١) وقد تركت الصحف ، تقذف الخديو وشيعته معه نظر آ لأن المجلس العام المعقد بالداخلية والذى كان يضم جميع الوجهاء وأعاظم العلماء والذوات ورؤساء المذاهب المختلفة والبرنسات قرر توقيف أوامر الخد لآن خالف الشرع الشريف والقانون المنيف ، أما الموضوعات الأخرى التي كان تنشرها الصحف ، فإن القطر المصرى كان تحت القانون العسكرى وقد بلغت ذلك الجمادية للداخلية وبذلك أصبحت الصحف تحت الرقابة وأن الرقيب كان يعرض على المجلس العرف ما ستنشره الصحف وأنه من نوع منعاً باتاً نشر ما يشتم منه التعصب الدينى أو الطعن الشخصى الغير سياسى ، وقد وبححسن افتى الشعسى رسماً أمام المجلس العرف لنشره مقالاً تعصباً وطعناً شخصياً وخرج بذلك من جريدة (المفيض) وأُقفلت جريدة (الفضاط) لنشرها مقالاً مائلاً بأمر من المجلس العرف ،^(٢)

هذه كانت سياسة الحكومة نحو الصحافة في أدق مواقفها وهى موافق على حداثة عهد المصريين بها تبين إلى أى مدى استوى تفكيرهم في علاج أمر المطبوعات فالصحافة المصرية خلال الحرب تتبع نظماً تماثل في طرائقها أحدث ما يتبع معها في الحروب الحديثة ، كأن الدولة قد نزحتها عن التعصب والطعن الشخصى ، وعاقبت بعض الصحفيين من أنصارها حين امتنعوا عن تحقيق رغبتهما ، وذلك أمر لا تجيزه الدعاية الصحفية إذا قامت حرب بين أعرق الأمم وأعزها في شئون الصحافة كما شوهد ذلك في الحرب العالمية الثانية .

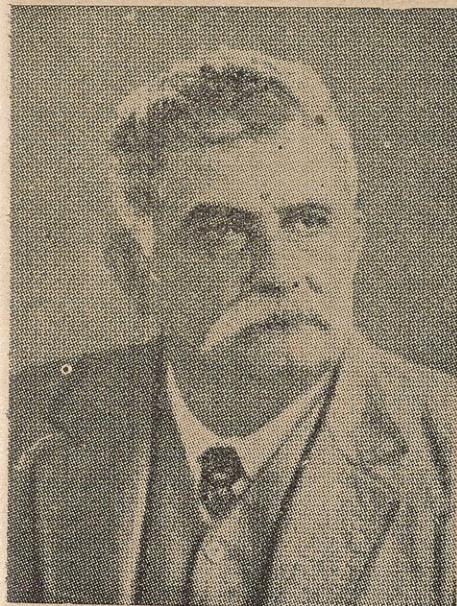
وقد وقفت الصحف الثورية عن الظهور بعد تسليم القاهرة ، ومهم ما يسكن

(١) مصر للمصريين ج ٧ ص ٢٦٥ .

(٢) نفس المصدر من ١٧١ — ١٧٢ (صحافة)

من أمر فإن تاريخها في الصحافة المصرية تاريخ حافل في كثريتها وفي أسلوبها المتميز بالعنف وإن غلت عليه العبارة المشعرة والصور البذرية ، وهي صحف غنية بدراساتها للمسائل السياسية دراسة علمية موقفة وإن قطعت عليها الثورة هذه الدراسة الممتعة وقد تحدثت صحف الثورة في كل موضوع اتصل بالسياسة أو الأدب أو الاجتماع وقد كان التحدث في أمور الاجتماع شيئاً جديداً لا على مصر وحدها بل على الشرق العربي كله ، وكان في طليعة من عالج هذه الموضوعات الدقيقة الدكتور شمبي شمبيل ، وله في الأهرام وغير الأهرام مقالات جديرة بالنظر قيمة بالتقدير والإعجاب .

وقد حيت الجمعيات الخيرية المختلفة إسلامية وقبطية ، وساعدت بدعائهما على تقدمها ، ثم نشرت القصص تباعاً وطبعت السكتب العلمية والأدبية في مطابعها وباعتها بأزهاد الأثمان ومن أهم هذه الصحف العلمية الأدبية مجلة (المقتطف) فقد تكفلت بما كانت تقوم به صحف الدولة الرسمية التي أغلقت كروضه المدارس وما إليها فنشرت طرائف العلم والأدب والتاريخ ، وكان أصحابها الثلاثة يعقوب صروف وفارس نمو وشاهين مكاريوس ينقلون إليها أروع وأفضل ما في السكتب والجرائد العلمية والصناعية في الغرب والشرق (١)



الدكتور شمبي شمبل

مكاريوس ينقلون إليها أروع وأفضل ما في السكتب والجرائد العلمية والصناعية في الغرب والشرق (١)

وقد تحررت الصحف في أول الثورة الصدق في رواية أخبارها وإن انحرفت في آخرها عن هذه السمة الطيبة وغلبها القدر الشخصي فترة بقاء في أبواب الأدب مثلاً رائعاً يعني أصحاب البلاغة وأساطين البيان.

وجاءت صحافة الثورة بجديد غير معروف هو البرقيات الخاصة التي ازدهرت بها معظم الصحف وفي مقدمتها الأحوال والأهرام ، وإلى هذه الأخيرة تنسب صحافة الأحاديث ، فقد تخصص أحد أصحابها في مقابلة وزراء الدول وزعمائهم في فرنسا وإنجلترا والتحدث معهم عن مصر وشئونها ، وتسجيل هذه الأحاديث في كتب أرسلها إلى مصر ونشرتها الأهرام على مدى الأيام . وقد روحت صحف الثورة العربية لل الاقتصاد الوطني فدعت إلى إنشاء المصارف وحيث أن أصحاب الفكرة فيها وضربت على هذه النغمة الفينة بعد الفينة مدلة على مال الاقتصاد الوطني من أثر في استقلال الشعوب وحربيات الأمم . وهي تعالج معاجلة الحصيف مشروعات الحكومة الداخلية فإذا أنشأت الدولة بنكاً زراعياً وهللت لتعطيه أسمهـ صحفـ (١) هاجـهاـ أسلوبـ تـكـوـينـهـ وـالمـفـيدـينـ مـنـهـ وـهـمـ أـصـحـابـ الطـينـ والأـغـنيـاءـ ، ودارـتـ المناقـشـةـ بـيـنـ الصـحـفـ وـأـصـحـابـ الرـأـيـ فـيـ الـبـلـادـ فـيـ شـأنـ هـذـاـ البنـكـ (٢) فإنـ كانتـ الأـحـدـاثـ السـيـاسـيـةـ فـيـ تـلـكـ الفـتـرـةـ مـنـ حـيـاةـ مصرـ قدـ وـقـفـتـ أـكـثـرـ الـأـقـلـامـ عـلـىـ هـذـهـ الأـحـدـاثـ إـنـ الصـحـافـةـ الـمـصـرـيـةـ لـمـ تـفـوـتـ الـبـحـثـ فـيـ شـئـونـ غـيرـ شـئـونـ السـيـاسـيـةـ ، فـيـ حرـيـةـ سـاعـدـ عـلـيـهاـ استـقـلالـ رـأـيـ مـحـرـرـهـ وـعـدـمـ اـرـتـبـاطـهـ بـحـزـبـ مـنـ أـحـزـابـ الرـأـيـ عـلـىـ الـوـجـهـ الـمـعـرـوفـ مـنـ الـارـتـبـاطـ بـيـنـ الصـحـفـ وـالـأـحـزـابـ فـيـ خـلاـ فـتـرـةـ الـحـرـبـ وـرـقـابـةـ الرـقـيبـ ؛ وـهـيـ فـتـرـةـ تـمـيـزـتـ بـالـحـزـبـ الـعـسـكـرـيـ وـتـحـزـبـ الصـحـفـ الـقـاهـرـيـ لـهـ .

(١) المروسة ٢٢ و ٢٦ يونيو ١٨٨٠

(٢) المروسة ٢٢ و ٢٦ يونيو ١٨٨٠

الصحافة في عهد الاحتلال

ووجدت الثورة العرابية من يعيشها ويأخذ على رجالها أنهم أنوا كبرة لم تعرفها أمة من الأمم ، والثورة العرابية في الواقع شيء تردد صداؤه في أقطار الدولة العثمانية طلباً للدستور والحياة الحرة التي ثارت من أجلها بلاد أوربية في حوض البحر الأبيض المتوسط في أوائل القرن التاسع عشر أو في أواخره ، والثورة العرابية ثورة عامة في مصر لم تدفع اليها طبقة دون طبقة بل شاعها الجامدون والمجددون على السواء ، وآزرها جميع الوجهاء وأعاظم العلماء والذوات ورؤساء المذاهب المختلفة والبرنسات ، (١) ولم تتحقق الثورة العرابية لأن أصحابها كانوا يرجون شيئاً بعيداً أو يتمنون حدثاً جديداً يغير طبيعة الحياة ويسير إلى الأمم المتحضرة بل أخفقت الثورة لغموض موقف السلطنة العثمانية منها ، وقدرة الأجانب على حبك الدسائس لها ، وأخيراً لضعف قادتها من حيث تفكيرهم أو قوى جيوشهم .

لم تتحقق الثورة فحسب بل نكبت في رجالها فأضحوها بين قتيل ومنفى وسبعين ، واستسلم الانجليز أمة ذاهلة أو في شيء ذهول ، ليس لها قادة فقد آخر جنون الاحتلال من الميدان فظهر الخنود على الخاصة ، وبلغ الإعیاد عند العامة مبلغاً مضى بهم إلى اللون من التسليم والرکون إلى القضاء والقدر ، ولم يعد أمام المحتلين أحد يطاولهم في رأى أو يناقشهم في حساب ، وأصبحت أمور مصر كلها وديعة في يد البريطانيين يتصرفون فيها على ما يشتهون .

وقد أتفق اللورد دوفرين Dufferin سفير إنجلترا في الاستانة زهاء نصف عام في مصر لينظم أمرها في ظل الاحتلال مؤقت ، وكان أظهر ما صنعه في تمثيل الرأي العام إنشاء مجلس شوري القوانين والجمعية العمومية ، أما المجلس الأول فيتكون

(١) مصر للمصريين ج ٧ ص ١٧١ - ١٧٢ من استجواب أ Ahmad Bak رفعت

من ثلاثة عضوآء منهم أربعة عشر عضواً تعينهم الحكومة ومثلهم تنتخبهم الأقاليم واحد ترسله القاهرة وآخر تختاره الاسكندرية (١) ثم يضاف إلى هؤلاء وزراء الدولة وستة وأربعون عضواً لتكون الجمعية العمومية منهم جمِيعاً، وليس لهذين المجلسين من مظاهر الحياة إلا قدر لا يعتقد به في عظام الأمور، فلم يكن لها على الحكومة سلطان، ولم يكن لرأيَّها قطع في المسائل العامة فيها خلا حق الجمعية العمومية على الحكومة في إقرار الصراحت الجديدة (٢). ولم تكن هذه هي الحياة الدستورية التي من أجلها هاجت مصر وكافحت في « صورة كاذبة للحكم الدستوري أجيد رسماً » كما يقول أحد أعضاء مجلس العموم البريطاني (٣) فلا عجب إن بقيت مصر أربعين عاماً وهي تفتقد مجلساً نياً يعبر عن أغراضها وينطق بلسانها.

وهكذا كون الرأى العام الرسمي، أما الرأى العام الشعبي تمثلاً في الصحافة المصرية فذلك أيضاً لم يخل من عنابة اللورد دوفرين، فإنه لم ينس وهو يختتم نظامه الجديد ذكر حقيقة هي أصدق ما قال في أمور مصر فأنه يرى « أنه بقى فوق ذلك نظام واحد ضروري لجعل النظم التي تقدم وصفها فعالة مشمرة ذلك هو الصحافة الحرة، (٤) فالصحافة في تقرير Dufferin نالت جانب رعايته وهو جانب واضح لا يلبس فيه، ويرى بعض المؤرخين الإنجليز أن التفاته اللورد وجدت صداتها وتحققت معانها حتى « أهمل قانون سنة ١٨٨١ إهمالاً تاماً ونالت مصر حرية صحافية لم تعرف في شمال إفريقيا أو غرب آسيا » (٥)

ويكاد الباحث في تاريخ تلك الحقبة من تاريخ الصحافة المصرية يؤمن بأن إشارة اللورد دوفرين قد لقيت أذناً صاغية، سواء كانت من الإنجليز أصحاب النفوذ الحقيقي في البلاد أو من المصريين العاملين بارشادهم في تصريف الأمور، ويقوى

(١) George Young. Egypt. p. 150—151. London 1927

(٢) الرافعي . مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال . القاهرة في ١٩٤٢

(٣) مضابط البرلمان الإنجليزي ١٨٨٣ مجلد ٢٦٧ ص ١٣١

(٤) مصر رقم ٦ سنة ١٨٨٣ ص ٥٠

(٥) Young. p. 179—180

هذا الاتجاه أن تقارير السير بارنج السنوية قد أغفلت شئون الصحافة ، بما يدل على أن أمورها قد استقامت وأنها خلو من الأحداث التي شهدتها الثورة أو عرفها عصر إسماعيل في خاتمه .

ثم يفاجتنا اللورد كرومر في تقريره عن سنة ١٩٠٣ بحديث طويل عن الصحافة المصرية استغرق من التقرير ثلاث صفحات كاملات ، وهو يستهل حديثه عنها بأنه إنما أغفلها في العشرين سنة الماضية لأنه لم تكن هناك حادثة ذات أهمية تتصل بشئونها ، وهو يزعم أنه حرص على حريتها في تلك الفترة ، مع أن الاتجاهات العامة منذ عهد الاحتلال كانت توحى بالتضييق عليها والوقف دون حريتها المطلقة ، وهو يشرح فكرة إطلاق العنان لها شرعاً تمهلاً للثقة التامة بضعف أثرها وهو أن خطرها ، فإنه مadam جيش الاحتلال قائماً فلا يخوف على سلطان الانجلزيز منها لأنه يحمي الموقف من كل تطرف صحفى .

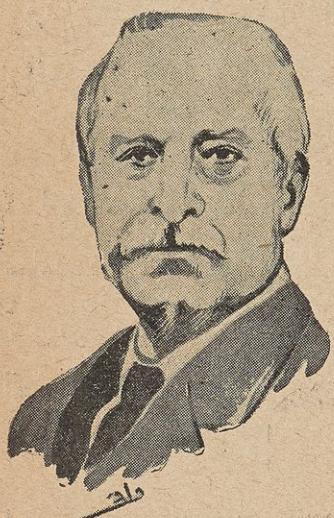
ثم يتحدث العميد الانجليزي عن فكرة التقنين للصحافة فيذكر أن فكرة إصدار قانون للصحافة سليمة إشكالاً نحن في غنى عنها ، لأنه يستوجب مراجعته نصوصه على الصحافة الأجنبية أيضاً ، وفي ذلك من المشاكل ما يحدرك أن تتجنبها ، وإذا اقتصر القانون على الصحافة المصرية وحدها فإن ذلك يحمل المصريين على الاحتماء بالدول الأجنبية في حالة توظيفهم في الصحافة فلا ينال منهم القانون ويصبح لغواً لفائدة منه ، هذا مع العلم بأن معظم الدول وبريطانيا في مقدمتها لا تمثل إلى سن مثل هذا القانون .

واللورد كرومر يصارح حكومته بأن الصحف المصرية مما تنشر من حالات فلن تغير بجرى الحوادث ، وأن قضائياًها مهما تكثر فهي تدور في حيز ضيق يتصل بالصحف التافهة التي تتعرض للشخصيات وتلغ في الكرامات ، وهذه صحف يسخط عليها الرأي العام ، وهي قلماً نسيء إلى شخصيات ورؤساء الدول الأجنبية أو الخديو وأسرته .

ولما كانت الصحف لا يحفل بخطرها كما يقول اللورد فإنه أبى أن يجعل شرط

ظهور الجريدة حصوها على ترخيص سابق ، وسياساته هذه أتتنيت في رأيه تماشياً مرضية ، فقد سمحت لبعض الصحف بالظهور وفي أسلوبها من الشدة والعنف ما فيه غير أنه يراجعها ويجد فيها بعض الفوائد أحياناً ، وهي لم تستطع أن تكون حائلاً دون التقدم في السنوات العشرين الماضية .

واللورد كرومر يوصى الموظفين مصرىين وبريطانيين بالصحف المعتدلة لأنها تقييم ببنقدها وبشرح بعض الأخطاء التي تتلاها الحكومة فلا تكن الصحف المعارضه من أن تجده أنساناً قوية في جملتها فتأتى معارضتها واهية لا أثر لها ، وقد طالع بنفسه بعض هذه الصحف فرأى أنه كان من الخطأ لا يعرف ملاحظاتها سواء في ذلك الصحف التي أصدرها الأفراد أو الجماعات ، وهو يعيي على الرسميين كراهيتهم للصحافة وترميمهم بكل معارضه ، ثم يختبر وجهة نظر القائلين بفرض قانون للصحافة لأن في قانون العقوبات ما يغنى عن سن تشريع جديد (١)



ويحدى بمورخ الصحافة المصرية في تلك الحقبة أن يصوّر موافق السلطات قبل مناقشة اللورد كرومر فيما ذهبت إليه أقواله عن الصحافة المصرية ، فالخديو توفيق لم تكن له صحف ذات أهمية ولم يسع هو إلى خلق هذه الصحف بل كان موقفه موافقاً سليمياً وهو موقف سليم على أي حال ، أما ترکيا ، فكان لها بالطبع صحف تمثيل إليها أو تعمل لها بایعاز من مختار باشا ممثل السلطان في مصر ، فكان يدفع لبعض الصحف ألفاً وخمسمائة جنيه لـ كل منها (٢) وكان لفرنسا صحف كثيرة تناولت الاحتلال وتحمل عليه ، وهذه تعنيها مصالح فرنسا قبل أن يعنيها شيء آخر ، وكان

Blue Books 1903 p. 81—32 (١)

Blunt : My Diaries p. 167 (٢)

فالعنابة الانجليزية بالصحافة بدأت في صحافة أوربا ، أما في مصر فيختلف الواقع مع ماجاه في تقرير كروم سنة ١٩٠٣ ، فالحكومة المصرية قد عاملت الصحف معاملة فيها من القسوة ما ينفيه أقوال العميد البريطاني ، والحكومة المصرية هنا تمثل الرغبات الانجليزية ولا تجيز شيئا لا يرضي الانجليز ، فهى إن قسمت على الصحف المصرية كذلك رجع الصدى ليس غير ، وقد ألغى الاحتلال بعد أسبوع بعض الصحف الوطنية منها جريدة (الزمان) و (السفير) وكان الغاء الأولى «من قبيل الاستصواب» ، والغاء الثانية مبنياً على «أن صاحبها من ضمن أنصار عربي» وإذا أغفلت الصحف المعارضة وهو شيء طبعي مادام سلطاناً للاحتلال أناخ على جوانب الحكومة جميعاً فإن الغريب حقاً أن تضيق الحكومة بكاتب من الأجانب يبدى رأياً لا يتصل بالسياسة وهو موظف يقدر حدود الوظيفة والتزامات الموظفين إذا تحدثوا أو كتبوا ، فقد أذاعت نظارة الداخلية عقب الاحتلال أمراً قال فيه «قد عثر في جريدة (الأجنبية) غازيت على مقالة تتعلق بمواد التعويضات

عن الأضرار التي لحقت بسكان القطر المصري من جراء الحوادث الأخيرة وعلم أن محررها هو المسيو فورين باشـكـشـافـاجـركـباـسـكـنـدـرـيـةـ،ـ وأنه وإن كانت المقالة خالية من العبارات الخلة بشأن الحكومة إلا أنه لا يجوز لمستخدمي الحكومة جميعاً أن يكتبوـالـجـرـائـدـ (١)ـ.ـ ولعل سبب ذلك الضيق بالصحيفة الانجليزيةـ وـبـمـيـنـيـكـتـبـفـيـهـاـأـنـهـأـخـذـتـجـانـبـالـعـرـائـيـنـوـهـوـمـوـقـفـدـفـعـلـهـبـلـنـتـبـسـخـاءـ (٢)ـ يـسـجـلـالـلـوـرـدـكـرـوـمـرـفـيـتـقـرـيرـهـأـنـالـصـحـافـةـالـمـصـرـيـةـقـطـعـتـعـشـرـيـنـعـامـاـبـعـدـ الـاحـتـلـالـمـنـغـلـىـتـارـيـخـ،ـوـهـوـتـسـجـيلـيـنـقـضـهـبـلـاغـالـحـكـوـمـةـالـذـيـيـحـاسـبـصـحـفـ (ـالـوـطـنـ)ـوـ(ـاـسـكـنـدـرـيـةـ)ـوـ(ـمـرـآـةـالـشـرـقـ)ـوـ(ـالـبـرـهـانـ)ـوـ(ـالـأـهـرـامـ)ـعـلـىـ بـعـضـمـقـالـاتـالـنـقـدـالـتـيـوـجـهـهـالـلـاحـتـلـالـ،ـثـمـيـزاـوجـالـبـرـيـطـانـيـوـنـبـيـنـالـصـحـافـةـ الـمـصـرـيـةـوـالـصـحـافـةـالـأـجـنبـيـةـفـيـعـالـمـهـفـيـنـدـرـوـنـجـرـيـدـتـهـمـ (ـالـأـجـشـيـانـغـازـيـتـ)ـ وـيـغـرـمـونـهـاـعـشـرـيـنـجـنـيـهـاـلـأـنـهـاـتـجـاـوـزـحـدـودـهـاـفـيـهـاـنـشـرـتـهـمـفـيـمـقـالـاتـفـيـيـوـمـيـ ١١ـأـغـسـطـسـسـنـةـ ١٨٨٣ـ (٣)ـ.

ويـنـقـضـتـتـارـيـخـالـأـهـرـامـأـيـضـاـماـذـهـبـإـلـيـهـكـرـوـمـ،ـحـقـاـإـنـهـبـدـأـتـبـعـودـتـهـإـلـىـ الـظـاهـورـفـيـ ٢٩ـسـبـتمـبـرـ ١٨٨٢ـ (٤)ـ حـاملـةـعـلـىـهـالـعـاصـىـعـرـايـ وـرـفـاقـهـالـبـغـاةـ،ـمـادـحةـ أـنـصـارـالـخـدـيـوـ،ـكـسـعـادـتـلـوـسـلـطـانـبـاشـاـ،ـ (٥)ـ نـاـشـرـةـصـورـةـرـائـعـةـفـيـصـدـرـهـالـلـجـنـرـالـ السـيـرـوـلـسـلـيـقـائـدـالـجـمـةـالـأـجـنبـيـةـعـلـىـمـصـرـمـؤـرـخـحـيـاتـفـيـمـعـظـمـالـصـفـحـةـالـأـوـلـيـ،ـ وـهـيـفـيـمـقـدـمـةـالـصـورـالـتـيـنـشـرـتـفـيـالـأـهـرـامـفـيـمـاـنـعـلـمـ (٦)ـ وـبـمـلـقـالـقـولـإـنـهـبـدـأـتـ

(١) مهرـالـمـصـرـيـنـ جـ ٦ـ مـ ٢٤٢ـ — ٢٤٣ـ

(٢) التـارـيـخـالـسـرـيـ مـ ٣٣٢ـ

(٣) الأـهـرـامـ ١٨ـأـغـسـطـسـ ١٨٨٣ـ

(٤) قـضـىـقـوـمـسـيـونـتـعـوـيـضـاتـالـدـولـيـةـالـمـصـرـيـةـالـمـعـقـدـبـالـأـسـكـنـدـرـيـةـفـيـيـوـلـيـوـ ١٨٨٣ـ لـسـلـيمـ بـكـ تـقـلاـ يـبـلـغـ ١٩٠ـأـلـفـ فـرـنـكـ تـعـوـيـضـاـعـنـالـسـاعـرـاتـالـتـيـلـحـقـتـهـخـلـالـثـورـةـالـعـرـaiـةـ وـذـكـ بـعـدـ رـقـمـ ٥٩٧٩ـ (ـرـاجـعـالـوقـائـعـالـمـصـرـيـةـفـيـ ٢٠ـأـغـسـطـسـ ١٨٨٣ـ)

(٥) الأـهـرـامـ ٣ـأـكـتوـبـرـ ١٨٨٢ـ

(٦) الأـهـرـامـ ٥ـأـكـتوـبـرـ ١٨٨٣ـ

المينة للاحتلال ورجاله وإن حفلات صفحاتها خلال ١٨٨٢ بأراء الصحف الانجليزية والفرنسية في المسألة المصرية وجعلت يوم الخميس وفقاً على أخبار مصر الداخلية .
ييد أن (الأهرام) تحمل علم الجihad وحدها منذ بدأ سنة ١٨٨٤ فتوعد العام المنصرم « داعاً لا يمازجه أسف ولا يقابلها كدر بل هو واقف إزاءه وقوف ضعيف سلبيه خصمه متاعه يستعطفه فلا يكتنوا ويستصرخه فلا يعي » ، ويدو في هذا المقال الانحراف عن الاحتلال ودعاته ثم تعقب على ذلك بشعر مآسي مصر وإن لم يصدر ذلك من محررها ، فهي تنتقى أقوال الصحف الانجليزية التي برمت بالسياسة البريطانية في مصر فتقول على لسان (ذى استاذ دارد) « يلوح أن حالة مصر في الحاضر أسوأ منها يوم تولى الانكليز إدارة السياسة المصرية عقب موقعة التل الكبير ولو لوج العساكر الانكليزية عاصمة القطر » .

ثم تحدث في حياة مصر أزمة السودان وانهيار الحكم المصرى فيه فتاق الأهرام بدلها فى أمره وحوادثه وتعرض المسألة السودانية والأزمة التي أعقبتها وتصل خيبة الأمل التي لحقت جيوش مصر بوقف الانجليز ، وتحدث عن نصيحتهم بتركه ، ومعنى النصيحة كما نشرتها الأهرام أن تقبلها مصر « دون حدوث تردد أو إجراء جدال بالإطلاق طالما أن جيش الاحتلال مستقر في البلاد المصرية » .

والأهرام لا تعجبها هذه النصيحة الانجليزية لأن الوطنى الشريف فى رأيها لا يوقع أمرآ يأكلاء السودان ، لذلك اعتزلت الوزارة الحكم ، ويعلق بشارة فى اليوم资料 على موقف الحكومة الشريفية شاكراً لها خطتها محمودة و موقفها الوطنى المشرف ثم يعطف الكاتب على موقف مجلس الشورى والجمعية العمومية الذين يشهدان تلك الحوادث وهم على سكوت (١) . وتنهى الأهرام على من وافق على إخـــلانه أشد المعنى وتنشر أحاديث أمراء الألوية بالجيش مبينة من هذه الأحاديث خطأ الحكومة وإهمالها في الحرب (٢) ثم تذكر المحاربين المصريين

(١) الأهرام في ٢ و ٣ يناير ١٨٨٤

(٢) الأهرام في ٢٤ يناير ١٨٨٤

الذين صبحوا بأرواحهم ، تخليداً لذكر مصرنا العزيزة ، (١) وبذلك تولت الأهرام التفاصيل عن المصريين ، وكانت حوادث السودان من مواقفها المشتركة ، وهي حوادث أكترتها في عين التاريخ عن المجلسين برجاهما وذواتهما .

فأذا فرغت الأهرام من المسألة السودانية ووَقَعَتْ استقالة ثابت باشا وزير
الداخلية نتيجة لتعيين المستر Clifford Lloyd وكيلًا للداخلية في ١٥ يناير
عام ١٨٤٤^(٢) وتحرجت الأمور بين الوزير والوكيل . حتى اضطر الأول إلى
الاستقالة لأنَّه لم يعد في وسعة «المحافظة على شرف المصلحة»^(٣) شرحت الجريدة
هذه الأزمة وأعلنت أنها من صنع الانجليز وأنَّهم أصحابها ودعاتها ، ثم تعلق على
ال الموضوع تعليقاً وطريقاً أنفرد به وحدها .

ويسافر مدير الجريدة إلى إنجلترا وتأخذ الأهرام في نشر رسائله المتصلة وأحاديث المتابينة عن مصر وشئونها ، وكان من أهم الأحاديث التي نشرتها الأهرام حديث مديرها في أول يونيو ١٨٤٤ مع ريفرز ولسن عن حالة مصر ، فإذا سأله Wilson عن حال البلاد أجابه « بأنها سيئة بفعال أبناء جلدته » ، ويحييه عن سؤال يتصل بالأسباب التي تحول دون تأليف وزارة يكون من أعضائها رياض باشا وشريف باشا بأن ذلك يتم « إذا كان القصد خدمة مصر لا خدمة الانكليز » ، ويحيى مدير الأهرام عارضاً مساوى الإدارة المالية الانجليزية في مصر .

ويستقبل الماصريون هذه الأحاديث المنشورة استقبلاً يضع الأهرام في مكان
الزعامة من أفكارهم وآلامهم ، فإذا هي تطلع عليهم في ٤ أغسطس ١٨٨٤ وفي
صدرها خطاب « من علماء وذوات ونواب شورى وغيرهم في الاسكندرية »
يدينون لها موقفها من مصالح مصر ويحفظون لها وفاهماً لآمانهم ، وتقرن نشر
هذا الكتاب بكتاب آخر من أقاليم مصر الأخرى وهو يضرب على نفس النغمة
من تكريم الجريدة وأصحابها .

(١) الأهرام ١٥ فبراير ١٨٤٨

(٢) مجموعة الأوامر العالمية عام ١٨٨٤ ص ٤

(٣) الأهرام في ١٠ مارس ١٨٨٤

نالت الأهرام تقدير المصريين كأنالت بر الدولة العثمانية بها ، أما فرنسياؤامر عطفها عليها معروف منذ عمدة إسماعيل ، وتحمل جريدة الشعب في تأريخها للصحافة الوطنية هذا كله في قولها عن الأهرام إن « سياستها عثمانية مصرية تدافع عن مصالح فرنسياؤامر في مصر سواء كانت اقتصادية أو سياسية ولكنها لا تهمل المصلحة المصرية وهي تقر للحكومة الحسنة وتبين لها السومة ... وهي أكثر الصحف المسيحية عناية بمصالح الوطنيين وأحياناً تشتد في نقدها أكثر الصحف الوطنية تطرفاً »

وينذكِر بعض خصوم الأهرام اتصالها بفرنسا كعار لا يمكن أن تمحوه المواقف الوطنية المشرفة ، وفي هذا من التجني ما لا يقبله المؤرخ العادل ، فالأهرام بقيت في تاريخ مصر الحديث عشر سنوات تحمل لواء المعارضة ووحدتها وتحيي ميت الرجاء في نفوس المصريين ، وهي التي نقلتهم من الذهول إلى يقظة مهدت للحزب الوطني وجوده ، وليس يعيها بحال أن تعجب بفرنسا أو تعمل لها مادامت لا تهمل المصلحة الوطنية ، (١) ولا يضيرها هذا في التاريخ وبعض الأمم تعجب ببعضها وتعمد لها وتومن ببعادها حتى لا تسلّم أحياناً من تعریض استقلالها وجودها الخطر قريب أو بعيد ، وتاريخ الأهرام في الأعوام التي تلت الاحتلال أفضل من تاريخ مجالس مصر النيابية وأعز عند المؤرخ منها ، وإن مصر نفسها لم تختلف عن الأهرام في إيمانها بفرنسا وأملها فيها ، وعند ذلك تتفق الأهرام ومصطفى كامل زعيم النهضة قبل الاتفاق الودي .

وإذا كان حظ الأهرام عند المصريين والسلطان والفرنسيين حظاً موسوماً بالتقدير والإعجاب ، فإن الحكومة المصرية ومن ورائها رجال الاحتلال لا يرون فيها هذا الرأي وهي تورق حياتهم بمانشـرة من مقالات وأحاديث ، لذلك قررت الحكومة تعطيلها شهراً لأنها نشرت جملة مواد سياسية من شأنها خدش سلطة واعتبار الحكومة الخديوية ، (٢) ولأسباب التعطيل نواح خفية لم يتضمنها بالطبع

(١) الشعب في ٨ مايو ١٩١٢

(٢) الوقائع المصرية في ٢١ أغسطس ١٨٨٤

أمر الإغلاق وأهمها رسالة مديرها من لندن المشورة في ١١ أغسطس ١٨٨٤ فقد عرض فيها بشارة إلى أحداث مصر ، وغمز الحكومة المصرية يعتبر جارحاً في تلك الأيام (١) وفي ذلك تقول (العروة الوثقى) إن أسباب غلقها نشر رسائل مدير الجريدة وهو في لندن على مافيه من بيان بعض مساوىء السياسية الإنجليزية على خلاف رغبة البشا - تقصد نوبار باشا - وقيل إن السبب نشر التشكير الذي قدم إلى المدير والمحرر من أعيان البلاد دلالة على استحسان مشرب الجريدة (استقباح سياسة الإنجليز) (٢)

ومهما تكن الأسباب الظاهرة والخفية فإن الأهرام عطالتها الحكومة شهراً، وإذا لم يكن المصريون يملكون ما يحول دون تعطيلها فإن القنصلية الفرنسية أثارت ضجة خطيرة لهذا الموضوع ، وتبأ قصة هذا الكفاح ببرقية إلى الداخلية من أحد موظفيها يذهب فيها بأنه « صار إعلان قرار بتعطيل جورنال الأهرام إلى سليم بيك تقله نفسه في صباح تاريخه الساعة ٦ فرنسي بعد توقيفه السكري مع غلق المطبعة تعلقه والختم على بابها بحتم المحافظة وتعيين اثنين بوليس غفرة على الباب المذكور . وبعد نحو ذلك حضر مندوب من قنصلاتو فرانسا وأمرنا بالخروج من محل مكتب الجورنال الذي كنا فيه لأجل تحرير الحضر فأورينا أن مأمورينا انتهت وانصرفنا ».

ثم يبعث القنصل بكتاب إلى المحافظة يتحج على ذلك أشد الاحتجاج ويوضح أنه أن عمل الحكومة كله عمل غير قانوني من جميع الوجه وفيه من الظلم ما لا يحتمله، وهو اعتداء على كرامة القنصلية الفرنسية لا يقبل معه اعتذاراً كتايمياً أو شفهيماً قبل أن تفتح مطبعة تقلأ بحضور مثل القنصلية ، ثم يهدد المحافظ بأنه سيكتب للقنصل العام في القاهرة ليطلب الاعتذار الرسمي على إهانة السيادة القنصلية التي صدرت عن السلطات المحلية وعلى رأسها محافظ التغر ، وأرسل القنصل كتاباً

(١) الداخلية ملف ١١ — ٢ — ٩٤٦

(٢) مجلة العروة الوثقى ص ١٤٥ — ١٤٦

مائلاً لوزير الداخلية وإن صيغت عبارته في ألفاظ رقيقة.

ويبعث حافظ الاسكندرية ببرقية إلى ناظر الداخلية ينبئه فيها بضمون كتاب القنصل، وأهم ما فيه احتفاظه بحقوق صاحب الأهرام وطلبه رفع الاختام في غضون نصف ساعة ، ييد أن الوزير أمر الحافظ بتنفيذ التعليمات على ضوء ما أرسل إليه من رئيس النظارة ، ويبدو أن القنصلية الفرنسية عجزت عن أن تحول دون تعطيل الأهرام فأوعزت إلى صاحبه بأقامه الدعوى على الحكومة أمام المحكمة المختلطة في ٢٧ أغسطس عام ١٨٨٤ (١) غير أن هذا الموضوع لم يقض فيه.

هذه هي إحدى حوادث التي أنكر اللورد كرومر وجودها حين تحدث عن الصحافة المصرية في سنة ١٩٠٣ وهي أبرز حوادث الصحافة الوطنية إذ ذلك لأن الأهرام (٢) كانت تمثل في مصر المعارضة وتتمثل مع غيرها المصالح الفرنسية ، وتعبر من ناحية أخرى عن سخط الباب العالي على الحالة في القطر المصري ، فهى حادث من حوادث مصر البارزة ، وتعطيلها لون من ألوان الضغط على الحريات العامة .

لم يذكر اللورد كرومر هذا الحادث ، ولم يفصل تاريخ الوزارة النوبارية مع الصحف وهو تاريخ حافل كان تعطيل الأهرام مثلاً من أمثلته ، وكان قرار هذه النظارة بمنع جريدة (العروة الوثقى) من الدخول إلى مصر مثلاً ثانياً للضيق بالرأي الحر ، فقد أصدر مجلس النظار في أول مايو عام ١٨٨٤ قراره هذا « حفظاً للنظام العمومي » (٣) وسيأتي الحديث عنها في فصل خاص بالصحف المصرية

(١) محفوظات الداخلية ملف ١١ — ٢ — ٩٤٦ ج ١

(٢) أصدر بشارة تلا جريدة الشرق ، ورخصت له بذلك الداخلية في ٢١ مايو عام ١٨٨٣ ثم غير اسم الشرق بالنيل في ٧ مايو عام ١٨٨٧ ونقلت الأهرام إلى القاهرة في أول نوفمبر عام ١٨٩٩ ورفضت الداخلية اصدار الجريدة بالاسكندرية أو اصدار صحيفة فرنسية في القاهرة . ثم تغلب أصحابها على العقبة وأصدروا في التفر ياسم (الأهرام طبعة الاسكندرية) ، ثم غيرت إلى صدى الأهرام (راجع الداخلية المصدر السابق)

(٣) الوقائع المصرية في ١٥ مايو عام ١٨٨٤

في الخارج، ثم ألغيت الوطن في نفس السنة (١) لأن صاحبها « نهج في جريدة »
نهج عدم الاستقامة الخالفة بنشر الجل والأخبار المشوّشة للأفكار والوجهة
للقلق والاضطراب، (٢). ومن الغريب حقاً أن تلغى الوطن وهي من الصحف
المؤالية لنيل رئيس الحكومة الذي أصدر الأمر بالغائزها في تصفية قبل الحكومة والاحتلال
بعد الثورة العربية استقبلاً منقطع النظير، وهي تحمل على العرايين وإن
مزقت الجلة بلون من التعصب الديني (٣) وهي تحمل على استبدال الذي بحكم
الإعدام في قضية عرابي حملة استغرقت معظم الصفحة الأولى منها ، فإذا أحست
أن هذه الجلة آلمت الإنجليز وهم أصحاب الرأى في استبدال هذا الحكم، اعتذرت
بتقولها قد رأينا أن ندفع ما علّق بأوهام البعض من أننا ندّننا على إنكلترا في مصر
والحال أننا لم نأت شيئاً إداً ولم نخرج عن الحد أبداً ولم نستعمل حدة ولا شدة
في كلامنا على نتيجة حاكمة البغاء بل إن جريدة (الوطن) دون غيرها طالما
دافعت عن سياسة إنكلترا ونشرت ما ثرّ أهلها ومكارم أخلاقهم ... وما اشتد
كره تلك الفئة الباغية كما نعمت لو أتت دولة البربرة لتنقضنا من مخالفها فما بالك
بدولة بريطانيا المتمدنة المشهورة بحسن السياسة وزيادة السكينة ودهاء الرجال
وسداد الأعمال فهل يظن أن يقابل معروفة بالغمط والكفران» (٤).

كان من الغريب حقاً أن تلغى جريدة (الوطن) وهذه هي سياستها وهي
سياسة مؤالية أشد الولاء للإنجليز ورجالهم من المصريين ، وأكبر الظن أن
عقاها كان في وعلى غير أساس، لأنها عادت إلى الحياة بعد يومين من صدور أمر
الأخلاق (٥). ومن الحوادث الصحفية التي أغفلها كروم في تقريره إغلاق
(مرآة الشرق) بقرار من مجلس النظار وهي من الصحف الوطنية القديمة التي طبعت

(١) الواقع المצרי ١٢ مارس ١٨٨٤

(٢) الداخلية دوسيه رقم ٤ مكرر

(٣) الوطن ٢٥ نوفمبر ١٨٨٢

(٤) الوطن في ٩ و ١٦ ديسمبر ١٨٨٢

(٥) الواقع المصري في ٣١ مارس ١٨٨٦

طبع الاخلاص والتضحيه والمعارضة للاحتلال ورجاله وتعريف ما يقال فيهم
بما يسوء صاحبها، وكذلك ألغيت جريدة (الزمان) بقرار من مجلس النظار في
٢٩ يوليه عام ١٨٨٦^(١) وأندرت (الصادق) بقرار من وزارة الداخلية في
٢٥ سبتمبر لأنها نشرت مقالة تضمنت «كثيراً ما يشوش الأفكار وينخدش
الأذهان»^(٢) وهذه الجريدة من الصحف المعارضه للاحتلال، وقد أنشئت
يابياخاز من مختار باشا الغازى المعتمد السلطانى فى مصر بعد تعطيل (مرأة الشرق)
وكتابها من الصحف التي تربطها بتركيا وسياساتها أقوى الروابط^(٣).

هذه هي حوادث الصحافة المصرية العربية في السنوات الأربع الأولى من الاحتلال البريطاني ، وكانت جديرة بأن يتحدث اللورد كرومر عنها لأن يهمها ويهمل ما جاء بعدها من الحوادث الخطيرة في حياة الصحف المصرية ، ييد أنه أدى تسجيل حوادثها وأخفي أزمانها عن حكومته وبرلمانه فلم يعلق عليها بحرف . ولن يست الصحفة المصرية العربية وحدها التي استبعد بها الاحتلال بل إن الصحفة الأجنبية في مصر عانت من ضغطه وضغط رجاله مشتملا على الصحف المصرية الحرة ، وأبرز المشاكل الصحفية لهذا العهد تعطيل جريدة (لو بوسفور أجنسين Le Bosphore Egyptien) فهى صحيفه فرنسيه النزعة تحتمى بالقتصلية الفرنسية ، دأبت على الخط من الاحتلال وتسويه سمعته وتتبع نفائه ونشر فضائحه ؛ وهي من خصوم نواب المعارضين له ، وكانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية معا .

وقد مضت (لو بوسفور أجبيسيان) تعارض كروم وسياسته في عطف وشدة، وهي أول من أشار إلى الخلاف بين وكيل الداخلية والذائب العام بالمحاكم الأهلية وكلاهما إنجلزي، وهي تروي نبأ هذا الخلاف كفضيحة من فضائح العصر (٤) ثم

(١) الواقع المصرية في ٢ أغسطس ١٨٨٦

(٢) مجموع الأوامر العالمية ١٨٨٦

(۳) طرازی ج ۳ ص ۳۰

(٤) لوبوسفور آچبسانیان ف ٢٩ مارس ١٨٨٤

أذاعت منشور المهدى ، وقد نشرته جريدة الفلاح في ١٥ يوليو عام ١٨٨٦ ، الذى يتحدى فيه الحكومة المصرية ويدعو للثورة عليها ، وكان نشر هذا المنشور السبب المباشر الذى من أجله قرر مجلس النظار فى أبريل عام ١٨٨٥ تعطيلها وإيقاف مطبعتها ، وأثار حادث تعطيلها وإيقاف مطبعتها أزمة حادة بين الحكومة المصرية والحكومة الفرنسية ، وقد وقفت الحكومة البريطانية إلى جانب مصر فى أول الأمر لأن عقاب الجريدة يلز لسلطتين معاً لأنها خصمتهما جميعاً .

وتروى (لوبوسفور أجبيسيان) مراحل الأزمة فتذكر أن الحكومة المصرية طلبت من القنصلية فى ٨ أبريل بعث مندوب لها ليشهد عمليات التعطيل والإغلاق ، وكان رد القنصلية احتجاج قنصلها على ذلك ، بيد أن الحكومة أهملت احتجاج القنصل ومضت فى تنفيذ قرارها وصادرت الجريدة وأغلقت المطبعة ، وأراد وكيل القنصلية أن يتدخل فأهين من السلطات المصرية ، فبعث القنصل العام لفرنسا فى مصر إلى حكومته بمضمون ماحدث ولما كانت هذه هي المرة الثانية التى تهان فرنسا فيها ، فقد هددت بقطع العلاقات مع الحكومة المصرية إذا لم تعتذر الحكومة وتعيد الجريدة والمطبعة إلى الحياة ؛ ورأى الإنجليز المسئولون فى مصر أن الأزمة قد بلغت حدأً قد يؤثر فى علاقات فرنسا وإنجلترا فتخلوا عن مصر ونصحوا لها بحل الموقف مما يكن التمن ، ففتحت المطبعة بدون قيد ولاشرط ، وذهب نوبار باشا بملائمه الرسمية إلى معتمد فرنسا وقدم اعتذاره رسمياً في ٣ مايو ١٨٨٥ وعادت الجريدة إلى الظهور في ٢ مايو من السنة المذكورة ^(١) .

وقد صدر كتاب أصفر يحتوى على الحادثات التى دارت بين الحكومات الثلاث ^(٢) وخسرت مصر بذلك الموقف خسارة أدبية لم تهم الإنجليز فى شيء ، غير أن هذه الأزمة التى حدثت بين الحكومات الثلاث قوت ساعد الاهرام ، فإن فرنسا قد كسبت المعركة وخسرتها الحكومة المصرية ومن ورائها المحتلون ، ونحن

(١) لوبوسفور أجبيسيان ٢١ مايو ١٨٨٥

(٢) الصباب العدد ٦ عام ١٩٣٦

عنى بالآهram وحدها في تاريخ صحافة ذلك العهد لأنها الجريدة الوحيدة التي عارضت في أسلوب عف ونقاشت خصومها في عبارات معتدلة ، مع أنه كان بجانبها صحفيون « من أهل اللهجة العربية » ، ينشرون صحفهم وبعضاً منها معارض ، غير أنها صحف كما تقول الحكومة ويصدقها الواقع تعلم « الفحش والبغاء المفسدين لأخلاق العامة » (١)

قوى انتصار فرنسا في الأزمة الصحفية السابقة جريدة الآهram ؛ فاشتدت معارضتها وحملت على الإنجليز وسياستهم في جميع أعدادها ، وإذا نسي المجلسان النيلانيان وظيفتهما اللينة التي يجوز فيها لفت النظر أو إبداء الرغبة ، فإن الآهram لم تقف عند المعارضة الودية بل دعت إلى الجلاء وألحت فيه ، وهي تورخ للسياسة الانجليزية في مصر التي بدأت منذ سنة ١٨٤٠ بإثارة أوربا على محمد علي باشا ثم نزاهها قد احتلت مصر ، وتحمل على إنجلترا وتسمها بأقبح الأوصاف فهي عندها أمة ، كل يوم في شأن وكل ساعة في خطأ ، أما وعدوها بالجلاء عن مصر فهي مواعيد عرقوب « فإذا على ذلك لا نرى إنكلترا تفي وعدا ولا تحفظ عمدا » .

ولا تمسك بالعهد الذي وعدت إلا كاميسك الماء الغرائب (٢)

وهي تعنى أشد العناد بمُؤتمر الأستانة ، وكانت وظيفة هذا المؤتمر التفكير في أمثل الطرق لحل المسألة المصرية ، وهي تعرض التيارات المختلفة بين الدول وصحافتها المتباينة ثم تعلق في اتزان وعمق على ما يدور هنا وهناك . (٣)

وكانت الآهram أكثر الصحف انتشاراً لأنها كانت الجريدة الوطنية الوحيدة كما يؤيد ذلك محمد فريد بك رئيس الحزب الوطني (٤) وكان يقرّرها الرأى العام النابه في خاصته والرأى العام القاريء في جموعة المتعلمين ، وقد أصبحت دعامة من دعامت حريّة الفكر ، فلا غرو أن أثرت معانها في أعضاء مجلس شورى

(١) الآهram في ٣١ أكتوبر ١٨٨٤

(٢) الآهram في ٢ يناير ١٨٨٧

(٣) الآهram في ١٢ مايو وأول يونيو ١٨٨٢

(٤) نقلًا عن Jeune Turc في ١٦ يناير ١٩١٠

القوانين فقد بقى هؤلاء الأعضاء في موقف ساي زهاء عشرة أعوام منذ أن شفيوا ملهمهم، بيد أنهم برموا بالمستشار الانجليزي فرفضوا ميزانية عام ١٨٩٣ لانه لم يعرضها قبل الموعد المحدد لظهورها بوقت كافٍ، وهذا موقف جديد بالنسبة لهذا المجلس^(١) والأهرام تذكى هذه اللفترة الجديدة وتحذر الأعضاء من الشراك التي تناصب لهم في الخفاء^(٢) فإذا بهم يظرون استيائهم من اتصال العميد البريطاني ببعضهم ثم يرفضون اعتقاد نفقات جيش الاحتلال، وهو أول موقف كريم عرف لهذا المجلس، وقد ساء الصحافة الانجليزية هذا الموقف وسامها انضمما رياض باشا إلى الأعضاء وإعلانه مشاركة الحكومة للمجلس فيما ذهب إليه عن الجلاء^(٣). تنشر الأهرام هذه المواقف الجديدة في حياة مجلس الشورى وتتحدى أعضاءه ثم تقسح صدرها المصريين الذين آن لهم أن يتفسدوا ويخرجوا من يأسهم وقنوطهم فقد فقدوا الحرية والاستقلال معاً، وانحلت المقاومة الأهلية وأصبح الاحتلال مهيمنا على مراقب الحياة العامة ومصالح الدولة وزاراتها جميعاً، وليس في ميدان المعارضة جريدة ذات اعتبار إلا (الأهرام)، فكانت للوطنيين نعم السنن ونعم النصير وفي ذلك الوقت ظهر في بيته الوطنيين قى له في تاريخ مصر وصحافتها الشأن الأول إذا كانت الحياة جهاداً وكفاحاً حقاً، واحتفلت به جريدة الأهرام وفتحت صدرها لقلمه، فكانت أهم مقالاته فيما لا استغرق صفحاته الأولى عن «ال وعد الصريح »، وعد الجلاء المتكررة من الانجليز، وهو يوجه المعارضة في عنيفة وشدة قلمه رأى الاحتلال مثلهما في صحيفة عربية، فإن الانجليز « يحافظون على هذا الاحتلال الشقيل »، قد تذكروا لاذع شيء « يتبااهون به ويفخرون أنفسهم بذلك الشرف البريطاني الجليل الشأن الرفيع المبنيان »، ثم يعقب على هذا المقال في يوم آخر بحدث جرى بيته وبين السير بارنج له خطره ومكانته كعمل صحفي، وله آثاره

(١) الافقى . مصطفى كامل ج ٣٤٧ — ٣٥٢

(٢) الأهرام في شورى نوفمبر وديسمبر عام ١٨٩٣

(٣) راجع تقرير الحكومة الذى تلاه رياض باشا في مجلس الشورى في ٢٣ ديسمبر عام ١٨٩٣

كعمل وطني^(١) وتمد الأهرام في رحابها لمصطفى كامل فقد استنكر هذا المعارض الوطني الجديد إنشاء (المحكمة المختصة) وهي ممحكمة ألغت لمحاكمة الأهالى الذين يعتدون على الجنود الإنجليز، وهي لا تتقيد بقانون العقوبات، فلشرت له احتجاجاً فارياً على إنشاء هذه المحكمة بعنوان « صواعق الاحتلال »^(٢).

ينسّكر اللورد كرومروز هذه المواقف جميعاً لأنَّه احتط لنفسه خطة جديدة قد تكفل له الطمأنينة على مركز الاحتلال في مصر ، فإذا كان في غير مقدوره أن يطمس بالصحف والصحفيين خوف الرأي العام الإنجليزى أو المشاكل الدرالية كما حدث في موضوعى (الأهرام والب يوسف أجبسيان) فلا يأس أن تكون في مصر صافتان ، صحافة حرة مطلقة تتحدث بما تشاء كالآهرام مثلاً وبعض الصحف الصغيرة الأخرى ، وصحافة أخرى حرة مطلقة أيضاً تعمال لحسابه (كلمة طم) وهو مطمئن إلى هوان الأولى لأنَّها عزلاء من المثال ومن الأخبار يسلط عليها سيف قانون العقوبات ، وهو مطمئن إلى خطر الثانية بما ينفعها هو من مال ، وما تقدمه لها الدولة من إعلانات وأنباء.

وقد رأى العميد الإنجليزى أن يحارب الصحافة بالصحافة . فأوعز إلى أصحاب (المفقط) أن ينشئوا صحيفة يومية سياسية تنافس الآهرام وتعارضها وتحمي المصالح البريطانية كما كانت الآهرام تؤيد المصالح الفرنسية ، فتقدّم يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس إلى إدارة المطبوعات في ١٨ ابريل عام ١٨٨٨ يرجون الترخيص لهم بإنشاء « جريدة سياسية تجارية غرضها خدمة الوطن وأسمها (المقطم) » ويكون دورها يومياً ، وهم يعتمدون في طلب الترخيص على سمعتهم الصحفية ومراعاتهم في كل أقوالهم وكتاباتهم « صالح العموم » وهذه شواهد مقبولة لدى كم على إخلاص زيتناو حسن طوبتناو مراعاته القو اذين حکو متنه الاسمية^(٣)

(١) الآهرام في ٤ و ٢٨ يناير ١٨٩٥

(٢) الآهرام ٤ مارس ١٨٩٥ وقد ذكر لنا المرحوم جيرائيل تلا باشا أن مصطفى كامل كانت له حجرة خاصة في الآهرام يستقبل فيها أنصاره .

(٣) وزارة الداخلية دوسيه رقم ١

ورخصت نظارة الداخلية « إدارة المطبوعات » للشركاء الثلاثة باصدار (المقطم) في ٢٩ أبريل عام ١٨٨٨ وهو ينالون الترخيص كرعايا مصريين وفي ظل الخديوي، غير أن تاريخ المقطم في سنواه الأولى ينقض ما جاء في ترخيص أصحابه وتقول في ذلك جريدة (الشعب) وهي تورخ (المقطم) إنه « الإنجليزى صرف وكل أعمال الحكومة مدوحة لديه ، وهو يترجم ويطبع تقرير المعتمد » (١) ويقول محمد بك فريد إن الإنجليز أنشأوه ليدعو لسياستهم (٢) وأعلن المستر بلنت في أوربا « أن وزارة الحرية والداخلية دفعتا لصحيفة المقطم مبلغًا عظيمًا من المال لتدافع عن تصرفات الإنجليز فيما » ويقرر الأستاذ أمين عبده المحامى أن المقطم دأبت على التعرض للخديو فأراد أن يقدمها للمحاكمة بمقتضى قانون المطبوعات الصادر في عام ١٨٨١ فأعلن كرومر أن هذا القانون قد جبه قانون العقوبات في المادة ٢٥ من لائحة ترتيب المحاكم الأهلية، وهو لا يوافق على تقديم المقطم للقضاء لأنه من أنصار حرية الرأى وحرية الصحافة ، وأن هذه الحرية من قواعد العدالة التي جاء بها الإنجليز إلى مصر (٣).

وتقول عنها (الاتحاد المصرى) وهي إحدى معاصراته في ١٢ سبتمبر ١٨٨٩ « إن هذه الرقاطة تحاول الجمع بوقت واحد بين المتخاصفين فهى تتزلف تارة بالمقالات وتستعين بالتأليس والخداع حتى تخيل لل(nr) المصريين أنها عريقة الحسب وأن بينها وبين رجال مصر قرابة ونسب »

هذا بعض ما ذكره المعاصرون من المصريين والإنجليز عن (المقطم) وسياستها وهم يقطعون بأن سياستها إنجليزية وأن دار الوكالة البريطانية حالت دون سلطان الحكومة المصرية ودون عقابها مع أن أصحابها من الرعايا المصريين ، وهي خصم

(١) الصعب ٨ مايو ١٩١٢

(٢) جون-تيرك ١٦ يناير ١٩١٠

(٣) الشباب في ١٦ مارس و ٢٠ أبريل ١٩٣٦

الخديو تعرض بمقامه مع أنها نشأت في ظل الحضرة الفخيمة الخديوية ، ولا عذر لنا إن أذكرنا هذه الحقائق التاريخية ، فقد حفلت فعلاً بمقالات الإعجاب بالاحتلال وتقدير رجاله ونالت من الحظوظ ما جعل مصالح الحكومة في خدمتها تغدو بالأخبار جليلها وتافهها ، بينما حرمت الصحف الأخرى منها حتى استطاعت نشر بعض الأحكام القضائية قبل النطق بها بعده أيام^(١) وهي تدافع عن أصدقائهم الانجليز المصريين كمصطفى فهمي باشا فتعرض لاستقالته وتودعه في مقال طويل كله إعجاب به وثناء عليه ، وهي تمزج تقديرها له بتقدير الانجليز وسياستهم الطيبة نحو مصر^(٢)

ولاتقف المقطم عند هذا الحد من موادعة أنصار الاحتلال وملاطفتهم ، بل تذهب إلى أكثر من ذلك فتعاود الحديث عن الحكومة الفهممية البغيضة إلى الخديو والوطنيين ، وتنشر للمصريين تهديد الانجليز وتسخيف فكرة الوفود التي ذهبت إلى عابدين تأييداً للخديو ، ويستشيط طلاب المدارس العالية غيظاً فيها جمون (المقطم) وإدارتها في ٢٠ يناير ١٨٩٣ إعلاناً بسخطهم على موقفها من شعور المصريين^(٣) والمقطم لا ثنى على الانجليز أو أصدقائهم في مصر فحسب بل إن سياستها تتجه إلى مناؤة السلطان والحملة على تركيا ، وهذه الجملة ركن من سياستها العامة ، (الأهرام) و (الوطن) تناوئها فيما ذهبت إليه وتعرضان على قرائهم هذه الجملة^(٤) وتبينان خطراها ، حتى استناء الرأي العام من المقطم وسياستها فاضطررت الحكومة إلى إنذارها في إبريل ١٨٩٣ وقالت في إنذارها «قدرأينا مع الأسف أن جريدة المقطم نشرت من زمان بعض مقالات وبعض مكابيات تمس دولتنا العالية وحيث أن الحكومة الخديوية لا تسمح بذلك مطافقاً قد أصدرنا

(١) نشرت المحكم الصادر ضد جريدة البوسفور قبل النطق به بأسبوعين (راجع العباب في ١٦ مارس ١٩٣٦)

(٢) المقطم في أول مايو ١٨٩٣

(٣) الرافعى - مصطفى كامل ص ٣١٠

(٤) الأهرام والوطن في أواخر وأوائل إبريل ١٨٩٣

هذا الإنذار إلى تلك الجريدة حتى تكشف عن هذه المخطة، (١)

نجحت سياسة كروملى المدى فى تقريره آنف الذكر من حيث محاربة الصحافة بالصهاينة، فقد تمكنت (المقطم) من الذى ينبع والانتشار وكانت خصماً لا يُستهان به فى إخراجه وتحريره ، ولم تعد (الأهرام) بائزها و (الوطن) بتفاهمه تحريرها قادرتين على مواجهة حماسة (المقطم) ففكروا الوطنيون فى إنشاء صحيفة وطنية يمكن فى مقدورها تسفيه المقطم ومحاربة الاحتلال ، وساعدت الظروف الوطنية وواتهم بحكومة تعطّف على فكرتهم ، فاجتمع أطيف باشا سليم الحجازى وحسن باشا عاصم وابراهيم الهمبواوى وغيرهم ، واستقر رأيهم على أن يتولى حجازى باشا عرض فكرة إنشاء صحيفة على رياض باشا على أن تحارب الاحتلال وتعلن أخطاءه وتنتهى الأحداث على كراهيته .

ولم ير رئيس الحكومة مانعاً يحول دون إنشاءه (المؤيد) (٢) فصدرت في
أول ديسمبر ١٨٨٩ لصاحبها الشیخ على يوسف، من أمّة الصحفيين في ذلك العصر
صاحب مجلة (الآداب) ومن تلامذة الألغان المؤمنين بمبادئه واتجاهاته . ومن
أهم أغراض المؤيد كما تقول خطّته «Beth al-afkār al-mafidah wal-ākhbar» الصادقة
والمبادرية إلى نشر الحوادث الداخلية من باب الاعتبار والتحذير أو الترويج
والتبشير ... غير تاركة شأن التجارة الداخلية والخارجية ، (٣) وقد كانت (المؤيد)
موالية لحكومة رياض عاملة علىBeth al-āgraṣ al-ītī من أجهزها أنشئت في هواة
وتؤدة ، وبذلك أغنّت القاريء المسلم الوطني وأرضته .

أصبحت (المؤيد) مجالاً للأقلام الوطنية الناشئة في البيئة المصرية، فـ كان مصطفى كامل أحد كتابها المعروفين وإن لم يكن من أعضاء تحريرها، وقد ذاع أمرها واشتهر ساعدتها وعالجت الموضوعات المصرية والإسلامية في مقالات طويلة

(١) الواقع المصري في ٥ أبريل ١٨٩٣

(٢) الشباب . العدد الثامن في ١٩٣٦

(٣) المؤيد في أول ديسمبر ١٨٨٩

جداً تدٌ تبلغ الصفحة الأولى جميعاً (١) كما نشرت بحوثاً عن الاستعمار المساوى في السودان (٢) وقد كانت (المؤيد) فريدة بين زميلاتها فيها نشرته من مقالات ضد الاستعمار أيا كان لونه أو مداره، وهي تدأب في الجملة على الأجانب كلها اتصلت ظروفهم بال المسلمين في أي مكان من الأرض اتصال الظالمين بالظلومين، وووجدت دار الوكالة البريطانية أن ساعد هذه الصحيفة الوطنية الجديدة قد اشتهد وأنها تقرأ في بلاد الشرق جميعاً، فأمرت بمنعها من دخول السودان، وحوربت بشق الأساليب فكانت تصادر هنا وهناك دون علمها فلا تصل إلى مشتريها (٣)

ثم أطلقت الصحف الموالية للإنجليز أقلامها على صحيفة الوطنين وما يلوذ بها من صحف كجريدة (المقياس) التي كانت تطبع في مطبعة (المؤيد) وتكتب مقالاتها بوحى من صاحبه وأنصاره، وقد ذهبت (المقياس) مذهب التعصب الصريح للوطن والدين معأغفلت على (المقطم) حملات شعواء وأسامة للمسيحيين إساءات واضحة لا يبس فيها ولا إيهام (٤) فنشرت (المقطم) مقالاً بعنوان، يضرمون نار التعصب وينذرون، وهي تذكر ما نشرته (المقياس) من نثر وشعر تدعوه فيه إلى أن يسل المسلمين «سيوفهم» ويقتلوا «الكافرين لأنهم زلزلوا صروح دين المسلمين»، وتعتبر (المقطم) صاحب (المؤيد) جاهلاً بأداب المعاشرة وتحمل على مصطفى كامل لأنه دعا إلى تكرييم (المؤيد) لأنها أقدر الصحف على الإساءة إلى (المقطم) وأصحابه، ثم تلفت الصحف الأوربية إلى ما نشره (المؤيد) ثم تحتمكم إلى الرأى العام ليحافظ على التقاليد الخديوية المشهورة بمنع التقسيم بين الرعية، وتبين للصحف العربية خطرك دعوة (المؤيد) وأذنابه من الصحف، وتوجه نظر جريدة (الحقوق) إلى ذلك «لأننا لا نجد جريدة أخرى بين الجرائد العربية

(١) المؤيد في ٨ مارس ١٨٩٣

(٢) المؤيد في ١٤ فبراير ١٨٩٢

(٣) عن (المنبر) وهي تؤرخ للمؤيد في ٢٢ يناير ١٩١٦

(٤) المقياس العدد العاشر ١٨٩٥

وأهتمت الصحف الأجنبية في مصر بعد مقال (المقطم) ومثاثل هذا الاهتمام (لوبروجريه أجيمبيسيان) التي ردت على الشيخ على يوسف وحملت على سياسته التعصبية ولفتت نظر الحكومة إلى هذا التعصب الذي من شأنه أن يعرض الأمن للاضطراب وحياة الأوربيين للخطر ، لأن الشيخ على يوسف يدعو إلى أن يقوم قسم من الشعب بذبح القسم الآخر (٢). وعندى أن مسألة التعصب ، وإن صدرت في بعض المعانى التي نشرت في (المقياس والمؤيد) فإنها ليست السبب في حملة (المقطم) أو الصحف الأجنبية الأخرى ، وإنما الخصومة مصدرها تفوق (المؤيد) في الدفاع عن المصالح الوطنية وقدرة أصحابها على رد أصحاب (المقطم) وتسويه سمعتهم وفضح الاحتلال ، وتربيه المجاهير تربية استهلاكية بما كانت تنشره من مقالات محررها أو أنصاره من الوطنية .

وظهرت بجانب (المؤيد) صحيفة (الأستاذ) في ٢٣ أغسطس عام ١٨٩٢ وهي للسيد عبد الله النديم ، صدرت أسبوعية « علمية تهذيبية فـ كاهية » نصيرة للوطنيين وللخديع عباس الثاني ، ويحمل صاحبها ما ذهبنا إليه في قوله عن احتجاج صحيفته إن الجرائد الفرنسية في مصر واجلترا حملت عليه وادعت أنه مت指控 للدين عدو للأجانب ، وقد برم بها اللورد كرومر فأمر بإغلاقها كما فرض على صاحبها معاذرة مصر (٣)

لم يحتمل الانجليز جريدة (المؤيد) بيد أنهم لم يستطعوا اوقفها كاصنعوا
بالاستاذ ، فضلت قدمًا تؤرخ للصحافة المصرية كفاحها في ذلك الوقت حتى بدأت
الجريدة البريطانية المصرية في فتح السوادن ، ووقفت (المؤيد) موقف الخصم
لهذه الجملة مبنية مافيها من خفض سلطان المصريين عليها ، وقد دأبت على

(١) المقاطم في ٢٨ سبتمبر ١٨٩٥

(۲) لوبروجریه اچیبسیان فی ۳۰ سپتامبر ۱۸۹۵

(٣) مجلة الأستاذ في ١٣ يونيو ١٨٩٣ وثورة المرأة للرافعى ص ٥٢٠

نشر أخبار الجملة برقاً، ومن بينها البرقيات الدائرة بين الحرية وقادة الجملة، وفيها من الأسرار ما يهز جوانب العملية الحرية الدائرة (١) فقد متها الحكومة للقضاء ولذلك برأساتها وأنفذ محررها.

وظهرت المسألة المصرية من جديد باحتلال الفرنسيين « فاشودة » في جنوب السودان وهي من أملاك مصر، وتحرجت الأمور بين إنجلترا وفرنسا، وظن الوطنيون المصريون أن فرنسا ستعلق إخلاء فاشودة على جلاء الإنجليز عن مصر. وفي ذلك كتبت الصحف المصرية خطاب مصطفى كامل وأعادت (الأهرام) (الوطن) و (المؤيد) تاريخ الاحتلال البريطاني، ونشرت وعد الجلاء التي صدرت من الأنجلزيين المستولين إلى سنة ١٨٩٨ غير أن هذا الحادث الذي بني عليه المصريون آمالهم قد أنتهى بانسحاب مارشال من فاشودة واستسلام كتشنر عليها، ولم توضع المسألة المصرية موضع البحث من جديد. ومنذ حادث فاشودة بدأ الإنجليز يشتمدون في معاملة المصريين ولا يتحرجون من إساءة الخديو فعازلوا النائب العام المصري حين فتش منزل صديقهم السيد توفيق البدري الذي نشر قصيدة ضد عباس الثاني ونصبوا مكانه إنجلزيًا، فقامت (المؤيد) على رأس الصحافة تحمل على هذا التصرف الذي من شأنه أن يدخل بواجب المصريين نحو مليـكـهم الشرعي ويجعل الموظفين منهم عرضة لل Rift أو عرضة لإهمال واجباتهم خوف الاحتلال وإذلاله.

لم تعد الصحافة المصرية منذ حادث فاشودة تعتمد كل الاعتماد على قوة أجنبية لترد لمصر استقلالها وتفرض على الإنجليز جلامـهم عنها : فأصبحت الصحف الوطنية تستعرض الهمم المصرية لتحقيق الأمانـي القومـية، وهي تطالب إلى المصريين أن يضعوا نصب أعينـهم هذهـ الحقيقةـ المـائـلةـ، وـكانـ مـمـثـلـ هـذاـ الرـأـيـ مـصـطـفـىـ كـامـلـ بماـ نـشـرـ منـ مـقـالـاتـ وـأـذـاعـ منـ خـطـبـ فيـ القـاهـرـةـ وـالـاسـكـنـدـرـيـةـ خـاصـةـ، فـقـدـ اـعـتـيرـ

هذا الزعيم الشاب أن حادث فاشودة دليل حسني على نقض فرنسا يدها من المسألة المصرية .^(١)

وأتسع أفق الحركة الوطنية في مصر والخارج، ومضى مصطفى كامل إلى أوروبا وخطب هناك ونشر المقالات ، وكانت وكالات



الأنباء تنقله إلى جواب المعمورة (الأهرام) تنشرها برقاً (المؤيد) تزدهرها تفصيلاً ، وقد برم الاحتلال بهذا الفي الوطني الخطيب الكاتب فرأى تجنيده ، وأذاع هافاس هذه المؤامرة وهاجت الصحف لها حتى صحيفة الحكومة الشعبية رسمية وهي (لوجورنال أجبيسيان Le Journal Egyptien) فقد حذرت الحكومة والاحتلال من ارتكاب هذا الإثم^(٢) وكانت الصحف الأجنبية

في مصر تكاد تجتمع على تكرييم مصطفى كامل فمقالات (لاريفورم) في ١٤ أبريل عام ١٨٩٦ في إحدى المناسبات وإن جهاده لغير بالغين ، ونشرت صحيفة (لوفار دالكسندرى) تحية له في نفس اليوم ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا بعض صحف قليلة في مقدمتها (الاجبسيليان جازيت)

أغفل اللورد كرومر في تقريره الذي صدرنا به هذا الفصل الحركة الوطنية ونصيب الصحافة فيها كأنها كم مهملاً لا غناه فيه ، وقد عرضنا لتاريخ (الأهرام والمؤيد) وشرحنا نشأة (المقطم) وسياساتها العامة ، ويجب أن نذكر أنه كانت هناك صحف أخرى أكثرها قليل الأهمية غير أن بعضها جديداً على صحافة ذلك

(١) هكذا كان رأيه فيما بعد . اللواء ١٨ أبريل ١٩٠٤

(٢) مصطفى كامل للرافعي ص ٨٤ - ٨٥

العهد في أسلوبه واتجاهه، ويمثل هذه الصحافة (حمارة منيتي) وهي جريدة هزلية فكاهية انتقادية أسبوعية ، كما تقول أعدادها الكثيرة ، بيد أنها صحيفة غريبة تجري في غير مسقّر لها معقول : وتعيش بطرق لا نقرّها الصحافة الشريفة فهي تحمل على اليهود والأروام وتنسب (المؤيد) وصاحبها ^(١) كما تحمل على (المقطم) ومحررية ^(٢) وهو اتجاه كما يبدو لنا غير مفهوم ، إذ الحملة على أصدقاء الاحتلال وخصوصهم في اعتبارها سواء وإن لم تخلي هذه الجملة من النكبة الرائعة والملاحة العابرة واللفتة البارعة ، غير أنها جعلت من أغراضها الأولى « تأهيل الاحساسات العاشرة لخدمة الطلس الشريف واستعمال الجد العنيف » ^(٣) .

وقد صدر بجانب (المؤيد) والصحف الوطنية والاستعمارية الأخرى بعض الجرائد الغربية في مصر بها ، غير أن هناك صحيفة لا يأس بها زاملت المؤيد والأهرام وإن لم تجر في تيارهما ، هي صحيفة (المنار) وقد أنشأها السيد محمد رشيد الرضي في ١٥ مارس عام ١٨٩٨ وجعل من أهم أغراضها الحث على تربية البنات والبنين لا الخط على الأمهات والسلطانين ... على أن تجتهد جريدة في تأليف القلوب المتنافرة ووصل العلاقات المنقطعة وجمع الكلمة المتفرقة ... وتنبيه العثمانيين على أن الشركات المالية هي مصدر العمران وينبوع العرفان ، ثم يقول عن مذهب الصحيفة السياسي « إنها عثمانية المشرب حميدية اللهجة تحامي عن الدولة العلوية بحق وتحمد مولانا السلطان الأعظم بصدق وتحامي المطاعن الشخصية والأمادج الشعرية » ^(٤) .

ويؤرخ رشيد لها في كتابه عن الأستاذ الإمام فيذكر أن الشيخ محمد عبد فرض شخصيته عليها وقرر لا تنتمي لحزب من الأحزاب ولا تردد بحملة الصحف لها ، وأنها ينبغي أن تكون أكبر من خدمة الكباراء بل يحسن أن تستخدمهم

(١) حمارة منيتي ١٩ ذى الحجة ١٣١٦

(٢) حمارة منيتي العدد الثاني

(٣) حمارة منيتي في ٢٣ فبراير ١٨٩٧ . غزة شوال ١٣١٥

(٤) المنار ١٠ مارس ١٨٩٨

هي، وأن الأستاذ الإمام صاحب تسميتها وقد روج لها في جميع الأوساط حتى عند الخديو نفسه^(١) وقد أظهر اتجاهها وأسلوبها أنها كانت بحق صحيفه الشیخ ولسانه، ومهمما يكن أمر دفاعها عن السلطان والمسلمين فانها حرمت على تحذيب الاحتلال وكفاحه، ومصدر هذا الموقف فيها نعتقد الصلات الطيبة الناشئة بين ولیها محمد عبده ورجال الاحتلال في مصر.

وفي أو اخر القرن التاسع عشر لم تكن للوطنيين صحيفه ذات ذكر من حيث أهميتها عند الاحتلال إلا المؤيد سواء المؤيد العربي اليومي أو المؤيد الفرنسي الأسبوعي، وهو رجع الصدى لأنهم ما نشر في زميلته اليومية، وقد لوحظ على هذه الصحيفه الوطنية فتور من حيث ترحيبها بمقابلات مصطفى كامل أو العناية بالمسائل العلمية التي تتصل بحياة مصر، فقد حدثت اتفاقية السودان المعروفة في سنة ١٨٩٩ ولم تنشر المؤيد شيئاً عنها إلا بعد اعتمادها من الطرفين المصري والإنجليزي ، ويبدو غريباً أن تمثل التحدث عنها جميع الصحف المصرية قبل التوقيع عليها ، غير أن المؤيد توضع موضع المؤآخذة إن هي أهملت أمراً كهذا الأمر وهي المعروفة بقدرتها على تسقط الخبر ، وتاريخها في حادث التلغراف أشهر من أن يذكر .

ولم يرتكب الوطنيون للفتور الذي خيم على جهاد (المؤيد) واللين الذي تخلى سطوره في معارضه الانجليز والتهجم الذي بدأ من صاحبه في تأييد الوطنيين ، فأعد مصطفى كامل العدة لإنشاء (اللواء) ١٨٩٩ ثم صدر العدد الأول منه في ٣ يناير ١٩٠٠ (أول رمضان ١٣١٧) ويتحدث مذشنه عن الأسباب في تسميته باللواء حيث يتحقق عند هذا الاسم كل قلب وتحتاج أصدق الآمال ، أما خطة الجريدة فهي خدمة الوطن والإسلام بأشرف السبل وأنفعها .. والسعى وراء الاتحاد والاتفاق بين المصريين وبعضهم من جهة وبين كافة المسلمين من جهة أخرى والعمل لتربية أبناء مصر أحسن تربية وطنية وترقية التجارة والصناعة .. وهو يحدثنـا عن

(١) الأستاذ الإمام ج ١ ص ١٠٠٣ - ١٠١٠

أبواب الصحيفة وهي « المنبر العام » وباب « أوربا والإسلام » وباب « أخلاق وآداب » وباب « بريد العالمين » وفيه أخبار الخارج ثم خصص فصلاً بعنوان « آيات الوطنية » وهو للقصص الوطنية في تاريخ الأمم والشعوب المختلفة ثم يختتم الكتاب مقدمة بالدعائية للسلطان، و « عزيز مصر وأميرها عباس ».

ويعتبر إنشاء (اللواء) مفترقاً للطرق في صحافة مصر الوطنية إذ ذاك ، فقد حمل علم الجهاد وحده تقريرًا في إيمان الواقع بحقه المؤمن بعقيدته ، وستكون (اللواء) فيما بعد لسان حزب لعب في حياة مصر دوراً كبيراً . وهي الصحيفة الوطنية التي كان نظام العمل فيها مثلاً يحتذى من حيث التحرير والإدارة، وهي الصحيفة الثانية التي استخدمت الآلة السكراطية في طبعها؛ ومن أولى الصحف التي عنفت بمادتها وفسحت صدرها جليل الأمور وخطيرها في صفحات ثمان ، وهي أول الصحف المصرية التي نشرت أخبار مصر وخطب المسئولين فيها وصفت الحفلات الكبيرة بالبرق ، ومحررها أول من ألف الشركات الكبرى للصحافة بالتزاماتها القانونية كما يحدث في أوربا عادة (١)

وإذا صح ما نشرته جريدة (الاكتسيبريس) في ٢٣ أكتوبر ١٩١٥ عن مالية (اللواء) فإنه كان أغنى الصحف المصرية فيها خلا (المقطم) و(الأهرام)، فقد قدرت موارده من هنا ومن هناك بثمانية وثمانين ألف جنيه مصرى وهو مبلغ فيها نعلم قادر على تقديم الصحيفة بين زميلاتها خير تقديم ، بجانب رأس مالها من الوطنية الصحيحة وحرارة كأنها وشيعته من الوطنيين المعروفين ، وقد أردف مصطفى كامل (باللواء) صحيفة شهرية تشتمل على خلاصة لأطيب ما أذيع في (اللواء) اليومية من رأى أو مقال (٢)

ولا يُؤخذ على اللواء في نشأتها الأولى إلا حاستها الدافقة لتركيا وخلافتها؛ وذلك لاعتقاد المحرر بأن الخلافة في الدولة العلية يقوى بها الدين الإسلامي ، وهو

(١) الشعب في ٨ مايو ١٩١٢

(٢) أصدر محرر (اللواء) وهو طالب بجامعة (المدرسة) في ١٨ فبراير ١٨٩٣

يرى أن فصل السلطتين المدنية والدينية يقضى عليهم ما هم عليه^(١) وذلك رأى قد أذكره التاريخ وينتهي به كيان كثير من الأمم التي فازت بالخير عند ماتم فصل هاتين السلطتين . وقد اتجه اللواء اتجاهها آخر قد لا يتفق معه كثيرون من أبناء جيلنا الحالى الذى لا يؤمن برجعيتة المرأة ويحب لها التصرف في الشئون تصرف الرجال أو يعتقد فيرجوها بعض الحقوق التي أبتها (اللواه) في مقاالتها الاجتماعية بين آن وآن ، وأظهر هذه المقالات الرجعية صحيفه نشرها محمود سلامه الأديب المعروف وفيها يدعوا إلى الحجاب والحجاب الثقيل ، ويعيب على جيله نشاطه في خصوصه الحجاب وتحاوزه إلى حرية يراها مسيئة إلى حياة الأمم والشعوب .^(٢)

وبجانب هاتين الناحيتين اللتين أبدينا فيما بعض الملاحظات العابرة نذكر صفحات (اللواه) لم تكن معروفة ولا معهودة بين معظم صحافة ذلك العهد ، فقد شغل (اللواه) صفحاته بأمور التعليم والتعليم الشعبي الذى ينبغي أن يقوم على أكتاف الشعب ليحسن أثره الشعب نفسه فتحقق أغراضه في الحرية والاستقلال ، وقد استطاع مصطفى كامل أن يجعل من هذا الموضوع علما يجتمع عنده الوطنية على اختلاف مذاهبهم وتباين حماستهم ، فشارعوا بنشيون المدارس ويفكرن في جامعة مصرية تنشيء الشباب تنشئه يعجز أمامها الاحتلال إذا طلب السلامه أو أبي الجلاء ثم أراد اللواه أن يظهر مشاعر المصريين ويوقفهم من غفوتهم فدعى إلى الاحتفال بالعيد المنورى لولادة محمد على مصر ، وهو يدعى هذه الدعوه فيرضى القصر وصاحبها ولا تستطيع قوى الاحتلال أن تحول بين المصريين وبين الاحتفال بذلكى جد الوالى الشرعى على البلاد ، ويقصد (اللواه) بهذه الدعوه أن يستعيد التاريخ المصرى الحديث وفيه من المعانى الوطنية ما يوقد إحساس الأمة مما رانت عليها الغفلة أو انقطع بها الرجاء .^(٣)

(١) اللواه في ٤ يناير ١٩٠٠

(٢) اللواه في ١٥ مارس ١٩٠٠

(٣) اللواه في ٣ فبراير ١٩٠١

وقد استقبلت الصحف الأجنبية هذه الدعوة استقبالاً حسناً، وحيث بعضها
الفكرة كما صنعت جريدة (لاريفورم)^(١) فإذا تم الاحتفال وخطب فيه مصطفى
كامل كتب خليل مطران يصفه (في الأهرام) وصفاً هو من روانة الأدب
والإنسان. ووصف (البصیر) الحفل ونشر خطاب محرر اللواء وتحديث
(لوفار دالكسندرى) مرتين عن الاحتفال، إحداهما بعنوان «محرر المصريين»
وكذلك شاركت مصر في هذا الاحتفال جريدة (لاريفورم والكوريري إيجيزيانو)
واحتفت بالفكرة وصاحبها أحسن احتفاء ثم لم تجد (الأجيبشيان جازيت) بدأ
من الاشتراك في هذا الموضوع بيد أنها كانت في حديثها متحفظة أشد التحفظ.^(٢)
هذا فضلاً عما تكافف به (اللواء) من نشر الخطاب وجميع التعليقات وصدرى
الاحتفال في جميع الجهات.

لقد اشتراك الصحف في العيد المئوي وساهم فيه المصريون وقد صدوا مكان
الاحتفال بالاسكندرية من أعماق الريف وأبعد القرى في السودان، وحضره
كثيرون من العظام في مقدمتهم الأمير محمد ابراهيم الذي كان من خطيباته^(٣)
وقد هز هذا الاحتفال عواطف المصريين وأوجز لهم تاريخ البطولة المصرية، وعين
لهم المراحل التي انتهت بالاحتلال وبين لهم واجبهم في سبيل الحرية والاستقلال،
وكان مصطفى كامل يدعوه في جريده إلى الصناعات الوطنية والمدارس الصناعية
ويجدد جمعية العروة الوثقى لأنها تفكير هذا التفكير السليم، وهو يعتبر أن الاهتمام
بالصناعات يخلق «روح الصناعة في البلاد» وهو «بلامرأة أسمى خدمة تقدم إليها
وأكبر سعادة تجهز لرجال الغد»^(٤).

وكان محرر (اللواء) يتخد من سير المجاهدين العاملين علة وعبرة، وهو دائب

(١) الراهن مصطفى كامل ص ١٥٩ — ١٦٠

(٢) راجع الأهرام في ١٤ مايو ١٩٠٢ والبصیر في ٣٢ مايو ولوفار في ٢٢ و ٢٣ مايو
والكوريري والأجيبشيان جازيت في ٢٢ مايو من نفس السنة المذكورة

(٣) الراهن . مصطفى كامل ص ١٥٩ وما بعدها

(٤) اللواء في ٢٠ أكتوبر ١٩٠٠

التحدث عن عظماء المصريين وهو يرى أن «لا شيء يرفع مقام الوطنية في بلاد مثل إحياء ذكرى الرجال الذين أخلصوا في خدمتها وقضوا عمرهم في العمل لإعلان شأنها وتحقيق آمالها ولا شيء يميّز الوطن والوطنية مثل تذكر دام النسيان في أمّة ووجهها لتاريخها وعدم تقديرها للرجال الخالصين في خدمتها»، وهو لا يعني من مقالاته الناحية الإنسانية أو الفائدية العابرة، بل هو يعاتب مواطنيه في عنف إذ «يلميت هذه الأمة المصرية العزيزة بذلك الداء العضال، فتراها لا تذكر الرجال إلا إذا كانوا القابضين على أزمة أمرها أو المحرّكين لحركة العامة فيها... فليمسن المصادب في نفوس أبنائهم أثر يبقى؛ وليس كذلك للعظمة الماضية بقية باقية في الأفتداء والضماء، فلا غرابة إذا كان ذلك سبباً من أسباب تأخرها وعلة من عمل انحطاطها»^(١).

أنتج توجيه اللواء أثره في إيقاظ الشعور العام من حيث تقدير الوطن والإحساس بحقوقه المضومة في الداخل والخارج، وبدأت في الصحف المصرية نسمة السكرابية للأجانب ولكل ما هو أجنبي وإن كان (اللواء) أخف الصحف أسلوباً في هذا التيار، ويبدو أن حرب تركيا واليونان، وحرب إيطاليا للحبشة واستبداد المستعمر في تونس أسامة إلى الناحية الشرقية والإسلامية في المصريين فوق ما يلاقيه المواطنون فعلاً من اضطهاد الاحتلال وتغلغل الأجانب في كل ميدان؛ وقد أغضب مصطفى كامل من قبل اليونان وصحفهم في مصر يوم دعا إلى تعليق الجلاء عن اليونان على الجلاء عن مصر.

وقد أساءت جريدة (الكوريري إيجيزيانو Corriere Egiziano) في لفظ أو تعبير وهي تتعرّض لمسائل مصر العامة فتحدّثها (المؤيد) في مقال عن «الإيطاليين في مصر»، وإخوانهم في إيطاليا، في سخرية لاذعة وعبارات قاسية، وقد ردت الكوريري على المؤيد ردآيماثل ماجاه في مقالته من عنف وقسوة^(٢).

(١) اللواء ١٠ مارس ١٩٠١

(٢) المؤيد في ٨ سبتمبر ١٩٠١ والكوريري في ١٠ منه (م - ١١ - صحافة)

وتناقلت الصحف الأجنبية في مصر مقالاتها بالتحبيب وشاركتها في شعورها نحو المصريين، ويدرك المؤيد أن أنهرها قد فاضت بأنواع العدوايات والسفاهات ضدّهم وضدّ المصريين كافةً وضدّ الإسلام والمسلمين عموماً وذهب كل مذهب في المطاعن والشتائم، ويحيل إلى الباحث أن أمر الخلاف قد انحسم بهذا المقال غير أن المؤيد تطلع علينا بمقال لعله المقال الوحيد الذي أسف فيه صاحبه، فقد حملت على الأجانب ثم اتجهت إلى «أمة الطليان أخس الأمم وأدناؤها وأسيجهما وأسفلها»، وهي يسخر من تاريخ هذه الأمة التي زهت به صحف مصر الإيطالية، وتعقد مقارنة بين تاريخ إيطاليا وتاريخ مصر الذي يرد إلى أصوات عظيمين فإذا ما أنها تنسب إلى المصريين القدماء وتاريخهم أقدم من الرومانين، وإنما إلى العرب وفضلهم على الأوليين لا يعادله فضل ولا يداهه مدان .

ومهما يكن من أمر هذه الأزمة بين المصريين وصحفائهم فإن (المؤيد) كانت في طليعة الصحف المصرية التي دافعت عن مصر آخر دفاع، وشاركتها الصحف الأخرى الصغيرة بأسلوبها العامي ولغاتها ذهنها الساخرة الماجنة، ومن أطرف ما وحظى على هذا الجدال أن مصر الفرعونية ذكرت بالخير خلال النقاش وهي لفترة تعمدت الصحافة المصرية جميراً أن تذكرها في كل جهادها منذ الاحتلال البريطاني وحرست ألا تولم الباب العالي بتقوية الصلات بين مصر التركية الإسلامية وبين مصر الوثنية الفرعونية .

وبينما تقود المؤيد حملة المعارضة على الأجانب كان مصطفى كامل يستعيد في اللواء فكرة الحرية والدستور وهي مطالب ما كانت الصحف تطالب بها من قبل حيث كان اتجاهها العام إلى الجلاء ورجماء تحقيقه والإلحاح في الاستقلال أولًا وقبل كل شيء، وقد أهملت اللواء المجالسين التسريعين ودعت إلى حياة دستورية صحيحة ترد غواصات الاحتلال وعوامل الاستبداد عن السيطرة على الشئون العامة، وكان هذا دأبهما منذ أنشئت ودأب صاحبها في خطبه العامة . وفي خلال السفاح الذي رفعت عليه اللواء حدث (الاتفاق الودي)

(Entente Cordiale) بين إنجلترا وفرنسا في 8 أبريل عام 1904 وكان صدمة للمصريين لأن مادته الأولى نصت على أن إنجلترا «ليست في زيتها تغيير الحالة السياسية لمصر»، وتعهدت الحكومة الفرنسية من جانبها بأن لا تعرقل عمل إنجلترا في هذه البلاد، فبدأت بذلك صفحة جديدة في تاريخ الصحافة المصرية.

(١) الالواه في ١٨ أبريل و ٢٥ مايو سنة ١٩٠٤ ، وفي المدد الأخيرة حملة على رياض باشا لاته مدح كرومر في احتفال مدرسة محمد علي الصناعية .

أو يحول دون قدره في نفوس المجاهير لأنه لم تشبه الشوابئ ولم توخذ عليه المآخذ، غير أن صاحب (المؤيد) انحرف بعض الشيء واستطاع الاحتلال أن يضمه إلى جانبه واحتفى به الانجليز يوم زار بلادهم وقال في عاصمتهم كلمته المشهورة «إن لوندراة كعبة المصريين السياسية» ففقد بذلك جزءاً كبيراً من عطف المصريين والأراك معًا، وبذلت صحفته تهوي وأخذ (اللواء) يتقدم عليها ثم جاء الاتفاق الودي فكان فاصلاً في تاريخه إذ كان موقفه منه موقفاً هينا فاتراً.

وكانت خاتمة (المؤيد) كنهازع لجريدة اللواء ومنافس له، واضحة بعد قضية صاحبه المشهورة بقضية الزوجية، وهي قضية عامة كان للعنصر الشخصي جانب كبير فيها وكان للسياسة جانب آخر، كما كان للحياة الاجتماعية أثر في تسفييفها وتحليلها، ونال الصحافة منها في الدوائر الشعبية والرسمية حظ موفور. أما العنصر الشخصي في هذه القضية التي شغلت مصر وصحافتها فهو أن الشيخ على يوسف رأى أن يتزوج ابنة السيد عبد الخالق شيخ السادات الوفائية، ورأى السيدة هذا الرأي، فانعقد عزمها على إتمام هذا الزواج دون علم شيخ السادات الذي عارض الفكرة أشد المعارضة، وتم العقد كما يقضي بذلك الشرع، غير أن والد العروسين أبي الواقع وثار عليه فأقام الدعوى أمام المحكمة الشرعية ليحال بين ابنته وبين زوجها لأنه دونها في النسب والحسب ولأنه يمتهن مهنة لا يكرم بها صاحبها.

هذا هو ملخص القضية التي أصبحت قضية عامة، وكانت معظم الصحف المصرية والرأي العام في جانب شيخ السادات، وكان اللورد كروم وحكومة مصرية في جانب الشيخ على يوسف، وهي صورة مناقضة لقضية (التلغراف) الصحفية المشهورة، وحاولت الحكومة أن تحول دون فصل الزوجين وتنفيذ قرار القاضي، وكانت قضية يشير أزمة حادة في دوائر القضاء، ويقف القضايا الشرعية جميعاً وينغلق أبواب المحكمة لو لا أن الحكومة نزلت عند أمره وحالت بين الزوج وزوجته إلى أن يفصل في القضية^(١).

هذه القضية مزاج غريب من الحياة الاجتماعية والسياسية فان حادث الزواج وأسلوبه فضيحة في نظر الرأى العام إذ ذاك بل هو فضيحة في نظر الرأى العام في أيامنا الحالية وإن كانت شرائط العقد قد تمت على الصورة التي يقرها الشرع والدين ، ولم تجرؤ صحيفة عربية من الصحف الموالية للاحتلال على الدفاع عن الأسلوب الذي اتبעהه الشيخ في قرائه من أبناء السادات ، ولم تتدخل صحف الأقباط في هذا الموضوع لأن له بالدين الإسلامي أوثق الصلات ، ولم تناقش صحيفة من الصحف مسألة الحسب والنسب التي تنزل بكمامة رجل له مكانه في مصر لأنه يحاول القربى من حسيب نسيب .

ويرى المؤرخ في موقف بعض الصحف الإسلامية في هذه القضية بعض المحنات التي كان يجب أن تتنزه عنها ، فهي أولاً قضية خاصة لا يليق أن تسكون مشاراً للحرباء على صفحات الجرائد ، ثم هي قضية صحفى ينبغي لزملائه أن يحترموا من أجل المهنة كرامته ، ثم إن الصحافة باعت في سوق نافقة فـ كسبت رضاه الرأى العام ولم تذكر في رأى حر تذيعه خشية سخط الجماهير ، وليست بصحافة تلك التي تهاب سخط الجماهير ، وهي بموقفها هذا قد سمحت للسلطات القضائية برأى فيها مهما يكن أمره فهو رأى يسوءها وهو أعلم ما يعنيانا في تاريخ هذه القضية فيذكـر محامي السيد شيخ السادات أن « الصحافة لا تشرف إلا بشرف استعمالها » وهذا تقرير صحيح لو لا أن المحامي يعتبرها مع ذلك « حرفة دنيئة » ويقول « أليس عبارة عن الجاسوسية العامة وهي معدة للإشاعة وكشف الأستار وهذا أمر منهى عنه شرعاً فضلاً عن نشرها الإعلان عن الخنز وأمكنته اللهو ». هذا رأى محامي السادات وهو رأى يسوء الصحف جميعاً فهى عنده « حرفة دنيئة » مهما يعتذر عنها بشرف الصحفي وعلى همة ، لأن الصحف عامة تشتراك فيها نهى عن الشرع وهو إذاعة الأخبار وإشاعتها بين الناس ، وهي في أكثرها تنشر إعلان الخنز وأخبار الملاهي ومنتدياتها ، وفي هذا من الاتهام الصریح ما كان يحمل بالصحافة المصرية أن تتناقض على رده مهما تختلف نزعاتها السياسية واتجاهاتها العامة حتى لا تعطى

الحكمة بعد المحامي فرصة لتأييد وجهة نظر المدعى وحط قدر الصحافة .

فإذا دافع الشيخ على ومحاميه عن مهنته وعن علمه ردته المحكمة في ذلك جميعاً فهـى ترى أن صناعة التحرير لا تنهض دليلاً على العلم ، ثم تقول عن الصحافة « وحيث أن حرفة الصحافة التي نسبها المدعى لنفسه قسمان ، قسم يبحث في علوم وفنون مخصوصة وهي المجالات غير اليومية وهذه شرفها بشرف ما تبحث فيه وغزارته وهذه الصحافة لا يدعها الشيخ على نفسه ، وقسم لا يختص بموضوع مخصوص وهي الجرائد اليومية ووظيفتها الإرشاد من تتكون منهم المملكة من الأفراد والعائلات والهيئات الاجتماعية والحكومة معاً مدة للإرشاد العام ، وهذه الصحافة جليلة جداً لها أثرها في رقي المملكة من ناحيتها الداخلية والخارجية ويجب أن يتواافق في صاحبها أعلى أنواع الثقافة الاجتماعية والأخلاقية والسياسية كما يجب أن يكون على قدر من شرف النفس ونبيل الضمير وأن يكون من أشد الناس حافظة على الــكلالات والأداب حتى يمكنه أن ينفع بتصحـه وأن يجمع الناس إلى رأيه فضلاً عن وجوب علمه بالسياسية الداخلية والخارجية ، إلى أن تقول « ولكن المدعى عليه لا يمكن أن يدع لنفسه هذه الصحافة أيضاً ، ذلك لتقابـه في المبادـه لغير سبب و تعرضه للشخصيات في ثوب المصالح العامة وستكتـوه عن بعض ما يلزم الكلام فيه لأغراض بعض من يهمـه رضاـهم ... ولا زـيد أن نعدد له ما فعل وكفى بهذه القضية وحدها دليلاً على ذلك وعلى ذلك فالمدعى عليه ليس مشتغلـاً بالصحافة قـائماً بها وإنما هو يشتغل بشـيء يشبهـه الأغراضـه ملبيـساً له ثـوب الإرشـاد والمصلـحة العامة وهذا اشتغال بأحسنـ الحـرف وأدنـها ، وعلى ذلك لا يمكن محـترـفاً الصحـافة وإنـما هو يـحترـف حرفةـ أخرى دنيـة ، (١) .

وقد حكمت المحكمة بعدم صحة العقد ، مع أنـ الشيخ السـادات كان على صـلات

طيبة بزوجها الشيخ على يوسف، وعلى علم برغبة الرجل في الزواج من ابنته، وقبل في ذلك هداياه، وهي إيماءة بالرضا عن هذه الرغبة والاستعداد لتنفيذها، ولم يرجع عنها الشيخ السادات إلا بعد أن سعى دعاه السووه بيته وبين الشيخ على، فكانت هذه القضية وكان هذا الحكم الذي استمد بهاته من التقاليد دون الدين وأصان بالسمع إلى تهليل العامة، ولم يقم وزناً لرأي النخبة المتنقة من خاصة الناس

ومهما يكن من أمر هذا الحكم فإن الصحافة خسرت فيه لأن اتهام قطب من أقطابها بحمله السياسة الداخلية والخارجية كفيل وحده بأن يسقط كثيراً من الصحف والصحفيين في ذلك الوقت، وهو حكم لا يتصل بالشرع لأن الغرض ظاهر فيه، وكأن الأفندى قاضى القضاة والخديو معه والتقاليد من حوله قد تكانت على إصداره في هذه الصورة التي إن دلت على شيء فإنما تدل على أن السياسة وحدها كانت مسيطرة على الموقف جمعية.

أما الصحف المصرية — عربية وفرنجية — فقد تباين موقفها من هذه القضية، فirstت معظم صحف الأقباط على عدم الخوض في هذا الموضوع فيما خلا مصر والمقطم فأما (مصر) فقد ساءها قرار محامى السادات في الصحافة فهى ترى أن «ما قاله الشيخ الفندى وكيل السادات تعرضاً بالصحافة وحسبناها من المهن الدينية المصرية» قول لا يصدر إلا عن الجاهلين الأغبياء الذين لا يدركون ولا يفهمون». وأما (المقطم) فقد حرست على نشر تفاصيل القضية دون أن يعلق الكاتب على اتهام المحامى والمحكمة الصحافة بأسوء ما تهم به حرفة من الحرف ثم وقفت (المنار) الصحفة العربية إلى جانب صاحب (المؤيد) في قضيته، وأما (الأجنبشيان جازيت) صحيفه المعتمد البريطانى فقدمح الشيخ على يوسف على الرغم مما بينهما من خلاف ثم تذكر أنه «قل أن يوجد بين الصحفيين من يستطيع الوقوف إلى جانب صاحب (المؤيد) ولا يوجد ذممiske من العقل لا يضع على يوسف في أعلى طبقة من طبقات رجال الصحافة... فإنه يمكن بالجد والاجتهد والمشاركة من إيصال جريدة إلى درجة (التيمس)

لافي العالم العربي فقط بل في جميع العالم الإسلامي^(١) ثم نحت هذا النحو جريدة
(ذى أجيشيان مورننج نيوز The Egyptian Morning News)

* * *

عرضنا لتقدير كروم سنة ١٩٠٣ وحديه عن الصحافة وبينما مقدار ما فيه من غبن لها منذ احتل الإنجليز مصر إلى السنة التي بدأ اللورد كروم يذكرها في تقاريره، وقد وضح لنا أن (الأهرام) تولت المعاشرة زهاء عشرة أعوام وشرحنا كيف نشأ (المقطم) خصيمًا لجريدة الأهرام ثم ذكرنا الأسباب التي من أجلها أسس (المؤيد) والداعي التي صدر من أجلها (اللواء) بعد انحراف صحيفية الشيخ علي يوسف، ويرى المؤرخ لهذه الصحافة أن القصر بي بعيداً عنها في مرحلتها الأولى وأن الوطنين دون الخديو توفيق هم أصحاب الفكرة في إنشاء الصحف الوطنية، وأن اللورد كروم ابتدع سياسة الحكم بالصحافة. وقد عنى العميد البريطاني أشد العناية بهذه السياسة بعد توليه عباس الثاني أريك الخديوية، وكان شاباً شديداً التطلع إلى استقلال بلاده وجلاه الانجليز عنها، وموافقه في أوائل عهده من الاحتلال ورجاله أشهر من أن تذكر، فلا غرابة في اتفاق زواجه الخديو ومصطفى كامل وهو مزاج شابين يرجوان هدفاً واحداً هما تتباهان الدوافع والأسباب.

ساعد كروم بعض الصحف وقدم لها من التأييد ما هيأ لها فرصة التقدم والبقاء وعلى رأس هذه الصحف جريدة (المقطم) وساعد الخديو عباس بعض الصحف وقدم لها من المال والجاه ما هيأ لها فرصة النجاح والانتشار، وفي مقدمة هذه الصحف جريدة (اللواء) ولا يعنينا ما ذهب إليه بعض الصحفيين وهم يؤرخون للصحافة الإسلامية من أن الخديو دفع للواء مبلغ خمسة عشر ألف جنيه^(٢) وهو

(١) راجع المؤيد في أيام ٢ أغسطس (والمقطم) في ٢٧ يوليو و ١ و ٤ و ١١ أغسطس وما بعدها (المؤيد) في ٩ أغسطس (والاجيشيان جازيت) في ٨ أغسطس من سنة ١٩٠٤

(٢) جريدة الاكسبريس في ٢٣ أكتوبر ١٩١٥

زعم إن صح لا يعني إلا تدعيم الصحفية الوطنية وهو عمل يشكر عليه من كان في
مقدوره البذل والعطاء في سبيل الاستقلال والجلاء.

وقد نشأ عن ذلك كفاح بين الصحف بعضه ظاهر وبعضه خفي . أما كفاح
العلن فقد تولته (المقطم) و (اللواء) وأما السكفاح الخفي وهو أقل شهرة في
تاريخ الصحافة المصرية فكان بين بعض الصحف الصغيرة من الجانبيين وهي صحف
أبي كروم أن يصدر لها قانونا لأن هذا القانون يفيد الخديو الذي يعاديه بعضها
في غير تحفظ وفي غير احتياط ، وهو لا يملك ردعاً يمنع أن اسمه ومكانته فوق التهم
والاتهارات ، ولا يضير الاحتلال في شيء أن تهاجمه هذه الصحف لأن نقده والحملة
عليه شيء طبيعي وفيه تنفيس عن الشعور العام وفي ذلك صمام الأمان .

وكان الشيخ محمد عبده هدفاً لصحف الخديوي وكان يلى في ذلك الوقت وظيفة
الإفتاء ، وقد أفق حميد بجوازأكل المخنقة فحملت عليه الصحف وكان أشدتها
حملة جريدة (الظاهر) لحمد أبي شادى بك الحامى المصرى المعروف ، ومضت
تقدعاً في الشيخ الإمام وتطالب بعزله من منصب الإفتاء ، وذلك لأمور أخرى
لم يأت ذكرها في أسباب هذه الحملة وإن فصلها يوسف طلعت باشا صاحب جريدة
(الراوى) اليومية في تقريره إلى السلطان ، فقد ذكر عن هذا الموضوع أن « الخديو
بعد أن رأى نفسه عاجزاً عن عزل المفتى الذى يعارض مساعديه فى الأزهر
والآوقاف شرع فى معاكسته بأمرىدين ، أحدهما الاستعانا بـ « ولانا الخليفة الأعظم
على عزله بحججه أنه أفقى بما يخالف الشرع وثانياً ما إنشاء جريدة اسمها (الظاهر)
لأجل إسقاط نفوذه الدينى وإضعاف حزبه المؤلف من طائفه العلماء ومن، أكثر
رجال الحكومة»^(١)

وقد أسفت (الظاهر) في الحملة على الشيخ محمد عبده خاصة وخصوص الخديو
عامة مع أنها ادعت «أن دستور الجرائد في حياتها الأدبية هو قانون الأخلاق

العمومية والآداب الأجناسية^(١) وتولى هذه المهمة الشيخ محمد الشربتي وهو خصم الإمام من قديم، ادعى عليه الدعاوى في تدریسه في الأزهر وسجين من أجل ذلك؛ وأكذبه عاد إلى (الظاهر) وتولى فيه تقبیح الشیخ والزیرایه به، ومع أن (الظاهر) لم تکن کثیرة الانتشار إلا أن الصحف الوطنية روّعها مافعلت إحداها من أذى للشيخ محمد عبده فردت عليها جميعاً فيما عدا (اللواء) وبینت الغرض والضغينة في حملتها، وشرحت السبب الصحيح للحملة ودافعت عن الإمام وإفتائه دون أن تذكر اسمها تحقیراً لشأنها، وسلبتها الحكومة بعض امتیازاتها كلامیاز الخاص بنشر الإعلانات القضائية.

ومن الصحف الصغيرة التي شکا الجمهور منها صحفة (الحمارة) وهي من خصوم الشيخ محمد عبده وقد فاقت زميلانها جميعاً في بذامة الجملة عليه، فنشرت للشيخ صورة ماجنة فصورته بين جماعة من نساء الفرنجية في وضع لا يليق وذلك تسوياً لسمعته وتهويناً لقدرها كففت للديار المصرية؛ وقد قضت النيابة على صاحبها وقضت المحكمة بسجنه^(٢).

وقد هاج العقلاء أمر هذه الصحف التي عاشت من نعش الأعراض وفرضت الآثارات على بعض الناس يؤدونها على ماتحب وإلجرحت كراماتهم، وقد اهتمت بهذا الأمر الجمعية العمومية فذكر أمين بل الشمشى في إحدى جلساتها أن «أسفل الناس يقدمون على إشهار الجرائد وقدره لأوا الدنيا سفاهة وتعد ياً على الأعراض، على أن الجرائد هي مرشد الأمة والحكومة، والمطبوعات هي ركن من أركان العمران». ثم اقترح على الجمعية أن تطلب من الحكومة الاتفاق مع وكلاء الدول على سن قانون عمومي للمطبوعات يقي الناس من هذه الفوضى، وتحدد الشيخ محمد عبده في هذا الموضوع وضم اقتراحه إلى اقتراح زميله^(٣).

(١) الظاهر ١٢ نوفمبر ١٩٠٣

(٢) الاستاذ الإمام ج ١ ص ٥٦٤ عن قصة (الظاهر) وص ٦٦٩ عن قصة الحمارة

(٣) محضر الجمعية العمومية في ٢٦ مارس ١٩٠٢

وفي سنة ١٩٠٤ أعاد مجلس شورى القوانين الكرة في هذا الموضوع وطالب بنفسه ماطالبت به الجمعية العمومية في سنة ١٩٠٣ (١) غير أن اللورد كرومر لم يوافق على رأي الجمعية العمومية أو مجلس شورى القوانين، وتضمن تقريره عن سنة ١٩٠٤ هذا الرأي وإن شارك المجلسين فيما ذهب إليه من حيث السخط على هذه الصحف الخفيرة، وهو يريد أن يحثاً على احتجاز الصحف الكبيرة فلا يقبل إصدار تشريع يستغل الخديو في القضاء على أسلحة الاحتلال، لذلك يزعم العميد الإنجليزي أن الذين يدفعون بهذه الصحف خوف التشهير لو امتهنوا عن البذل لها لاستعمالها على هذه الصحف البقاء، ثم إن قانون العقوبات كما يقول اللورد قد تضمن مادتين جديدين هما المادة (٢٨٢) والمادة (٢٨٣) وهما كفيتان يردع من لا يرتدع وقد تبلغ العقوبة أحياناً السجن ثلاثة أعوام ثم يعدد كرومر الصحف الثنائي التي تخصصت لابتزاز الأموال والتشهير بذى المقامات والأكل على جميع الموائد ويدرك أن بعضها قد عوقب على تبذهله ثم يقول «يجب أن لا يظن أن هذه الصحف عنوان للصحافة المصرية فإنها جميعاً قليلة الأهمية وإنها في أساسها صحف هزلية أو ساخرة» (٢) وبالرغم مما يؤخذ على هذه الصحف مما دعا إلى الضيق بها من كل الجهات فإنها تمثل النكبة المصرية الرائعة والمسخرية اللاذعة وتعيد مجد أبن نظارة وصاحبها يعقوب بن صنفون.

لم تظهر السياسة الإنجليزية نحو الصحافة إلا في تقرير كرومر عن مصر سنة ١٩٠٦ فقد كان فيها واضحاً كله الوضوح مع أن الصحافة المصرية لم تفل من اهتمامه في سنة ١٩٠٥ إلا ستة أسطر (٣) وهو يبدأ حديثه عن حرية الصحافة بأنـه كان دائمـاً في جانب هذه الحرية، وهو هنا لا يميل إلى تردـيد النغمـ السابقـ من حيث تقديرـه لهاـ فالصحف المصرية في اعتقادـه لا تـعبرـ عنـ الرأـيـ العامـ لماـ امتـلـأتـ

(١) مجموعة محاضر جلسات مجلس شورى القوانين في شهر يونيو ١٩٠٤

Blue Books 1904 p. 59-60

(٢) المصدر السابق ص ١٣ عام ١٩٠٥

به من حشو وما حفلت به من العبارات النائية ، وهو يذكُر أن بعض كبراء مصر يرى رأيه هذا فأضجعه الصحف بذلك حجة أنصارها المدافعين عنها وعلى رأس هؤلاء الكبار الخديو عباس الثاني ، وأنه نفسه أصبح يميل إلى وضع شيء من القيو دلذه الحرية المطلقة التي منحته الصحف حفظاً للنظام وعنابة بمستقبل الاحتلال في مصر ؛ وهو يبني أحکامه الجديدة على الصحافة المصرية من قراءته المتصلة للمعارضة منها وهي صحف فارغة لا تجد فيها بحثاً ذات قيمة في المالية أو التعليم أو أعمال القضاء لذلك كانت سواتها بالنسبة لل المصرىين أكثر من حسنتها ، هذا على حين أن الصحف الأجنبية في مصر لها كما يقول، مكانها الرفيع من حيث مادتها وأسلوبها المعتمد الرصين ^(١) وبذلك لم يعد كرومر نصيراً للصحافة المصرية بعد أن كان يسمى قيد منها ويتحمّس للدفاع عنها بحرارة في سنة ١٩٠٣ وهو يلتزم اليوم لخصوصيتها المعاذير وهو في الواقع أخطر خصومها في تلك السنة ؛ ذلك لأن مصطفى كامل زلزل سلطانه عقب حادث دنشواي في ١٣ يونيو سنة ١٩٠٦ إذ قاد الجملة عليه زهاد شهرین كاتب في صحف أوروبا ، وكان من نتائج مقالاته في الفيجارو Figaro في ١١ يوليه سنة ١٩٠٦ أن عزل كرومر من منصبه .

برم اللورد كرومر بالصحف المصرية بعد حادث دنشواي وهو السبب المباشر لسيطرته عليها، غير أنه استعاد من غير شك المشاكل التي خلقتها له الصحف المصرية في الأعوام الأخيرة ؛ فـ كل عمل قصده الاحتلال منذ استقالة رياض من رئاسة الوزارة أصبح حديث العامة قبل الخاصة من جراء انتشار الصحف الوطنية ، وقد استطاع أن يتخلص من معظم هذه الصحف ويستميل معظم الصحفيين الوطنيين إليه ولم يبق في ميدان الصحف المعارضة أهل من (اللواء) .

حقاً لم يستمر اللورد بين الخديو ومحرر (اللواء) طويلاً ، إذ ظهرت عليه علامات اليأس بعد حادث فاشودة والاتفاق الودي ^(٢) وبذلك أصبحت (اللواء)

(١) المصدر السابق من ٨ - ٩ عام ١٩٠٦

(٢) مصطفى كامل لرافعي من ٣٣٠ - ٣٣٢

وأنصارها وحدهم في الميدان . وقد تعرض الخديو نفسه لعتاب (اللواء) يوم حضر عرض الجيش البريطاني في نو فبر سنة ١٩٠٤ واعتذر المعية بأن تلك الحادثة تمت بمجرد المصادفة المحسنة ، غير أن تلك الحادثة تكررت في العام التالي وفي

نفس الشهر ، فكتبت (اللواء) تعلق على موقف الخديو وتسخر قائلة ، وإذا كان من الصعب تحمل (المصادفة) مسؤولية هذا الحادث مرتين فمن المرجح أن المعية لا تنشر بلاغاً في هذا العام وتفضل السكوت على الكلام ، ولم يستطع الخديو أن يتحمل مهاجمة (اللواء) له في السنة التالية فأبى حضور العرض في سنة ١٩٠٦ وعلقت جريدة (الأميرسيالي) الإيطالية قائلة ، ولعمل سمو الخديو أراد باطالة إقامته في الإسكندرية العدول عن الخطأ التي اتبعها سنة ١٩٠٤ فهل فازت الصحافة الوطنية بنصائحها وأحتجاجاتها ؟ (١) .



الخديو عباس الثاني

وقد لاحظ اللورد كرومر أن (اللواء) تتبعه بالتفصيل والتفصير في كل خطوة من خطواته ، فقد اعتزم اللورد زيارة الأقاليم في فبراير سنة ١٩٠٥ والاتصال بالجماهير وبخته المسائل العامة معهم والقاء النصح للأعيان والعمد ، فحمل (اللواء) حملة شديدة على ذلك التصرف ثم مضى في اليوم التالي يتاجر على مآل

إليه حال مصر حتى أصبح المعتمد البريطاني يحول في أرجائهما كأنه ، صاحب الحال والعقد والأمر والنهاي الذي لا يعارض في شيء (١) وقد انتجت حملة (اللواء) المتصلة حماسة بين المصريين وكراهية شديدة للاحتلال البريطاني . وظهرت تلك الكراهية واضحة بين العامة قبل الخاصة في مشكلة العقبة بين تركيا وإنجلترا في سنة ١٩٠٦ ، وما يؤثر عن هذه المشكلة إعلان المؤيد لميولها الانجليزية ، فقد انحازت إلى جانب الإنجلزيز كما انحازت اللواء إلى جانب الأتراك ، وما يؤسف له أن البلاد افتقدت صحيفية تبحث مكان مصر وحقها من هذه المشكلة .

عرضنا البعض الأحداث التي دعت اللورد كرومر إلى التبرم بالصحافة وحريتها وأهمها من غير شك الحملة الصحفية في اللواء عقب محاكمة دنشواى ، وقد انتجت المحاكمة حملة صحفية في الخارج لاقت الانجليز إلى سوء السياسة التي يمثلها معتمداتها في مصر مما ترتب عليه عزل كرومر في أبريل سنة ١٩٠٧ . ويبدو أن عزل كرومر فتح صفحة جديدة في تاريخ الصحافة المصرية ، وهي صفحة كتب معظمها (اللواء) وصحفه ، وهي مدرسة في صناعتنا الجديدة ، وكتب أقلها بقية الصحف المعاصرة بذعامة المدرسة القديمة ممثلة في المؤيد .

وقد أسس صاحب (اللواء) شركة مساهمة لإصدار جريدين أو ربيتين في مصر بعد حادث دنشواى في توقيعه سنة ١٩٠٦ . وعندى أن إنشاء هاتين الصحفتين من أبرز خدمات مصطفى كامل للقضية الوطنية لأن إنشاء الصحيفتين ليس شيئاً بجانب ما نشر فيها من المعانى التي كان يعز عرضها على الآجانب في مصر . ثم أنه استطاع أن ينال موافقة جريدة (لوفيجارو) على أن تأذن للجريدة الفرنسية الوطنية بنشر مقالات بيير لوتي Pierre Loti عن مصر على أن يكون نشرها في الجريدين في يوم واحد ، وهو عمل صحفي نادر المشابل في ذلك الوقت ، كما أنه رأى أن يعد لصحفه بيته صالحة فأوفد أحد محرري (اللواء) إلى باريس ليتلقى علومه الصحفية نظراً وعملاً في مدارسها وصحفها الكبرى (٢) .

(١) اللواء ٦ و ٧ فبراير ١٩٠٥
(٢) الراغبى . مصطفى كامل ص ٤١٨

ويحسن بمن يورخ للصحافة المصرية في تلك الفترة أن يعرض للتقارير الصحفية المختلفة منذ عزل كرومر وبدأ جورست سياسته الودية مع الخديو ليستقيم تاريخ الصحافة في هذا العهد الجديد ونصبح على بيضة من عموميات هذا التاريخ، فقد استقبل جورست صحفة من أهتمها (اللواء) و(الأهرام) و(المقطم) و(المؤيد) وهي صحف معروفة النزعة، وقد بیننا مذهبها من حيث اتصالها بالحركة الوطنية أو الاحتلال، وكانت بجانبها صحف أخرى من أظهرها (المحروسة) وهي صحيفية تمثل إلى الخديو وتخالف (المؤيد) وتحمل على (المقطم) ومع ذلك ففي تأثير الاحتلال ثم (الوطن) وقد أعادها إلى الوجود جندى إبراهيم بك في سنة ١٩٠٦ (١) وهي من أصدقاء العميد البريطاني وفي خصومة مستمرة مع المسلمين، وتميزت (مصر) بقبطيتها وميلها إلى الاحتلال ومعارضتها كل فكرة دستورية؛ ولها هي و(الوطن) تاريخ حافل في الخلاف الديني الذي سنعرض له فيما بعد ثم (البصیر) وهي جريدة تجارية لا رأى لها وإن مدحت الحكومة كلما نال الأقباط خيراً في مصر وأخيراً (الجريدة) وهي صحيفة المعتدلين، غير عشرات من الصحف والمجلات الأخرى التي لا يؤثر إنكارها في ماجريات الحوادث.

والجريدة هي أحدث الصحف الهامة التي نشرت في العهد الجديد، وقد قيل إن كرومر أوعز بإنشائها وأنه أوحى بالدعایة لها في الأقاليم بين الذوات والأعيان^(٢) وهذه واقعة يعوزها التأييد والبرهان، فإذا كان بعض الذوات من أنصارها كمحمد باشا سليمان وحسن باشا عبد الرزاق في علاقات طيبة مع الاحتلال فليس معنى هذا أنهم يعدون له بوفاً يضاف إلى أبواقه السابقات، وآية ذلك أن (الجريدة) خلت من الدعاية للاحتلال والمحظيين وكان لها بعض المواقف التي تزين الصحافة الوطنية من حيث التفكير الوطني واعتدال المزاج فيه، وبجمل القول فيها إنها صحيفة بعض الأعيان وبعض المفكرين أيضاً.

وقد صدرت (الجريدة) في سنة ١٩٠٧ برأس مال قدره عشرون ألف جنيه^(٣).

(١) خفوظات الداخلية دوسيه رقم ٤ مكرر

(٢) و(٣) الشعب في ٨ مايو ١٩١٢

وقد سدت بوجودها فراغاً كان شاغراً في بيته الصحافة والصحفيين ، فقد خلت الجريدة من المطاعن الشخصية وتألق محررها أحمد لطفى السيد فى اختيار عباراته ومعانيه ، وعنه سمى الحديو « صاحب السلطة الشرعية » ، وقيل عن مثل انجلترا فى مصر « صاحب السلطة الفعلية » ، وقد اختارت (الجريدة) فئة من الكتاب النابهين للعمل فيها وبحث المسائل الأدبية والعلمية والمواضيع الاقتصادية والزراعية ، وذكرت أصدق الأخبار وقبلت انتقاد الناقددين ، وهى على صلة طيبة بجميع المصالح ولم تخاصم صحيفة من الصحف أو تسىء إلى فرد متعمدة.

وقد ظهرت الجريدة عقب حادثة العقبة بعد أن انقسمت الصحف إلى قسمين ، بعضها انحاز إلى الانجليز وأكثراها مال إلى تركية ولم تحظ مصر بسند من إحداثها فصدرت (الجريدة) صحيفة مصرية خاصة ، وذكرت في عددها الأول المادة الثالثة من قانون شركتها وهى تؤكد أنها « مصرية بحثة غرضها الدفاع عن الصواب المصرى على اختلاف أنواعها وإرشاد الأمة بأسرها إلى منافعها الحيوية الصحيحة ونشر ما فيه من فائدة مادية أو أدبية ونقد كل عمل له مساس من أية جهة كانت بذلك المنافع والصواب سواء كان ذلك العمل عاماً أو خاصاً مهما كان مصدره ومهما كانت صفة القائم أو الأمر به وبيان صالح ذلك العمل من فاسده وقول الحق في الحالتين حتى يتكون رأى عام قائم على أساس متبين من صدق النظر وحسن التفكير يقول قوله بلسانها ولا تنطق هي إلا عنده ... لا فرق في ذلك بين الأديان ولا تمييز بين الأجناس ، هذا مع نبذ الشخصيات وعدم الخوض في المنازعات الدينية الحضة وأن لا تؤجر في غرض وأن لا تستخدم لأحد مع التزام الاعتدال في جميع الأحوال » .

هذه هي خطة (الجريدة) وقد حققت في تاريخها أكثر ما ذكرته المادة الثالثة من قانون شركتها ، وكانت هذه الصحيفة ترجمان حزب الأمة ولسانه وهو حزب يرى اللورد لويد أنه يتكون من جماعة من المفكرين بعيدى النظر والذين كان اتجاههم

إلى كسب التقدم الستوري بطرق معتدلة^(١) فلم تكن (الجريدة) في يوم من الأيام تقر رأياً تركياً أو تزعم للدولة العلية السكينة وبعد النظر وسلامة الفكرة، وهي صفات كانت تؤمن بها معظم الصحف المصرية، بل اختلطت دون الصحف الوطنية خطة الملاحظة على ما تصنع تركية ونقدتها بين حين وآخر، وهي تدعى إلى تحقيق الأمانة الوطنية باتفاق يحدث بين الاحتلال وبين أعيان المصريين وحدهم لأنهم أصحاب المصالح الحقيقية، وتدعى إلى الرضا بكل ما يكسبه الوطنيون من هذا الاحتلال حتى توافر الكفايات للحكم الذاتي.

وإذا كانت (الجريدة) قد أصبحت صحفة المعتدلين فقد استمر (اللواء) لسان عامة الناس والمطرفيين منهم خاصة، وقد زاد قدره في عيون المواطنين إذ استطاع صاحبها بقليله في مصر والخارج عزل عميد الاحتلال بعد أربعة وعشرين عاماً من الكفاح المتصل، ولم تغير خطته بعد عزل كرومر وتعيين إلدون جورست Eldon Gorst مكانه بل أن التزاماته كانت أخطر في ذلك العهد من جميع العهود السابقة فقد جاء العميم الجديد بسياسة لينة نحو القصر لأنحو مصر، فتغير الخديو وتبدل أسلوبه الوطني فكان بالأمس يدافع عن الحركة الوطنية ويختلط خصوصياته علانية في أحاديث حفيفه وبنكر تعصبه الدينى ويرى أن شعبه طيب بفطرته نزيه بجد ومعتدل متسامح، (٢) غير أنه يعود فيذكر لكاتب (الدليل لمجراف) في مايو ١٩٠٧ أنه لا يعمل ضد الاحتلال ويبيّن له أن المعتمد البريطاني لا يستطيع حكم مصر وحده، وأنه مستعد للتعاون معه وأنه لا فائدة للمصريين من استبدال الاحتلال باحتلال وأن الاحتلال البريطاني خير من أي احتلال آخر (٣) ويأتي (اللواء) على هذا الخصم الجديد ما ذهبت إليه فيضيف إلى أعدائه عدواً خطيراً الشأن ييد أنه يشرع في مخاصمه فور آفان الشعب المصرى لا يقبل مطلقاً أن يكون حكم مصر ييد سمو الخديو بمفرده أو بيد المعتمد البريطاني أو بيد الآذين معاً بل

(١) Lloyd : Egypt Since Cromer. V. 1. p. 50.

(٢) من حدثه مع مكتب (الطان) — راجع الرافى . محمد فريد ص ٦٥ — ٦٦

(٣) الراوى في كتابه — مصطفى كامل ص ٣٣٣ و محمد فريد ص ٦٥ — ٦٦ (٤) — ١٢ — صحافة

يطلب أن يكون حكم هذا الوطن العزيز بيد النابغين والصادقين من أمته وأن تكون
نظمات الحكومة دستورية ونيابية، ثم يقول في موضع آخر متحدثاً عن الخديو
« فهو إن قال كلية في صالح الحركة الوطنية خدم نفسه وعرشه واستحال أمته إليه
وإن عمل ضدّها أضرّ بنفسه وبعرشه ونفرّ أمته منه ولـكـنه في الحالين لا يـسـتـطـعـ
الإضرار بهذه النـهـضة لأنـهـاـ نـهـضـةـ المـطـالـبـينـ بالـحـيـاةـ وـالـجـوـودـ وـمـثـلـ هـذـهـ الـنـهـضـةـ
لا يـضـرـهـاـ إـنـسـانـ مـهـماـ كـانـ قـوـياـ وـعـظـيمـاـ »^(١)



لقيت الصحافة بعد تغيير كروم شيئاً من العنت
والضيق لحقها جميعاً سواء في ذلك صحف الاحتلال
وصحف الاستقلال إذ لم يعد الإنجليز حظ في حرية
الصحافة والتـكـينـ لهاـ، وقبض الخديـوـ يـدـهـ عنـ مـسـاعـدـةـ
الـصـحـافـةـ الـوطـنـيـةـ فقد اتفـقـتـ الأـسـبـابـ الـتـىـ تـدـعـوـ إـلـىـ
ذلكـ كـاهـ، وـهـيـ الـخـصـوـمـةـ الـقـدـيمـةـ بـيـنـ صـاحـبـ السـلـاطـةـ
الـشـرـعـيـةـ وـصـاحـبـ السـلـاطـةـ الـفـعـلـيـةـ وـأـصـبـحـ الـطـرـفـانـ
لـاتـعـوزـهـمـاـ قـوـةـ منـ القـوـىـ لـتـحـقـيقـ أـغـرـاضـهـمـاـ، وـكـذـلـكـ
اتـفـقـتـ السـلـطـاتـ الـأـجـنـيـةـ فـيـ هـذـاـ الرـأـيـ مـعـ السـلـطـتـيـنـ

الـرـسـمـيـتـيـنـ فـيـ مـصـرـ وـخـاصـةـ بـعـدـ الـانـفـاقـ الـوـدـيـ سـنـةـ ١٩٠٤ـ

محمد فريد بك

فـلـمـ يـعـدـ لـحـيـاةـ الـقـنـصـلـيـةـ الـفـرـنـسـيـةـ أـثـرـ فـيـ الـحـيـلـوـةـ دونـ بـطـاشـ الـعـمـيـدـ أوـ الـخـدـيـوـ
بـالـصـحـفـ الـلـاـنـذـةـ بـهـاـ .

وـكـانـتـ الصـحـفـ الـصـدـيقـةـ لـلـاحتـلـالـ أـولـ ضـحـيـاـ سـيـاسـيـةـ الـوـفـاقـ الـجـدـيـدـةـ فـيـ
سـنـةـ ١٩٠٧ـ فـقـدـ اـتـهـمـتـ (ـ الـمـقـطـمـ وـ الـوـطـنـ وـ الـشـرـقـ)ـ مـأـمـورـ مـرـكـزـ كـرـمـوزـ بـأـنـهـ يـقـبـلـ
الـرـشـوـةـ لـقـضـاءـ حـاجـةـ النـاسـ وـحـمـلـتـ عـلـيـهـ فـيـ بـضـعـ مـقـالـاتـ ضـمـنـهـاـ رـأـيـاـنـ أـنـ الـمـصـرـيـنـ
لـاـ يـصـلـحـونـ لـوـظـائـفـ الـمـأـمـورـيـنـ ، وـأـنـ هـذـهـ الـوـظـيـفـةـ جـدـيـرـةـ بـعـدـ الـإنـجـلـيـزـ ،
وـقـدـمـتـ هـذـهـ الصـحـفـ لـلـنـيـابـةـ الـعـمـومـيـةـ ، وـلـمـ تـحـلـ الـعـلـاقـاتـ الـقـدـيمـةـ بـيـنـهـاـ وـبـيـنـ دـارـ

(١) الـلوـاءـ فـيـ ٢٦ـ وـ ٢٧ـ مـاـيـوـ ١٩٠٧ـ

الوكلة البريطانية دون حاكمة والحكم عليها ، وقد علقت (المقطم) على الحكم زاعمة أنها حملة أحكام تدبرها للقضاء عليها واستغاثت بالصحف الأجنبية في مصر لتوآزرها ولتدفع الظلم الواقع عليها ^(١) وقد أنسكرت النيابة عليها أنها لسان من ألسنة الأمة وقطعت بأن أخبارها غير صحيحة ، وتعوزها الأدلة والبراهين وأنه لا يجوز لها أن تتعرض الشخصيات وتسيء بالسب إلى الموظفين العموميين .

لم تفتر الحركة الوطنية بعد وفاة مصطفى كامل في مطلع سنة ١٩٠٨ بل بقى تاريخها في الجهاد متصلةً في كل ناحية من نواحي الحياة المصرية ومن ورائها كتلة من الوطنيين المصريين ممثلة في الحزب الوطني الذي ضم عنصرى الأمة وقضت وحدته على الخلافات المذهبية التي طالما عير بها المصريون في مصر والخارج وكانت سبباً من الأسباب انتحالمه الدول للتدخل في شئون مصر قبيل الاحتلال والذكين لهذا الاحتلال بعد وقوعه ، وقد غدى هذه الحركة نجاح الحركة الدستورية في تركية في يوليه سنة ١٩٠٨ — وإن كان نجاحها في تركية جاء متاخراً بعد أن انفصمت العلاقات الودية بين الخديو والحزب الوطني — ولم يكن هذا النجاح في تركية شيئاً لا يعني المصريين بل شد أزرهم وقوى فكرة الحكومة الدستورية في مصر ؛ وكان ذلك أمراً طبيعياً للصلات الأدبية والمادية بين التابع والمتبوع ، فقد كان السكشرون يرون مزاج البلدين واحداً فلاغروا أناشيدساعد الدستوريين في مصر ومضت الصحافة المصرية تطالب بالدستور وطفيحت صفحاتها بالحديث عنه .

والصحافة المصرية ليست حديثة عهد بهذا الموضوع فقد عنيت به منذ رياضة مصطفى كامل للحزب الوطني ، وقد كان لتأثير مقالاته صدى في الجمعية العمومية في شهر مارس ١٩٠٧ حيث طالبت هذه الهيئة النيابية بإنشاء مجلس نواب نيابي واضطرت الحكومة الفئمية إلى الرد عليها ، بأن الوقت لم يحن لتشكيل مجلس نواب يرجى منه النفع العام الذي ينتظر من المجالس النيابية ولكنها تشغله الآن في توسيع

اختصاص مجالس المديريات ، (١) والصحف الوطنية هي التي أذاعت هذا الموضوع وعالجته مراراً ودعت إلى تحرير العرائض للخديو وساهم في توقيعها بعض السيدات والآنسات، وهذه ظاهرة جديدة في حياة الأمة المصرية لم تكن معروفة من قبل (٢) واضطرب السير جورست أن يوضح سياسة الاحتلال في هذه الحركة الخطيرة، فهو يعلم أن الخديو لا يرضى عن حياة الشورى حتى لا تكشف يده عن السلطة وسياسة الاحتلال قد سمحت له بها في قدر كان قد حُرم منه زهاء خمسة عشر عاماً، ويعلم أن وجود حكومة دستورية تسرب الاحتلال سلطانه أمر يخالف السياسة الانجليزية في ذلك الوقت، فتتحدث إلى (المقطم) في أكتوبر قائلاً «إن ما حدث في تركية ليس له أقل دخل في مسألة استعداد المصريين للحكم الذاتي»، ثم قال «إن مصر حاصلة على دستور الآن وأعني به الدستور الذي يتضمنه قانونها النظمي الصادر سنة ١٨٨٣ أما إذا كان المقصود من هذه الصيحة في طلب الدستور إنشاء حكومة نياية ياطلاق المعنى كا هي الحال في الجملة الأولى في بلاد أخرى أو ربيه فليس عندي على ذلك إلا جواب واحد وهو أن الشروط الالزمة لإدارة البلاد بموجب نظام مثل هذا النظام غير متوافرة الآن والتفسير في إدخال تعديل يحدث انفلاجاً بأكمله الانقلاب ضرب من الحماقة والجنون»، ثم دعا جورست المصريين إلى مساعدة بريطانيا في توسيع اختصاص مجالس المديريات والمجالس المحلية (٣)

وقد عادى جورست فكرة الدستور عن طريق الصحافة بجعل الموضوع كله على صفحاتها، فشرعت (اللواء) تفنيد الرأي الانجليزي وتحمل عليه حملة كان لها أبعد الأثر في الجهات الرسمية النيابية (٤) فاجتمع مجلس شورى القوانين في ٢١ أكتوبر عام ١٩٠٨ وأثيرت مسألة المجلس النيابي في الجلسة ورأى بعض الأعضام تأجيل النظر في هذا الموضوع إلى ديسمبر، وكان على خلاف هذا الرأي

(١) محفوظات الجمعية العمومية لمدورة اتفاقات سنة ١٩٠٧ ووثيقة رقم ٧

(٢) اللواء في ٢٦ فبراير ١٩٠٨

(٣) المقطم في ٢٢ أكتوبر ١٩٠٨

(٤) اللواء في ٢٦ فبراير و٢١ أبريل وشهر سبتمبر ١٩٠٨

عشرة من أعضاء المجلس سماهم اللواء « العشرة السكرام » وكان من رأيهم المطالبة فوراً بإنشاء مجلس نوابي على أحد النظم الدستورية في أوروبا (١)

وقدت الصحف الوطنية هذه الحركة ونشرت البرقيات المختلفة في هذا الصدد، ثم مضت تدعو إلى الفكرة الدستورية كل يوم، ولما اجتمع مجلس شوري القوانين في ديسمبر ذكر (اللواء) أعضاءه ما واعدوا به من النظر في أمر الحكومة النيابية، فأصدر المجلس قراراً يطلب من حكومة الجناب العالى إعداد مشروع قانون يمنح الأمة حق الاشتراك الفعلى مع الحكومة في إدارة أمورها الداخلية وتدبير شئونها المحلية وأن يكون رأيه تقريرياً في مشروعات القوانين واللوائح التي تطبق على الأهالى وفي تقرير الضرائب والرسوم بحيث لا يكون لهذا القانون تأثير على نصوص المعاهدات الدولية والامتيازات القنصلية والدين العمومى وأحكام قانون لجنة التصفية وما يتعلق بالأوربيين من المصالح والحقوق الواجبة الاحترام ولا على ورثة الاستانة ولا على كل ما ارتبطت به الحكومة من التعهدات والاتفاقيات وبعد إعدادها لهذا القانون يبعث به إلى مجلس شوري القوانين لإبداء رأيه فيه وهذا عملاً بالمادتين ١٩٦١ و ١٩٦٢ من القانون النظامى (٢).

وكان هذا القرار الصادر من مجلس شوري القوانين حديث الصحف عامة والوطنية خاصة ولم ترفضه واحدة منها وإن اختلفت في التعليق عليه، وكانت اللواء أول ماعنى به واهتم له ودعا إلى تحقيقه وإن كان في نظرها لا يتحقق جميع الأمانى الدستورية ومهما يكن الإخفاق الذى أصاب هذه الحركة فإن الصحافة المصرية جعلت الفكرة الدستورية غاية من الغايات الوطنية؛ وفرضت إيمانها على المجلس النيابية المصرية وصورت بمقابلتها الحكم القائم في نظر الناس حكماً غير عادل، وجعلت الجماهير تفتقىر في أشياء معنوية لم تكن تعنى بها بجانب عنایتها بمحاجتها المادية

(١) اللواء في شهر أكتوبر ١٩٠٨ و ٢١ نوفمبر ١٩٠٨

(٢) مجموعة محاضر جلسات مجلس شوري القوانين في ١٩٠٨

اليومية ، ولم يعد الجلاء وحده الغاية الأولى والأخيرة بل أصبحت فكرة الحياة الدستورية ملازمة للجلاء في ذلك الوقت وبعد ذلك الوقت بسنوات .

وقد برم جورست بالحالة التي خلقتها الصحافة الوطنية ، فهو يتحدث في تقريره عن مجلس الشورى في سنتي ١٩٠٨ و ١٩٠٩ حديثاً ملئه الحق على معارضته هذا المجلس معارضة « تخشو بها أعمدتها الصحافة الوطنية المعادية للحكومة » ويقول عن خطر هذه الصحافة في موضع آخر « وموطن الضعف في المجلس الآن هو السهولة التي يلقاها المتطرفون في افتياد معظم الأعضاء وتضليلهم وشدة اهتمام جميع الأعضاء باجتناب الطعن فيهم في الصحف العربية واتهامهم بضعف الوطنية وهذا الطعن يصيب كل من يؤيد اقتراحات الحكومة ولو تأييداً ضعيفاً » (١) .

ثم استقالت عقب هذا وزارة مصطفى فهمي باشا وهي وزارة بقيت موالية للإنجليز زهاء ثلاثة عشر عاماً ولم تكن حرية على ود الخديوي يوم من الأيام ، فكان طبيعياً أن تنقذه منها سياسة الوفاق الجديدة ، وقد ولّى الوزارة بطرس باشا غالى (٢) وحمل عليها (اللواء) بعد ولاتها شئون مصر بثلاثة أيام في مقابل عنيف ، وأكيد أنها جاءت تشيع البقية الباقيه من الحرية إلى مدقها وأنها وزارة الوفاق الذي تم على حساب المصالح المصرية (٣) .

توجس الوطنيون شرآ من هذه الوزارة الجديدة بيد أن ذلك لم يعي صحفهم عن مهاجمتها ومحاجمة الاحتلال في كل مناسبة من المناسبات ، ونال الخديو من معارضتها هذه كثير من النهي القاسيه التي بدت لينة في ملاحظات عن العلاقات الجديدة بين جورست والسرای (٤) ثم تطورت إلى اتهام صريح للخديو بأنه

(١) Blue Books . 1908—1909

(٢) الوفاق المصري ١٤ نوڤمبر ١٩٠٨

(٣) اللواء ١٧ نوڤمبر ١٩٠٨

(٤) اللواء في ١١ أبريل ١٩٠٨ نم لو جور نال دى كير في ٨ أبريل ١٩٠٨

يُحابي الاحتلال على حساب مصر في سبيل مصالحة الخاصة^(١) وهناك أسباب أخرى دفعت إلى هذه الشدة الصحفية على جورست والخديو والحكومة مصدرها فيما نعتقد أن شئون الدولة العليا أقيمت إلى مسيحي وهو أمر تبرم به غالة المسلمين إذ ذاك^(٢). وزاد (اللواء) حدة أن الشيخ عبد العزيز جاويش تولى تحريره منذ ٣ مايو ١٩٠٨ فحمل على دانلوب في المعارف ثم حل على الحكم الإنجليزي في السودان وسمى القضاء على الثورة هناك «دنشواي أخرى»، ثم عاود النشر في هذا الموضوع مستخفًا بتكميل الحرية لمقالة الأول^(٣) واتهى به الأمر إلى القضاء ومع ذلك فقد استمر في مقالاته الحادة يهجو بأسلوبه القاسي جميع الجهات، وأمتازت عباراته بالإشاء الحمامي الذي يلهب النفوس ويثير المهمم في مصر أو في غيرها من البلاد الإسلامية.

ويعتبر اللورد لويد أن تفكير الحكومة في تقدير حرية الصحافة مصدره كتابات الشيخ الفاسية في اللواء^(٤) إذ رأى المسؤولون أن قانون العقوبات وإن كانت له آثاره على الصحف الصغيرة الماجنة إلا أنه لم يستطع أن يحد من تطرف الصحافة الوطنية الكبرى وهي تعارض معارضة لا تشوبها شائبة، لذلك قررت الحكومة العودة إلى قانون المطبوعات الصادر في سنة ١٨٨١ وأعادته فعلاً في ٢٥ مارس سنة ١٩٠٩ وتقدمت به إلى الرأي العام مبينة الأسباب التي من أجلها قررت معاملة الصحف بمقتضاه

بيانت الحكومة وجهة نظرها قائلة «إن الحكومة لم تنفذ منذ عام ١٨٩٤ قانون المطبوعات الصادر في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨١ وحيث أن الجمعية العمومية طلبت من الحكومة في ٢٦ مارس ١٩٠٢ ردع الجرائم عن تجاوزها الحدود وعن

(١) التباب ٦ أبريل ١٩٣٦

(٢) الوطن ٢٣ مارس ١٩١٠ وفيها تفصيل لهذا الرأي

(٣) اللواء في ٢٨ و ٣١ مايو ١٩٠٨

LLOYD VI, p. 88-89 (٤)

الفوضى التي وصلت إليها وأرسل إليها مجلس شورى القوانين طلباً مثل هذا في ٣٠ يونيو سنة ١٩٠٤ وحيث أن عدم تنفيذ قانون المطبوعات لم يزدهر الجرائد إلا تماذياً في التطرف والخروج عن الحد حتى أدى ذلك بشكوى الناس إلى مجلس الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين من هذه الحالة التي أضرت بمصالح البلاد ضرراً بلانياً فقد قرر مجلس النظار ما يأتى : يعمل بأحكام قانون المطبوعات فيما يتعلق بنشر الجرائد في القطر المصري . (١)

هذه هي الأسباب التي سوّغت بها الحكومة عودة قانون المطبوعات القديم ، وكان أمر هذه العودة خطيراً من حيث حرية الرأي التي لم تكفلها سلطنة من السلطات ، فاحتاج الحزب الوطني على ذلك رسميًا (٢) وظهرت بعض وسائل الاحتجاج الأخرى على هذا القانون في ٢٦ مارس ١٩٠٩ وأخذت (اللواء) تعلق عليه وعلى العمل به تعليق الخبير العارف بالتشريع وأضراره معتمدة على أقوال الشراح والمفسّرين (٣) بجانب إثارة الشعور العام على هذا التشريع وخاصة مقاومتها في ٣١ مارس الذي دعت فيه المصريين إلى الاحتجاج حتى تشعر الحكومة بمدى السخط العام على تصرفاتها إزاء الصحافة وهي الحصن الوحيد للوطنيين ، وقد شاركت (اللواء) الصحف المصرية الأخرى في الشعور نحو هذا القانون إلا صحفتها (الوطن) و (مصر) ، ويورخ لهذه الحقيقة قرياقص ميخائيل في كتابه «أقباط ومسلمون تحت الحكم البريطاني » (٤) بأن المقصود من هذا القانون كان كسب العيف الذي جرت عليه الصحف الوطنية في علاجها للمسائل السياسية وغيرها من المسائل العامة ثم يذكر أن الصحافة القبطية استقبلته حمية له كعامل من عوامل تهدئة حدة الصحف وعنفها .

(١) الواقع المصرية ٢٧ مارس ١٩٠٩

(٢) الراهن - محمد فريد ص ١٠٧ - ١٠٨

(٣) اللواء في ٢٩ و ٣٠ مارس ١٩٠٩

(٤) أقباط ومسلمون ص ٩٨

وقانون المطبوعات هذا قانون أبتر لأنه لا يسرى إلا على المصريين أو المترددين بالجلدية المصرية ، لأن حماكة الأجانب مهما تكن مخالفاتهم أو جرائمهم تتبع أحكام دولهم وقوانينها ولا تملك مصر إذا ذلك فرض قانونها عليهم لتعتهم بالامتيازات الأجنبية منذ عدة قرون ، فأصحاب الصحف من الأجانب في مأمن من هذا القانون وليس هنا مجال نقده ، وإنما تحضرنا بعض الملاحظات على تسويف الحكومة الرجوع إليه ، فهي تدعى أن الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين قد هاجرا إسفاف الصحف وتجاوزها الحدود وتماديها في التطرف ، والمجلسان النمسانيان لم يشيرا فقط إلى القصد من حرية الصحافة بحال وإنما أشارا إلى الصحف التي تنهش الأعراض وتخوض في السكرامات والصحفين الذين ينالون طعامهم على كل الموائد دون رعاية لخلق ، أو عرف ، وقانون ١٨٨١ إنما تعينه الحكومة لتطبيقه على (اللواء) وما يناصره من الصحف ، ولم يطلب المجلسان العودة إلى هذا القانون بل طلبوا « سن قانون جديد » وفرق بين الطليبيين ، لأن سن قانون يقتضي عرضه عليهم ، ومهما يكن رأيهما استشارياً فإن يكون في عنيف قانون الثورة العرائية .

وبجمل القول في هذا القانون إنه طبق على مدى واسع وعلى الصحف المعارضة خاصة ، فقد كتب الشيخ عبد العزيز جاويش في (اللواء) مقالاً عن ذكرى دنشواي^(١) واعتبرت النيابة المقال سباقاً لرئيس الحكومة وتاريخاً لحياته من وجهة نظر معارضة تهون من شأنه في عيون الناس ، وقضى الاستئناف بسجن الشيخ^(٢) ، أخذ (اللواء) ينشر مقالات عن حادث (دنجر) وهو طالب قتل كبيراً من رجال الانجليز السابقين في الهند ، وكانت أخطر هذه المقالات المقالة الرابعة^(٣) حتى اعتبرتها الحكومة تحريراً على القتل السياسي وإعجاها به^(٤) . وكانت قضية

(١) اللواء في ٢٨ يونيو ١٩٠٩

(٢) أرافعي — محمد فريد ص ١١٢ — ١١٣

(٣) اللواء في ١٧ أغسطس ثم في ١٠ و ١١ و ٢٠ يوليه ثم في ٧ و ١٩ أغسطس ١٩٠٩

(٤) اللواء ٥ أغسطس ١٩٠٩

الشيخ جاويش أولى حوادث الصحف الوطنية من حيث تعرضه لقانون المطبوعات، وقد اختلفت في شأنها الصحف المصرية المتباينة، فكان معظم الصحف من عربية وفرنسية في جانب اللواء إلا (الأجنبية جازيت) وجريدة (المقطم) وخاصة الأخيرة فقد ذكرت في قضية الشيخ تفاصيل ما سيجري في المحكمة وما سينطلي به القضاء، وقد صرحت ذلك وجاء الحكم مطابقاً تماماً للمطابقة للمقدمات التي أذاعها المقطم في صفحته^(١)

ومن الصحف التي راحت ضحية لقانون المطبوعات جريدة (القطر المصري) ذلك لأن أصحابها نقل عن إحدى صحف الاستانة مقالاً لم يعجب المحرر فأخذ ينفيه وينفرد رأي كاته ويعارض اتجاهه غير أن الحكومة رأت في نشر المقال ما يمس النظام والأمن العام فأمرت بإغلاق صحيفة القطر المصري دون النظر إلى متعلق بها الصحفي المصري وهو قرين بأن ينفي صحيحته من سوء الظن وإن لم يعفها في نظر الحكومة من سوء التقدير^(٢)

لم يحل قانون المطبوعات بالرغم من شدته دون عنف الصحف الوطنية، فكان كلما استبدل القانون بها اشتتدت هي في المعارضة، وأصدق ما يجري على هذه الحقيقة مشروع مد امتياز قناة السويس وهو مشروع شغل الرأي العام المصري في نهاية عام ١٩٠٩ وأوائل سنة ١٩١٠ وكانت الحكومة تأمل في موافقة السلطات النورية على هذا الموضوع، غير أن اللواء أحس الاتجاه فبدأ محمد فريد بك يهاجم المشروع ابتداء من أواخر أكتوبر مهاجنة عنيفة مؤيدة بالحجج والأسانيد ونقلت عنه معظم الصحف المصرية عربية وفرنسية.

كان الناس ينظرون في أول الأمر إلى فكرة مد امتياز قناة السويس نظرة مادية خاصة فكانت المناقشة تدور حول ماتنتفع به مصر من الناحية المالية؛ وكان هذا هو اتجاه الصحف في نظرتها إلى الموضوع غير أن محمد فريد بك نشر في اللواء

(١) الشباب العدد الثامن

(٢) الراهن محمد فريد من ١٢٨

مقالاتً ممتعةً تحت عنوان «مسألة قناعة السويس — اعتبارات سياسية» (١) وكان هذا المقال حجر الزاوية في رفض المشروع فيما بعد إذ نقل الكاتب الفكرة من البحث المالي إلى الناحيتين الأدبية والمعنوية وعلاقة ذلك بكرامة الوطن وحقوقه، وبهذا المقال وبغيره مما نشر في اللواء والصحف الأخرى رفض مشروع مد امتياز القناة وانتصرت الصحافة في أعظم معركة اهتمت لها الحكومة اهتماماً منقطع النظير، واعتبر ذلك الرفض من وجهة النظر العامة أول انتصار وطني على الاحتلال منذ وجد في مصر ولم يف دفاع الصحف الموالية للإنجليز أو المتحدثة باسمهم في إنقاذ فكرة المشروع.

وفي أثناء مناقشة هذه الفكرة حدث أن اغتال إبراهيم ناصف الورداي رئيس الحكومة بطرس غالى في ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠ لأسباب ذكرها القاتل بأنها تعود إلى تاريخ بطرس باشا وموافقه من الحركة الوطنية وأساليبه في تناول الحكم، ويدرك الورداي أن الذي دفعه إلى هذا الجرم أن رئيس الحكومة قد وقع اتفاقية السودان سنة ١٨٩٩ ثم رأس المحكمة المخصوصة في قضية دنشواي؛ وفي وزارته صدر قانون المطبوعات ووزراوه أكثر الوزراء تحمساً لتنفيذ مد امتياز قناعة السويس (٢) وكان لهذا الحادث أثر كبير جداً في تضييق حرية القول والكتابية، كما كان له أثر خطير في انقسام وحدة الأمة بعدئذ، وقد أجمعوا الصحف والحزب الوطني على استنكار هذه الحادثة، ومع ذلك فإن (الأجيبشيان جازيت) ردت أصول الحادث وفروعه إلى اللواء (٣) وهي تهول في ذلك وتكبر وتتضى في أثناء محاكمة الورداي تسكرر وتعيد في ذلك، وترجم بعض مقالاتها جريدة (المقطم) وشاركتها صحيفتها (المؤيد والوطن) في الجملة على الحزب الوطني وإلقاء التبعة على مقالاته التي هاجت الناس وطوطحت ياحساساتهم حتى خرج منهم هذا الجرم الشنيع.

(١) اللواء ابتداء من ٢٥ أكتوبر ١٩٠٩ ثم ١٩١٠

(٢) الرافعي، محمد فريد ص ١٧١

(٣) الأجيبشيان جازيت ٢١ فبراير ١٩١٠

وقد صدر بمقتضى بطرس غالى ثلاثة قوانين كان مجلس الشورى قد أبى أن يقرها من قبل^(١) ويقضى الأول منها بـأخرج الجنسيات والجنسنج الذى تقع بواسطه المطبوعات من اختصاص قضاء التحقيق والمحاكم الجزئية ويجعلها كأنها جنسيات عادلة ارتسبت ضد القانون على محاكم الجنسيات التى ليس لها مخلفون وليس حكمها استئناف، والقانون الثانى يتعلق بنظام المدارس وهو يعاقب بالطرد من المدرسة كل طالب يشترك فى مظاهرات فى داخل مدرسته أو خارجها أو يكتب فى الصحف أو يهدىها بأخبار أو يقوم لها بعمل ما ، ويعاقب القانون الثالث ما يقع من الاتفاقيات الجنائية) بين شخص فأكثير بالحبس مدة مختلفة ، والاتفاق الجنائى يتضمن كل ألوان التآمر والجماعيات السرية^(٢)

وبالرغم من صدور هذه القوانين مضت (اللواء) في معارضتها للحكومة والاحتلال وإن تحاشت اللفظ الشديد، ولم يعفها الحذر أو التلطيف في العبارة من المؤاخذة كلما تعقبت سياسة الاحتلال بالللاحظة والنقد، فنشرت مقالاً بعنوان «الزراعة والصناعة في عهد الاحتلال بين مصر والهند» وهو من أمتخ البحوث التي اعتمد فيها كاتبها على الأرقام والمقارنة قبل اعتماده على شيء آخر، وهو من المقالات الممتعة التي تزين تاريخ الصحافة المصرية وتوضح كفايتها ونضجها^(٣) غير أن الحكومة لم يرضها هذا البحث ولم تقر هذا التوجيه فأعتبرت (اللواء) قد خرجت عن حد الاعتدال واستعملت عبارات من شأنها إهانة الخواطر بالطعن على أعمال الحكومة تحت ستار إسناد هذه الأعمال إلى الأمة الإنجليزية ونسبتها إلى كثيير من المعایب التي تمس كرامتها، ثم قضت بإزدرا (اللواء) في أكتوبر لسنة الثانية

رأى (اللواء) في هذا الإنذار تعنتاً لا نظير له. فأقامت الدعوى على الحكمة

(١) العلمي ٢١ مايو ١٩١٠

(٢) الاجبشيان جازيت ٣٠ مايو و ٢ يونيو ١٩١٠

(٣) اللواء في ١٨ أكتوبر ١٩١٠

بشأن إزدارها (١) وشفل هذا الإنذار الصحف المصرية جميعاً فحملت عليه جريدة (العلم) بالطبع لأنها الصحيفة الثانية للحزب الوطني وسخرت منه (البلاغ المصري) ومن المعانى التي انطوت عليه (٢) وأبى (الجريدة) أن تقره في أسلوبها الرفيع المعروفة به (٣) ورأى (المؤيد) أن ماجاء بالإذار سخيف وأنكرت على المقالة التي أذرت من أجلها (اللواء) أي خروج على النظام (٤) ورأى (الصريح) بالاسكندرية على هذا جريدة (وادى النيل) (٥) وعلقت جريدة (الصريح) بالاسكندرية على هذا الموضوع راجية أن يتسع صدر الحكومة للصحف وأن تقلل من مؤاخذتها لها على الصغار الذى لا تضر بالمصلحة العامة (٦) ومضت (المقطم) تعن في الحزب الوطنى وصحفه (٧) وتزعم أنه حزب ثورى يعرض بالجناب الخديو ويختزن السلاح توطنية لثورة يقيمه فى مصر (٨) ولم ترض معظم الصحف الأجنبية فى مصر عن هذا الإنذار فحملت عليه حملة تفاوت بين الشدة واللين (٩)

ثم حدث خلاف بين ورثة (اللواء) والحزب الوطنى وبين يوسف بك المويلحى حارساً قضائياً، ولهذا الخلاف أصول أرخت لها الوثائق فى إدارة المطبوعات وبدأت الكفاح الذى دار حول الصحيفة بين القصر والحزب الوطنى فقد أودت المعية إلى الحارس القضائى أن يتدخل فى توجيه سياسة الجريدة وأبى

(١) محفوظات إدارة المطبوعات دوسييه رقم ٥

(٢) العلم في ٢٥ أكتوبر ١٩١٠

(٣) البلاغ المصرى في ٢٥ أكتوبر ١٩١٠

(٤) الجريدة في ٢٦ و ٢٧ أكتوبر ١٩١٠

(٥) المؤيد في ٢٥ أكتوبر ١٩١٠

(٦) وادى النيل في ٢٧ أكتوبر ١٩١٠

(٧) اللواء في ٢٦ أكتوبر ١٩١٠

(٨) المقطم في ٢٦ و ٢٩ أكتوبر ١٩١٠

(٩) اللواء في ٢٧ أكتوبر ١٩١٠

(١٠) الأجيبيان جازيت في ٢٥ أكتوبر وجورنال دي كيد ولا بورص أجيبيان في ٢٦ و ٣٠ منه ولا ريفورم في ٣١ منه

زعيم الحزب هذا التدخل وترك (اللواء) وبقي **المكافح** متصلًا حتى انتهى الأمر بتوقيع الحجز على آلات الجريدة وخسرت الحركة الوطنية أعظم أسلحتها وأقدمها (١) ثم قررت اللجنة الإدارية للحزب الوطني في أول مارس سنة ١٩١٠ نشر جريدة (العلم) برأسمال قدره خمسة آلاف جنيه زيدت إلى أحد عشر ألف جنيه ، وهي شركة غير تجارية ولا أمل فيها لربح شخصي إذ تقرر أن تضاف الأرباح إلى رأس المال . وقد قام مكتابو (اللواء) وراسلوه بالدعوة له في المدن والأقاليم وتعريف الناس على أنه لسان الحزب الوطني ثم عين للجريدة مندوب في الاستانة يمدّها بالأنباء الخارجية وهو أحد المتهمين في قضية الورданى

ولما لم تفلح الحكومة في القضاء على حركة الحزب الوطني بالقضاء على (اللواء) أندثرت (العلم) ثم استبدلت بالإذار التعطيل لمدة شهرين في ٢٠ مارس سنة ١٩١٠ حتى تخلص من نقهـه ومعارضته في أثناء نظر مشروع القناة في الجمعية العمومية وخلال محاكمة المتهمين في قضية الوردانى ، وذلك بناء على إشارة الوكالة البريطانية مع أن صحف (مصر الفتاة) و (المؤيد) كتبت موضوعات مماثلة وأشدّ لهجة من (العلم) دون أن تنذر أو تغلق (٢) فنشر الحزب الوطني جريدة (الاعتدال) ثم (الشعب) ثم (العدل) إلى أن عاد (العلم) إلى الظهور في ٢٠ مايو ١٩١٠

وقد شاب هذه الحركات الصحفية الحرة نزعة لم يعرفها مؤرخ الصحافة المصرية في تاريخها جيـعاً وتنـزـهـت عنها الصحافة الوطنية في أدق موافقـها مع بـذـلـ الجـهـدـ لـإـثـارـتهاـ فـيـ الشـورـةـ العـراـيـةـ أوـ خـلالـ حـرـكـةـ مـصـطـفـيـ كـامـلـ ،ـ وـهـذـهـ النـزـعـةـ هـيـ المـشـكـلـةـ الـقـبـطـيـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ الـتـيـ أـثـارـتـهاـ عـوـاـمـلـ بـعـدـ وـفـأـهـ زـعـيمـ الحـزـبـ الـوطـنـيـ فـيـ سـنـةـ ١٩٠٨ـ فـقـدـ بـدـأـتـ الصـحـفـ إـلـاسـلـامـيـةـ ،ـ وـ(ـالـمـؤـيدـ)ـ وـ(ـالـجـرـيـدـةـ)ـ خـاصـةـ تـرـدـ فـيـ شـهـرـ ماـيـوـ مـنـ تـلـكـ السـنـةـ عـلـىـ جـرـانـ الـأـقـبـاطـ الـتـيـ بـدـأـتـ تـبـحـثـ فـيـ أـمـرـ الـوـظـافـ

(١) محفوظات للطبـوقـاتـ دـوـسيـهـ رقمـ ٥

(٢) وزارة الداخلية دوسيـهـ العلمـ رقمـ ١٦٨

والموظفين وعدالة الفسحة فيها بين النصارى والمسلمين، ووقفت (الوطن) لـ كلِّيْمَا وحملت علَيْهِما في عنيف وشدة (١)

ومن أن مقالات (المؤيد) و (الجريدة) خلت من هذا العنف الذى نشرته
الوطن) فان الوطن اعتبرت الحديث فى أمر الوظائف والموظفين شيئاً يستوجب
هذا العنف فاعتظر (اللواء) إلى النزول في الميدان ونشر الشيخ جاويش مقالاً
عنيفاً جداً ردأ على ما جاء بمقال (الوطن)، وهو يرد على هذه الموجة العنيفة
بعنف يماثلها ويزيد عليها في أسلوبه المأثور عنه (٢). وقد أدى هذا النقاش
الصحف إلى خصومة عنيفة بين المسلمين والأقباط كان صداتها في تلك البرقيات التي
أرسلت من المسلمين إلى ناظر الداخلية ليحاكم صاحب (الوطن)، كما أرسلت
برقيات عديدة من الأقباط يحتجون على عبارات (اللواء) «ي Assassates مجرحة
يلتمسون من عطوفتهم أفسد ناظر الداخلية وجناب المعتمد البريطاني بسرعة ملاغة
الأمر قبل استفحاله»، وكاد الأمر يستفحى حفراً فقد دعا الأقباط إلى اجتماع
بحديقة الأزبكية كادت تحدث فيه فتنة، وذهب كثيرون إلى المفوضية الفرنسية
يشكون الشيخ جاويش على اعتباره من رعایا فرنسا التونسيين (٣).

وقد استطاع الحزب الوطني أن يرث الصدح ويقف هذا التيار بمجموع العقول
والحرافيش على وحدة البلاد ، غير أن السياسة الانجليزية ما فتئت تخالق المنازعات
بين العنصريين ، وأظهر ما صنعته في هذا الميدان تعين بطرس غالى باشا للناظارة ؛
وتتحمل (الوطن) و(مصر) خاصة وزير العودة إلى الموضوع كما تتحمله أيضا
الصحافة الوطنية الإسلامية ، فقد كان اتجاهها إسلاميا محضا ، حتى الصحف التي
صدرت معاشرة للحركة الوطنية وموالية أشد الموالاة للاحتلال جعلت من أسس
حياتها الأولى الناحية الإسلامية ، وقدر أن يكون على رأس الصحفيين الوطنين

(١) الوطن في ١٥ يونيو سنة ١٩٠٨

(٢) اللواء في ١٧ يونيو ١٩٠٨

(٣) محفوظات الداخلية دوسيمه رقم ٥

رجل متحمس كعبد العزيز جاويش وصل السياسة بالدين وجعل للدين أثراً في
السياسة العامة، وقد أعقاب فترة المدحوم بين العنصرين مقتل بطرس باشا فأثار
هذا الحادث أوار النار من جديد.

ونحن نقرر في جزم أن بعض الصحف المسيحية تتتحمل أكبر قسط من
المسؤولية في استئناف هذا الموضوع، فقد عادت (الوطن) إلى التحدث فيه تحت
عنوان «هنا وهناك»، (١) وأخذت تسب اللواء المرذول جريدة حزب الخراب
والشر، ثم تستعيد ما نشر في صحيفته في ظروف مماثلة؛ ومع أن أسلوب محرر
(الوطن) بدأ في إثارة الأزمة لينأى عنها فرقاً إلا أنه أعاد السكرة بعد بضعة أيام مشيراً
من طرف خفي إلى تخوف الأقباط من الدستور لأن معنى الحياة في ظل الدستور
كما يرى الكاتب، أن تصبح البلاد وحكومتها في قبضة قواد الحركة الحالية بلا
سلطة فعلية من الجناب العالى ولا رقابة حقيقية من الدولة العلية، (٢). ومن
مقالاتها الخطيرة التي زادت الخلاف حدة الفصول التي نشرتها حاملة على الحكومة
والشيخ جاويش والتي استعدت فيها الانجليز على الشيخ «عدوا الانجليز والأوريين
عامة وعدوا الأقباط وعدوا السورين وعدوا عقلاً المصريين»، كما نشرت تعليقاً على
فض الجمعية العمومية وهى تظهر خصوصيتها للدستور ثم نشرت مقالاً توقع فيه بين
الخديو ورجال الحزب الوطنى (٣).

ومنذ بدأت الصحافة المسيحية تفتح المسألة الدينية في سياستها استفحلاً الخلاف
بين المسلمين والأقباط، وأرسل الآخرون إلى لندن في يونيو ١٩١٠ قرياقص
ميخائيل كممثل للصحافة القبطية في مصر وكداعية لأغراض الأقباط هناك، وقد
استقبلته الصحافة الانجليزية وأحزابها استقبالاً عظيماً، ونشرت إحدى وعشرون
صحيفة المقالات الطويلة في موضوع الخلاف الديني في مصر، وبذلت حملة الصحف

(١) الوطن في ٢٣ مارس ١٩١٠

(٢) الوطن في ١٣ أبريل ١٩١٠

(٣) الوطن في ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ أبريل

الإنجليزية في ٢٠ سبتمبر ١٩١٠ واستمرت إلى ٢٣ سبتمبر ١٩١١^(١). واهتمت الصحف المصرية الإسلامية والصحف القبطية والأجنبية في مصر بهذا الموضوع اهتماماً جعل المسألة الوطنية في المرتبة الثانية، واشتركت (المؤيد) و(الجريدة) و(اللواء) و(العلم) و(الأهالي) من الناحية الإسلامية و(الوطن) (ومصر) من الناحية القبطية، اشتراك جميعها في هذا الموضوع، وأكثر ما في هذه المشكلة غرابة موقف الإنجليز ثم موقف جريدة (الأهالي والمقطم)

ولقد كان معروفاً أن أكثر الصحف الفرنجية في مصر تناصر الأقباط في حركة لهم، وكان معروفاً أيضاً أن الصحف المصرية الإسلامية جميعاً وبلا استثناء تجادلهم بالعنف وتحمل عليهم أشد العذابات، أما الإنجليز فموقفهم غريب حقاً، فصهاجاتهم في مصر وإنجلترا تزيد طهيب هذا الخلاف إذ يدين روتري ٢٦ يناير سنة ١٩١١ حدثاً للسير جورست بأن «الأقباط والمسلمين يعيشون في سلام لو تركوا وحدهم»^(٢) وتقول (التيمس) عن جريدة (الوطن) إن هاجتها ما زالت شديدة ومميتة منذ إعدام الورديانى، ثم تعقب على إنذار الحكومة للوطن «وأهم من مسألة إنذار (الوطن) اغتنام الأقباط هذه الفرصة لبسط شكاواهم للرأى العام وللحكم البريطانية نفسها، ثم تعاقد على مطالبة الأقباط بوظائف المديرين إن القدرة على معاملة الناس التي هي صفة من صفات الحاكم الإداري الضرورية ولا سيما في المديريات لم تكن يوماً من الأيام من الصفات القوية للأقباط»^(٣) وفي موقف جورست والتيمس ما يغير بالحكم بأن الإنجليز الرسميين كانوا في جانب الحركة الإسلامية، وهذا في الواقع لون من المياسنة لم يفت مؤرخي ذلك الزمن فعملقاوا عليه باللاحظة والتفنيد.

أما جريدة (الأهالي) لصاحبها عبد القادر حمزة فكانت صحيفه معتدلة لم تخال من حملة جريدة (الشعب) عليها^(٤) ومع أنها صحيفه شبه رسمية وشديدة

(١) أقباط ومسلمون ص ١٠٤ - ١٣٤

(٢) و (٣) الأهالي في ٢ فبراير ١٩١١ و ١٨ يناير ١٩١١

(٤) الوطن في ٢٣ مارس ١٩١٠

الصلة برئيس الحكومة وأول من دعا إلى عقد مؤتمر المسلمين إلا إنها كانت تتعارض الخلاف برفق (١) حتى أن الوطن ذكرتها وهي تهاجم الصحف الإسلامية جميعاً ولو أن الصحف الإسلامية كلهَا تجادلنا بالتي هي أحسن على طريقة (الأهالي) الغرام لما سمع الناس بذلك التعصب والانقسام ولا كان في القطر صوتان متنافران بل كان المصريون كلهم حزباً وطنياً واحداً له غاية واحدة هي ترقية مصر وبنائها والاستقلال التام ، (٢) .

أما (المقطم) فكانت أقل الصحف اشتراكاً في هذه المجموعة ، وحين كانت الصحف الأخرى في سعيها هذا الخلاف كان (المقطم) يعذر صفحاته بالمسائل الخارجية وأهمها « مجلس المبعوثان » ، لمندوبيه الخاص في الاستفادة وقلماً كانت (المقطم) تنشر برقيات الأقباط ومؤتمريهم ، وقد دعت إلى السسلامة ونصحت الفريقيين بها ، ولم تأق بدلوها في الموضوع وقالت في إحدى مقاليتها عن تحاشيها الخوض في هذا الخلاف ، إن كان يمكن أن يبعد كلام جريدة اليوم من فضة ، فسكتوها بعد من ذهب وجواهر كريمة لا محالة ، ثم تذكر في يوم آخر أخبار (المؤتمر المصري) وت مدح سياسته وأمانية (٣) ثم أتت هذا الخلاف الصحفية المؤتمنين القبطي والمصري ، فاما الأول فقد أعرضت عنه الحكومة ودار الوكالة البريطانية وأعلن البطريرك أنه لا يمثل الطائفة في شيء وتبعد رموزها وعيونها فتشل المؤتمر بذلك فتنة صغيرة ثائرة . وأما المؤتمر الإسلامي فقد رأسه رياض باشا وأكبرته الصحف الوطنية جميعاً وباركت قراراته وفيها يرفض أكثر ما طالب به الحزب القبطي الصغير (٤) .

ومهما يكن أمر هذا الخلاف الصحفى فقد خسرت فيه مصر أكثر مما أكسبت

(١) أقباط ومسلمون ص ٣٢

(٢) الوطن في ٤ يناير ١٩١١

(٣) المقطم ٨ و ١٣ مارس ١٩١١

(٤) اللواء ٤ و ٩ مارس ١٩١١ وما بعدها

طائفتها ، فإن المسائل الوطنية العليا أصبحت في المرتبة الثانية بالنسبة للخلاف المذهبي ، وخرج الاحتلال من ذلك سليمان فلم تقدمه الصحف في الموضوع لا الإسلامية منها ولا القبطية ، واتّهى المؤتمران إلى قرارات اتخذت لم يشر واحد منها إلى احتجاج على الاحتلال أو مطالبة بدسّتور ، غير أن هذا الخلاف قد ترك لنا ثروة أدبية طيبة ، فقد أتت الأدباء والشعراء روائع الأدب وبدائع الشعر في تأييد وجهات النظر المتباينة ، وترك لنا كتاباً عربية وفرنجية^(١) أرخت الخلاف ومصادره ونتائجها .

ومع أن الخلاف كان شديداً جداً بين صحفة العنصريين فإن إنذار الوطن قد ساء الصحف جيّعاً ، وهو موقف نادر بين تلك الصحف وغريب في مثل هذا الوقت ، ويحمل هذا مكتاب (التيمس) في ١٧ يناير ١٩١١ بقوله « وقد أحدثت هذه الحادثة حركة كبيرة في الصحافة المصرية من وطنية وأجنبية وأعل السبب في ذلك أن سخط الصحافة عام على قانون المطبوعات لأن جرائد مصر مما تباليت بمفادها واختلفت مذاهبها تتفق على انتقاد هذا القانون وتقييم حرية الصحافة به ،^(٢) والأصل في هذا الإنذار أن (الوطن) نشرت مقالات عارضت فيها قرار الحكومة القاضي بطبع بعض الكتب العربية القديمة ، ودارت في ذلك مناقشات حادة بين (الوطن) والصحف الإسلامية .

وكان من حزب الجريدة القبطية (ذى أحشبيان جازيت) لسان الجالية البريطانية ، وكذلك اتخذت جانبها (لابورص أجبسين La Bourse Egyptienne) لسان الجالية الفرنسية ، وسمت إنذار الحكومة للوطن عوداً إلى القرن الوسطى ولا يجوز أن ينعقد مجلس النظار مثل هذا في القرن العشرين ، وسار على هذا النهج معظم الصحف الأجنبية مواسية (للوطن) في محنتها (كلاريفورم) و (ليجيكت) نصيرة المسلمين كما يسمونها قرياقص في كتابه^(٣) وانتصرت لها

(١) راجع الوطن في ٨ أبريل ١٩١٠ ومحفوظات الداخلية دوسيه رقم ٤

(٢) نقل عن الأهل في ١٧ يناير ١٩١١

(٣) أقباط ومسلمون ص ١٠٢—١٠٠

أيضاً الصحف الإسلامية وعلى رأسها (اللواء) بالرغم من إن الإنذار كان نتيجة لخلاف بينها وبين (الوطن)، غير أن (اللواء) تتجه على الحكومة وتأبى عليها التدخل في شؤون الصحافة ولو كان تدخلاً ينصر الصحف الإسلامية على (الوطن) فإن لذلك حماكم وقضاة في وسعهم أن يردوا الجانبي ويعقّبوا المسىء.

وحوالي هذا التاريخ صدر الحكم في قضية كتاب «وطني»، وهو يقضى بسجن محمد فريد بك والشيخ على الغاياني مؤلفه، وعلقت الصحف جميعاً على هذا الحكم ولم ترض عنه واحدة منها لأنه صادر ضد رجل من ذوى الأقلام، وقد استوت في ذلك صحف المسلمين والأقباط والجانب^(١) وخاصة جريدة (المقطم) التي «شق» عليها دوهاج، عوطفها أن يصدر ذلك الحكم على خصيمها العتيد وકأن ذلك الخصم القديم قد انقلب في شعورنا دفعة واحدة إلى صديق حميم، (٢).

وكان الأمل كبيراً - وقد هدأت حدة هذه المخنة وخرج منها الصحفيون كتلة واحدة أمام الاضطهاد الذى عانته صحفهم من الإنذار أو التعطيل أو سجن أصحاب الصحف - كان الأمل كبيراً في أن يصفو جو الصحافة حتى تعنى بالمسائل الهامة وتختتم تاريخها بالحرب العظمى ختاماً طيباً، يهدى أن الصحف ما لبثت أن عادت إلى خلافاتها في النظر إلى الشؤون العامة، تمثل (العلم) اتجاهات الحزب الوطنى الرسمية ومن خلفها (اللواء) وبعض الصحف الصغيرة ثم (المؤيد) وتعبر عن رأى حزب الإصلاح وهو حزب شديد الصلة بالقصر، ومن ورائهم صحف قليلة الأهمية أظهرها (الرقيب) ثم (الجريدة) أخيراً وتنطق باسم حزب الأمة وهو حزب مسلم يرى الأمور في انتاد ويرجو السير في مراحل الإصلاح على مهل.

ويمضي (العلم) في عنفه وقد أغراه تغيير العميم البريطانى، فقد استطاع جورست بميلياته للقصر أن يفصّم عرى الود بين الحديو والحزب الوطنى ويفتحت الكتلة الوطنية ويقسّمها شيئاً وأحراضاً، وينتّق من المسائل الصغيرة ما يدعى إلى انحراف الوطنيين عن جهادهم الرئيسي في سبيل الاستقلال والدستور، ظن (العلم)

(١) العلم في ٢٧ يناير ١٩١١

(٢) المقطم في ٢٣ يناير ١٩١٠

أن تعين كتشنر بعد وفاة جورست سيدل الموقف لأن في خلق هذا العسكري
مala يحتمل الملايين والملاطفة نحو القصر وبطانته ومن ثم تعود الوحدة إلى أصلها
والكافح إلى ذروته فضى بحمل على الحكومة والإنجليز حملات شعواء أهملها
مقالته التي نسب فيها إلى الحكومة نكباتها بتركة في الحرب الطرابلسية وحمل
الاحتلال مسئولية هذه القصة^(١) فطلب اللورد كتشنر إغلاق (العلم) نهائياً
ووقف صحيف الحزب الوطني جميعاً كما تقول (المعروفة)^(٢) ولم تنف محفوظات
الداخلية رواية هذه الجريدة غير أن الخديو وحكومته توسمطاً في الأمر فأصدرت
الوزارة قراراً بتعطيل (العلم) شهر آذار، لسلوكها مسلك الطعن في الحكومة
بما يحمل الناس على كراهيتها،^(٣) فأصدر الحزب الوطني في ٢٠ ديسمبر ١٩١١
جريدة (الشعب) لساناً له بعد تعطيل (العلم)

وأصبحت (الشعب) و(اللواء) – وإن اختلفتا فيما بينهما – الجريدين
المطرفيين في ذلك الوقت، فأما (اللواء) فقد أصدرت الوزارة أمرآً بتعطيله، منهاجاً
بحجة أنه اعيرت محررآً مسنو لا دون أن تحصل على إذن بذلك ولأن به ضرر جاها ولقائهين
بأمرها قد صدرت عليهم أحكام قضائية عقاباً لهم على أمور موجبة الاضطراب ومخالفة
بالأمن العام.^(٤) وليس هذه هي الحجة الصحيحة، فقد عرفنا بجريدة (اللواء)
معارضتها العنيفة طوال حياتها غير أن أكثر ما صرحت به حكومة ذلك الوقت نشرها
مقالاتاً لمحمد فريد بك في العدد ٣٨٤٧ خص فيه بالذكر إنشاء الدولة الصندوق
التوثيق واعتبره حيلة لجمع أموال الفلاحين ليستثمرها الإنجليز في البنك الأهلي،
ثم حمل على الحكومة لأنها عرقلت مشروع النقابات الزراعية حتى لا يعرف الفلاح
لندة الاتحاد فيطالب بحقوقه المساوية، وذلك بإيحاء من الاحتلال ورجاله الذين

(١) اللواء في ١٨ ديسمبر ١٩١١

(٢) المعروفة في ٢٣ ديسمبر ١٩١١

(٣) الراهن - محمد فريد ص ٢٨٦

(٤) إدارة المطبوعات دوسيه ١١ — ٢ — ١٨٦٠

حابهم المسؤولون هم والذين وآثرتهم على تركية في جميع المواقف الأخيرة . (١)
ومضت الوزارة في تنفيذ سياسة الشدة مع الحزب الوطني فقررت في
٧ نوفمبر سنة ١٩١٢ تعطيل جريدة (العلم) — وكانت قد عادت إلى الظهور -
تعطيلها إنما لأنها نشرت مقالات في اليوم السابق على التعطيل لمحمد فريد بك عن
الحرب البلقانية وما أصاب تركية فيها من الهزائم ، وقد حمل الكاتب الصدر الأعظم
مسؤولية ما انتهى إليه أمر الحكومة التركية من فساد ، ورأى الوزارة المصرية أن
الكاتب يحمل على صديق الانجليز في الاستانة فأمرت بوقف الجريدة وكانت في
سبب ذلك ، وحيث أن هذه المقالة التي ختمت بالطعن الشديد في ولاة الأمور
العثمانيين الذين ألقى عليهم تبعه ما أصاب الجيش العثماني إنما هي مقالة من شأنها
إثارة خواطر المسلمين وإيغار صدورهم نحو ولاة الأمور المذكورين في هذه
الظروف التي تستلزم المهدوء والسكينة وحيث أن هذه الجريدة اعتادت نشر ما يكدر
صفو الراحة العمومية فضلاً عن أنها لسان حزب اتخذ رئيسه لنفسه خطة التزييج
وحيث أنه سبق صدور قرارين بتعليق هذه الجريدة مرتين الأولى لمدة شهرين
بتاريخ ١٩ مارس سنة ١٩١٠ والثانية لمدة ثلاثة شهور بتاريخ ١٩ ديسمبر سنة ١٩١١
فلمذه الأسباب ومحافظة على النظام العام توقفت جريدة (العلم) التي تصدر
بالقاهرة من تاريخه ، (٢)

وقد أظهر تعطيل (العلم) الخصومة العنيفة التي كانت بينها وبين بعض صحف
مصر في ذلك الوقت ، وهي خصومة انتهت أمرها بقرار التعطيل ؛ غير أن وداع
معاصريها لها رسم للمؤرخ صورة لمذهب الصحف واتجاهها من حيث وزنها
للمعارضية والتزييج والخصوصية الشرفية ؛ فأما موقف (الأهرام) فكان موقف
الأسف المقدر للجريدة تارينها وكفاحها (٣) وكذلك كان رأى جريدة (وادي

(١) إدارة المطبوعات دوسيه رقم وهذا المقال حكم من مجلس محمد فريد غالباً وحكم عليه بالسجن
سنة مع الشغل .

(٢) نقل عن الرقيب في ٨ نوفمبر ١٩١٢

(٣) الأهرام ٨ نوفمبر ١٩١٢

(النيل) ^(١) وأخذت جريدة (الإكسبريس) على الحكومة هذا العنف في تعطيل (العلم) وخاصة أنها صحفة الرأي في بلد في أشد الحاجة إلى الصحف المعارضة لافتقاده المجالس النيابية ، واعتبرت تعطيل (العلم) لذلك، وهي صحفة الحزب الوطني، ضرراً على الحكومة ورجالها قبل أن يكون ضرراً على الشعب نفسه ^(٢) ثم صدرت (المقطم) بمقابل طويل علقت فيه على تعطيل (العلم) معلنة كراهيتها لقانون المطبوعات، غير أنها ترى أن إحياء القانون مصدره تصرفات محمد فريد بك وعبد العزيز جاويش، وهي توازن بين كراهيتها لهذا القانون وبين تعطيل (العلم) فتعطيل إلى احتماله إذا كانت تلك آثاره ^(٣) ثم تشيعها (الوطن) بقولها إنها « أكثر جرائد القطر المصري انتشاراً لأنها لسان الحزب الوطني وكانت بعض الدوائر تحسّب له حساباً وتسرع إلى إجابة مطالبه في كثير من الأحيان » ثم تعلق على قرار التعطيل « ولكن العلم بطر وأسرف في الذم وبالغ في إسراط العداء لسمو الأمير وحكومةه » وتوضح موقف الاحتلال بقولها إن اللورد كتشنر « السياسي الفطين والبطل المغوار أطاع زمان الصبر والتسلّل أيضًا» ^(٤) وتذهب إلى هذا الرأي أيضًا جريدة (الرقيب) فتقرر أن الإغلاق كان عقب مقال محمد فريد بك الذي كان « شرًا على الحزب وصحفه في الظعن والإقامة » ^(٥) ولم يجر في هذا الاتجاه من الصحف الأجنبية إلا جريدة (La Finance Egyptienne) ^(٦) (والاجبسين ميل) التي رحببت بتعطيل العلم واعتبرت ذلك « إشارة إلى نهاية عهد من أيام العهد في تاريخ مصر الحديث » ^(٧) ومنذ أوآخر سنة ١٩١٢ أصبحت جريدة (الشعب) لسان حال الحزب الوطني وتولى رئاسة تحريرها أمين الرافعي بك وهو من خيرة صحفيي الحزب الوطني ورجال الصحافة المعدودين ، وقد وقفت جريدة (الشعب) عن الصدور في ٢٧ نوفمبر

(١) و(٢) (٣) وادي النيل في ٩ نوفمبر والاكسبريس في ١٠ نوفمبر والمقطم في ٧ نوفمبر ١٩١٢

(٤) الوطن في ٨ نوفمبر ١٩١٢

(٥) الرقيب في ٨ نوفمبر ١٩١٢

(٦) لافينانس اجيبيسين ٩ نوفمبر ١٩١٢

(٧) الاجبسين جازيت ٧ نوفمبر ١٩١٢

عام ١٩١٤ احتجاجاً على رقابة الحكومة العنيفة للصحافة المصرية ، ومنذ اعتبار الشعب لساناً للوطنيين الى يوم احتجاجها وهي في كفاح مستمر مع الحكومة التي هددت بتعطيلها إذا نشرت مقالات محمد فريد التي كان يرسلها من أوروبا .

ولم تقو الصحف الوطنية الهامة على أداء وظيفتها منذ سفرت الحكومة في محاربة الصحافة حرّاً لا هوادة فيها ، وتقررت ذلك جريدة (الشعب) فتُؤكِّد أن إرهاب قانون المطبوعات ضيق على الصحف فأخذت خوفاً منه تصور الرأي العام صورة مشوهة كما أنه جعل الصحافة الإسلامية في تناقض وزاد في الجرائد القبطية (٢) وكان من أهم الصحف الوطنية الباقيه جريدة (المؤيد) التي اتجهت الى المسألة العثمانية منذ أصبحت شركة مساهمة (٣) ومضت تنشر المقالات عن المسألة الشرقيه بقلم السيد رشيد رضا (٤) وقد وقف محررها قلمه على الجملة على المسيحيين في الجيش العثماني بعد حرب البلغار (٥) وأخيراً تناهى عنها الشیخ على يوسف في سنة ١٩١٣ بعد أن عين شيخاً للسادة الوفائية وبيع أدوات (المؤيد) وختم تاريخه الحافل في ١٧ أبريل عام ١٩١٦ (٦) ولم تبلغ مصر الحرب العظمى حتى كانت صحف الأحزاب الثلاثة قد تعطلت إما بفعل الحكومة كما هو ظاهر من ختام حياة (الشعب) أو بتناهى رجالها عنها كما حدث في (المؤيد) أو لانضمامها في ماليتها وإشار محررها وظائف الحكومة كادلت عليه حال (الجريدة) إذ ذاك ، ولم تعيش الصحف الأخرى وأهمها (الأهرام والمقطم) في القاهرة (والأهلي والبصیر) في الإسكندرية إلا بما اصطدمت من مسيرة الظروف حتى مرت الحرب العظمى وبدأ التاريخ يخط صفحه جديدة في حياة الصحافة المصرية .

(١) الراهنى . محمد فريد ص ٣٤٠

(٢) أغلقت ست صحف ولم ينشأ على أنقاضها إلا صحيفتان قبطيتان هما (الرقب و والأقدام)
راجع الشعب في ٨ مايو ١٩١٢

(٣) المؤيد في ٢٧ مارس ١٩٠٩

(٤) المؤيد في سنة ١٩١١ وخاصة مقالته في ١٨ أكتوبر ١٩١١ وقد ترجمتها الصحف الفرنسية

(٥) المؤيد ٥ نوفمبر و ٦ ديسمبر ١٩١٢

(٦) محفوظات المطبوعات دوسييه رقم ٣ مكرر

ويحدُر بمن يُورخ للصحافة المصرية منذ الاحتلال إلى قيام الحرب العظمى أن يذكُر بعض السمات العامة التي اتسمت بها صحافة ذلك العهد، وهي صحافة استكمال أسباب النضج من حيث الشكل والموضوع معاً، فقد مكّن لها اختلاف السلطات على تناول الحكم فأصبحت صحافة أصلية تمثّل حزباً من الأحزاب أو رأياً من الآراء، غير أن أساطين الرجال العالمين فيها كانوا جميعاً من أبناء المدرسة القديمة: حدّيث السن منهم أو الطاعنين فيها، الدارسين للثقافة الغربية أو العالمين بأدب العرب وعلومهم وحدهما، فقد كان مصطفى كامل وعلى يوسف وغيرهما فيما خلا محرري (الجريدة والأهرام) يربطون بين حرية مصر واستقلالها وحرية تركياً وأملاها، تغلب على اتجاهاتهم وموتهم التزعة الدينية.

وقد يكون الأسلوب السياسي وحده هو الذي جعل مصطفى كامل يظفر بهذه الصورة التي شرعاًها، أما غيره من الصحفيين ورجال الرأي الذين عملوا على توثيق الروابط المصرية التركية فكانت تلك عتيدتهم التي أخذت على مدار كلام كل تفكير أو تحليل أو تقدير، بيد أنهم خلقوها في جو الصحافة جديد لم يكن معروفاً من قبل ذلك نشر الصحف عن طريق الشركات والجماعات (اللواه والمؤيد والعلم والجريدة) في وضع يشبه كثيراً ما اتبّع في كبريات الصحف الأوروبية، وارتبط هذا بإنشاء الأحزاب، فأضحت ألم للصحف الحزبية وهي جرائد تمثّل الفكرة أو وضع تمثيل وقد انتشر أثرها على الجماهير في مصر فتحزبوا بها واعتبروها مرآة لهم يرون فيها أمالمهم وأحلامهم، وكانت الصحف الحزبية تقرأ في العالم العربي بل في العالم الإسلامي، وتستقبل في العالمين استقبالاً حسناً، كما تولت بعض الهيئات إصدار الصحف كما صنع الأزهر في مجده الغني بالبحوث الأخلاقية والمواضيعات الدينية.

وشهد ذلك العهد الصحافة المصوّرة المهازلة منها والجادّة، حافلة بصور الحوادث والأشخاص معاقة على أحداث مصر السياسية والاجتماعية شعراً ونثراً وزجاً، غنية بالفكرة الرائعة والسمحة اللاذعة. ويؤثّر عن هذا العهد جديداً في العالمين

في الصحافة فقد أقيمت شؤونها منذ أن شُنِّت في مصر إلى الرجال وحدهم وقلما كانت تطالعنا سيدة بمقال أو حديث ، إلى أن نزلت إلى ميدانها المصريات فأذانها أربع عشرة مجلة نسائية في مصر والأسكندرية . وفي ذلك إيماءة إلى تغير الأحوال وتخلص الجيل من تزمه .

وللصحافة المصرية في ذلك العهد أثر غير منمكور في إحياء اللغة العربية وآدابها في شعب يتحدث سادته اللغات الأجنبية ويفرض المحتل لغته عليه ويقدمها على سائر اللغات فيجعلها ضمن أدوات حكمه في الدواوين والمدارس بجانب المعاهد الأجنبية المختلفة التي جعلت اللغة العربية في محل الشأن أو الشالث ، وقد استطاعت اللغات الفرنسية والإنجليزية والإيطالية أن تنتزع من اللغة التركية سيطرتها الأولى ولم تملك القضاء على اللغة العربية التي أحياها وقوتها الصحافة بانتشارها ومجادلاتها في المسائل السياسية والاجتماعية والدينية وهي مسائل اتصلت بكل موضوع سواء في الأدب أو العلوم أو القانون ، ولم تعد الصحافة كما كانت من قبل ذيلاً لآفراط يمثلون فكره من الأفكار فهي تحمل على الإنجليز كما تحمل على الحديبو وأخذت الجهات الرسمية جميعاً ترضأها وتوخى محاسنتها بالتأييد الأدبي أو المادى أو تختارها بالقوانين واستبدادها .

ويعتبر عهد عباس الثانى أعظم عهود الصحافة المصرية في تاريخها إلى الحرب العظمى ، لأن مناصره لها ولرجالها نشأ عنها نشاط أدى منقطع النظير ، فإلى عهده يرجع سجال الصحف في الآداب والاجتماعيات ، وفي عصره عرف شوقى وحافظ وغيرهما من الشعراء والناشرين ، بل من بينهم من كان في معيته وركابه ومن عاش في عطفه وبره ونشرت له الصحف أفضل المقالات وأروع القصائد ، وفي عصره نشأت فتاة من الشباب كان لها في الميدان الصحفى بعد الحرب أبعد الأثر وهؤلاء من تلامذة صحف عباس الثانى وطلابها المجدين .

وكانت الصحف المصرية تنحرف عن الجادة بين آن وآخر في ذلك العهد انحرافاً يعطى القضاية المصرية ، فكانت تشغل أحياناً بالمسائل الشخصية كقضية

الزوجية أو قضية القبط والمسلمين ، وتنشر من التعبيرات في مساجلاتها الحزبية ما أثر في جيلنا ، وكما هي هذه المبارزات الصحفية من أقبح ما ورث عن جيل الاحتلال . وقد نجحت الصحافة المصرية في علاج الصدمة التي لقيتها مصر من الاحتلال . فقد ردت الأمان إلى النفوس وخرجت بالناس إلى الوجود وعلمتهم أن الهزيمة تاريخ لا ينبغي أن يعيشوا في أعطافه ، وأن الاحتلال شيء لا ترضاه الشعوب الحرة ، وأن ما فشلت فيه القوة الحربية تستطيعه القوة المعنوية الكامنة في الأمة المصرية ، وأن الحياة ليست ملك الأرض والتغير في الطعام بل هي شيء أعلى من الأرض والطعام ، وأن إصلاحات الانجليز رد للحق وقو إلى أصحابها وليس عملاً يفرض الاحتلال أو يمكن له ، فأمن الناس بأنه شيء بغيض ، ورأوا أن نظمه وأدواته عمل رجعى لا يحتمل ، حتى فكر الانجليز آخر الأمر في تغيير الأساليب القديمة وإنشاء الجماعة التشريعية خطوة لما بعدها ، وكان الأمل عريضاً في نجاح للصحافة وبعد من هذا الو لا أن الحرب العظمى عاجلت المصريين خفت من نشاط الأقلام ، وختمت جهاد الصحافة على الصورة التي شرحناها بعد ثلاثة سنون من الجهد .

الصحافة المصرية المعاصرة

يبدو أن الحديث عن الصحافة المصرية المعاصرة سابق لآوانه ، فالزمن لم يتقدم بما بعد لمستطاع الحكم على سيرة هذه الصحافة ، ولا يستطيع المؤرخ الذي يعاصر عهداً من العهد أن يخلو تأريخه لهذا العصر من الملاحظة والنقد ، لأنَّه لا يملك تحريره نفسه من بعض المؤثرات التي قد تشوب تأريخه عفوأً أو قصداً ، وإنْ كان في ميسورنا أن نختتم تطور الصحافة المصرية العربية في إيجاز لا يعرضنا المؤذنة أو يضطرنا إلى التفصيل .

اعتبرت مصر تحت الحماية البريطانية في الحرب العظمى منذ ٢٧ نوفمبر عام ١٩١٤^(١) فلم تعد الصحافة المصرية قادرة على أداء وظيفتها إذ خضعت لرقابة الرقيب ، ثم أعلنت الهدنة وأخذ المصريون يطالعون بحقوهم في الحياة الحرة المستقلة ، وأثر عن هذه المطالبة بحقوق مصر أن تألف الوفد المصري برئاسة سعد زغلول باشا وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ، وكان موقف الصحافة المصرية إذ ذاك موافقاً حرجاً دقيقاً ، غير أن أميناً الرافعى استطاع في وقت الضيق الذى نزل بصحافة مصر أن يصدر صحيفـة (الأخبار) في ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٠ وهي أهم وأخطر صحف ذلك العهد من حيث تحريرها أو تعبيرها عن الأمانى المصرية ، وصاحبها رجل حمسـكته التجربـة الصحفـية وله في تاريخ الصحافة المصرية موقف قـلماً وقف إلى جانبه فيها صحـفي من الصـحفـيين المعـارضـين ، وقد قطـع حـيـاته الصـحفـية مثلاً من أمثلـتها الرائـعة سـواـءـ أـكـانت قبلـ الحـربـ العـظـمىـ أمـ بـعـدهـاـ .

وقد حملـتـ (الـأـخـبـارـ) لـوـاءـ الفـكـرـةـ الـوطـنـيـةـ ، وزـامـلـتـهاـ (الأـهـرـامـ) بـعـدـ وـصـولـ لـجـنـةـ مـلـنـىـ فيـ ٧ـ دـيـسـمـبـرـ سـنـةـ ١٩١٩ـ ، خـفـرـجـتـ عنـ تحـفـظـهاـ وـمـضـتـ قـدـماًـ إـلـىـ الجـانـبـ

(١) الواقعـةـ المـصـرـيـةـ — عـدـدـ خـاصـ — فـيـ ٢ـ نـوـفـبـرـ ١٩١٤ـ

المصري تعبّر عن الأمانى المصرىة أحسن تعبير ، وقد أطلقت حرية الصحافة بال رغم من القيود الرسمية المفروضة عليها ، وأكبر الظن أن لبعثة ميلنر Milner دخلاً في تقرير هذه الحرية إلى بدونها يعز على هذه البعثة فهم موقف على حقيقته ، وقد أشار تقرير ميلنر إلى ذلك كاه^(١) . ثم صدرت جريدة (الاستقلال) لمحمود عزى في مايو عام ١٩٢١ وحرر فيها طه حسين ، وكانت الصحفة خالية من العنف الذي أثر عن جريدة (الأخبار) ، ثم نقل أمتيازها فيما بعد إلى جبرايل تقلا صاحب (الأهرام) وقد ظهرت الاستقلال في فترة نشأ الخلاف فيها بين الوطنيين على مسائل تتعلق بالمفاوضات .

ومنذ اختلف الوطنيين على تفاصيل الحركة الوطنية ، وتوزع طرائق النظر إلى الأهداف العليا ، بدأ المصريون يوغلون الأحزاب والشيع ؛ فكان هناك الوفد المصري بزعامة سعد زغلول وكان كثير من أعضائه أعضاء في حزب الأمة القديم ، ونشأ حزب الأحرار الدستوريين من بعض أعضاء هذا الوفد ، وأصدر هذا الحزب جريدة (السياسة) في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ ورأس تحريرها محمد حسين هيكل ، وهي من أضخم الصحف المصرية من حيث دراستها للمباحث الداخلية والمسائل الخارجية ، وقد حرر فيها نخبة من الكتاب المصريين كطه حسين ومحمود عزى و توفيق دياب وغيرهم .

وعن جريدة (السياسة) تؤثر نشأة التجديد في حياتنا الاجتماعية ، فقد دافعت عن المرأة وجعلت موضوعها حديثاً يشغل بعض صفحاتها ، كما أفردت لها بين آن وآن صحيفية مصورة تعنى بمسائلها المختلفة ، وعن هذه الجريدة عرف التهكم السياسي إن صبح التعبير ، في مقالات الدكتور طه حسين ، كما ظهر النقد البرلماوى عندما أصبحت الحياة الدستورية حقيقة واقعة ، وكان صاحب هذا الباب الجديد في الصحافة المصرية الدكتور محمود عزى ، عدا الأبواب الأخرى التي حفلت بها ،

فقد عنيت بالقصة و موضوعها ، و خصصت بين الفينة والفينية صفحة للشئون الزراعية و مسئوليها المتباينة ، وبهذا وبغيره كانت (السياسة) من أولى الصحف التي عرفت كيف تشغل المفكرين المصريين بمناهجها الجديدة .

وقد أخذت لجنة الثلاثين في وضع الدستور عقب تصريح فبراير سنة ١٩٢٢ وهو الدستور الذي لا يزال معمولاً به والذى رضيته الأحزاب جمِيعاً وإن كان الوفديون قد حلو عليهم إذ ذاك ، ولم يرض عن التحفظ في بعض مواده كثير من الأحرار الدستوريين ، ولم تعجب بعض مواده الأخرى المحافظين والجامدين ، وكانت الصحافة المصرية تمثل هذه الانجاهات جميعاً ، وقد منحت من الحرية – بالرغم من الأحكام العرفية – ما مكنته من شرح هذه المسائل الدستورية ونقدتها ، ولعل مسألة الدستور كانت أهم الموضوعات التي حظيت ببحث الصحافة ورجاتها منذ ثورة سنة ١٩١٩ .

وإذا كانت (السياسة) جريدة الأحرار الدستوريين ولسانهم المعبر عنهم ، فإن الوفد لم تكن له صحف رسمية بل كانت له صحف وفدية من أهمها جريدة (البلاغ) لصاحبها عبد القادر حمزة (باشا فيما بعد) وقد صدرت في سنة ١٩٢٣ ، جريدة يومية سياسية أدبية تجارية ، تتمثل بكلمات لسعد زغلول وتحمل على السياسة الانجليزية في مصر وتمثل التطرف السياسي ، وساهم في تحريرها الاستاذ عباس محمود العقاد أحد رجال الأدب الجودين ، وأحد طلائع المدرسة الصحفية الحديثة ، وقد جعل للناحية الأدبية في كتاباته حظاً موفوراً ، ونشر فيها محمد نجيب الغرابي بعض القصائد في المناسبات العامة .

ويجب أن يذكر عبد القادر حمزة نصيبيه المؤنث في نصبة الصحافة المصرية ، فقد كان من القلائل الذي انخرطوا في هذه المهنة من أهل العلم والمعرفة ، فهو من الطلائع التي خرجت في كلية الحقوق سنة ١٩٠٣ ، وكان على صلة قريبة من النشاط الصحفي أثناء الدرس والطلب فكتب (لجريدة) عدة مقالات ، ونشأت بينه وبين محررها أحمد لطفى السيد علاقات من الود والتقدير ، فقد كشفت مقالاته

عن مواهب يعتز بها وتبشر بخير في العالم الصحفى لهذا الشاب وهو في مطالع العمر وعلى عتبات الجهاد

وبعد أن أمضى عبد القادر حمزة عدة سنوات محامياً ومحرراً في صحيفة الجريدة تولى رئاسة تحرير جريدة الأهالى فى الإسكندرية وكانت تصدر هذه الجريدة شركة أسسها جماعة من أعيان المصريين باسم «شركة النشر الأهلية» برعاية سعيد باشا، وقد سهل اطفي السيد فيمن يرشحه لتحرير الأهالى فأشار على المسئولين فى الشركة باختيار عبد القادر حمزة وبين لهم قدر الرجل واستعداده، وأحالهم فى هذه التركة على نشاطه السابق فى (الجريدة) وتفوقه الملحوظ فى ترجمة أمثلات الفصوص الفرنسية لمجلة مسامرات الشعب سنة ١٩٠٩ فقد كان عبد القادر حمزة من البواكيير الذى عنىت بنقل الثقافة الأوروبية للغة العربية، وله فى ذلك نصيب موفور

وقد صدرت الأهالى فى الإسكندرية فى ١٩١٠ أكتوبر سنة ١٩١٠، واستمرت تصدر فى الشغر إلى منتصف سنة ١٩٢١، ثم انتقلت إلى القاهرة وصدر العدد الأول فى العاصمة فى ١٣ سبتمبر ١٩٢١ والحركة الوطنية على أشدتها وميدان الجهاد فيه منفسح لـكل مواطن قادر على التضحية والجهاد، وكانت الأهالى إساناً مدوياً من السنة سعد زغلول هز أركان الاحتلال وأرق مضاجع الإنجليز، فصدرت الأوامر بتعطيل (الأهالى) ستة أشهر، وكان ذلك فى ٨ نوفمبر ١٩٢١ وتنفيذآ للوائح المعمول بها فى ظل الأحكام العسكرية المفروضة على البلاد إذ ذاك

وبعد هذا التعطيل لم يكن فى استطاعة الأمياد عبد القادر حمزة أن يحصل على ترخيص بصحيفة أخرى، لأن مانح الترخيص — وهو الحكومة — هو الذى منع الأهالى من الصدور، فتحايل صحيفينا على بث أفكاره ودعوه بالكتابة فى صحيفة المحروسة؛ وقد تلهت الحكومة إلى تحايله هذا، فأصدرت أمرها بإغلاق المحروسة إلى أجل غير مسمى، واعتقل هذا القلم حتى انتهت فترة تعطيل (الأهالى) فعاود نشرها فياضة الحس، قوية التعبير عن الأمانى الوطنية، ولم تر الحكومة بدأ من إغلاقها بعد صدور ثلاثة أعداد منها، وكان ذلك خاتم الجهاد لصحيفة

الأهالى ، فدخلت سيرتها فى ذمة التاريخ ، وبقى صاحبها فى الميدان يصول ويحول فى غيرها من الصحف الوطنية

وقد أخذت الحكومة تعقب عبد القادر حمزة وقلمه ، وهو يحاول استئجار صحف ليشر فيها رأيه ويعبر فيها عن رسالة الوفد ، غير أن أصحاب الصحف خشوا على صحفهم فأحجموا عن معاونته ، ولما لم يكن فى مقدوره أن يستصدر ترخيصاً بصحيفة أخرى ، استنبط فكرة تبعده عن سيطرة إدارة المطبوعات ، خاول أن يتحقق رسالته فى نشرات غير دورية لاتخضع لقانون المطبوعات ، ووضع فى ذلك أول نشرة فى يونيه سنة ١٩٢٢ تحت عنوان (نداء الحرية) وعلمت الحكومة بذلك فأوفدت عيونها فيفعت من المطبعة هذه النشرة التى كانت تهيأ للصدور ، وأحرقوها فاضطر إلى التماس صحيفة سيارة ، وحصل على ذلك باستئجار جريدة (الأفكار) ومضى يكتب فيها عدة شهور حتى ١٦ يناير ١٩٢٣

في ذلك الوقت كانت الأمور قد تغيرت ، وبدأت الحياة السياسية تميل إلى المدود والاستقرار ، وبدأ فى الجو شئ يعاون أمثال هذا القلم على مناقشة المسائل فى اتزان ، فاستصدر صحفينا ترخيصاً بإصدار البلاغ اليومية التى لازالت تؤدى رسالتها إلى اليوم ، وقد صدر العدد الأول منها فى ٢٨ يناير ١٩٢٣ ، ويدو أن صاحب البلاغ كان متفائلاً بالعهد وأصحابه ، فإنهم لم يحتملوا هذا القلم العف ، وهو قلم « موضوعى ، إن صح التعبير ، ولكنه واضح ومن شأنه أن يهز أركان الاستبداد والاستعمار بوضع النقط على الحروف كما يقولون ، لذلك لم يطلق أصحاب الشأن البلاغ وصاحبها فصدر الأمر بأغلاق الجريدة واعتقال صاحبها فى ٦ مارس ١٩٢٣ فإذا أخلى سبيله بعد قليل ، وزع عليه إصدار البلاغ من جديد استأجر جريدة (الرشيد) وحررها ابتداء من ٢٠ مايو ١٩٢٣ إلى أن أذن للبلاغ بالعودة إلى الظهور ، فصدرت مرة أخرى فى أربع صفحات فى ١٨ يونيه ١٩٢٣ ، ومنذ ذلك اليوم ، والبلاغ فى الميدان تطور شكلًاً وموضوعاً ، ولو لا الحرب الكبرى الماضية

التي حدت النشاط الصحفي ووقفت اتساعه لـ كانت البلاغ من كبريات الصحف الحزبية العالمية

وقد كانت دار البلاغ تصدر نسخة أدبية أسبوعية لها منذ ٢٦٧٥ فبراير سنة ١٩٢٦
باسم (البلاغ الأسبوعي) زخرت بخيرة أقلام الجيل، وهي صحيفة مصورة في أربعين
صفحة ، وبذلك ورثت دار البلاغ عدة صحف وبرزت في نشاطها سواء كان أدبياً
أو سياسياً أو اقتصادياً، وأصبح البلاغ سجلاً للحركة الوطنية له قدره في تاريخ هذه
الحقبة من جهاد المصريين ، وبجانب خطته السياسية فهو معنى بالاقتصاد والأدب
والفنون ، ومشارك في إنعاش النهضة النسائية بما خصص لها في الربع القرن الأخير
من صفحات ، ومن يعد إلى البلاغ اليوم يجد عناصر الصحيفة تكاد تتواءن ،
وتکاد تبلغ مأرجوه المنصف لها من النضج والاستواء

ثم صدرت جريدة (كوكب الشرق) صحيفية وفديبة في ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٤
فآخذت (البلاغ) في اتجاهها الحزبي وأعلن صاحبها أحد حافظ عوض يوم
صدرها خطبة صحيفته بأن شعارها سيكون «كما كان شعار الصحف التي سعدت
بتحريرها والانتساب إليها ، العمل المتواصل لتحقيق الأمانة الوطنية العظمى ،
الا وهي استقلال مصر والسودان استقلالاً تاماً صحيفاً ، وستتحقق هذه الغاية نصب
أعيننا إلى أن نفوز بها أو نموت دونها . . . ولنا مع هذه الغاية الوطنية المصرية
أغراض وغايات أخرى يجب أن تكون لها عندنا أهمية عظمى وتلك الأغراض
وها هي الغايات هي العمل الدائم على شد أواصر الرابطة الإسلامية خصوصاً
والشرقية عموماً ، والوسيلة إلى ذلك كما يقول ، نشر العلوم والمعارف العربية وآثار
المدينة الإسلامية والاحتفاظ بالميزات الشرقية ، ولكن الكاتب بعد هذا يفجأ
العالم الإسلامي باتجاه جديد لا يتفق مطلقاً مع مدرستيه الصحفية والسياسية القديمتين
اللتين نشأا فيهما ، فهو يذهب إلى قطع الروابط الإسلامية ذلك المذهب البالي الذي
كان يدعو إليه بعض الزعماء في الأزمان الماضية على قاعدة أن الإسلام لا وطن

له وأن بلاد المسلمين كلها وطن واحد وأمة واحدة، ويدلل على فساد هذا الرأي
ن لكل بلد شرق سياسة وظروف خاصة



سعد زغلول
عمله فيها على الترجمة فقط بل ساهم في أبواب تحريرها الأخرى، وأنشأ البحوث
المختلفة في الأدب والعلوم والمجتمع

وقد استرعى ماطرقه من موضوعات انتباه الشیخ علی یوسف صاحب (المؤید)
فضمه إلى هیئة التحریر في صحیفته، وعلى صفحات المؤید بُرِز اسم حافظ عوض
لامعاً بما كانت تمتاز به مقالاته الوطنية من حرارة، وما تفرد به أسلوبه من الروعة
والبلاغة وسلامة العبارة، وكانت المؤید في ذلك الوقت صحیفة تنسج محررها
شهرة عالمية، إذ كانت أوسع الصحف المصرية انتشاراً وأعظمها نفوذاً، إذ كانت
مبدأً يتبارى فيه أدباء الأمة وعلماؤها، كالأستاذ الإمام الشیخ محمد عبده، وسعد
زغلول وعبدالکریم سلیمان وحلفی ناصف والسيد توفیق البکری، وكانت تعالج
الموضوعات الشرقية والإسلامية والمصرية، وذهبت بذلك موضعآ للثقة عند قراء
العربیة في مشارق الأرض وغاربها.

ثم اختلف حافظ عوض مع الشیخ علی یوسف، فتکاشف وصدايقه محمد

مسعود بك على إصدار جريدة (المنبر) ، وهنالا تجللت خبرته الصحفية ؛ وشاركه في تحريرها فترة من الزمن صادق عنبر الأديب المصرى والصحفى المعروف ، ثم أصدر إلى جانب (المنبر) صحيفة هزلية كاريكاتورية باسم (ها. ها. ها.) ثم غير اسمها باسم (خيال الظل) . وقد كان هو صاحب أفكارها والمشير برسومها والمعاق علية بما أثر عنده من خفة ظل أحاسيسها قراء الصحف العربية منذ نشأتها حتى انتهى المطاف به في جريدة كوكب الشرق.

ولم يقف نشاط المترجم عند الصحف يصدرها ، ويجدد في مناخيها ، ويُبسط عليها من روّحه الجديد في جميع جوانبها ، بل ساهم مع المساهمين في الدعوة لتصفيية العلاقات المصرية الإنجليزية ، واضطربه هذا إلى التغريب عن صحيحته فترة اعتبراهما فيها إضمه حلال بجزت قدرة صاحبها البارعة عن إفالتهما من عثرتها فعاد إلى الصحافة وانتظم في سلسلة محررى جريدة (المؤيد) من جديد .

وقد أمضى حافظ عوض عامين في المؤيد، فكان دعامة من دعائهما القوية،
وموضعها ثقة صاحبها، ثم تقرر أن يسافر الخديو عباس الشافى للحج إلى أيام
الله الحرام، فندبته جريدة (التييمس) ليكون مراسلاً لها في حجة الخديو تملك ،
وعلى صفحاتها قرأ الناس فصولاً ممتعة عن هذه الرحلة التي عرفت الانجليز على دين
المسلمين من ناحية ، وأوضحت سيرة الخديو الوطنية من ناحية أخرى ، وكان
لمقالاته أثر عظيم في نفسية عباس الشافى ، فقر به منه وعيشه في ديوانه الخديوى ، حتى
ومنحه الرتب والقبائل ، وتعذر على الوشاة والحاصلين أن يقصوه عن مكانه ، حتى
تدخل المعتمد البريطانى مهدداً متوجداً ، فاستقال ، وعاد ليشرف من جديد على
صحيفة المؤيد إلى أصبحت شركة مساهمة قبيل وفاة صاحبها بقليل ، وفى وده
متصلة بصاحب العرش حتى إنه صحبه فى رحلته إلى الوجه البحرى فى سنة ١٩١٤
وسجل هذه الرحلة فى المؤيد ثم طبعها فى كتاب صادر عنه السلطات العسكرية
الإنجليزية إبان الحرب العالمية الأولى ، ولم يبق منه إلا نسخة واحدة تحفظ بها
دار السكتب المصرى منذ سنة ١٩٤٨ .

وقد اعتقل أحمد حافظ عوض بك خلال الحرب العظمى الأولى، فلم يضيع وقته سدى ، إذ عكف أثناء الاعتقال على وضع مؤلفه الكبير عن «فتح مصر الحديث» ، وهو عمدة يمكن الرجوع إليه في تاريخ مصر الحديثة ، ويعتبر بحق من خيرة الكتب التي نشرت في هذا التاريخ ، ولو بجانب هذا السفر الجليل دراسات أخرى مطبوعة أو منشورة في رسائل قصيرة أو على صفحات الجرائد يمكن الاعتماد عليها في مراجعة القضية السياسية أو الحياة الاجتماعية والآدبية؛ وهي بحوث جديرة بالنظر والاعتبار .

وقد عاد المترجم إلى الصحافة مساهماً في تحرير جريدة الأهالى أصحابها عبد الفادر حمزه باشا وذلك قبيل إعلان الدستور ، كاحرر في جريدة (المروسة) وغيره من الصحف ، حتى استقرت حياة صر نوعاً ما ، وجاءت حكمه سعد زغلول وحياته أصدر حافظ عوض صحيفةه (كوكب الشرق) وفيها بلغ المترجم غايتها في التحرير والإنشاء ، وعلى صفحاتها برزت موهبه في هذا الأسلوب النكفي الذي لم يجده فيه أحد ، وقد عرفت (كوكب الشرق) خيرة أفلام كتاب مصر الذين انتظروا في سلك تحريرها ، وقد لقيت صحيفةه مقاوم شئ من السلطات المحلية كلما اعتمد على الدستور ووقفت الحياة النيابية ، ومضى معها أصحابها نهباً أضيق الحدود ، وتقرب منها ، حتى وقفت (كوكب الشرق) عن الصدور في السنوات الأخيرة ، فكان في غيابها خسارة كبيرة ، ولذلك كانت اصحابها تاريخاً حافلاً في سجل الصحافة المصرية المعاصرة

ومنذ صدور الدستور المصري في سنة ١٩٢٣ انقسم المصريون شيئاً وأزواياً فهناك الوفد وصحافته وأهمها (البلاد) و(كوكب الشرق) وهناك الأحرار الدستوريون وصحيفتهم (السياسة) ثم تألف حزب جديد عقب مقتل السردار في سنة ١٩٢٤ وهو حزب الاتحاد وأنشأ له صحيفة لم يؤثر عنها نضل ينشر أو خطط يذكر ثم وجد حزب الشعب في سنة ١٩٣٠ وأصدر صحيفة (الشعب) وزاملت في الخنول جريدة (الاتحاد) . مع أن هذه الصحيفة كانت تتضم أفلاماً أغنية على علم فهو

إذ كان يحرر فيها الأستاذ عبد القادر المازني ، الأديب الشاعر الناشر الذي تفرد بين أدباء العربية بأسلوبه الخاص وامتاز بأنه كان أستاذ الترجمة الأدبية الرفيعة في كل صحيفة ولجهها ، وفي كل مدرسة اختلف عليها يربى أجيالها

وقد سعدت الصحافة المصرية بهذا الأدب الشادر المثال ، حين طلق منه التدريس وسلك طريقها . فبدأ عمله الصحفي في جريدة (الأهالي) حين كانت تصدر في مدينة الإسكندرية ثم زامل المرحوم أمين الراهن في تحرير جريدة (الأخبار) وظل يعمل بها رداً من الزمن ، أثر عنده فيها جولات أدبية وسياسية ملحوظة العنایة ، محفوظة القدر في سجل الحركة الوطنية والأدبية على السواء

وفي عام ١٩٢٥ اختير رئيساً لتحرير جريدة (الاتحاد) ومضى في توجيهها عامين ، كان هو كل شيء فيها ، ولم تتمكّن هذه الصحيفة عناصر النجاح اظروف مصر الخاصة حينئذ ، لذلك تركها الأديب الكاتب وانتُقل مدة أخرى في تحرير جريدة (الكشف) إلى أن استقر به المطاف سنوات في جريدة السياسة ، وتبدو آثاره الصحفية الراهنة ، لا في السياسة اليومية ، وإن كان له فيها جولات عما زمان ، بل في السياسية الأسبوعية وهي الصحيفة الأدبية التي تغنى في أمثاله هو وأيهم ، ومن صفحات السياسة الأسبوعية أطل علينا إبراهيم عبد القادر المازني أستاذآياته الأدباء والمتآدون

ثم عاده الحنين إلى صحيفة صديقه عبد القادر حزرة ، فمضى إلى البلاغ يحرر فيها ستة عشر عاماً ، ولم يتركها قط ، واحتضن لنفسه خطة رائعة في معاجلة المشاكل العربية والمصرية ، واتبعه في كتاباته اتجاهها مستقلاً فرض على أصحاب البلاغ ، وهم يمثلون حزب الوفد ، أن ينحوه عن التحرير فيها ، وجاءت تنفيذته تنفيذاً لقرار حزبي لا حيلة لهم فيه .

ومع أنه كان يكتب في البلاغ ، وفاء لصاحبه ، وحفظاً لذكره ، فإنه ساهم في تحرير جريدة (الأساس) في كثير من المقالات الموضوعية التي شغلت بالرأي

العام ، وكانت كتاباته جمعاً كتابات قومية لا دخل للحزبية فيها ، وكذلك أمر جريدة الأخوان المسلمين بقلمه السيال ، وبقي يحرر في كثير من نواحي تحريرها فصولاً ممتعة في المسائل العربية والإسلامية التي كانت تشغل بالعالم العربي : ثم اعتذر عن المضي في عمله في جريدة الأخوان المسلمين حين حرقوا كتب العلم الإنجليزية ، فقد اعتبر ذلك تعصباً لا يتفق ورسالة الإسلام التي تدعو للعلم ، وتدفع إليه ولو كان في الصين ! . . .

أما ما كان للأستاذ المازني من كتب ، فتلك قصة لا تروى بين سجل الصحافة المصرية ، فأنه فيها علم قليلاً يجاريه واحد أو اثنان من كبار أدباء الجيل ، وعن هذه الكتب ارتشفت أجيال متصلة معيناً من الأدب لا ينضب ، ولا تزال كتبه — وستبقى — جدولًا فياضاً يعيش على الزمن ، ويصلح لكل زمان .

* * *

ثم أخذت الأحداث تجري على غير نظام ثابت فيوماً تتمتع الصحف بحريةها ويوماً تضطهد اضطرهاداً منقطع النظير ، وفي خلال ذلك صدرت جريدة (الجهاد) لمحمد توفيق دياب صحيفية وفدية للصباح ثم زاملتها جريدة (روزاليوسف) إلى أن اختلف محررو هاتين الصحفتين الوفديتين مع المستولين فاستعيض عنهما بجريدة (المصرى) لاصحابها محمد أبو الفتح ومحمد التابعى وكريم ثابت وبعد سنة ١٩٣٨ انفرد بها أبو الفتح وأشرف الوفد المصرى على سياستها على أن تكون إساناً له وهى أول صحيفية رسمية لهيئة الوفد منذ تكومنت .

وكان بجانب هذه الصحف اليومية صور منها أسبوعية فقد أصدر الأحرار الدستوريون (السياسة الأسبوعية) في ١٣ مارس سنة ١٩٢٦ في ست عشرة صفحة كبيرة للأداب والعلوم والتاريخ والقانون والسياسة المصرية والشرقية والدولية ، كما وجدت بها صور رمزية وقسم مصور لأهم الحوادث والأشخاص ، ون أمعن مارأيهما فيها باب « في المرأة » لشيخ البشرى ، وسار على هذا الدرب (البلاغ) فأصدر صاحبه (البلاغ الأسبوعي) في ٢٦ نوفمبر ١٩٢٦ كما ذكرنا من قبل ، وهو تقليد (للسياضة الأسبوعية) وكان من أهم محرريه عباس العقاد

وَمُحَمَّدُ السَّبَاعِيُّ وَالْأَسْتَاذُ صَبَرِيُّ أَبُو عَلْمٍ أَفْنَدِيُّ وَالْأَسْتَاذُ مُحَمَّدُ سَلِيْمَانُ غَنَامُ أَفْنَدِيُّ
فِي حِجْمٍ أَصْغَرٍ مِنْ (السياسة) وَإِنْ صَدَرَ أَحِيَا نَافَّا فِي غَنَامٍ وَعِشْرِينَ صَفَحَةً وَلَكِنَّهُ
تَمَيَّزَ بِصُورَهُ الْكَارِيْكَاتُورِيَّةِ الْبَدِيعَةِ .

ثُمَّ صَدَرَتْ فِي مَطْلَعِ الْحَرَكَةِ الْوَطَنِيَّةِ صَحِيفَةٌ تَأْثَرَتْ أَبْا نَظَارَةٍ هِيَ (الْسَّكَشَكُولُ)
الْمَصْوَرُ لَسْلِيْمَانَ فُوزِيَّ وَكَانَتْ « جَرِيدَةً مَصْوَرَةً اِجْتِمَاعِيَّةً اِنْقَادِيَّةً » عُرِفَهَا الْمَصْرِيُّونَ
فِي ٢٤ مَاءِيُّوْ عَامِ ١٩٢١ وَكَانَتْ مَثَلًاً طَيِّبًا لِلصَّحَافَةِ الْهَزَلِيَّةِ وَعَاصِرَتِ التَّطَرَّرِ السِّيَاسِيِّ
فِي مَصْرٍ إِلَى أَنْ قَضَى صَاحِبَاهَا مِنْذَ سَعْرَاتٍ، وَعَنْ مَدْرَسَتِهِ صَدَرَتْ (رُوزَ الْيُوسُفُ)
(وَآخِرَ سَاعَةٍ) وَمَا إِلَيْهَا مِنْ الْمَجَالَاتِ الْمَهَانَةِ .

وَلَمْ تَعْمَرْ (السياسة الأَسْبُوعِيَّةُ) أَوْ (الْبَلَاغُ الْأَسْبُوعِيُّ) طَوِيلًا فَقَدْ احْتَجَبَتَا
حِينَ طَفَتِ السِّيَاسَةُ عَلَى مَصْدِرِيْمَا فَشَغَلَتْهُمُ النَّشَاطُ فِيهَا، فَأَصْدَرَ أَحْمَدُ حَسَنُ الزَّيَّاتِ
فِي ١٥ يَانِيرَ سَنَةِ ١٩٣٣ مَجَلَّةً (الرِّسَالَةُ) بِاشْتِرَاكِ طَهِ حَسَنٍ وَأَعْضَاءِ لَجْنَةِ التَّأْلِيفِ
وَالتَّرْجِيمَةِ وَالنَّشْرِ وَكَانَتْ خَطَّهَا « رِبَطُ الْقَدِيمِ بِالْحَدِيثِ وَوَصْلُ الشَّرْقِ بِالْغَربِ » .
وَفِي سَنَةِ ١٩٣٦ أَصْدَرَ الدَّكْتُورُ مُحَمَّدُ عَزْمَى صَحِيفَةً (الشَّيَّابُ) صَحِيفَةً مَسْتَقْلَةً
الرَّأْيِ بَعِيدَةً عَنِ الْأَحزَابِ غَيْرَ أَنْ صَاحِبَاهَا مَزْجَ فِيهَا بَيْنَ السِّيَاسَةِ وَأَلْوَانِ النَّقَافَةِ
الْأُخْرَى وَأَشْرَفَ بِطَابُعِهِ الْخَاصِ عَلَى أَكْثَرِ فَصُولِهَا وَكَادَتْ هَذِهِ الصَّحِيفَةُ تَسْدِي
الْفَرَاغَ بَعْدَ (السياسة ، والْبَلَاغُ الْأَسْبُوعِيُّ) لَوْلَا أَنَّ الْعَقِيبَاتِ الْمَالِيَّةِ وَالْأَحْوَالِ
الْسِّيَاسِيَّةِ حَالَتْ دُونَ اسْتِمْرَارِهَا فَطَوَّيَتْ صَفَحَاتُهَا وَشَغَرَ تَارِيخُ الصَّحَافَةِ الْمَصْرِيَّةِ
مِنْ نَظِيرِهَا حَتَّى الْيَوْمِ . ثُمَّ انْفَرَدَتْ لَجْنَةُ التَّأْلِيفِ بِصَحِيفَةٍ خَاصَّةٍ بِهَا هِيَ مَجَلَّةُ
(النَّقَافَةُ) الَّتِي صَدَرَتْ فِي ٣ يَانِيرَ عَامِ ١٩٣٩ لِصَاحِبِ اِمْتِيَازِهِ أَحْمَدُ أَمِينٍ وَذَكَرَتْ
أَنَّهَا « تَنْقَدِمُ لِلْعَالَمِ الْشَّرْقِيِّ مَؤْمَنَةً بِقَدْرَتِهَا بِنَفْسِهَا وَبِأَصْدِقَائِهَا شَاعِرَةً بِتَبَعِّتِهَا مَقْدَرَةً
لِوَاجِهِهَا وَانْفَقَةً بِقَرَائِهَا » .

وَقَدْ شَهَدَتِ الصَّحَافَةُ الْمَصْرِيَّةُ أَخِيرًا أَلْوَانًا جَدِيدَةً مِنِ الصَّحِيفَاتِ وَالْمَجَالَاتِ ،
فِيهَا أَبْتِكَارٌ ، سَوَاءً اتَّصَلَ هَذَا الْأَبْتِكَارُ بِشَكْلِهِ أَوْ بِتَحْرِيرِهِ ، وَفِيهَا حَمَاسٌ لِلْفَكْرَةِ
الْيَقِينِيَّةِ فِي تَارِيخِ الصَّحَافَةِ الْمَصْرِيَّةِ نَظِيرِهِ ، لَأَنَّ هَذَا الْحَمَاسُ اسْتَمدَهُ أَصْحَابُهُ مِنِ الْمَذاهِبِ

السياسية الحديثة كالاشتراكية مثلاً ، وترتب على ذلك أن عرضت هذه الصحف الجديدة لأفكار وآراء لم يسمع بها الرأي العام المصري في نطاق واسع .

ومن هذه الصحف (أخبار اليوم) وهي ليست صحيفة مذهب اجتماعي ، ولا تعبر عن فكررة سياسية خاصة ، بل أهم ما يبذوي في رسالتها مخاصمة الوفد المصري سواء كان في الحكم أو في المعارضة ، بيد أنها وزميلتها (آخر ساعة) و (آخر لحظة) تتميز بالتفوق في الفن الصحفي من حيث الإخراج والسبق الصحفي ، وتلوين مادتها بكثير من الموضوعات الطريفة الجذابة ، كما تمتاز بمجموعة من الأفلام القوية كمحمد التابعى و توفيق الحكيم وإن آخر الأخير وظائف الدولة على التحرير فيها . ولا نستطيع أن نتعقب الصحف التي صدرت مقلدة لأخبار اليوم حتى في شكلها وحجمها فهي كثيرة وأقل أهمية ، وليس لها في ميدان الصحافة نصيب من الأهمية والاعتبار ، سواء كانت صحفاً وفدية أو خصيمه للوفد .

ومن الصحف التي برزت في السنة الأخيرة وتقدمت الصحف ، الجمهور المصري ، والاشراكية ، وهما صحيتان تمثلان اتجاهها معيناً ، وإن كانت الثانية أكثر وضوحاً في رسالتها ، فهي تدعو إلى مذهب الاشتراكية وتعمل على أن يسود هذا المذهب بالطرق المشروعة ، ولا يخفى علينا أن الدعوة للاشتراكية قد اضطر أحياناً مثل هذه الصحف إلى أن تعني في عبارة أو تعبير ، الأمر الذي جعل حياتها نهباً للصادرة والمحاكم المختلفة .

هذا هو التيار الجديد الذي سرى في صحافة مصر المعاصرة ، وهذا التيار يحمل في أعطافه أسماء عشرات الصحف التي لا محل لذكرها هنا بعد أن سجلناها في ثبت خاص مشحور في عجز هذا الكتاب ، هذا إلى كثير من الصحف الحزبية التي ظهرت ، وليس في رسالتها جديد إلا الفكرة الحزبية الخالصة كصحيفة الأسماس لسان حال الحزب السعدى ، وهي لا تختلف عن السياسة لسان الأحرار الدستوريين والمصرى لسان الوفديين .

ويستطيع المؤرخ أن يلم بنشاط الصحافة المصرية في هذه المقدمة ويوضح

اتجاهها جملة فقد رأينا أن الصحافة المصرية دعت إلى أن تعمـل مصر لتحقيق
مصالحها الخاصة ولا ترتبط بأمة من الأمم فلم تشر إلى تركية أو تتجه إلى فرنسا
بل جعلت دأبها خلق رأى عام محمد خير تميم يعتمد على نفسه في تحقيق آماله لذلك
كان فضل الصحافة عظيماً في هذا الميدان ، وإذا كانت الصحافة الوفدية قد تكفلت
بالقسط الأكبر من الحركتين الدستورية والاستقلالية وكان لها في ذلك أخطر
الأمر من غير شك ، فإن صحافة الأحرار الدستوريين شغافت الرأى العام بالنواحي
العلمية والاجتماعية وبكل رأى حر ، وأثارت حفيظة الرجعيين عليها وأبت أن
يستبعد هؤلاء الرجعيون بكل فكرة جديدة .

وقد أثر عنها وعن جالها أزمات لا تزال الذاكرة تحفظها ؛ فقد أثار تعصب
الحافظين نظرية قال بها عالم من العلماء هو « على عبد الرزاق ، الذى انتهى في بحثه
عن الخلافة إلى ضرورة فصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية ، واشتد البزاع
بين صحافة الأحرار وبين حكومة ذلك الوقت ، وانتهى الأمر باستقالة الوزارة
نفسها ونشأت أزمة دستورية مصرية أعقبها ائتلاف الأحرار مع الوفد ، وكذلك
جئت صحف الأحرار الدكتور طه حسين من الحكومات وبطشهما حين نشر
مؤلفه عن الشعر الجاهلي ، وكاد أمر طه حسين يفصّم الائتلاف بين الحزبين
الرئيسيين في سنة ١٩٢٧ .

وبهذا لفتت جريدة (السياسة) المصريين إلى مسائل لا تتصل بالأمور السياسية
وحدها كما صنعت سياسة الوفد ، ولا شك أن الموضوعات التي أثارتها والقضايا
التي وكلت بالدفاع عنها كانت موضوعات وقضايا تترجم عن أصحاب الفكرة
الحرة في مصر وهي موضوعات وقضايا قرأها الشرق الأدنى ، وليس يعني المؤرخ
أن يرفض هذا الشرق الملتزم بهذه النظريات الجديدة أو يقبلها وإنما نقرر أن
الشرق الأدنى قد أحس أن جريدة (السياسة) ومحررها يذيعون أشياء لم يعتدّها
المصريون من قبل .

وكان بحاجب السياسة في الشق المعارض من الحافظين الشيخ رشيد رضا

ومناره فقد نجح (المنار) في شمال إفريقيا وذاع أمره وانتشر في تلك الجهات انتشاراً ممكناً للفكرة الإسلامية ، وقد دأب (المنار) على نشر الفتاوى الإسلامية التي جاءته من جزر الهند الهولندية الشرقية وأعمق إفريقيا وهذا مصدر من مصادر المؤفوذ الأدبي المصري لم يحسه المصريون في مصر ولم يقدروه حق قدره ، وبذلك لم يستطع المصريون من الأحرار أن يحتكروا وحدة العلاقات الخارجية بل ساهموا الحافظون فيها من أمثال رشيد رضا وأحمد زكي باشا .

والصحافة المصرية المعاصرة تتميز بفضل لا شك فيه ، فقد لعبت دوراً عظيماً في إحياء الأدب العربي في الصحف اليومية والصحف الأسبوعية والشهرية ، فقد حفلت هذه الدوريات بخيراً مما تخرج شعراء وأدباء مصر من شعر ونثر وفتحت صدرها للبحوث العلمية والأدبية ونوعت في هذه النواحي الثقافية فأشاعت القصة فيها ، وأخذت عن الصحف والكتب والمجلات الغربية خيراً ما فيها ، وعرضت بذلك للأدب العربي فرصة احتلال ما لم يكن يحتمله من المعانى الجديدة ، وبرهنـت على أن اللغة العربية قادرة على أداء وظيفتها بين اللغات الحية ، وللصحافة المصرية المعاصرة فضل غير منـكور في تطور الصحافة في البلاد العربية المختلفة إذ اخزنـتها مثلاً لها وحارـلت السير على أثرها كما نقلـت عنها أهم المقالات في السياسة والأدب والمجتمع ، وقد احتضـنت الصحافة المصرية كثـيراً من الشخصيات الموهوبة حقـاً التي أفادـت في تنوير الرأـي العام وتقـويـم آرـائه ، والصحافة المعاصرة هي التي أظهرـت مصر بمـظهرـ الـبلـدـ الـذـىـ لاـ يـقـنـعـ بـأنـ يـكـونـ قـلـبـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ بـمـركـزـهـ الجـغرـافـيـ وـحدـهـ بلـ إـنـهـ قـلـبـهـ بـالـفـكـرـ وـبـالـاهـتمـامـ الدـائـمـ بـكـلـ جـديـدـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ الـأـزـمـاتـ الـخـلـفـةـ فـيـ حـيـاتـهـ السـيـاسـيـةـ وـالـاقـتصـاديـةـ .

ويجب أن نختص القاهرة بفضلـها الصحفـيـ فـهيـ أـكـثـرـ المـدنـ المـصـرـيـةـ اـحـتفـاءـ بالـصـحـافـةـ وـالـصـحـفـيـينـ ، وـتـجـاـوزـتـ جـرـانـهاـ مـائـىـ جـرـيدـةـ عـرـبـيـةـ وـأـكـثـرـ مـنـ سـتـينـ صـحـيـفةـ فـرـنجـيـةـ عـلـىـ حـينـ لمـ تـبـلـغـ صـحـافـةـ الـأـقـالـيمـ تـسـعـينـ صـحـيـفةـ مـنـ بـيـنـهاـ صـحـفـ الـمـوـانـيـةـ وـهـيـ قـلـيلـةـ إـذـ قـيـسـ عـدـدـهاـ الضـئـيلـ بـعـدـ السـكـانـ الـكـبـيرـ ، وـهـذاـ

ما يثبت قدرة القاهرة على تغذية البلاد من الناحية العقلية .
وإذا أردنا أن نعطي صورة لأنواع الصحافة المصرية المعاصرة فيجب أن
نذكرها في ألوانها التي تخصصت بها ، فنجد في صحف مصر كا هي الحال في جميع
صحف العالم ، جرائد يومية كبيرة للأخبار تظهر في الصباح والمساء ، وعلى رأس
هذه الصحف جريدة (الأهرام) لتأريخها القديم وتنظيمها الرائع وشهرتها في مصر
وخارجها ، ثم نجد بجانب (الأهرام) أو (المقطم) صحفاً تطبع لمصلحة حزب
أو أحزاب مختلفة وذلك لإقناع الرأى العام برأى هذه الأحزاب ، وهي أحياناً
واسعة الانتشار لها أثرها في المدن .

وهناك صحفة أسبوعية أو نصف شهرية ليست لها صبغة سياسية خاصة أو
ثقافية خاصة ، وهذه الصحف رائجة السوق مقرورة في معظم الميادين لأنها تعنى
بالازياه والسينما والروايات البوليسية والراديو والألعاب الرياضية وغير ذلك من
النوادي التي تلذ للجمهور المصري مطالعتها ، ويتجه بعض هذه الصحف إلى الشباب
والبعض الآخر إلى العالم النسائي كمجلة بنت النيل ، وهذا النوع من الصحافة المصرية لا
يصدر إلا باللغة العربية وله نشاطه المعروف ولا يقل شأناً عن الصحافة الأوروبية
في هذا الباب .

وإذا أغفلنا الجرائد ذات الطابع الصحفى الخاص نصل إلى طائفة ليست خاصة
بمصر وحدها وتعنى بها المجالات الأدبية والعلمية الكبرى مثل الملل والمقطف
والرسالة والثقافة وغيرها ولا شك أن سهمها أعظم بكثير من سهم زميلاته في أوروبا ،
ويرجع ذلك إلى الأثر الملحوظ لهافي النهضة الأدبية والفكرية . كما تتميز بالتنظيم الرائع
في حياتها الصحفية ، وتعتبر (الملل) مثلاً طيباً لهذا التنظيم فالملل عبارة عن أمراة
كبيرة منظمة تضم دوراً ثلثاً إذا اجتمعت لأى صحيفة كان نصيتها أقطعاً الرواج
والانتشار ، لها هيئة تخصصت للون من التحرير ، ولها مطبعة على أحد شوارع طرابلس
لدار للنشر والتوزيع ، ولها فوق ذلك حظوظ موفور من تأييد جمهور الأدباء
والكتاب المشهورين ، والملل كبيت للطبع والنشر يشرف على عدة مجلات من

أهمها (المصور) ويعنى بحياة الأباء (الصالونات) ويصور الحياة الاجتماعية ويمس الشئون السياسية باعتدال وكذلك تصدر عن هذا البيت الصحفى مجلة (الإثنين) وهى تشبه من قريب (مجلة المصور) وتضيف القصة القصيرة إلى صفحاتها كما خصصت جزءا منها للسينما والمسرح والصور الكاريكاتورية، وقد أصدرت دار الهلال صحيفة (Images باللغة الفرنسية وهى مصورة كزميلتها السابقتين وصدى لها في بيته الأجنبية في مصر، وإذا تخصص مجلات الهلال كتاب محترفون فإن (الهلال) نفسه لا يحرر إلا بمقابلات يؤجر عليها المكتاب المعروفون في مصر والشرق العربي أو نشر قصصاً قديمة سبق نشرها

وإلى جانب الصحافة الأدبية التي جعلنا دار الهلال مثلاً لها في الإنتاج والإخراج توجد الصحافة الفكاهية والصحافة المسائية، أما الأولى فصحافة صورة وهي صحافة مذهب وعقيدة وهي دائماً إلى جانب المعارضة ومعارضتها أشد ما تكون خطراً أو أثراً، وهي تستعمل اللهجة المصرية الحالصة، ولللغة العامية حظ كبير فيها، وهذا هو وضع الخطير فإن استعمال بعضها اللغة الغالبة في الحياة المصرية يجعل قراءتها ميسورة على جميع الناس ويصبح أثرها عميقاً في الجموع الشعبية، وهي صحف لاترولوج في أوقات المدود السياسي بل يغلب نشاطها وازدهارها كلما اتخرجت الحياة السياسية. ويلاحظ أن اللغة العربية تحليبت على اللغة العامية في تلك الصحف.

أما الصحافة النسائية فهي أيضاً قد نشأت صحافة رأي ومذهب، وكان التفكير في إنشاء مثل هذه الصحف غريباً على العقلية المصرية التي حجبت المرأة أجيالاً عن الحياة العامة وحالت دون تعليمها، وقد دافعت الصحف المعاصرة عن حقوق الفتاة المصرية في التعليم وغيره من مظاهر الحياة الرفيعة، غير أن المرأة حاولت مراراً أن تأخذ على عاتقها حق الدفاع عن كيانها ومهدت لها الحركة الوطنية ذلك الأمر بعد أن ساهمت بنصيب ملحوظ فيها، وقد ظهرت في عالم الصحافة النسائية (فتاة الشرق) للبيهية هاشم و (حواء الجديدة) لروز حداد و (المصرية) لمدى شعراوى، ولكن هذه الصحف جميعاً أصابتها أزمات اقتصادية متصلة فعجزت

عن الصدور ولكن نجاحها يتمثل في الحقوق التي اكتسبتها الفتاة المصرية في التعليم وبعض وظائف الدولة، وقد ورثت مجلة (بنت النيل) لصاحبها الدكتورة درية شفيق هذه الصحف جميعاً، ولا تزال تزدهر كأنها لسان قوى للحركة الإنسانية التي تطورت فطالبت الصحف أخيراً بجميع الحقوق السياسية.

* * *

عرضنا في هذا الفصل وفي الفصول السابقة التفاصيل التي اتصلت بهذهأة الصحافة المصرية وتطورها، عرضنا لهذا التاريخ وخلصنا من هذا العرض ببعض حقائق ذكرناها في موضعها، ويحدر هنا ونحن نختتم هذا البحث أن نقرر ثلاث مسائل صاحبة الحياة الصحفية في جميع مراحلها. فأول ما يؤكده لنا تاريخ هذه الصحافة أنها عاشت في أعطاف فكرتين، الحركة العربية والقومية المصرية، ولم تسبق الأولى الثانية أو تطغى عليها قط فالصحافة الرسمية في عهد محمد علي إما صحافة مصر وحدها أو صحافة مصر وتركيا معاً، وكذلك كان الأمر في تلك الصحافة في عهد الخديو إسماعيل وإن غلب الفكر المصري فيها كل فكرة أخرى، ثم لاحظنا أن الصحافة الشعبية مزجت بين القومية العربية والقومية المصرية وخاصة في أواخر عهد إسماعيل وطوال حكم توفيق، ويصور هذا الاتجاه أديب اسمحى وأقر أنه من الصحفيين المتمصرين، ويرى الشيخ محمد عبد الله هذا الرأى في العروبة الوثيق وإن جعل مصرية أكبر من عريته، ثم هدأت هذه النزرة بعد ذلك، وإن بقيت بعض الصحف المصرية واضحة الميل نحو الفكرة العربية، وخلال هذا التفكير من صحافة الحزب الوطنى زاوج بين الأمانى المصرية والتركية وأنكر فكرة العروبة في مجدهاته لأنها تتعارض مع السلطنة العثمانية، ثم عادت فكرة العروبة في الصحافة المصرية بعد الحرب العظمى غير أن القومية المصرية كانت شيئاً لا يقاوم ولا يغلبه أى معنى من المعانى الأخرى، وأصبح الصحفيون الأحرار لا يرون مصر جزءاً من البلاد العربية بل جزءاً من الشرق الأدنى له الصدارة التي لا يغلوه فيها شعب من الشعوب الشرقية، وذلك لجهاده الطويل الشاق ومكانه المقدور له في الحياة الدولية العامة.

والمسألة الثانية التي تسمى بها صحفة مصر أنها عاشت صحفة رأي ومذهب
ويؤكد هذه الحقيقة التاريخية اتجاه التشريع الخاص بها إلى التزام والتضييق وهذه
الاضطهادات التي لقيتها منذ نشأتها إلى اليوم وهي كثيرة ما فيت في مذهبها
وصرعت لها ، ولعلها من هذه الناحية تفضل صحفة بعض الدول الغربية التي
سيطرت عليها تيارات خفية من الرشا وشراء الضمائر ، غير أن المصاعب المالية
— وهي نقطة الضعف في صحفتنا — لم تبق على كثير من الصحف الحرة التي
تزين تاريخ الصحافة المصرية ، وقد بقيت صحفتنا قوية يذكرها الأجانب في مصر
والخارج ، وأكبرظن أن هذه النظرة إلى الصحافة المصرية قد تغيرت بعد الثورة
العربية وأية ذلك أن (العروة الوثقى والمؤيد) وصحف الحزب الوطني أفسدت
على الإنجليز هدوءهم فمنعوا دخولها جميعاً في السودان أو في مستعمراتهم المختلفة ،
وكذلك كان موقف فرنسا وإيطاليا منها في إيمانهما المتباعدة ، وهي قوة لا شك في
قدرها إذا علمنا أن صحفتنا المصرية تقرأ في بلاد الشرق الأدنى أكثر مما تقرأ
صحفة تلك البلاد ، وفي ذلك ما يؤيد قوتها ويعلن خططها . والمسألة الثالثة التي
لاحظناها في الصحافة المصرية أنها بالرغم من تقدم الزمان بها واتساع أفق النشاط
أمامها لا تزال صحافة تعنى بالجمل السياسي ، ومصدر هذا فيها نعتقد تسلط الروح
الحزبية عليها ففقد الخبر مكانه وطغى المقال عليه ، وهنالا تبدو الفروق واضحة بينها
 وبين الصحافة الغربية التي قد تتنوع في مقاصدها ولا تقصره على ناحية من النواحي
مهما تغل في حزبيتها ، بيد أنها تقدم الخبر عليه وتحله محل الصدارة من
نشاطها وجهدها .

الصحافة الفرنسية في مصر

تبدأ الصحافة الأجنبية في مصر بالاحتلال الفرنسي للديار المصرية في سنة 1798 وقد نقلت الجملة الفرنسية معها عدة مطبوع ونشرت صحيفتين إحداهما صحيفه إخبارية سميت (Courrier de L'Egypte) كورييه دوليجهت صدرت في 29 أغسطس 1798 في حجم كتاب وسط من أربع صفحات؛ وأما الشانية فتسمى (LaDecade Egyptienne) وقد تخصصت المشر بحوث أعضاء الجمع العلمي المصري ودراساتهم للبيئة المصرية في نواحيها الأدبية والتاريخية والاقتصادية، وتعتبر هاتان الصحفيتان أقدم الصحف الأجنبية في



لومونيتور أجيسيان في عهد محمد علي

مصر؛ وقد انتهى تاريخ هاتين الصحفيتين بانفصالهما وخروجها من مصر في سنة 1801 وبقيت مصر خلواً من الصحافة الأجنبية زهاء ثلاثة عاماً حتى ظهر محمد علي في صحيفه فرنجيه تونس الواقع المصرية في وحشتها، ولم يكن تفكيره هذا غرضاً من أغراض الحكومة المباشرة؛ فهو لم ينشئ (لومونيتور أجيسيان Le Moniteur Egyptien) في سنة 1833 بل أعاد أصحابها بالرعاية الماديه والأدبية

كما يقول جون باورنج Bowring في تقريره عن مصر في تلك السنة^(١) .

ولم تتصل عناية محمد على (بلومونديتور أجنسينيان) فاختفت بعد بضعة شهور، ولم يحاول هذه المحاولة مرة أخرى كما لم يحاوّلها خلفاؤه الثلاثة، ولكن الجاليات الأجنبية قد اشتغلت سعادتها في مصر بين تاجر وعامل وموظّف فصدرت لها انتفاعة عشرة جريدة، ثلاث إيطالية وتسع فرنسية، وأكبر الظن أن الجاليات الأجنبية كانت من القلة بحيث لم تتحتمل هذه الصحف جميعاً وأكثرها صدرت مرات قليلة ثم اختفت ثم عادت إلى الحياة في ظروف أكثر ملاءمة، وقد صدرت في سنوات متفرقة بين سنة ١٨٤٦ و ١٨٦٢ . وقد نشرت هذه الصحف في ظروف لا يضبطها ضابط من قانون للطبعات أو الصحافة، وإن ثبّتت الوثائق في عهد سعيد أن إنشاءها كان معلقاً على موافقة الأمير وهو على شرط أن لا تتجاوز فيما تنشره قوانين الدولة العلية وأن لا تذكر أى شيء ضد الحكومة المحلية^(٢) .

وقد صدرت هذه الصحف جميعاً في مدينة الإسكندرية حيث كان النشاط التجاري والصناعي في أوجه، وحيث كانت كثرة الجاليات الأجنبية تعيش، وقد تميزت هذه الصحف كلها ببعض المميزات، فهي صحف تبحث في التجارة وتنشر أخبارها وأخبار البورصة خاصة واستتبع ذلك كثرة الإعلانات فيها حتى أن بعضها كانت تستغرق هذه الإعلانات، وعندئذ هذه الصحف عناية واضحة بالسفن الداخلية والخارجية وفصلات ما حملته من الأشياء في الذهب والإياب، ثم تبيّنت هذه الصحف في سياستها العامة وموضوعاتها الداخلية والخارجية.

ومن الأمثلة أن (لوسبتاتوري أجيزيانو Lo Spettatore Egiziano) كانت أظهر هذه الصحف عناية بالأداب والاجتماعيات كما كانت أمتّع الصحف، حيث قدرتها على إرضاء قرائها، فهي تنشر لهم القصص الأدبي الرائع نفلاً عن الأداب

(١) راجع هذا الموضوع في (تاريخ الواقع المصرية ١٨٢٨ — ١٩٤٢) للمؤلف

(٢) مخطوطات عابدين وثيقة رقم ٣١ سجل ٥٢٥ معية تركي قسم ثان من ١٤٦

الأوربية المختلفة، واهتمت غيرها بالمسائل الشرقية ووقفت صفحاتها على أمور الشرق ومشكلاته، واتخذت صحف عديدة أخبار الدولة التي تتبعها موضوعاً لها (فكان لـ *L'Eco Di Egitto*) تتحدث في جميع أعدادها عن إيطاليا وأخبارها كما شغلت صفحاتها بأحوال الإيطاليين في مصر وبأخبارهم المختلفة وجعلت ذلك غاية من غاياتها وقليلاً كانت تعنى بالمسائل المصرية، وفي عهد سعيد باشا أنشئ المجمع العلمي المصري وفرض إنشاؤه إصدار جريدة تكون سجلاً له وهو وصل ما انقطع من *المجلة الفرنسية*، إذ كان هذا المجمع صدى للمجمع القديم حتى كان أكثر أعضائه من الفرنسيين، وحلت *المجلة* (المجمع المصري) محل (*لاديكاد اجبسين*) في تسجيل الموضوعات التي أقرها المجمع أو في نشر بعض المذكرة التي تتصل بشؤون مصر المختلفة كانت الصحف الفرنجية إلى عهد سعيد باشا صحف إعلان، ذكرت صفحاتها بالإعلانات المختلفة، وضمت مقالاً أو مقالين وبضعة أخبار لا تغنى أضالل الصحف المعاصرة لنا، ولم تكن هناك صحف رأى أو صحف أخبار لأن الظروف كانت تأتي الرأى الحر ولا تحتمل الملاحظة والتنقية، ولذلك كانت الجرائد في معظمها جرائد أسبوعية فقدت «صفة الخبرية» فيها، أما مصر إسماعيل فقد امتازت بصحافة الرأى فيه امتيازاً ملحوظاً سواء منها ما كتب له أو ضده.

وقد حمل لواء هذه الصحافة الجديدة جريدة (*لوبوجريه اجبسيان* Le Progrés Egyptien) فقد أخذت تحدثنا عن الظلم والعسف النازلين بالمواطنين وعن تبرم الشعب المصري وسخطه من قسوة حكومته، وهو تبرم كما تقول ملأ حفيظة جماعة كبيرة من الشعب من البشاورات ومن رجال الدين وأن احترام الحكومة لم يعده على غراره الأول». وتنص (*لوبوجريه اجبسيان*) ناشرة أسوأ الأخبار المتصلة بالحكومة فتقول في ٦ سبتمبر ١٨٧٩ «إنه ألاصق في هذا الأسبوع خفية على جدران المدينة — الاسكندرية — إعلانات عدائية اسمها الخديو وهي عبارة عن شكوى مرفوعة إلى السلطان باسم ١١٤ من عيون تجار

القاهرة والأرياف المصريين . وقد كان دأب الجريدة الإسمة إلى أصحاب المخطوطة عند الخديو من الأتراء ، هذه الأقلية التركية التي تحكم وتنظم وتشغل جميع الوظائف وتضع الميزانية لن تستطيع التغلب على أكثريه المصريين التي تفلح الأرض وتدفع الضرائب وتسخر وتعطى ما لها وعرق جيئنما للدولة ،^(١) .

وقد كيل (لوبروجريه أجيسيان) من الحكومة بالقدر الذي كانت به لها ، إذ صدر قرار من نظارة الخارجية المصرية في يوم ١٢ أبريل سنة ١٨٧٠ « بتعطيلها شهرين ابتداء من ١٦ أبريل وذلك لأنها نشرت مقالين شديدي اللهجة عن الحرية الشخصية في مصر استهملت أولهما بقولها في ١٢ أبريل ١٨٧٠ « منذ زمن وهم يظرون — تقصد رجال الحكومة — احتقارهم للحرية الشخصية » فقد تعددت حوادث القبض بلا مسوغ والحبس والجسر بشكل مدقق ولم يرتكب هذا ضد الفلاح والرعايا المحليين فحسب بل ارتكب ضد الأجانب أيضاً وخاصة الفرنسيين منهم ، ثم مضت تحمل على الحكومة وتصرفاتها مع الناس ومصادرة حرياتهم قائمة « إنه من الخجل أن تدعي الصحافة الأوروبية بدعاوة من الخديو فتجد الأمان والحرية الشخصية مفقودين » ،

أما مقاوماً الثاني الذي عوقبت من أجله فعن أزمة بين السلطان وواليه قالت فيه « إنهم يتحدثون عن أزمة قريبة الواقع بين السلطان والخديوي ويقررون أن الطريق التي من شأنها أن تصلح بين الطرفين هي زيارة من الخديوي للقدسية طينية » ثم تعلق على ذلك في ١٤ يوليه ١٨٧٠ قائمة « إنه ليس بجهول بأى الطرق يجتنب غضب الباب العالي وبأى الأساليب يكتسب رضاه ، إننا لا ننسى الفرمان الأخير وزيادة الضرائب نتيجة لهذا الفرمان ، إن الفلاح لم يعتد الشكوى وطرق التعبير عنها وإن سمو الخديو لم يذكر فيه مطلقاً وإن الحكومة المصرية لاتكون جد مخطئة إذا هي لم تلاحظ ذلك وتحسب حساباً الآثار التي تتركها هذه الحالة في نفوس

(١) لوبروجريه أجيسيان تولا عن صبري في كتابه السابق ص ١١٢ و ١٢٦ و ١٢٩

رعايةها وخاصة في نفوس الفلاحين ، إن رحلة إلى القسطنطينية في هذا الوقت ستكون بالنسبة لمصر إنقاذهما بالضرائب وإن الفلاح لم يهدى بحتمل هذا الظلم من جديد ، لقد استغله فاتيتو عوام الله مرة بعد مرة ، لقد حطم بالسخرة التي قضت على عدد لا حصر له من العمال الفلاحين الذين بقيت أراضيهم بلا فلاحة ،

وقد كان لجريدة (لوبوجريه اجبيسيان) مقالات حماسية متصلة أفلقت بالحكومة المصرية فعمدت إلى إغلاقها وحل محل محررها (١) ولم يترك هذا الخلاف العميق مع الحكومة صدقة بينها وبين السلطان، بل كانت هذه الجريدة مستقلة حقاً في آرائها تدافع عن مصر دفاعاً كريماً فشكير آما جعلت أدبها الرد على جريدة (La Turquie) التي تعبّر عن آراء الدوائر الرسمية في القسطنطينية، ومن مواقفها الـذكرى المؤثرة عنها في هذا الميدان أنها هاجمت تركيا حين أوفدت حسن بك لسمو إسماعيل باشا ليستوضحه كيف يدعوه باسمه حكام الغرب وملوكه إلى حفل افتتاح القناة ثم ليستفهم من سموه عن مقاومته في حيـدة قنال السويس وإيمصائه لبعض المعاهدات التجارية دون الرجوع في ذلك كاه إلى الباب العالى، ذكرت تهديد السلطان بموقف حاسم قد يطوح بالأئمة العلوية نفسها ثم انبرت (لوبوجريه) للرد على هذه الأخبار التي نشرتها فذكرت «أن هذا التهديد لا يخفى أحداً ولا محل له إذ أن كل تغيير في مصر ليس من شأن الباب العالى وحده كما أقرت ذلك معاهدة لندره، والباب العالى يتناسى أن أي تغيير في شؤون مصر يلمعنى أن يؤخذ فيه رأى الأجانب المقيمين في مصر فلا بد من التعرف على ميوتهم أمن مصلحتهم أن يلحقو بالدولة العثمانية مباشرة أم أن مصلحتهم تقضى البقاء في ظل حكومة مصرية خالصة» (٢)

وقد اعتبر أصحاب الصحف الفرنجية أنفسهم أصحاب حق في محر لهم مال المحررين

(١) اجبسیان . L'Impartial D'Egypte ف ١٧ مارس ١٨٦٩ وفیه تقصی تاریخ لوبرو جریه

(۲) لوبروجریه اجیسیان فی يولیو ۱۸۶۹

من المزايا وإن لم تفرض عليهم التزامات الوطنيين ، وذلك وضع لا ينالونه في سائر الأقطار العثمانية ، لذلك كانوا أول من نادى بفصل مصر عن تركيا وإن اختلفوا فيها (١) بيدهم نحو الحكومة المصرية ، فالمسيو نيكولو Nicoulaud محرر (النيل Le Nil) يقود الصحافة الأجنبية في الجلة على تركيا وصحيفتها الرسمية ويرد جملتها على الخديوي ، فهو يتفق مع محرر (لوبوجريه) في هذه الناحية ويختلف معه في النظر إلى الخديو إسماعيل وحكومته (٢) وكان بين الصحف الفرنجية المصرية التي تتفق مع جريدة (لوبوجريه) من حيث التفكير في فصل مصر عن تركيا واعتبارها كاماً قائماً بذاته جريدة (لامبرسيال ديجيت L'Impartial d'Egypte) وكتب في ذلك المسيو موريه Moures في صدر افتتاحية العدد الأول عن خطبة جريدة « تستعنى لتحقيق حرية هذا البلد الذي نسكنه ، وستعمل بهمة على أن تستقل مصر بمسائلها عن تركية وتسير نحو التقدم بخطى فساح بقدر ما تبتعد عنه تركياً بنفس الخطى ، فعمل في كلمة على التفريق بين آراء البلدين وأملهما ونظامهما الدستوري » (٣)

ومن الصحف التي شغلت الرأي العام في مصر وخاصة رأى الأجانب فيها على أصح تعبير ، جريدة (L'Indépendant) فهي إلى جانب حملتها المتصلة على القنصل الفرنسي وتمثيلها للمتطرفين من الفرنسيين المازلين في مصر كانت تحمل في شدة وعنف على الحكومة المصرية وخديوها ، فكتب شريف باشا يشكو أمرها إلى القنصل في ٢٠ يناير فانعقدت المحكمة الفصلية وأصدرت أمراً يقضى بمصادرة الجريدة وغلق مطبعتها وسجن محررها عاماً كاملاً (٤)

وكانت جريدة (ليجيست L'Egypte) وقد صدرت في أوائل عهد إسماعيل سنة ١٨٦٣ على رأس الجرائد المعارضة للخديو حتى أن أحمد خيرى بك فرض في

(١) Douin. His. Du Règne du Khédive Ismail T. I p. 255

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٣١٤

(٣) لامبرسيال ديجيت . العدد الأول مارس ١٨٦٩

(٤) محفوظات عابدين خطاب رقم DOSS, 44/5 ٢٣

برنامجه (للوكانع المصرية) في ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٦٥ أن تتولى الجريدة الرسمية الرد على مفتيارات (ليجابت) ولم تستمر ليجابت خصيصة للخديو وحكومته فترة طويلة إذ استطاع الأمير أن يضي مع ناشرها المسيو «أنطون موريس»، اتفاقاً لمدة خمس سنوات تطبع فيها الجريدة على ذمة الحكومة المصرية^(١) وهكذا أصبحت جريدة (ليجابت) بذلك الاتفاق صحيفه حكومية خالصة ربطت لها الحكومة المصرية ميزانية قدرها حوالي ألف وثلاثمائة جنيه مصرى في كل عام^(٢) ثم نقلتها إلى القاهرة في سنة ١٨٦٦ وهيأت لها عملاً جدداً^(٣) وترك لها حرية التفكير وإن عالجت أمورها كالصحف الأخرى، فقد نشرت الجريدة خبراً غريباً عن تعين ناظر الخارجية وحافظ الاسكندرية فـكان جزاءها التعطيل خمسة عشر يوماً؛ ثم استعملت الدولة حقوقها عليها فعزلت كاتب الخبر من وظيفته في التحرير^(٤) ومضت (ليجابت) جريدة حكومية خالصة حتى أقبل عهد توفيق فـكان لها موقف آخر أسامت فيه إلى الدين الإسلامي فأمر بتعطيلها^(٥)

وقد تمكـن الخديـو إسماعـيل بالـبذل والـعطـاء من السيـطرـة على مـعظم الصـحف الفـرنـجـية فـمـصر ، فـقد بدـأـت (لوفار دـالـكسـنـدرـى Le Phare d'Alexandrie) كـأـولـةـ (ليـجـابت) صـحـيفـةـ مـعـادـيـةـ لـهـ وـلـحـكـوـمـتـهـ فـكـانـتـ قـاسـيـةـ أـشـدـ القـسوـةـ مـنـذـ عـدـدـهـ الـأـوـلـ الـذـيـ حـمـلتـ فـيـهـ عـلـىـ الـوـزـيـرـ نـوـبـارـ باـشاـ «ـالـذـيـ يـسـبـ الـقـرـنـسـيـنـ وـحـكـوـمـتـهـ كـأـعـتـادـ عـلـىـ ذـلـكـ وـدـأـبـ عـلـىـ اـحـتـقـارـهـ»، ثـمـ يـصـفـهـ بـأـنـهـ «ـلـيـسـ سـيـاسـيـاـ»

(١) محفوظات عابدين ونيفة رقم ٢١٥ دفتر رقم ١٩٤٨ أوامر ص ٥٨

(٢) ربطت لها الحكومة مبلغ ٦٩٠ مليون و١٣١٦ جنيه إبانة . راجع محفوظات عابدين ونيفة رقم ٢١١ محفظة رقم ٤٩ معية تركى في ٤ جادى الثانية ١٢٨٩

(٣) محفوظات عابدين ونيفة رقم ٣١٨ محفظة ٤٠ معية تركى في ٧ شوال ١٢٨٣ من محمد حافظ ناظر المالية إلى صاحب السعادة

(٤) محفوظات عابدين ونيفة رقم ٣٦١ محفظة ٤٥ معية تركى في ٢٤ ربیع الثاني ١٢٨٦ من الجناب العالى إلى ناظر الداخلية

(٥) الوقائع المصرية في ٢٩ نوفمبر ١٨٨١

وليس عنده حاسة الرجل العمومي ولا يفهم في السياسة شيئاً^(١) غير أن هذه القسوة وتلك المعارضه لم يطال أمرهما إذ انضمت إلى الخديو وأصبحت داعية من دعاته، وكان هذا يكلفه خمسين ألف فرنك كل سنة على أن ترسل هذه الصحيفة إلى دواوين الدولة، ثم عقدت الحكومة مع مديرها الحماي هايكاليس (باشا فيها بعد) اتفاقاً لمدة خمس سنوات ينتهي في ٢١ ديسمبر ١٨٧٩^(٢) بشرط أفهمها مناصرة الحكومة في سياستها جميعاً وقد دافعت (لوفار دالكسندرى) عن إسماعيل وسياساته بحاسة ظاهرة ييد أنها كانت مكرهه جداً من الوطنيين، فقد أرسل مديرها في ٢٣ يوليو سنة ١٨٧٦ إلى باروت بك سكرتير خاص الخديو يشكوه لإحدى المظاهرات التي أخذت تنتقل من شارع إلى شارع حتى بلغت مكتب جريدة، وأخذ المتظاهرون يهتفون بسقوط صحيفته، ويطلبون في كتابه إلى سكرتير الخديو أن يوضع حد لهذه المظاهرات التي تسبىء إلى سمعة مصر وإدارتها والتي من شأنها أن تعطى مثلاً سيناً وخطراً للمصريين^(٣))

استطاع الخديو إسماعيل بما بذل من جاهه عند قنصل الدول وبما قدم من ماله لأن أصحاب الصحف الفرنجية وبما طبقه من قوانين الصحافة التركية أحياناً، استطاع أن يخضع الصحافة الأجنبية في مصر لسلطانه خضوعاً يكاد يكون مطلقاً حتى لم تعد الصحف المعارضة له تقوى على البقاء أو تستمر في الكفاح، وقد لوحظ على هذه الصحافة أنها كانت تشتد في لهجتها كلما تحرجت أهور الخديو ثم تاب قفاماً إذا اعتدلت الظروف واستقامت له الأمور، وقد انقسمت هذه الصحف إلى قسمين، قسم موالي لإطلاق هذا المعنى وقسم بين بين؛ وهي هنا تمثل حقبة هامة من تاريخ الصحافة الفرنجية المصرية إذ ترتبط إشارة صحافة الرأي الفرنجية بعصر إسماعيل وكانت من قبل صحافة للإعلان أو التجارة فقط.

وتتمثل الصحافة الخبرية الفرنجية في صحيفه (لوهونيتور أجنسيان) التي نشرت

(١) لوفار دالكسندرى ٤ يوليو ١٨٧١

(٢) محفوظات عابدين وثيقة ١٢٣ دفتر ١ ص ٦٢

(٣) عابدين 45/11 Dossier N.

في عهد الخديو إسماعيل سنة ١٨٧٤ جريدة « يومية سياسية علمية تجارية وللإعلانات »، ومع أنها أعلنت أن صفتها الأولى ستنهض بدور المسائل التجارية والعلمية إلا أن صفة الخبرية فيها غابت صفاتها جميعاً، وهذه الصفة تتميز في الأخبار الرسمية قبل كل شيء ولم يعرف عن (لومونيتور) أنها صحفة حسكونة رسمية إلا في وقت



لومونيتور اجبيسان في عهد الخديو إسماعيل

متاخر غير أنها كانت في سنة ١٨٧٨ واضحة الميل معروفة الصبغة ، كانت تومي في صورتها الصادرة به إلى أنها جريدة شبه رسمية إذ تأثرت بنشر الأوامر واللوائح والقوانين وأعفاها المجلس المخصوص دون الصحف الفرنسية جميعاً من رسوم البريد (١) وقد بقىت الجريدة شبه رسمية في السنوات الأولى ثم تغلبت عليها الصفة الرسمية قبل الاحتلال إلى أن أصبحت جريدة الحكومة الرسمية في

(٢) يناير سنة ١٨٨٥

أخذت الصحف الفرنسية في مصر تساهم في الحياة السياسية المصرية بقدر ما له خطره وأثره في الاتجاهات الدولية العامة وأخذت أهمية هذه الصحافة تتركز في جريدين في نهاية عصر إسماعيل وخلال الثورة العرابية ، كانت الجريدة الأولى

(١) محفوظات عابدين وثيقه رقم ١٠٤ في ٥ بشوال ١٢٩٤ هـ

(٢) راجع « تاريخ الوقائع المصرية » للمؤلف

تميل الفكرة الفرنسية وهي La Gazette des Tribunaux وكانت الثانية وهي (The Egyptian Gazette) صدى الرأى الانجليزى، وكانت بجانب هاتين الصحفتين صحف أخرى قليلة الأهمية ت نحو نحوهما وإن كانت (لاريفورم La Réforme) الفرنسية تختلف عنهما وتميز باستقلال الرأى وحرية الفكر وقد اشتهرت (لاريفورم) في أول الأمر بحملاتها المتصلة على الحركات السياسية المصرية التي ظهرت في نهاية عهد إسماعيل وكانت كلها اجتماع المصريون على رأى أدخلت في ذهن قرائتها أن هذه الوحدة وذلك الإجماع مصدرهما الرابع من الحكم العسكري وشرأه بالعنف واللذين ذمم الذوات وضمان الآمن (١) غير أن (لاريفورم) لا تستقر في خطتها بل تعود مواتية في اعتدال للأمن المصري فتحمل على الإدارة الأولية حملة شعواء وتصف رجالها بأقبح الأوصاف وتحمد لها الصحف المصرية هذه المواقف السكرية (٢)

ثم مثلت (لا جازيت دى تريبيينو) الاتجاه القنصلى الفرنسي فى شئون السياسة المصرية وأخذت تحمل على الخديو إسماعيل فى كل عدد من أعدادها تقريرات حملات فيها من قسوة التعبير ما ضرحت له الحكومة المصرية، فكتب شريف باشا فى ٦ أبريل سنة ١٨٧٨ إلى قنصل فرنسا العام يشكو له محى الجريدة لأنها تجاوز حدوده وحمل بعنف على الخديو ورجاله إلى حد لا توسعه أكثر فوانين الصحافة حرية ويعلن القنصل العام بأنه قرر وقف الجريدة شهرًا، غير أن محى (لا جازيت) يائى الخضوع لامر الحكومة المصرية ويرفض تنفيذ ما قضت به، ولو لا حزم الحكومة وتصديقها على سحب الترخيص منه وإغلاق مطبعته إذا لم ينفذ أمرها لعجزت السلطة المصرية عن وقف حملات المحى القاسية (٣)

ولما بدأ الرأى العام المصرى يتکيف على الصورة التى شرحناها فى فصول سابقة

(١) نقلًا عن التجارة فى ١٠ أبريل ١٨٧٩

(٢) التجارة فى ١٧ يوليو ١٨٧٩

(٣) محفوظات عبدين 44/4 Dossier

أبْت (لا جازيت دى تريبيينو) أَن تُعترف للمرصرين بحق من الحقوق وأبْت أَن تقر أَن هنَاك رأيًّا عامًّا أو شيئًا يقال لِلْحَزْبِ الْوَطَنِيِّ، وَهاجمَتَ الصَّحَافَةُ الْمَصْرِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي شَهْرِيَّ يُونِيَّوْ وَيُولِيُّو سَنَةَ ١٨٧٩ وَبَلَغَتْ مَقَارِعَهَا لَهَا حَدَّاً أَنَّارَ الْجَالِيَّةَ الْأُورَوبِيَّةَ عَلَى الْمَصْرِيِّينَ. وَإِذَا كَانَتْ (لا جازيت دى تريبيينو) تُمثِّلُ اتجاهَ الصَّحَافَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ فَإِنَّ (ذِي إِجْبَشِينَ جَازِيت) كَانَتْ فِي تَمْثِيلِهَا لِلْاتِجَاهِ الإِنجِيلِيَّ زَانِيًّا أَصْدَقَ تَعْبِيرًا وَأَوْضَحَ مَيْوِلًا وَمَحْلًا لِشَفَةِ الْجَالِيَّةِ الإِنجِيلِيَّةِ، فَكَانَ يُوحَىُ إِلَيْهَا بِالرَّأْيِ فَتَذَكَّرَهُ ثُمَّ تَحَقَّقَ الْأَيَّامُ أَخْبَارَهَا، وَتَكَادُ تَعْلَمُ مَوْضِعَاتِ الصَّحِيفَةِ أَنَّهَا جَرِيدَةُ رَسْمِيَّةٍ لِلْقَنْصُلِ الْبَرِيطَانِيِّ أَوِ الرَّقِيبِ الْأَجْنبِيِّ، وَتَمْيِيزُ (ذِي إِجْبَشِينَ) بِإِثْنَارِ النَّوَاحِي الْدِينِيَّةِ فِي خَصْوَصِيَّةِ الْمَحْرُكَةِ الْمَصْرِيَّةِ، وَكَثِيرًا مَا رَمَتْ الْمَصْرِيَّينَ بِتَعْصِبِهِمْ لِلَّدِينِ وَأَذَاعَتْ الْأَخْبَارُ الْغَرَبِيَّةُ عَنِ هَذَا التَّعْصِبِ وَادَّعَتْ تَحَامِلَهُمْ عَلَى كُلِّ مَا هُوَ سِيَّعِيٌّ وَصُورَتْ أَنْفَهُ الْحَوَادِثُ بِالْمَجَازِرِ^(١) وَكَثِيرًا مَا أَسْفَتْ فِي مَعَارِضِهِمْ وَنَقَالَتْ الْمَسَائِلُ الْعَامَةَ إِلَى لَوْنِ الْمَهَاتِرَاتِ الصَّحِيفَةِ فَرَعَمَتْ أَنَّ النَّوَابَ الْمَصْرِيَّينَ يَتَعَاطَوْنَ الْقَهْوَةِ وَالشَّيْشِيَّةِ فِي الْجَلِيسِ وَرَدَتْ عَلَيْهَا الصَّحَافَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَعَيَّرَتْهَا بِزَجاَجَاتِ الْجَنْرِ الَّتِي يَحْمِلُهَا نَوَابُ الْإِنجِيلِيِّينَ وَهُمْ فِي قَاعَةِ مَجَلسِهِمْ.^(٢)

وَقَدْ أَسْتَطَاعَتِ الصَّحَافَةُ الْفَرَنْسِيَّةُ أَنْ تَنْجُو مِنْ بَطْشِ الْحَكُومَةِ لَأَنَّ شَنْتُونَ الصَّحَافَةَ كَانَتْ حَيَاتِهَا خَلْوَةً مِنْ قَانُونَ يَنْظِمُ أَمْوَارَهَا وَيَطْبِقُ عَلَى الصَّحَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْفَرَنْسِيَّةِ جَمِيعًا، وَبِذَلِكَ تَمَكَّنَتِ الصَّحَافَةُ الْأَجْنبِيَّةُ فِي مَصْرُ مِنَ الْمُقَاءِ لِأَنَّ مَعَالِجَةَ تَعْطِيلِهَا أَوْ إِنْذَارِهَا تَقْيِيرُ مَشَاكِلِ بَيْنِ الْحَكُومَةِ الْمَصْرِيَّةِ وَالْحَكُومَاتِ الْأُخْرَى كَانَتْ مَصْرُ لَا تَقْوِيُ عَلَى إِنْذَارِهَا، عَلَى حِينَ كَانَ نَاظِرُ الْخَارِجِيَّةِ يَمْلِكُ بِجَرْهَةِ قَلْمَ إِلَغَاءِ أَخْطَرِ صَحِيفَةِ عَرَبِيَّةٍ لِمَوْاطِنِ مَصْرِيِّ، وَمَعَ أَنَّ قَانُونَ الْمَطَبُوعَاتِ الصَّادِرُ فِي ٢٦ نُوْفُبْرِ سَنَةِ ١٨٨١ سَوْىِ بَيْنِ الصَّحَافَتِ جَمِيعَهَا فَإِنَّ (الْإِجْبَشِينَ جَازِيت) وَجَرِيدَةَ (جَازِيت

(١) راجع المروسة في ٧ فبراير ١٨٨٢

(٢) الزمان في ٦ مارس ١٨٨٢

دى تريبيينو) حملتا على هذا القانون وحتمها وغيرهما من صحف الدول الأوروبية
صاحبة الامتيازات (١)

كانت الصحف الأجنبية في مصر متغيرة المزاج تقريراً لأن الدول الأوروبية وفي
مقدمتها إنجلترا وفرنسا كانت على اتفاق في وجهات النظر إزاء المسألة المصرية غير
أن هذا الاتفاق في الروح والاتجاه لم يدم طويلاً بعد الاحتلال، ذلك لأن المسألة
المصرية اتخذت وضعاً كان مشاراً للخلاف بين الدول ومن ثم كان مشاراً للخلاف
بين الصحافة المعاشرة عن تلك الدول في مصر، فتركتها لم تقر هذا الاحتلال وكذلك
كان موقف فرنسا ومعظم الدول الأوروبية وإن بقيت إيطاليا إلى جانب إنجلترا
منذ الاحتلال فرنسا تونس سنة ١٨٨١.

وقد استقبل الاحتلال كثيراً من الصحف القديمة التي حالت الظروف دون
صدورها خلال الحرب العرابية؛ وكانت أهم الصحف الفرنسية التي استقبلتها الاحتلال
في أيامه الأولى جريدة (ذى أجبشين جازيت) وجريدة (لوبوسفور أجبسيان)
فقد عادا إلى الحياة باستقرار الحالة الجديدة، فأما الصحيفة الانجليزية فقد كان
موقعها كريماً مع دعوة الثورة ورجاها وأبى أن تقف إلى جانب الخديو وشيعته،
وحاربت نزعة التطرف الانتقامية التي استولت على خصوم العرابيين، وقد صدر
هذا الموقف اتجاه الحكومة الانجليزية إلى تصفيية الثورة تصفيية فيها شيء من
الترفع عن الصغار، كما أن المستر الفرد بلنت صديق العرابيين دخل في موقف
الجريدة فقد بذل الجهد وسخا بالمال حتى جعل الصحيفة في جانبه (٢)

وأما الصحيفة الفرنسية فقد عادت إلى الظهور في سنتها الثانية وسجّلت لنفسها
تاريحاً خطيراً في أوائل عهد الاحتلال، وهي صحيفة أنشأها المسيو سيرير Serrière في مدينة
بور سعيد سنة ١٨٨٠ حيث كان يقتني مطبعة فرنسية كاملة ثم انتقل بها إلى القاهرة في
السنة الثانية، وتولى تحريرها المسيو جيرد Giraud وهو من خيرة المحاين المعروضين

(١) راجع العصر الجديد في ٧ ديسمبر ١٨٨١

(٢) بلنت . التاريخ المجرى ص ٣٢٢

في ذلك الوقت ، وكانت كتاباته تستقبل استقبالاً حسناً من المصريين والأجانب على السواء ، مع أن عدد قرائتها لم يتجاوز خمسين قارئاً ، وهو عدد يعتبر إذ ذاك من حيث التوزيع قدر آنادر المثال (١)

ولم تكن (لوبوسفور أجبيسيان) ذات خطر قبيل الاحتلال . فهي صحيفة خلقتها الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بور سعيد حيث تعيش الجالية الفرنسية في نطاق واسع عاملة في شركة قنال السويس ، ثم انتقلت إلى القاهرة حيث بدأ النشاط السياسي يعم العاصمة ويستقر بها . وقد سارت (لوبوسفور) في تيار الصحف الفرنجية المعاصرة ، ولم يكن لها يوماً ميزة من المزايا التي تفوقها على زميلاتها المعاصرات وبينها صحف قديمة لها تقاليدها وتاريخها ، ثم احتجبت مع ما احتجب من صحف حتى انتهت الأزمة باحتلال الجيش البريطاني مصر وعادت إلى الحياة أشد ما تكون الصحف المعارضة للاحتلال ورجاله .

وتمثل Le Bosphore Egyptien في معارضتها للإنجليز اتجاه الحكومة الفرنسية وفصائلها العام في مصر ، فهي لا تقر شرعية الاحتلال ولا ترضى عن تصرفات الإنجليز وتقسو في ذلك قسوة تفرض على المستر Clifford Lloyd يتصدر من ناظر الداخلية المصرية في سنة ١٨٨٤ قراراً وزارياً بتعطيلها وإغفال مطبعتها ، وذلك لأن الصحيفة لم تؤثر بمعارضتها في الجاليات الأجنبية وحدها بل عرضت هذه المعارضة على المصريين في نسخة منها صدرت باللغة العربية مع الصحيفة الفرنسية ؛ ولكن محرر (لوبوسفور) أبى أن يعترف بقانون عام ١٨٨١ الذي اعتمد عليه الحكومة في تعطيل جريدة ، ثم أصدرها في موعدها ، غير أن الحكومة صادرتها من أيدي الباعة ، وقد عادت إلى الصدور مرة ثانية وتكلفت ببيعها عين من عيون الفرنسيين المستوطنين مصر مع مستشار القنصلية الفرنسية حتى لا يملك فهو ليس مصدراً لها ، واضطررت الحكومة إلى إغلاق المطبعة وحراستها

ثم عرضت على سرير اثنين وأربعين ألف فرنك تعويضاً له عن إغلاق المطبعة^(١) وأثار حادث تعطيلها وإغلاق مطبعتها أزمة حادة بين الحكومتين الفرنسية والمصرية سبق أن عرضنا لها في فصل سابق.

كانت الخصومة بين الفرنسيين والإنجليز تتمثل في المنازلات الصحفية التي دارت بين (لوبوسفوراجيسيان وذى أجديشيان جازيت) وإن خفت لهجة الصحيفة الأولى بعد أن تولى تحريرها Barrière Bey حتى أعجب بها بعض الإنجليز المحليين وأمدها بعض موظفيهم بالأخبار الرسمية والحوادث المحلية؛ وكانت القنصلية الفرنسية من ناحيتها أشد يدة العطف عليهما حتى أنها عرضت على إدارتها من تباشرهرياً قدره اثنتeen جنيهآ لـأسامت حالة الجريدة المالية^(٢) غير أن ذلك لم يفدها شيئاً واضطرت إلى الاحتجاب في سنة ١٨٩٥ ثم بقيت (ذى أجديشيان جازيت) تمثيل الفكرة الإنجليزية تعاونها (لوبروجريه Le Progrés) الفرنسية التي أنشئت سنة ١٨٩١ معارضة للقنصلية الفرنسية وموالية لدار الوكالة البريطانية وإن لم تقبل عليها الحاليات الأوربية، وشاركتها في هذا الاتجاه جريدة Le Courrier d'Egypte وهي صحيفية نوبار باشا، وقد مضت زهاء أربعة وعشرين عاماً تسبح بحمد رئيس الحكومة المصريه أيا كان هذا الرئيس، وكان أسلوبها بدرعاً حقاً وإن ملأت صفحاتها بما كانت تنشره الصحف القديمة عن مصر وشئونها، وخاصة سميتها التي أنشئت خلال الحملة الفرنسية؛ ولم تكن مقرودة ولا محبوبة من الآجانب المتواطنين مصر^(٣)

ومن الصحف الهامة في ذلك الوقت جريدة (لوجورنال إنجيسيار Le journal Egyptien) وهي صحيفه الخديو ولسان السرای^(٤) وهي ذات

(١) المصدر السابق ص ١١ - ١٣

(٢) المصدر السابق ص ١٧ - ١٨

(٣) المصدر السابق ص ٤٢ - ٤٣

(٤) Blunt: My Diaries . p. 135

علاقة طيبة مع القنصلية الفرنسية وفي كفاح مستمر للاحتلال، وقد ساء الإنجليز موقفها فشككوا أمرها إلى إيطاليا، وكانت إيطاليا تحرص على صداقتها بريطانيا أشد الحرص في ذلك الوقت فتدخل فنصل إيطاليا ونفي أحد أصحابها ومن ثم فقدت الصحيفة أهميتها واحتجمت سنة ١٨٩٦ (١)

أحدث إغلاق (لوبوسفور) فراغاً كبيراً بين الصحافة الفرنجية في مصر إذ بقيت (ذى إجبشيان جازيت) وحدها لا تعارضها صحيفة من الصحف الفرنجية حتى أنشأ Barriere Bey (L' Echo d'Orient) في سنة ١٨٩٦ جريدة (ليكودوريان) لتجل محل صيفته الأولى (لوبوسفور) وهي صورة مماثلة لها في الشكل والموضوع غير أن (ليكودوريان) كانت أكثر انتشاراً لانخفاض ثمن الصحيفة إلى خمس مليمات، وقد مالت الجريدة إلى جانب الأرمن في بلاد الدولة العثمانية ودافعت عنهم دفاعاً مجيداً ساء الحكومة التركية وأثر في عامة المصريين (٢) فأخذ يضم حل شأنها، وأنشأ صاحبها بدلاً منها جريدة (Courrier D' Orient) في سنة ١٨٩٨ معارضة كسا بقائها للاحتلال ورجاله، وكانت تمثل للخديو وتعمل لحسابه غير أنها لم تعم طويلاً فأغلقت بعد ثلاثة شهور من ولادها.

ثم تبدأ الحركة الوطنية بقيادة مصطفى كامل وتقف معظم الصحف الفرنجية إلى صف هذا الفتى المتهمس لوطنه وتصبح في أكثرها صحفاً موالية للحركة الوطنية وإن كان بعضها كثير التقلب كجريدي (أوجورنال إجبشيان ولوبروجريه) فتبعد الأولى اتجاه السrai في تذبذبها، فيوماً مُجرت في تيار الوطنيين ويوماً خالفت اتجاههم؛ وأما الثانية فكثيراً ما حملت على المصريين وزعمت أنهم متغصجون، ومقاتلاتها الشيخ على يوسف وحملتها عليه وحضر الحكومة على مضايقتها دليل على سوء موقفها من رجالات مصر (٣) وكان الشيخ على يوسف هدف الصحف الفرنجية كلها عارضت الحركة الاستقلالية وكان في اعتبارها أخطر على الآجانب في مصر من (اللواء) والحزب الوطني

(١) 39— Munier. p. 35

(٢) المصدر السابق من ٥١—٥٤

(٣) لوبروجريه ٣٠ سبتمبر ١٨٩٦

وكان ألم خصوماته مع الإيطاليين خاصة، ومقالات (الكوريري إجيزيانو) (Corriere Egiziano) وحملتها عليه عنوان هذه الخصومة المتصلة (١).

تم تكفلت جريدة (Les Nouvelles Egyptiennes) لصاحبها جورج دوماني في سنة ١٩٠٧ بالحملة على إدارة المصريين وأحكام قضائهم ومؤآذنة العاملين على كفاح الإنجليز، وكان لهذه الحملة أثرها على المحرر إذا صدر حكم قضائي بحبسه ثلاثة أشهر غير أن هذا الحكم لم ينفذ لاحقاً دوماني بالامتيازات الأجنبية (٢) وفيما خلا (ذى أجنبية جازيت) وزميلتها (ذى أجنبية ميل) وبعض الصحف الفرنجية القليلة الأخرى فإن الصحافة الفرنجية في مصر نافست الصحافة العربية في التحمس للرأى العام المتطرف ومخاصيه الاحتلال ورجاله وإن تأثرت بعض هذه الصحف بحوادث طارئة فانحرفت وقتاماً عن اتجاهها، مثل ذلك موقف (لوفاردالكسندرى Le Phare d'Alexandrie) من مصطفى كامل فقد كانت من أشد أنصاره إلا أنها همت عليه وعلى المصريين حين دعا إلى تعليق جلاء الترك عن اليونان على جلاء الإنجليز عن مصر وذلك لأن صاحبها من اليونان (٣) ومن الأمثلة على انحراف هذه الصحف الموالية بعوامل طارئة موقفها المتباين أثناء الخلاف القبطي الإسلامي فقد كانت تراه خطراً يهدد الآجانب في مصر.

وبين الصحف الفرنجية التي نشأت في مصر صحف أنشأها الوطنيةون، فقد أسس مصطفى كامل في نوفمبر سنة ١٩٠٦ شركة مساهمة لإصدار جريدة تين فرنجيةتين رأس مالهما عشرون ألف جنيه مصرى اكتتب فيها صفوة المصريين ، واضطرب لهذه الفكرة اللورد كرومر ودفع صحفه إلى الجملة على المشروع، غير أن ذلك لم ي محل دون ظهور (The Egyptian Standard) الأولى في مسامي ٢ مارس سنة ١٩٠٧ والثانية في صباح اليوم التالي . ويقول مصطفى كامل باشا عن

(١) السکوریتی اچیزپا نو ف ۰۱ ستمبر ۱۹۰۱

(٢) راجه اللواء ٣٠ مارس ١٩٠٩

(٣) لوفارد الْكَسْنِدْرِي في ٤ مارس ١٨٩٦

خطة هاتين الجريدين «إن قصدنا من تأسيس هاتين الجريدين هو إحاطة العالم المتعدد وكافة الذين يهتمون بشئون مصر علماً بخطتنا الوطنية التي غير خصوصها شكلها وقلبوا حقيقتها وأظهر ونا من يجهلون لغتنا كأننا ننادي بالبغضاء والتعصب الذي فتح جثنا اليوم نكذب بصورة قطعية هذه التهم الدينية ونشتت العالم كله أن مطلبنا الوحد بل مطلبنا العالى السامي هو أن نرد لمصر مكانة في العالم تليق بتاريخها وماضيها ومرّتها»^(١) ولم تعمد الصحفتان الفرنجيتان الوطنيةتان لأن مذهبهما اقضى في سنة ١٩٠٨ ولأن أزمة مالية حادة اعترضت حياتهما، كما أن الآجانب انصروا عنهم^(٢) ولم تنجح التجربة، وقد حاولوا الوفد المصرى بعد الحرب العظمى فلم يوفق.

وقد وجدت الصحافة الفرنجية بعد الحرب العظمى الثانية متسعاً لحياتها فاشتعلت كما وكيفاً وأصبح عددها مائة وإحدى عشرة صحيفة بين يومية وأسبوعية وشهرية وبين سياسية واقتصادية وزراعية وأدبية ودينية وطنية ورياضية وقضائية ومدرسية وللبورصة، وهي في لغات متباينة بين إنجلزية وفرنسية وإيطالية ويونانية وملطية وأهم هذه الصحف جميعاً صحفيتان فرنسيتان هما (لابورص أجبسين La Bourse Egyptienne) و (لو جورنال ديجيت Le journal d'Egypte) ثم صحيفة إيطالية هي (الكوريري ديتاليا Corriere d'Italia) انتهى أمرها بعد دخول إيطاليا الحرب الأخيرة. وقد تطورت هذه الصحف قبيل الحرب الماضية إلى صحف مصالح بعد أن كانت من قبل صحف رأى وفكرة، وأصبح اتجاه الصحف السياسية منها اتجاهها يتصل بمصالح الدول المتباينة، وهي تمثل النشاط السياسي والفكري والاقتصادي لتلك الدول.

(١) من خطبة مصطفى كامل في فندق الكوتنفال في ٢ مارس ١٩٠٧ احتفالاً بظهور الجريدين

(٢) وزارة الداخلية دوسيه رقم ٥

الصحافة المصرية في الخارج

شهدت مصر في عهد محمد علي عناية خاصة بالصحافة الرسمية ، وقد اتصل إنشاء هذه الصحافة بإنشاء النظم الجديدة ، وقد تطورت الصحف الرسمية بتطور هذه النظم حتى أصبحت فيما بعد ركناً من أركان السياسة العامة أو غرضاً من أغراض الحكم ، واستطاعت هذه الصحف أن تؤدي رسالتها وتحقق الأمل فيها بحيث أصبحت فوائدها تغرس بالاستزادة منها في مصر وخارجها ، وقد ساير إنشاء الصحف الرسمية اتساع في الإمبراطورية المصرية ليس هنا محل تفصيله ، غير أنه يعنيانا في تلك الإمبراطورية جزيرة كريت وهي إحدى الممتلكات المصرية منذ حرب المورة في سنة ١٨٢٢ ، وذلك لارتباط إحدى الصحف بها ، فقد شهدت كريت نشاطاً صحفياً ملحوظاً دون ولايات البشا المتعددة ، مصدره هذا التنظيم الرايع لحياة هذه الجزيرة وسكانها ، إذ أنشأ البشا المجالس فيها « ليتم لجزيرة رخاؤها وعمرانها فتصبح بهجة الديار وموضع حسد الأقدار وغبطه الأقطار » وهو يعني بتغيير رجاله القادرين على سياسة الجزيرة وأهلها كعثمان نور الدين بك رئيس الجمهادية ، التاجر بأصول الإدارة الأوربية ، ليشرف على تأسيس المجالس المذكورة من المسلمين والمسيحيين الذين ستلقى إليهم أمور البلاد الخاصة « بالأحوال الشخصية الموافقة للشرع ودعوى الحق وصالحهم » ، ومع أن وظيفة هذه المجالس استشارية إلا أن ذلك لم يحل دون نظر أعضائها في الأمور الإدارية وكل ما يتصل بالعرف والقانون على أن تطبق « الأصول الجزرية والكلية » (١) وقد أنشأ البشا هذا النظام الجديد في كريت بوحي من « الأصول المصرية »

(١) محفوظات عابدين وثائق رقم ٤٥٧ و ٤٥٩ و ٤٦٠ دفتر رقم ٤٠ معية ترك

ضم رأى أن يكون لهذا النظام سجل يماثل الواقع المصري فبعث إلى مصطفى باشا محافظ كريدي يذكر له أنه «قد تقرر طبع الوقوعات الواقعية في كريدي على أن تكون جهة منها تركية العبارة وجهة منها رومية اللهجة»^(١) وينبئه أن حروف القسم التركي قد أعددت إعداداً متقناً، وسترسل إليه في أقرب الأوقات غير أن الجناب العالى يبين له المصاعب الناشئة عن هذا الموضوع وخاصة الحروف الرومية إذ أنه لم يتمكن «من إعداد حروف القسم الذى سيكتب رومى العبارة» غير أنه أوصى بابتداها وإعدادها، وهو لا يمهله حتى يرسلها عثمان بك بل يرجو من همته «أن تبحثوا عنها وتبقىوا طائفتين من الحروف الرومية المتقنة إما من تلك الديار وإما من المورة»^(٢).

وقد يبدو أن «واقع كريدية» كما كانت تسمى صحيفه خاصة بكريدي وليس لمصر فيها سهم عملى أللهم إلا الحاكم الذى يجمع بين البلدين، ييد أن الوثائق قد أثبتت أن حروف المطبعة التركية صنعت في مصر قطعاً وإن لم يؤكده أمر البasha السابق أن أحد البلدين قد اختص بعمل الحروف الرومية فقد ترك الأمر للاجتهد في الحصول عليها من مصر أو كريدي أو بلاد المورة، وبجانب إعداد المطبعة وتغذيتها بالحروف أرسل من مصر «على أفندي جام إلى كريدي لخدمة الواقع الذى ستطبع فيها «كاعين» على أفندي الفندره لي معاوننا له لاحتياجه إليه» وهو أحد موظفي الواقع المصرية وقد صار أخذه من غرفة الواقع لمعرفته أصول الطبيع، ثم ربط ديوان الخديو لهذه الموظفين الراتب الذى يسمى حقانه سواء من القرش أو الخبز أو اللحم أو الأرز أو السمن غير اللباس في فصول السنة المختلفة^(٣).

وإذن تكون الحكومة المصرية هي التي فكرت في الواقع الكريدية وهي

(١) كان البasha يرى تسميتها شجرة زيتون . تقويم النيل ج ٢ ص ٣٧٢

(٢) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٤٨٠ دفتر ٤٠٠ ممیة تركى في ٥ ربیع الآخر ١٢٤٦

(٣) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٧٥٩ ديوان الخديو في ٨ ربیع آخر ١٢٤٦

التي أمدت الصحفة والمطبعة بالموظفين المصريين وجعلت عمالها في كريد في خدمتها معاً ، وبالرجوع إلى هذه الصحفة يمكن تقرير حقيقة ثبت الآثار المصرية فيها ، فوكان كريد صورة مطابقة للواقع المصرية ثم هي إلى جانب نشرها أخبار الجزيرة ومجالسها نقلت عن الواقع معظم فصولها وأنبائها ، وسياستها العامة من تبطة أشد الارتباط بسياسة الواقع من حيث النظر إلى المسائل العليا والدعائية للوالى وأعماله ، وأيد ذلك العدد الرابع والثانون المحفوظ بدار السكتب المصرية .

بدأت الصحافة المصرية في الخارج صحافة رسمية ، ولم يطل أمرها لأن الولايات المصرية أو البلاد الخاضعة لمصر لم تكن حالتها الفكريّة تحتمل مثل هذه الصحف التي تقضي دواوين ومجالس وتقضي حياة اجتماعية نشطة كما كان الحال في مصر وكريد ، لذلك كانت « وقائع كريديه » بداية لصحافة المصرية الرسمية في الخارج ونهاية لها أيضاً . ثم انتقلت بثأة في عهد الخديو إسماعيل إلى صحافة متطرفة يصدرها أفراد ناقون على الخديو ورجال حكومته ، ويمثل هذه الصحافة في نشأتها يهودي مصرى يقال له يعقوب بن صنوح ، ويعقوب كاتب مختلف فنه عن كتاب الصحف في ذلك الوقت ، فهو ناقد من النقد ، قاس في أسلوبه وحواره ، لا يعرف قلمه حدوداً ولا قيوداً ، تتمثل فيه طبيعة المصرى إذا مزح أو سخر ، وفي صحفته مجلات الشخصية المصرية في أروع مظاهرها ، وقد عرفه المصريون جميعاً في المدن وفي أعماق الريف ، ولم تشهد الصحافة المصرية في مصر أو في الخارج معارضآ كيعقوب ابن رافائيل صنوح (أي المتواضع) .

وصنوح هذا من الأسرائيليين القليلين الذين قرموا إلى جانب التوراة الإنجيل والقرآن ، وهو من الصحفيين الذين استهونهم الفنون فتعلم في إيطاليا الرسم والنحت والموسيقى فأجادها جميعاً وكسب بها معيشته في مصر وازدلف بها إلى قصور الأمراء والباشوات حيث علمها أولادهم ، وأنشأ بثقافته صلات وطيدة مع هذه البيوتات ، ثم عمل في المسرح وأعجب به الخديو إسماعيل فسماه يوماً « موليير مصر » ، وله في

التمثيل مسرحيات مترجمة وموافقة ، جادة وهازلة ، وقد ضمّنها الملاحظة الدقيقة والسيخالية اللاذعة والبسمة الطبيعية والدمعة الصادقة . وفي أثناء عمله المسرحي وجد في مصر رأياً عاماً يميل إلى النضج فاتصل بالسيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وهمما قائدوا هذا الرأي ، وعليه درساً اللغة الفرنسية ، وكان للأفغاني رأى في إحياء الفكرة الحرة عن طريق الصحف ، فاتفق الثلاثة على إنشاء صحيفة هزلية يديرها صنفون ويخبر فيها الشيفخان بين آن وآن ، وفيها تقدّم أعمال الخديو وتشرح تصرفات بطانته ، ثم اتخذوا لها اسم نظارته الورقاء .

وقد صدر العدد الأول من هذه الصحيفة في مصر سنة ١٨٧٧ ، وهي فريدة في نوعها لا في مصر وحدها بل في بلاد الشرق جعماً ، فهي نوع من الصحف لم يعتد制作 المصريون ولم يروا له نظيراً من قبل ، وأسلوبها في أكثره دارج يجري بأمثال المواطنين وأقوال شيوخهم ، وفيها لون من التصوير (الكاريكاتير) بذل في إخراجها صنفون خلاصة ما تعلمه من فن ، ولقيت صحيفته الشعبية إقبالاً غريباً واستهوت الناس من جميع الطبقات ، وبلغ عدد مطبع من بعض أعدادها خمسة عشر ألف نسخة (١) ويدرك الدكتور محمد صبرى في كتابه عن تكوين الرأى العام المصرى أن جريدة صنفون شغلت قراءها عن الاستماع إلى مطرب العصر أحمد سالم حين دخل باائع الصحف ، فانصرفوا عن المطرب إلى قراءة الجريدة ، مع أن أحمد سالم كان يتزلم بأغنية من وضع أبي نظارة عنوانها (المضطهد) اتقى على غناه طها عشرة أيام في السجن (٢) . وما كان يمكن أن يحتمل إسماعيل وبطانته صحاوة من هذا اللون فأغلق جريدة يعقوب وعاجز أمر بقائه في مصر واستطاع أن ينسى موافقة إيطالي على نفسه . وكان صنفون محتمياً بها - فسافر أبو نظارة إلى باريس حيث أصدر جريدة باسماء مختلفة ؛ وقد اضطر إلى ذلك بعد أن حاربتها الحكومة المصرية وحضرت دخولها إلى مصر وحرمت المصريين قراءتها ، وكانت صحيفته

(١) ص ٦ Paul Baignières. L'Egypte Satirique

(٢) صبرى هامش ص ١٢٧ ، ١٢٨

تصدر في أول الأمر باللغة العربية ثم باللغة العربية والفرنسية وقد أصدرها مرة في ثمان لغات.

كانت جريدة (أبو نظارة) أول صحيفة مصرية في الخارج ولم تعيش في مصر إلا بضعة أشهر ثم مضى بها أصحابها إلى باريس حيث ينزل كل خصيم للسلطات المصرية، وهنا استطاع صنوع أن يلتقط وأن يعلن إنتاجه في صراحة المطمئن إلى فنه وعمله زهاء خمسة وثلاثين عاماً، وقد جعل خطة صحيفته « مصر للمصريين » وكانت تبيع في مصر وفي غير مصر من بلاد الشرق التي رحب بها ومنحته حكم ما تها من أجلها الأوسمة والنياشين (١) وقد ردها إلى اسمها الأول يوم ول شئون الحكم شريف باشا في عهد إسماعيل وتوفيق فكانت صحيفة توزع في مصر دون رقيب أو حسيب مع ما حملت من المعارضية القاسية والبزبية في بعض الأحيان.



ويمتاز صنوع في عمله الصحفي بباريس أنه كان الكاتب والمدير ومصور الجريدة وطابعها ، ولم يكن هذا الصحفي المصري خالياً من العلم بل كان رجلاً مثقفاً ، شاعرآ صادق الشاعرية ، قالت فيه لا جازيت دوبردو « إنه شاعر ونظيره للأمور وإن كانت مهمته إلا أنها عقيقة » وأعجبت به The Standard و The Morning Post .
ومن مجدنا سخريته المصرية البدائية ويقول عمدتنا في تاريخه بول دوبنير « إن له نواحي يعقوب بن صنوع صاحب جرائد أبي نظارة من الضعف ييد أن فيه نواحي من الجمال الحق وصفحات سماوية ذات قيمة وجدية بأن تلفت النظر » وكان أبو نظارة إلى جانب عمله الصحفي أدبياً يجيد اللغة الفرنسية

(١) طرزاي ، تاريخ الصحافة العربية ج ٢ ص ٢٨٥ - ٢٨٦

إجادة تامة وخطيباً لا يشق له غبار ومحاضرآ ساحراً، وله محاضرات هامة هزت الرأي العام الأولي، وخصوصيته ظاهرة جداً للإنجليز في هذه المحاضرات (١).

اضطر أبو نظارة إلى تغيير اسم صحيحةه الثني عشرة مرّة بسبب الضغط الشديد الذي فرضته الحكومة المصرية على صحفه سواء قبل الاحتلال أو بعده؛ وقد نجح بالرغم من المراقبة في تهريب بضعة آلاف إلى مصر بلغت عدد النسخ المهرية مرّة تسعة آلاف نسخة (٢) وكانت أكثر الأسماء معروفة لدى القراء « أبو نظارة زرقاً » وأبو « زمارة » و« أبو صفاراً » (٣) وكان المحرر ينشر كثيراً من المحادورات الزجلية الطريفة التي تصور حياة مصر وتحمل على خديوها وحكومة يقسّو فيها أسلوبه أحيااناً حتى يبلغ درجة الفحش الذي تتعفف عنه أكثر الأقلام إسفافاً، وكان يجانب هذا ينشر لواناً من النقد الاجتماعي في أسلوب معظمها عامي دارج دعا به إلى الرحلة والاستفادة منها « لأن الدنيا شبهوها الفلسفة بكتاب و قالوا اللي ما خرجش من وطنك كأنه ما قرأت إلا أول صفحة فقط » ثم يعطى الكاتب على مصر ساخراً من توكل أمته التي يظلمها الظالم ويقسّو بها الحاكم حتى إذا كادت تموت جوعاً كان احتجاجها « لك الحمد يارب دى إرادتك » وهكذا يستمر في نقده اللاذع الصادق وتصویره الرائع لنفسنا واستعدادها، آخذآ على مواطنه تلك الألفاظ التي لا تزال ترن في آذاننا ، ألفاظ التواكل والضعف والاطمئنان حيث لا ينبغي الاطمئنان (٤) ومن أهم المحادورات مدار « في جلسة سرية في جمعية الطراطير المشهورة بالضحك على ذقون العالم » وهي تصور مداولات

(١) Baignière. p. P 9. 18-38 106-109

(٢) النظارات المصرية ١٥ — ١ — ١٨٨٠ (الواد المرق وزيراً المشغل)

(٣) أسماؤها على التوالي : أبو نظارة زرقاً . رحلة أبو نظارة زرقاً . أبو زمارة

أبو صفاراً . الحاوي . الوطنى المصرى . النظارات المصرية . أبو نظارة . الرئادة المصرية . التودد . المنصف . العالم الإسلامي .

(٤) العدد السابع ص ٢

نظارة ذلك العهد ، وأظهر ما في هذه الجلسة حملته على المفتى واتهامه بالإثارة من الرشا ، ثم يعجب لتدخل دول أوربا الصغيرة والكبيرة في شؤون مصر حتى استأنف ملك إيطاليا ، وهو ابن أمباجي اللي لسه ما طلعش من قشرة البيضة ،

وصحف أبي نظارة وإن كانت اللغة العامية تستغرقها إلا أن بعض أعدادها لم تخل من مقالات عربية فصيحة في أسلوب مسجوع ييد أنه غير مل لأهل ذلك الزمن وخاصة العامة منهم الذين ربما لا يفهمون منه شيئاً ولكننه يرن في آذانهم فيشنفها ويملاهم رضاء وأمنا ، مثل ذلك رسالة « الشفعاوى المحترم » التي يتهم فيها «شيخ حارة وادى النيل» بالظلم والعدوان ويحمل عليه في مقالات متتابعة استغرقت عدة أعداد منها (١) . وأهم صحفه أربع ، الأولى — النظارات المصرية وهي « جريدة تارikhية علمية تحرير مصر واسكندرية » ، والثانية جريدة — أبو صفار — وهي جريدة « هزلية أسبوعية لأنبساط الشبان المصرية يحفظهم رب البرية من المظالم الفرعونية مذنثها بحب الاستقلال والحرية » ، ثم جريدة « الحاوى الكاوى اللي يطلع من البحر الداوى عجائب النكت للكسلان والغاوى ويرمى الغشاش في الجب الهاوى » ، وأخيراً جريدة — أبو زمارة — ولو لا تغيير الاسم الذي فرضه تصريح الحكومة المصرية واحتياط صاحبها بهذا التغيير على تحقيق مأربه لظن القارئ أنه يقرأ صحيفه واحدة من سلسلة الأفكار متسلقة الصور سواء ما كان منها في المعانى أو الرسوم الكاريكاتورية البدية

وقد أصدر يعقوب إلى جانب صحفه المازلة صحيفه جادة في إنذن سماعها « مرآة الأحوال » ، وهي رجم الصدى لما في صحيفته الباريسية من الحدة والعنف غير أن موضوعاتها أكثر اتزاناً من حيث الدراسة العلمية للمسائل السياسية ومن حيث الأسلوب العربي الفصيح ، وأكبر الظن أن هذه الصحيفه كانت مجالاً لأصدقائه في مصر المتبرعين من الخديو وشيعته ، ولم تعمر هذه الصحيفه طويلاً إذ وقف نشاطه على صحيفته الهزلية فكانت عليه أجدى وهو مما جدير .

(١) رحلة أبي نظارة زرقاء . العدد الرابع .

كان يعقوب بن صنوع أول مصرى ينشر صحيفة حررة في الخارج، وقد ضرب المثل الطيب في نجاحه واستثار باعجاب المصريين، وقد بيّن وحده في فرنسا إلى أن زامله أديب أسيح في عهد الخديو توفيق، فقد أغلقت صحفته «مصر والتجارة»^(١) بقرار وزارى، وكان أديب أسيح من أنصار شريف باشا والوطنيين خصوم رياض باشا ناظر النظارة فأوزعوا عليه بالسفر إلى فرنسا والاقتداء بيعقوب بن صنوع وكلفوه نشر صحيفته في باريس حيث تكون لسان حالهم على أن يتکفلا هم بتوزيعها في مصر، وقد استطاع تحقيق رغبهم وتمكن أصدقاؤه من توزيعها بالرغم من سلطان رئيس الحكومة وعيونه من رجال الإدارة^(٢)

طبعت صحيفته (مصر القاهرة) في «باريس تحت سماء الحرية»، لنشر «ما يعود بالنفع على البلاد العربية»، وهي جزء متمم لجريدة مصر التي كان يصدرها في القاهرة من حيث الغاية والتقدير للأمور المصرية في أسلوبه الممتاز حقاً الغنى بالجمال الفنى الملموء بروح الكفاح، وهو يعلن خطتها في قوله «أروم مقاومة الباطل ونصرة الحق والمدافعة عن الشرق وأله وعن الفضل ورجاله وأوضح معایب اللصوص الذين نسميهم اصطلاحاً (أولى الأمر) ومثالب الخونة الذين ندعوه هم وهما (أمناء الأمة) ومفاسد الظلمة الذين نلقبهم جهلاً (ولاية النظام) ومقصدى أن أثير بقية الجماعة الشرقية وأهيج فضالة الدم العربي وأرفع الغشاوة عن أعين الساذجين ، وأحيي الخير في قلوب العارفين ، نتعلم قومي أن لهم حقاً مسلوباً فيلتمسوا وما لا منهوا باً فيطلبواه، وليخرجوها من خطأ الخسف وينبذوا عنهم كل مدلس يشتري بحقوقهم ثمناً قليلاً ، ويذوقوا العذاباً وبيلاً ، وليس صغيراً الأنفس والنفاذ فى جنوب حقوقهم وليس متيمتوا فى مجاهدة الذين يبيعون أيدانهم وأموالهم وأوطانهم وآدمهم ، إلى أن يقول «فن قتل دون دمه فهو شهيد ومن

(١) الوطن في ٢٢ نوفمبر ١٨٧٩

John Ninet : Arabi Pacha P. 38: (٢)

قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد ومن عاش بعد هؤلاء
الشهداء فهو سعيد ، (١)

وتسليغ حدة المزاج هذا الأسلوب كما تظهر خطة الجريدة واضحة صريحة ،
فقد وقف الكاتب قوله على إثارة « الحمية الشرقية وإهادة فضالة الدم العربي » وهو
يرى الشرق كله جزءاً واحداً ويسمى أهله « قومي » وهي نظرة كانت تراها مصر
بأثرها في ذلك الوقت وينادي بها كثير من أدبائها وساستها وصحافتها . بيد أن
أسلوبه هنا كان أروع وأبلغ الأساليب المصرية التي رأيناها في صحافة مصر جميعاً
فقد صدمتنا بعض صحف ذلك العصر بالفظها الحوشى وعباراتها الغريبة ، ولا يقاس
أسلوبها مما يرتفع بأسلوب أديب في فرنسا ، وهو أسلوب واضح لا ركاك فيه
صحيح العبارة مستقيمها .

وعلى القدر الذى تستحق به هذه الجريدة من حيث الأسلوب والمعانى فهى تمتنان
بالحرية فى باريس ، فقد مضت تحمل على رياض باشا حملات شديدة ، قاسية ، ولقيت
الدول الأوروبية من قلمه شدة وعنفأدون أن يكتب بالفظ خارج عن الأدب الصحفى
ولأن لم يستطع لها هذا القلم مرة واحدة بل روشه صاحبه على أمور ثلاثة : منهاجمة
حكومة رياض والحملة على الدول الأجنبية ثم الدفاع عن القضية الشرقية . ولم يطل
عهد صحيفة (مصر القاهرة) فقد صدرت شهرية فى أول الأمر ثم أصدرها صاحبها
 أسبوعية ، وبذل فيها أديب من روحه وقوته بذلاً أضناه فقد كان يحررها ويكتب
صحفها جميعاً ، ويكتتب بها بخط يده أو بخط مساعدته عبد الله مراد وهو على شىء من
الاستعداد الأدبي وجمال الخط ، ثم يطبعها وزميله على الحجر كاكان يصنع يعقوب
ابن صنوع من قبل (٢) وقد أدى هذا الجهد المتصل إلى مرض صاحبها ثم تهافت
الظروف له بولاية شريف رياضة الحكومة فعاد إلى مصر وواصل عمله الصحفى
بحانب إحدى الوظائف الهاامة التي ألقى بها .

(١) مصر القاهرة . العدد الأول ١٨٨٠

(٢) طرازى . ج ٢ ص ٢٥٨

وقد دعا الخديو إسماعيل صديقه إبراهيم المولى إلى نابولي ثم أمده بالمال ليشنى صحيفه (الخلافة) سنة ١٨٧٩ تزود عنه وتدافع خصوصه وتندد بالأجانب وأعد المهم في مصر^(١) ويمضي إبراهيم المولى على خطأ صنف فيلشنى صحيفه (الأنباء والرجال) في باريس وإن لم تعمرا طويلاً أو يكون لها ما كان (للخلافة) من شأنه.

لم تعش إذن من الصحف في الخارج إلا صحيفه أبي نظارة بينما كانت الأحداث في مصر تترى والأمور فيها تزيد حرجاً وتشهد البلاد حرثاً تهوى باحتلال الانجليز لها وإعدام بعض زعمائها وسجين البعض الآخر، وكان بين هؤلاء السجناء الشيخ محمد عبده الذي رأت الحكومة نفيه فقضى إلى سوريا وبق فيها سنتين، وكان صديقه وأستاذه السيد جمال الدين الأفغاني بعيداً عن مصر غير أنه سافر إلى أوروبا في سنة ١٨٨٤ فأرسل إلى الأستاذ الإمام كتباً يدعوه فيه إلى السفر في أعقابه^(٢) والتقي الاثنين في باريس وهناك دار بخلدهما إصدار جريدة (العروة الوثقى)

وتذكر (صحيفتنا) أن « مدير سياستها السيد جمال الدين الأفغاني ومحررها الأول الشيخ محمد عبده » ويدومن افتتاحية العدد الأول أن الاتجاه الديني فيها يغلب كل اتجاه آخر « فإن رابطتهم المالية (يقصد المسلمين) أقوى من روابط الجنسية واللغة » وإذا كان الدين في العروة الوثقى له المكان الأول فإن محرر الجريدة لا ينسى وطنه إذ أن « الفجيعة بمصر حرّكت أشيجاناً كانت كامنة وجددت أحزاناً لم تكن في الحسبان وسرى الألم في أرواح المسلمين سريان الاعتقاد في مداركهم »

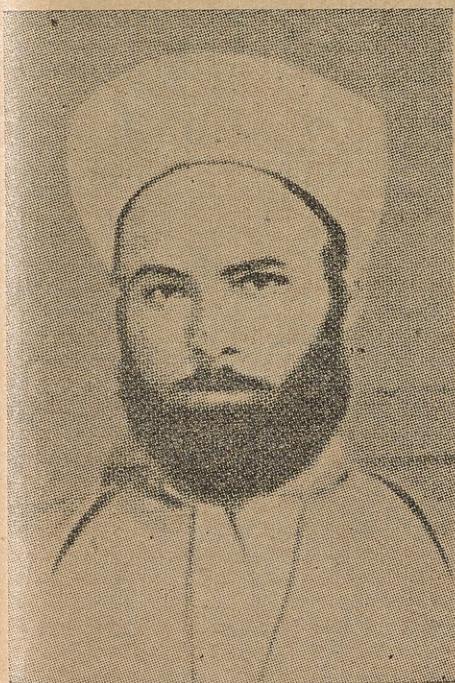
(١) الراهن . عصر إسماعيل ج ١ ص ٢٧٢ والاسلام والتجديد في مصر ص ٣٢ والمنار ج ٢٢ ص ٢١٠

(٢) تاريخ الأستاذ الإمام ج ١ ص ٢٨٢



الأفغاني

وهو يخلص من وصف هذه الآلام إلى تحذير الإنجليز وترويعهم ، ولا نأمن أن
يصير التنفس — يقصد تنفس المسلمين — زفيرًا بل نفيرًا عاماً بل يكون صاخة
تمزق مسامع من أصمّه الطمع ،



الشيخ محمد عبد العزير العروة الوثقى

ويتجدد المحرر عن منهج
الجريدة وخطتها مبيناً أنها ، ستأتى
في خدمة الشرقيين على ما في الإمكان
من بيان الواجبات التي كان التفريط
فيها موجباً للسقوط والضعف
وتوضيح الطرق التي يجب سلوكها
لتدرك ما فات والاحتراس من
غوايل ما هو آت ، ثم يلتفت الكاتب
إلى طبقة الموسرين فيفرض على
الجريدة ، أن تكشف الغطاء ما
استطاعت عن الشبهة التي شغلت أوهام
المترفين ولبسست عليهم مسائل الرشد
وتزيح الوساوس التي أخذت بعقول

المتعمين حتى أورتهم اليأس إمن مداواة علاتهم وشفاء أدواتهم ، وتعنى العروة
أشد العناية بدفع ما يتهم به الغربيون الشرقيين عامه والمسلمين خاصة ثم ، تراعى في
جميع سيرها تقوية الصلات العمومية بين الأمم وتمكين الألفة في أفرادها وتأييد
المنافع المشتركة بينها والسياسات القوية التي لا تميل إلى الحيف والاجحاف
بحقوق الشرقيين .

وسياسة (العروة الوثقى) سياسة عالية إن صحت التعبير فقد أثبت إلا في النادر
أن تمس شخصاً من الأشخاص مهما يكن بينها وبينه من سخيمة أو موجهة ،

وهي إن اضطرت إلى الخلاة على فرد من الأفراد لاتسف إسفاف زميلتها (أبي نظارة) بل تحمل في أسلوب عف ومنطق سليم، لذلك كانت العروة الوثقى لربناً أدبياً لمصر لا ينكر فضلها، وإن ما كتبه فيها الأفغاني والأستاذ الإمام يعتبر في ذمة التاريخ أفضل ما كتب عن مصر والسودان من وجهة النظر المصرية، وهي تمتاز بخليفة تفكيرها وإخلاصها في الدفاع وصدق عاطفتها وحرارة بيانها كما تتميز بالمعانى الاجتماعية والسياسية الرفيعة، وقد أثر الزمان والمكان في الكتابتين العظيمتين فكان انتاجهما فيها خيراً مما عرف عنهما من انتاج.

وقد أجمع المؤرخون على أن العروة الوثقى اتخذت سياسة العنف مع إنجلترا، ونحن لا نذكر على هؤلاء المؤرخين هذه الحقيقة، فقد كانت مقاصد العروة الوثقى الجامحة الإسلامية تمثل الرابطة الشرقية وأخيراً المسألتين المصرية والسودانية، وقد ذكرت الجريدة في غير موضع أن حل المسألة المصرية برمتها من جده أولاً إلى الدولة العثمانية صاحبة الحق الشرعي في مصر وإن كان أمر مصر يهم الدول الأوروبية جميعاً وخاصة فرنسا ثم روسيا التي يعتمد المصريون عليهم في تحقيق أماناتهم واستقلالهم، وهي مع ذلك ترى أن صداقاة الإنجليز أمر لا بد منه لوجود قياد السويس في طريق الهند، وهي تقرر أن الإنجليز أمة طامعة بيد أنها ليست من السوء بحيث لا تجوز معها صداقاة فإن الإنجليز يراعون طبيعة العمران وتطور الزمان (١).

وقد أخذ على العروة الوثقى تطرفها الديني ولكنها دافعت في عددها الثامن عن وجهة نظرها وأبى أن تقر خصومها أعلى وصفها بالتعصب الديني، فذكرت أنها بدفعها عن المسلمين أحياناً لا تقصد الشقاق بينهم وبين من يجاورهم من البلاد ويتفق معهم في المصالح ويشاركون المنافع أجيالاً طويلاً، وإنما غرضها من هذه الحماسة المتقدفة تحذير الشرقيين عامة والمسلمين خاصة من الأجانب الذين يفسدون

في بلادهم ، وأن الجريدة إنما تخوض المصريين بالذكر أولاً لأن الأنجليزين غدروا بهم وأذوا أهلاً واستأثروا بجميع خيراتها^(١) ومحرر العروة الوثقى أبعد الناس عن التعصب الديني وله في ذلك الموقف المأثور فيه صديق لـكثير من المسيحيين لا يفرق الدين بينهم في المصالح الوطنية ، فقد بني صداقة وطيدة مع أديب اسحق ويبدو ذلك واضحاً وهو ينشئ في العروة الوثقى . وكذلك أقام دلائل الود مع يعقوب بن صنوع وقد ذكرنا ذلك من قبل ، وقد دافع عن بطرس باشا غالى يوم طعنـت فيه بعض الجرائد المصرية ونسبـتـ اليـهـ التـعـصـبـ لـلـقبـطـ فـيـ بـعـضـ أـعـمـالـهـ وـكـانـ الأـسـتـاذـ يـوـمـنـ هـنـفـيـاـ فـيـ سـورـيـاـ^(٢)

ثم هو يعني في جريـدـتهـ بـالـمـسـأـلةـ الشـرـقـيـةـ وهـيـ تـجـمـعـ بـيـنـ الـمـسـلـمـ وـغـيـرـ الـمـسـلـمـ ، وـكـلـ ماـ كـانـتـ تـرـجـوـهـ العـرـوـةـ الوـثـقـىـ إـعادـةـ الـحـكـمـ الـإـسـلـامـيـ وـالـنـظـمـ الـدـيـنـيـةـ إـلـىـ مـاـ كـانـتـ عـلـيـهـ مـنـ الطـهـارـةـ وـالـعـدـلـ وـالـكـالـ فـيـ عـصـورـهـاـ الـأـولـىـ بـتـأـسـيسـ حـكـوـمـةـ إـسـلامـيـةـ عـلـىـ قـاعـدـةـ الـخـلـاقـةـ الـراـشـدـةـ فـيـ الدـيـنـ وـمـاـ تـقـضـيـهـ حـالـةـ الـعـصـرـ بـمـجـدـ الـاسـلـامـ فـيـ أـمـوـرـ الـدـنـيـاـ وـيـتـبـعـ هـذـاـ إـنـقـاذـ الـمـسـلـمـيـنـ وـغـيـرـهـمـ مـنـ الـشـرـقـيـيـنـ مـنـ الـاستـعـهـارـ وـذـلـكـ ، وـمـنـ أـهـمـ أـغـرـاضـ الـعـرـوـةـ إـنـقـاذـ مـصـرـ مـنـ الـاحـتـلـالـ وـالـسـوـدـانـ مـنـ الـفـوـضـىـ^(٣)

وـقـدـ اـسـتـقـبـلـتـ الـعـرـوـةـ الوـثـقـىـ فـيـ الـبـلـادـ الـإـسـلـامـيـةـ أـحـسـنـ اـسـتـقـبـالـ ، وـلـاـ عـجـبـ فـيـ ذـلـكـ فـيـانـ لـاصـاحـبـهاـ فـيـ عـالـمـ الـدـيـنـ وـالـأـدـبـ وـالـسـيـاسـةـ الـقـدـرـ الـمـعـلـىـ ، وـقـدـ أـحـسـ خـطـرـهـاـ الـإـنـجـلـيـزـ قـبـلـ صـدـورـهـاـ ، وـهـاجـتـ لـفـكـرـهـاـ حـمـاـفـهـمـ ، وـفـذـلـكـ تـقـوـلـ الـجـرـيـدـةـ فـيـ الـعـدـدـ الـخـامـسـ «ـعـزـمـنـاـ عـلـىـ إـنـشـاءـ جـرـيـدـتـنـاـ هـذـهـ فـعـلـمـ بـذـلـكـ بـعـضـ مـحـرـرـيـ الـجـرـائـدـ الـفـرـنسـاـويةـ فـكـتـبـوـاـ عـنـهـاـ قـبـلـ صـدـورـهـاـ غـيـرـ مـيـنـيـنـ لـمـشـرـبـهـاـ وـلـاـ كـاشـفـيـنـ عـنـ حـقـيقـةـ سـيـرـهـاـ فـلـمـاـ وـقـفـ عـلـىـ الـخـبـرـ مـحـرـرـوـ الـجـرـائـدـ الـإـنـجـلـيـزـيـةـ الـمـهـمـةـ أـخـذـهـمـ الـحـدـةـ .ـ .ـ .ـ وـأـنـذـرـوـاـ حـكـوـمـهـمـ بـمـاـ تـقـوـرـ هـذـهـ الـجـرـيـدـةـ فـيـ سـيـاسـةـ الـانـكـاـيـزـ وـنـفـوذـهـاـ فـيـ الـبـلـادـ

(١) العروة الوثقى في ١٨ رجب ١٣٠١ هـ ١٨٨٤ مـاـيـوـ

(٢) الأستاذ الإمام ج ١ ص ٢٨٩

(٣) العروة الوثقى ٢٢ جمادى الآخرة ١٣٠٢ هـ

الشرقية . . . وأحوالاً عليها أن تعدد كل وسيلة لمنع الجريدة من الدخول في البلاد الهندية والبلاد المصرية بل تظرفوا فنصحوها أن تلزم الدولة العثمانية بالحجر عليها ^(١) . وقد نجحت فعلاً السلطات الإنجليزية في منعها من دخول الهند ومصر ، أما الأخيرة فقد ذكرنا تفاصيل ذلك في فصل سابق ^(٢) وقد ذكرت خطتها نحو مصر بهذه المناسبة قائلة « هذه جريدة قامت بالدفاع عن المصريين والاستنجاد لهم ولها سعي بل كل السعي لخيبة آمال أعدائهم ولا ترى من مشربها مدح زيد ولا القدح في عمرو فإن المقصود أعلى وأرفع من هذا وإنما عملها سكب مياه النصح على طب الضغائن لتلاقى قلوب الشرقيين عموماً على الصفاء والوداد ، تلتئم من أبناء الأمم الشرقية أن يلقوا أسلحة التنازع بينهم ويأخذوا حذتهم وأسلحتهم لدفع الضوارى إلى فجرت أفواهها لاتهامهم » وتحدث عن السياسة الداخلية فقططلب الانصراف عنها مؤقتاً ، ومن رأيهما أن الأشتغال بداخل البيت إنما يكون بعد الأمان من طرق الناھب ، هذا منهج العروة الوثقى عليه كل مطابع على ما انشر فيها من يوم نشأتها إلى الآن فكيف يخطر ببال عاقل أن شرقياً مسلماً أو غير مسلم يميل لحجتها عن دياره ؟ ولكننا نعلم أن حركات الأمراء في القطرانى هذه الأيام قوية لا يخالفها شيء من الاختيار والمدبر لرحى القهر عليهم هم عمال الانكليز ، إلى أن تقول « ولا نزيد أن نقول للإنكليز إنهم ظلموا في هذا الحكم فإن الجريدة لم يوجد فيها إلى الآن ما يزيد على ما تنشره الجرائد الوطنية والأجنبية » ثم تختتم حديثها بقولها « فلا غرابة في صدور مثل هذا الجور منها غير أنها نuhan لها أن هم الرجال لا تقددها أمثال هذه المظالم وليس يعجزنا إدخال هذه الجريدة في كل بقعة تحوطها السلطة الانكليزية ، ذلك بعزم أولى العزم الذين قاموا بإنشاء العروة الوثقى » ^(٣) .

(١) العروة الوثقى ١٠ أبريل ١٨٨٤

(٢) الوقائع المصرية ١٥ مايو ١٨٨٤

(٣) العروة الوثقى ٢٢ مايو ١٨٨٤

نقلنا فقرات طويلة مما أذاعته (العروة الوثقى) بعد مصادرتها في مصر لنبين منها خطر الصحيفة من حيث نظر السلطات إليها ولتجمل فيها بعض غاياتها التي تخللت سطورها وهي تتفق بكراهيتها للتعصب وبعد هاجسها ثم توضح ترفعها عن التحدث في الشخصيات وإكبارها لنفسها من أن تسف إلى هذا الدرك . غير أن (العروة الوثقى) تتطرف في حملتها على الحكومة المصرية عقب القرار الخاص بمصادرتها وتدعو علانية إلى وسائل العنف وتشجع أن يكون بين المصريين من يستطيع ولو بأقصى الوسائل إبطال هذه الصفة ونقض هذه البيعة . وهي تقصد صفة القرض التي كان يتفاوض فيها نوبار باشا . ويكشف لهذا الوزير « وللمغزرين أمثاله حقيقة الوطنية ويرفع الحجاب عن واجبات المالية لا حول ولا قوة إلا بالله ، إن المولعين بحب الحياة يقضونها من خوف الذل في ذل ويعيشون من خوف العبودية في العبودية ويتجرون مراراً سكرات الموت في كل لحظة خوفاً من الموت ، لا الدين يسوقهم إلى مرضاة الله ولا الجماعة الوطنية تدفعهم إلى ما به خمار بني الإنسان » (١) وهذا لون من المعارضه التي قل مشيلماً في في أعدادها جمِيعاً ، وقد صدر من العروة الوثقى ثمانية عشر عدداً بلغ فيها أدب الشیخ محمد عبده الذروة من حيث قوة العبارة وروعه الأسلوب ودقة المعنى ، وقد أفلت في ٢٦ ذى الحجة عام ١٣٠ الموافق ٢٦ أكتوبر ١٨٨٤ وعاد بعد ذلك الأستاذ الإمام إلى مصر وشغل بعض المراكز الكبيرة كمنصب الإفتاء أو التدريس في الأزهر أو المساهمة في المجالس النيابية .

لم يعد للصحافة المصرية من أثر في الخارج إلا صحيفة يعقوب بن صنوع ولم يكن له أى أمل في العودة إلى بلاده فكانت صحفاً وثيقة اتهام له سواء أمام الاحتلال أو الحكم الشرعي لمصر ، وقد أتيح للصحافة ورجال الرأي في مصر من الحرية ما يسمح لها وطم بالحياة والتقدم ولم يكن هناك داع لأن يقوم جهاد الوطنين على صحف تصدر في الخارج . وبعد ثمانية وعشرين عاماً من اختفاء (العروة الوثقى)

(١) العروة الوثقى في ٥ يونيو ١٨٨٤

اضطر محمد فريد بك رئيس الحزب الوطني وكان طرید السجن السياسي أن يكافح من أجل مصر في خارج مصر، فقد غلقت صحف الحزب الوطني جميعاً وطورت رجالة واشتقت السلطات في التضييق على حرية الرأي والكتابة. وأخيراً نزل محمد فريد مدينة جنيف، وفي أثناء إقامته هناك تعرف ببعض الشرقيين من الأحرار الذين لقوا مثلياً لقى هو من العنت والاضطهاد، فاجتمعوا جماعة واحدة في ١٩ ديسمبر ١٩١٢ واقتصر عليهم رئيس الحزب الوطني المصري تأسيس جمعية باسم «جمعية ترقى بالإسلام»، وقبل اقتراحه بالتأييد وأخذ هو يضع لائحتها التي تظم أغراضها وتوضح اتجاهها، وكانت الغاية من إنشاء هذه الجماعة تقوية روابط التضامن بين الشعوب الإسلامية وتغذية النهضة السياسية فيها والعناية بالنواحي الاقتصادية في بلاد تلك الشعوب، وانتخبت الجماعة مدينة مدينة جنيف مقرآ لها، ثم رأت أن لا بد من صحيفة تعبر عن أغراضها وتكون لساناً لنشاطها فأصدرت الجماعة صحيفة فرنسية، باسم *Bulletin de la Société End jouman Terekki* — Islam (Progrés de L'Islam)

وكان صدور هذه الصحيفة في شهر مايو من سنة ١٩١٣ وقد بحثت هذه المجلة في الشؤون الشرقية عامة والعالم الإسلامي خاصة سواء ما اتصل بأمور السياسة أو الاقتصاد أو الدين، وهي من حيث اتجاهها تشبه كثيراً مجلة (العروة الوثقى) ومتنازع عليها من حيث كثرة محりتها ومن انضم إلى إنشاء الفصول الرائعة فيها كالمستاذ بلنت صديق المصريين منذ عهد العرابيين، ومسيو بيير لوبي وكلود فاريير Claude Farrere الأديبين الفرنسيين الكبيرين وغيرهما من كبار الأساتذة الفرنسيين، وقد ظلت الصحيفة تحمل طابعها وتذيع آراء هؤلاء الرجال حتى أقبلت الحرب العالمية فتوقفت عن الصدور، ولكن في خلال تلك الحرب أصدر محمد فريد بك في جنيف مجلة أسبوعية باللغة الفرنسية تخصصت لشئون مصر وحدها اسمها

غير أن الحكومة السويسرية رأت فيها حدة لا تتفق مع
مركيزها الدولي كامة محايدة فأبانت استمرارها بحججة منافاتها للحياد، ومن ثم أغلقت
الجريدة بعد صدور العدد الثاني منها^(١)

وقف نشاط الصحافة الوطنية في مصر والخارج بوقف «مجلة جمعية ترقى
إلى إسلام»، عن الصدور، ووقف النشاط في مصر باعلان الأحكام العرفية التي حدثت
من الحرية الضئيلة البافحة للصحافة المصرية، ووقف النشاط في الخارج بوفاة عميد
تلك الصحافة يعقوب بن صنوح سنة ١٩١٢ بعد أربع وثلاثين سنة من كفاح
متصل لا يهون ثم باحتجاج صحيفة «صوت مصر»، أخيراً في سنة ١٩١٤.

واستمر النشاط الصحفي محجوراً عليه في مصر والخارج خلال الحرب العالمية
الماضية ثم قامت الحركة الوطنية في مصر سنة ١٩١٩ واستمرت الصحافة بين
التضييق والتيسير، ولم يكن هناك محل لصحف مصرية تصدر في أوروبا وقد بدأت
حياة مصر تستقر في الداخل، لو لا أن مصرياً له تاريخ في الحزب الوطني القديم
أنشأ صحيفة في جنيف بعد الحرب العظمى هو الشيخ على الغایاتي. والشيخ الغایاتي
هو صاحب كتاب «وطنيتي»، وهذا الكتاب تاريخ في الحركة الوطنية قبيل الحرب
العظمى فقد كان الشيخ محرراً في اللواء في سنة ١٩١٠ فأخرج في يوليه من السنة
المذكورة ديواناً من الشعر أسماه (وطنيتي) احتوى على تاريخ شعرى لحوادث
مصر خلال عامين، وكتب رئيس الحزب الوطني محمد فريد ورئيس تحرير اللواء
الشيخ عبد العزيز جاويش مقدمة لهذا الكتاب، ولم يكن في الكتاب، شيء يستحق
المؤخرة ويستدعي المقاضة لأن قصائده نشرت جميعاً في الصحف السيارة غير
أن في الكتاب قصيدة عن الشيخ على يوسف وجريدة (المؤيد) حمل الشاعر
عليهما في احالة قاسية، فنشرت (المؤيد) بضعة أشهر عن هذا الكتاب وفيها دعوة
خفية إلى النيابة بالقبض على الغایاتي ومن صدر له ديوانه^(٢) وتحقق ما دعت إليه

(١) الرافعي - محمد فريد ص ٣٤١ و ٢٩٣

(٢) منبر الشرق في ٦ مايو ١٩٣٨

(المؤيد) واستجابت النية العامة إلى الدعاء . فصادرت الكتاب ومضت تتحقق مع مؤلفه وأقامت الدعوى العمومية على محمد فريد وهو في خارج مصر وعلى الشيخ جاويش بحجة أنهما يدعوان إلى الجرائم السياسية ويهدان أرتقاها ويحضان على إهانة الهيئات الحكومية ثم أحالتهما إلى محكمة الجنائيات فقضت عليهما جميعا بالسجن مددآ متفاوتة ^(١) بيد أن الشيخ الغایات استطاع أن يهرب من سجنه إلى الاستانة ومنها إلى جنيف حيث استوطن ذلك البلد زهاء سبع وعشرين سنة وأصدر الشيخ الغایات جريدة عربية فرنسيّة في جنيف سنة ١٩٢٢ وهو يهدىنا بعد عودته إلى مصر عن تاريخ هذه الصحيفة التي أعزتنا أعدادها في المكاتب العامة فيقول « صدر العدد الأول من هذه الجريدة - واسمها بالعربية (منبر الشرق) وبالفرنسية La Tribune d'Orient - في جنيف يوم الأحد ٥ فبراير عام ١٩٢٢ » جمادى الثانية ١٣٤٠ ^(٢) وعاشت هناك ما يقرب من ستة عشر عاما ، وكان بها ، في أول عهدها بجانب القسم الفرنسي صفحة عربية كثيرة المتاعب كبيرة النفقات ثم روى الاكتفاء باللغة الفرنسية وهي لغة البلاد التي تصدر فيها والأوساط التي نريد مخاطبتها ، وقد نمت وترعرعت وانتشرت في الشرق والغرب وبات لها ذكر حسن واسم معروف وخصوصاً في مركز جمعية الأمم التي عملت فيه ما استطاعت على خدمة مصر والشرق والاسلام . ويرجع الفضل في نجاحها كما يقول صاحبها إليه وإلى بعض البيوتات التجارية في جنيف التي أمدته باعلاماتها ، ثم يحمل على المصريين البخلاء ذوى المال والجاه الذين لا يذلون مدينتين لهذه الجريدة « ثم يضى في تاريخها لها قائلـاـ و قد صدر آخر عدد من (منبر الشرق) في جنيف يوم الأربعاء ٢٦ مايو عام ١٩٣٧ (٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٥٦) وكانت خطبة الجريدة كما يقول صاحبها العمل على أن يكون « الشرق للشريين » ^(٢) . وبجمل القول في (منبر الشرق) أنها ختمت حياتها في جنيف عام ١٩٣٧ وعادت إلى الظهور في القاهرة بعيدة عن جميع الأحزاب في سنة ١٩٣٨ .

(١) المؤيد في ٤ يوليو ١٩١٠

(٢) منبر الشرق في ٦ مايو ١٩٣٧

وفي سنة ١٩٣٣ أصدر الدكتور محمود عزمي صحيفته في لندن سماها (العالم العربي The Arabic World) على أن تكون صحيفه أسبوعية غير أنه جعلها شهرية ابتداء من العدد الثاني، وقد تضمنت أعدادها المختلفة إشارة إلى اتجاهها فهى ترفرف إلى تنوير الرأى العام الإنجليزى وشرح المسائل الشرقية المعقدة شرعاً مفصلاً أهل هذه البحوث تقيم علاقات من الود والصداقه بين الشعب الإنجليزى وشعوب الشرق المختلفة . وقد تناولت بعض أعدادها المسائل الاقتصادية والتجارية والاجتماعية في جميع الدول العربية . وكان لها مكتابون في عواصم الشرق المتباينة ونشرت أحياها بعض القصص بأقلام مصرية أو أجنبية . وتعتبر مجلة (العالم العربي) مثلاً رائعاً للذوق السليم من حيث شكلها وإخراجها فقد حفلت بالصور الواضحة لرجال الشرق المشهورين كما احتوت أعدادها على بعض الصور الكاريكاتورية .

وبصحيفه عزمي يتم تاريخ الصحافة المصرية في الخارج ، غير أن معظم تلك الصحف كان يتجه اتجاهها شرقياً دينياً وهو سمة اجتماعية عندها جميع الصحف المصرية التي صدرت في الخارج فيما خلا صحف يعقوب بن صنوع وصحيفه محمود عزمي فـ كانت صحفاً مصرية حقاً بمعانها وروحها ، وهذه الصحف أثر مشكور في تعريف الأجانب بالشرق وبمصر خاصة ، وفي ذلك من الدعاية للحركة الوطنية ما قوم رأى الكثيرين من الأجانب الخاملين على مصر ورجالها ، وهذه الصحف جميعاً تتفق في الجملة على الاحتلال الإنجليزى : ولذلك أثره في تحريز الإنجليز وتحفظهم في معالجة أمور المصريين وتقدير النتائج وزنها إذا كشفت أمور الاحتلال في الخارج ، وهي صحف قادرة على الرواية الصريحه التي لا يقف دونها قانون المطبوعات في باريس أو لندن أو جنيف ، وقد استطاعت هذه الصحف على قلتها وعلى اختلاف نزعاتها أن تكتب لها في تاريخ الصحافة المصرية باباً من أفضل أبوابها وأكثرها روحًا وحياة .

رسالة الصحافة في مصر

يكاد إجماع الفقهاء والباحثين ينعقد على أن المطبوعات - وفي مقدمتها الصحافة - تجده في قانون المطبوعات الصادر في ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ أول تشريع ينظم شئونها ويضبط مسائلها ، ولا يعد هذا الرأي مبالغًا فيه إذا نظر إلى قانون سنة ١٨٨١ على أنه أول أداة تشريعية مصرية سايرت نشاط الصحافة وسائر المطبوعات في مختلف مناحيها فتعرضت للتحريم كما تعرضت للطبع والتوزيع والنشر ، وإذا كان رأى هؤلاء الفقهاء صحيحًا من حيث اكتمال الأداة التشريعية بهذا القانون فإنه يكون رأياً مبتسراً من ناحية الأصول التاريخية ، فإن المعنيين بشئون الصحافة وتاريخها يذكرهم أن يردوا تاريخ المطبوعات إلى عهد الحملة الفرنسية على مصر ، فقد عرفت البلاد في غضونها أول تشريع للمطبوعات أصدره بونابرت في ١٤ يناير ١٧٩٩ في صورة أمر احتوى على ست مواد أكمله الجنرال عبد الله منو في مرسومه الصادر في ٢٦ نوفمبر ١٨٠٠ الخاص بجريدة (التبيه L' Avertissement) ثم أسس محمد علي مطبعة بلاط في سنة ١٨١٩ على صورة متواضعة تتصل بحياة الحكومة وحدها ، فقد تكفلت بمطبوعاتها وهي عبارة عن كتب للدراسة والعلم لا تستوجب نظماً أو لواح وقوائين تحديد سياستها وتنظيم أمورها ، فضلت شئون النشر فيها هيئة إلى أنأخذت تتعقد أحواها باتساع أعمالها وخطر آثارها بحيث أصبح من المتذر أن تسير المطبعة على فطرتها أو تطرد على طبيعتها ، ودعت الأحوال الجديدة إلى إصدار الأوامر ووضع اللواح وسن القوانين وتحديد معايير للطبع فيها ووضع نظام للرقابة على مطبوعاتها .

ويروى لنا Brocchi السائح المعروف المناسبة التي تم فيها التشريع الأول

(١) راجع هذا الموضوع في « تاريخ الطباعة والصحافة في مصر خلال الحملة الفرنسية » للمؤلف

الطبوعات في مصر ، فيذكر أنه كان بين مدرسي مدرسة الفنون المدرس الإيطالي
Bilotti وقد نظم هذا المدرس قصيدة شعرية طويلة سماها « ديانة الشرقيين »
أساء فيها إساءة بالغة إلى الإسلام والمسلمين ، ودعا فيها إلى التهرين من أمر هذا
الدين والسخرية برجاته . وقد اتفق بيلوبي سرآ مع نقولا مسابكي أفندي ناظر
مطبعة بولاق على نشر قصيده في المطبعة وكان مسابكي تلميذاً لإيطاليا وأحد
مبعوثي الوالي فيها ، وهو نصراوي لا يعنى به من أمر الدين الإسلامي شيء وإيطاليا
في ذلك الوقت موطن العداء لهذا الدين ، فتم طبع القصيدة دون علم الوالي . ييد
أن سولت Salt فنصل انجلترا في مصر وقى مكانته في خصومة مع النظام الإيطالي
فرأى هذه الفرصة وسيلة يتوصل بها للإيقاع به ، فروى للباشا الخبر وكشف له عن
طبع القصيدة بالمطبعة الأميرية ، وتبين للباشا أن في الكتاب شيئاً في القول
وزراعة بالدين إلى درجة أنه يستحيل على أي حكومة أن تقبل ألقابه أو معاناته مهما
تساهل في حرية النشر أو حرية القول والكتابة ، فأمر محمد على بخطوط الكتاب
فالقى في النار وكاد يقتل مسابكي ، ولو لا شفاعة عثمان نور الدين من رجاله
المقربين لتم القضاء على الكتاب وناشره معاً ، ومن ثم أصدر الباشا أمراً في ١٣
يوليو ١٨٢٣ (٤ ذى القعدة ١٢٣٨) يحرم طبع أي كتاب في مطبعة بولاق إلا
إذا أستصدرا مؤلفه أو ناشره إذنا خاصاً من الباشا بطبعه . وفرض أشد العقوبات
جزاء من يخالف هذا الأمر (١)

كان متأثراً في أمره هذا بقوانين فرنسا المعمول بها في ذلك الوقت (١) وعندى أن البشام لم يرجع في ذلك إلى مرجع فإن الحادث من الوضوح والقرار من البساطة بحيث لا يدعو الأمر إستشهاد بقانون أجنبي أو نقل عن تشريع من التشريعات. وهو أول قانون للمطبوعات وأخر قانون لها في عهده وعهد خليفته إبراهيم وعباس.

هذا فيما يختص بنشر الكتب، أما علاقة محمد علي بالصحف فكانت علاقة صاحب البيت بيته، صدرت في عهده خمس صحف (جرنال الخديو) في أول الأمر حوالي سنة ١٨٢٢ ثم (الواقع المصرية) في نهاية ١٨٢٨ ثم (الجريدة العسكرية) حوالي سنة ١٨٣٣ وجريدة (لومنيتو أجيزيان) قرابة ذلك الوقت ثم جريدة (Lo Spettatore Egiziano) في سنة ١٨٤٦، الصحف الثلاث الأولى صحف الدولة الرسمية، والصحيفة الفرنسية صحفة شبه رسمية أما الصحيفة الأخيرة فجريدة للإعلانات. وكانت (الجريدة العسكرية) خاضعة لرقابة صاحب الدولة السر عسكري إبراهيم باشا وهي خاصة بالشئون العسكرية الخالصة و (جرنال الخديو) جريدة الوالي وحده بعد إنشاء (الواقع) أما الجريدةان الأجنبيةان فكانت أخبارهما كلها منقوله عن الواقع، وإذن ت تكون (الواقع المصرية) هي الجريدة الفذة التي شغلت من حياة الدولة جهداً وإشرافاً، اشتراك فيها الموظفون ومنحت للعلماء وفرضت على التلاميذ في مصر وخارجها ووزعت في بلاد العرب والشام وكربيت، فهى في حياة الدولة شيء خطير بعيد الآخر، وقد أشرف محمد على بنفسه على (الواقع) وإخراجها فكان يكلف موظفيه بكتابه المقالات ويوزع بنشر الأخبار ويراجع مسودات الجريدة قبل طبعها ويعاقب المستويين إذا أساءوا اختيار الخبر أو المقال، وكانت أوامرها ورقابته لها لوناً من ألوان التنظيم التي سبقت تشريع المطبوعات في عهد خلفائه (٢)

وفي عهد سعيد باشا صدر تشريعان للمطبوعات أوسع نطاقاً مما ذهب إليه

Artin Pacha : Lettres du Dr. Perron à M. Mohel

(١) هامش ص ٣٥

(٢) تاريخ الواقع المصرية للمؤلف من ٣٠ — ٧٧

محمد على في نشر السكتب أو رقابة (الوقائع المصرية) أحدها خاص بالمصريين والثانى خاص بالأجانب، وقد تضمنه قرار من المجلس الخصوصى، ماهية التشريع الذى سرى على المواطنين نشره هنا لبيان الفائدة من نشره ولأهميةه فى تاريخ المطبوعات.

وتقىد لمدى ان الداخلية عرض من ملاطية لى محمود محمد كتابجى بخان الخليلي ينوى أنه حصل له مضايقه فى أمر المعاش وله معرفة فى فن الطباعة على الحجر ولأجل الإعانة على معاشه يريد تدوير عدة طباعة واحدة فقط لطبع بعض كتب صغيرة لازمة لتعليم الأطفال لأجل سهولة معاشه ومنفعة الأطفال تحت ظل الحديوى فلدى المذاكرة عن ذلك بالمجلس الخصوصى قد روى من حيث أن رفاهية العباد وسهولة إدارة أمر معاشهم من أقصى آمال الجناب الداوى فيما لا مانع من الترخيص لمن يكون ذو معرفة لإدارة مطابع بلازم الحجر لإدارة أمر معاشه إنما يكون ذلك من بعد أن يؤخذ عليه سند الشروط من ورق الدمعة على الوجه المشروع وهو :

أولاً - أن كل كتاب أو رسالة يراد طبعها لا يصير البتدى فى طبعها ولا تجبرين لوازمه ولا عقد شروط مع من يريد المطبع والالتزام ولا أخذنى منه مالم يقدم نسخة ذلك إلى نظارة الداخلية لأجل مطالعتها والنظر فيها إن كانت مضره للديانة ولمنافع الدولة العلية والدول الأجنبية والعامة أم لا ومتى وجد أن لامانع من طبع ذلك وافق هذا بالديوان فيعطي إليه الرخصة الازمة وإن طبع شيء من هذا بدون اذن بصير من المخالفين ثانياً - لا يطبع ولا ينشر جرائد وغازيات وإعلانات من دون استئذان الرخصة من ديوان الداخلية وإن فعل ذلك بدون استئذان تغلى وتسد مطبعته .

ثالثاً - إذا طبع ونشر كتب ورسائل إهانة للديانة وللبوائيق والأداب والأخلاق فيجرى ضبط وتوقيف هذا بمعرفة الضبطية .

رابعاً - المطبعي لا له أن يطبع عدد زيادة عن الشروط المنعقدة ما بينه وبين الملتزم أو من يزيد الطبع بطبعته وإن طبع شيء زيادة عن الشروط يعد سارق ويترتب جزاء بمقتضى القانون مع ضبط ما يوجد في زبادة واجرا الأصول فيه.

خامساً - إن حصل من المطبعي أدنى خلافة من هذه البنود فيعد مخالف إلى النظام ويحرى غلق مطبعته وترتيب جزاء بالنسبة لخفة وجسامنة الجنيحة تطبيقاً للقانون.

الخاتمة ... عملاً يختص بالتعهد الذي يؤخذ على المطبعي يذكر فيه إن قد قبلت هذه الشروط الموضحة بالخمسة بنود وللمعاملة بموجبها ويشرط على نفسه أن لا يعقد مع أحد شروط طبع كتب أو رسائل أو غازيات أو إعلانات أو خلافه بدون استحصلال إذن من ديوان الداخلية وصدر الأمر بالرخصة وأنه قابل برضاه واحتياره بالإجراءات على وجه ماشرح بهذا وعلى هذا النسق يصير الاجرام كل من يعرض من ذوى المعارف في إدارة مطبعة لمعاشه كما استقر الرأى بالمجلس،^(١)

وقد جمع القرار بين السكك والصحف والرسائل والإعلانات، والواقع أنه بالرغم مما يتبارى إلى الذهن من قسوة في الشروط التي وضعها الشارع فإن هذا القانون كان تشريعاً سهلاً ليناً لأن الناس ذلك الوقت كانوا يطبعون مسلمين، وكانوا في حالة فكرية - من حيث التعليم وتناول أساليب الحياة - لا تسمح باختلاف على مصلحة عامة تدفعهم إلى السياسة ومشاكلها ، كما كانوا مؤمنين بفطرتهم لا أمل لإلحاد والملحدين بينهم ، وكان القانون صدى للقانون العثماني المعروف به في الدولة العثمانية وإن لم يصدر في نصه واكتفى المجلس الخصوصى بروحه ، وهو شبيه أيضاً

(١) محفوظات عابدين . دفتر جموع إدارة واجراءات ص ٢٠٧ تابع مأموريات مأموري الضبطية فيمن يرخص له بإدارة مطابع برانية - قرار المجلس الخصوصي في ٢٧ مياد أول

بالقانون الذى صدر من أجل الأجانب فى مصر ، وسائر ولايات السلطنة العثمانية وقد كان للأجانب فى مصر على عهد سعيد دالة على حكومته فقد أمدتهم البشا فى رحابه فـكثُر عددهم واستتبع ذلك إنشاء خمس صحف فرنسيه وإيطالية غير صحيفه السلطنة العربية التركية ، وطبعى أن هذا العدد الكبير من الصحف كان يقتضى رقابة من الحكومة الشرعية فى البلاد حتى تأمن نتائج الآراء المتضاربة التى تذيعها هذه الصحف المتباهية ، فكانت تجيز الترخيص بهذه الصحف على شرط ألا تتجاوز فيما تنشره قوانين الدولة العلمية وألا تذكر أى شيء ضد الحكومة المحلية (١) والراجح أن بعض هذه الصحف قد تجاوز حدوده فاضطررت حكومة سعيد إلى أن تبلغ قناصل الدول منشور التنظيمات الصحفية [التي صدرت في الأستانة في ٦ يناير سنة ١٨٥٧ (٢) وأرسلتها إلى هؤلاء القنصل في كتاب وقعه ناظر الخارجية في شهر ديسمبر عام ١٨٥٧ وقد صدرت هذه القوانين لتنظيم العلاقات بين الحكومة العثمانية وبين رعاياها الدول في داخل الدولة وفي سائر ولاياتها (٣) ومن هذه القوانين جزء خاص بالصحف بلغ كذا ذكرنا إلى القنصل ليذيعوه على رعاياهم حتى يعملوا بمقتضاه ، ونشر هنا أهم المواد الخاصة بالمطبوعات لنسبين حقوق الحكومة المصرية والتزاماتها التي خلقتها حالة جديدة لم تسكن تعرفها مصر من قبل (٤)

مادة (١) يجب الامتناع بتناً عن كل نقد لآعمال الحكومة .

مادة (٢) يجب تجنب كل مجادلة في المسائل التي لا تمم مباشرة السلطنة والتي من شأنها أن تضر بالعلاقات الحسنة القائمة مع الدول .

(١) مخطوطات طايدن وثيقة رقم ٣١ سجل ٥٢٥ معية تركي ص ٦٤ قسم ثانى

Législation Ottomane.

(٢) وزارة الخارجية ص ٣١٨ رقم ١ — ٢٥ أرشيف الباب العالى

Evolution De La Législation Sur La Presse En Egypte

(٣) عبد الجيد صادق رمضان ص ١٥ و ١٦ طبعة عام ١٩٣٥

Manuala di Diritto Publico F. Privato Ottomano Domenico Gatteschi (٤)

طبعة ١٨٦٥ من ص ٤٥ إلى ص ٥٧٥

مادة (٣) يجب الاقتصار في نشر المراسلات الواردة من المقاطعات على سرد الحوادث دون نقد أو تعليق على أعمال الموظفين . ويجب ألا تنشر المراسلات إلا بعد إرسالها إلى مكتب الصحافة .

مادة (٤) بما أن الوقت لا يسمح بتقديم المسودات ليلة النشر يجب على المحررين أن يوضّحوا شفوياً للشخص القائم على مكتب الصحافة ما تكتوّي عليه افتتاحية الجريدة التي ستنشر وأن يتبعوا الملاحظات التي يمكن توجيهها اليهم .

مادة (٥) لابد منأخذ رأى مكتب الصحافة قبل نشر الجريدة وذلك لتجنب إذاعة الأخبار الباطلة .

مادة (٦) على الجريدة أن تفتح صفحاتها لتصديب وتصحيح المقالات المشورة في أوروبا والتي يعرضها مكتب الصحافة .

مادة (٧) كل مخالفة لهذا القانون تتعاقب عليهما الجريدة أولاً بانذارها وبعد ثلاثة إنذارات تعاقب بالإيقاف المؤقت أو النهائي .

مادة (٨) يضاعف الجزاء في حالة الرجوع إلى ارتكاب الجرم ماعدا الاستثناءات التي ينص عليها القانون .

مادة (٩) كل من ينشئ مطبعة أو ينشر كتاباً أو نشرات أخرى دون ترخيص من الباب العالى أو كل من يسمح لنفسه بالنشر أو طبع جرائد أو كتب أو مطبوعات أخرى ضد الحكومة أو موظفي الباب العالى أو ضد أية دولة من الدول الخاضعة لتركيا ، هذه الجرائد والكتب والمطبوعات تصادر ويلزم المسئول على قدر مسؤوليته بوقف مطبعته مؤقتاً أو نهائياً ويعاقب بدفع غرامة من عشرة إلى خمسين جنيهآ بميدان

ويختتم ناظر الخارجية تبلیغه لقونصل كل دولة بقوله « تحدد هذه النصوص المختلفة في شيء كثیر من الإيضاح واجبات الصحفيين والناشرين ولا يترك أى شك في

السبيل التي يجب أن تتبع ، هذا بخلاف القواعد الخاصة بالعرض والنشر والأشياء الأخرى التي من اختصاص الشرطة ، إلى أن يقول «ولكي يكون هذا الكلام أكثر وضوحاً أضيف إلى ذلك ما يأتي :

أولاً - كل شخص يمتلك أو يستغل مطبعة قائمة بالفعل دون ترخيص سابق يجب عليه أن يحصل على هذا الترخيص في مهلة مقدارها شهر ابتداء من هذا المنشور وإلا فلا يسمح له بباشرة عمله ويكون معرضاً للفعل مطابعته .

ثانياً - وأن مكتباً للصحف أنشأه في هذه النظارة - يقصد نظارة الخارجية -
لتطبيق هذه القواعد »

ثم يطلب ناظر الخارجية من القنصل في مصر أن يذيعوا منشوره السابق الذكر على رعايا دولهم ويبين أن الحكومة مصممة على تنفيذ هذه النظم والقوانين المعمول بها في السلطنة العثمانية وهو حق لها وواجب عليها أيضاً ، ثم يأمر بنشر هذه القواعد والقوانين في مختلف جرائد القطر حتى لا تكون هناك حجة لأحد .

عرضنا لكتاب الوزير المصري الذي تضمن القوانين التي يقتضاها تنشر صحف وتنشأ مطابع ، وقد اجتنأ الوزير بعض المواد التي احتوى عليها قانون المطبوعات العثماني ، ولم يليست مواد قانون الصحافة التي نشرناها مواد حرافية لقانون المطبوعات التركى بل هي تحمل روحه وطابعه دون الصيغة الأصلية كأنها لم تأت مفصلاً ولم يراع الوزير المصري في تبليغها للقنصل حرفياً القانون بل بسطها اتبسيطها ملحوظاً إذا قورنت المواد المنشورة بالقانون التركى الأصلى وقد عمدت الحكومة المصرية كارأينا إلى بعض مواد قانون الصحافة دون غيرها وبلغتها للقنصل إذ كان يهمها أشد الاهتمام الامتناع عن نقد أعمالها بما يؤثر على الأمن أو يدعو إلى اضطراب في أفكار الآجانب ، وهى كذلك حرصة على إعفاء موظفى الحكومة من الملاحظات التي قد توجهها إليهم هذه الجرائد فاشترطت لتحقيق هذه الرغبة أن يقر الأخبار التي تذيعها الصحف عن الحكومة وموظفيها مكتب للصحافة أنشأه

سعید في نظارة الخارجية .

وليس الأنباء وحدها المطلوب رقابتها بل إن الافتتاحيات أيضا كانت تمر على المسؤولين في مكتب الصحافة أو يقرها موظفوه مشافهة على شريطة أن يذعن المحرر للاعتراضات التي توجه إليه اجتناباً لإذاعة الأخبار الباطلة ، وكذلك فرض قانون الصحافة على الجرائد الأجنبية في مصر أن تفتح صدرها لـ تـكذيب وتصحيح الأخبار التي تنشرها صحف أوربا أو يذيعها المغارضون عن الحكومة المصرية ، وقد أخذ مكتب الصحافة على عاته تزويد الصحف بهذا كلما دعت الحاجة إلى تـكذيب أو تصحيح .

ولكي تـمكـن الحكومة لسلطانها على هذه الصحف رسمت عقوبات مختلفة سترضها على من يخالف مواد القانون أو يستهين بها ، كما عمدت إلى أن تجعل لهذا القانون أثراً رجعياً فكل صاحب مطبعة أو ناشر ينبغي أن يحال تـرخيصاً بفتح مطبعته أو نشر جريدة وإلا تعرض لجزاء يقضى على مطبعته ويعطل صحيفته وألقيت كل هذه المسائل الصحفية الجديدة التي نشأت في الحياة المصرية على مكتب الصحافة الذي أنشأته حـكومـة الوالـى في سنة ١٨٥٧ .

ومع أن علاقة الحكومة بالمطبوعات أصبحت واضحة بعد هذين القانونين إلا أنه ينبغي أن نذكر أن الحكومة كانت لهذه المطبوعات بكيلين ، فالجانب كانت لهم الحظوة وكان لهم في فنائهم حصانة حالت في كثير من الأحيان دون تنفيذ القانون أو رقابة الدولة كما نص التشريع ، فقد فتح السيد محمد هاشم من رعايا أمير المغرب مطبعة حروف دون استئذان الحكومة : فاستفـسرت الضبطية المصرية من الوالـى عما يحب أن تصنـعـه فـكانـ رـدـ سـعـیدـ كـافـيـاـ ليـظـمـرـ لـنـاـ مـدىـ تـحـمـسـ الدـوـلـةـ لـتـنـفـيـذـ أـوـامـرـهـ ،ـ يـذـكـرـ وـالـىـ مـصـرـ لـلـضـبـطـيـةـ أـنـ مـحمدـ هـاشـمـ ،ـ مـنـ طـرـفـ أـمـيرـ الـمـغـرـبـ ،ـ وـأـنـهـ إـذـ كـانـ قـدـ فـتـحـ مـطـبـعـةـ حـرـوفـ دـونـ إـذـنـ الـحـكـوـمـةـ وـمـوـافـقـهـ فـإـنـ لـهـ اـمـتـيـازـ الـصـلـةـ بـالـسـيـدـ عـبـدـ القـادـرـ الـأـمـيرـ الـمـذـكـورـ «ـ فـيـاـمـبـارـكـ إـنـ الـأـشـيـاءـ الـتـيـ مـشـلـ هـذـاـ لـمـ هـيـ يـدـوـاـحـدـةـ مـثـلـهـ تـعـمـلـواـ ،ـ إـنـ يـقـرـرـ لـهـ أـنـ النـاسـ أـمـامـ الـقـانـونـ غـيرـ مـتـسـاوـيـنـ وـخـاصـةـ إـذـ اـعـتـزـواـ بـأـمـيرـ

أجنبي «إن أصول اليدية الواحدة مرفوع وملغى . إفهموا ذلك ، ١١) .
فهذا الكتاب يبين لنا أن القانون لم يطبق بدقة في بعض الحالات التي تشفع
فيها وشائج الصلات الأجنبية ، ويمكن للمؤرخ الذي يسجل العلاقة بين الحكومة
المصرية والصحافة في مصر أن يحمل هذه المسائل التي ظهرت في عهد سعيد فيقرر
أن الصحافة لم تكن حرفة فقط ، فالحكومة ترى نفسها صاحبة حق في إذاعة
الأخبار ونشرها وأنها إن نزلت عن هذا الحق لأحد من الناس فإنما يكون ذلك
بتاريخ منها ، لها فيه حقوق واسعة ، وبالرغم مما تصوره عملية الإصدار هذه
من التزمت فإن الحكومة أرادت أن تقى نفسها من خطر ما يذاع وينشر فسمحت
للناشر أن يتخير موضوعه ثم فرضت عليه أن يعرض كتاباته قبل نشرها .

وقد كان للنشريات الصحفية التركية أثر بعيد المدى إذ مضت الحكومة
المصرية تنفذها على رعاياها وتطبقها على رعايا الدول في مصر ثم عدلات التنظيمات
الصحفية بقانون صدر في الأستانة في يناير سنة ١٨٦٥ من خمس وثلاثين مادة
أهم ما ورد فيها الشروط التي توافر في مدير الصحفة التي يراد إصدارها ، ففرض
أن يكون عثمانى الجنسية ولا يقل عمره عن ثلاثين سنة وأن يكون متعمقاً بكمال
حقوقه المدنية ولم تصدر في حقه أحكام مخلة بالشرف ، على أن يقدم الطلب لنظر
المعارف وأن يوضع مصدر الصحفة نسخة منها قبل توزيعها موقعاً عليها من المدير
المستول في إدارة المطبوعات ، وقضت المادة الثالثة من ذلك القانون بأن للأجانب
حق إصدار الصحف بشرط أن تسرى عليهم الشروط التي تسرى على الآتراك ،
 وأن يكون للقضاء العثمانى دون القضاءى حق الفصل فى القضايا الصحفية ،
والحكومة أن تمنع أو تمنع الترخيص بدون إبداء الأسباب

وقد فسرت الحكومة العثمانية هذا القانون بأمر الصدار العظمى الرقم ١٣
مارس سنة ١٨٦٧ ولم يختلف القانون ولا أمر الصدار عن تشريع يناير سنة ١٨٥٧
في شيء من حيث الجوهر : ثم صدر القانون الهمايونى في ١١ ديسمبر سنة ١٨٧٠
مقرراً حرية المطبوعات في الدولة وسائر ولاياتها إلا أنه — من الناحية العملية

(١) مخطوطات عابدين . . دفتر جموع أمور إدارة من ٣٠٧ . . تابع مأموريات
مأموري الضبطية فمن يرخص له بادارة مطبع برانيه ، أمر تركى في ١١ ذى القعدة
عام ١٤٢٧ هـ رقم ٣٧ سایر . .

على الأقل — لم يجب ما سببه من قوانين وأوامر وخاصة حق الحكومة في الغاء
صحف الأجانب بصفة إدارية

وقد سعى الخديو إسماعيل جهده في كسب ود الصحافة، وحرص على أن يكون
إليه أسرها ، فنفعها من الحرية ماعطل الفوازير التي ذكرناها ، وكان شخصه المرجع
في كل ما يتعلق بها ، وكان بيده أن يمنح الترخيص لها أو يقبض ذلك عنها . وقد يجد
ونحن نعرض للصحافة المصرية وعلاقتها بالحكومة وعلاقة الحكومة بها في عهد
إسماعيل أن هناك شيئاً خفياً يربط هذا كله ، فإن الصحف تجاوزت في عهده السبعين
جريدة بين عربية وفرنجية وبين جريدة ومجلة . ومن بينها ما كانت له مع الحكومة
مواقف موالية أو مناهضة ، لذلك وضحت في عهد الخديو إسماعيل وظيفة مكتب
الصحافة أو إدارة المطبوعات على أدق تعبير ، فقد افتتح إسماعيل عهده بكتاب
شريف باشا إلى القنصلين يبين لهم فيه مأمولته نظارة الخارجية لتنظيم العلاقات
بين الحكومة وبين رعايا الدول المشتغلين بالنشر والصحافة .

وقد بقى سهوم هذا المكتب محيوباً حتى سنة ١٨٦٦ في ١٥ جادى الآخرة
سنة ١٢٨٣ (٢٦ أكتوبر ١٨٦٦ م) كتب إسماعيل راغب مأمور الأمور
الخارجية إلى المعية يذكر لها أن ول النعم « وافق على تأسيس قلم صحافة بلحق بنظارة
الخارجية ليقوم بالإجراءات المتعلقة بالجرائم وغيرها من المطبوعات »^(١) وكان
من شأن هذا المكتب الإشراف على الصحافة ورعايتها شئونها ومراقبة أقلام
 أصحابها ، وقد صدر أمر جديد بإعادة تنظيم مكتب الصحافة في ٢٠ أبريل ١٨٦٩
وبقى المكتب على حاله ملحاً بنظارة الخارجية وتخصص لمراجعة ما ينشر في
الصحف من عربية وغير عربية ، فإذا وجد فيها ما يؤخذ عليه كان من وظيفته
دراسة جرامي النشر هذه ، ثم عليه بعدئذ أن يعد التقارير بالموضوعات التي تستحق

(١) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٣٧٤ محفظة ٣٩ ممیة تركى في ١٥ جادى الآخرة ١٢٨٣
ولفهم التفاصيل الخاصة بهذا المكتب يرجى إلى الوثيقة رقم ١١ دفتر رقم ٥٦٠ ممیة
تركى في أول شaban ١٢٨٣ هـ . من المعية إلى نظارة الخارجية

المؤآخذة أو الموضوعات التي من شأنها أن تم الحكومة معرفتها ويرفعها إلى الجهات العليا وهي هنا مجلس النظار ، وأصبح هذا المكتب يتكون من خمسة أعضاء ، ثلاثة من الأجانب أحدهم الرئيس وهو إذ ذاك جو داربك Goudard Bey وكان رئيساً للمكتب الأوروبي في الوقت نفسه ؛ ثم اثنان من الوطنيين ^(١) توزعت اختصاصاتهم فيما بينهم ، فكان على العضويين المصريين مراقبة الصحف الوطنية العربية منها والتركية بينما اختص الثلاثة الآخرون بمراقبة الصحف الفرنسية ، وقد بقي مكتب الصحافة قائماً حتى صدر قانون المطبوعات المصري في ٢٦ نونبر ١٨٨١ ^(٢) وقد حدثت بعض التغييرات في شئون الصحافة بعد ذلك إذ صدر أمر خديوي تضمن تعين حقوق النظارات المصرية ، فقرر أن تكون الجرائد والمطبوعاتتابعة لوزارة الداخلية ابتداء من ١٣ ديسمبر ١٨٧٨ ^(٣) وقد أصبح المشرف على الواقع المصرية حق الإشراف على الصحف والمطبوعات الأهلية ^(٤) وذلك خلاف المطبوعات الفرنسية ، وفي ذلك شكت الصحف ، من التناقض والتباين بين إدارة المطبوعات والإدارة الوطنية فإنهما على طرف تقىض في معاملة الجرائد ، تلك تطلق لها العنوان ولا تعارضه في ما تقول ، والشأنية تقف لوريقاتها القائمة بخدمة الوطن ^(٥) وهي حالة شاذة « بخلاف ما عليه في الدولة العثمانية وسائر الدول في العالم المتقدم » ^(٦) ولم يكن الترخيص بإصدار الصحف أمر آهيناً ، فقد كان على الراغب في إصدار صحيفية من رعايا الدول أن يكتب إلى قنصلية وهذه تكتب إلى مكتب الصحافة الملحق بالنظارة الختصة ، وتلك بدورها تستأذن المستواين في ديوان الخديو ^(٧)

(١) من ١ باب الحكومة المصرية

François Levernay. Guide Annuaire 1872—1873

(٢) مجموعه القوانين واللوائح المعمول بها في مصر ، أحمد محمد حسن بك وإيزيدور فلدمان.

١٤٥٩ — ١٤٦٣

(٣) التجارة في ١٣ ديسمبر ١٨٧٨

(٤) عفوظات عابدين ونيقة رقم ٩ في ٢٦ محرم ١٢٩٣ هـ

(٥) التجارة في يناير ١٨٧٩ . وفيها انذار من مدير الواقع والمطبوعات

(٦) التجارة في ١٥ مايو ١٨٧٩

(٧) عفوظات عابدين ونيقة رقم ٣١ سجل ٥٢٥ معية تركى قسم ثان ص ١٦٤

ثم يعرض الأمر على ولـى النعم فإذا وافق فإنما تجيز موافقتـه للأمر بشروط منها أن تكون - يقصد الصحيفة - خاضعة للقانون الموضوع لهذا الشأن والمعلوم لدى نظارة الخارجية ، ومن أهم هذه الشروط أن توـخذ على طالب التـرخيص التـعهدات مصـدقاً عـلـيـها من قـنـصلـيـته ، وليس لـاجـنبـيـ حق طـلب التـرـيـخـيـصـ مـباـشـرـةـ كـاـذـكـرـنـاـ وليس له أن يتـصرـفـ في طـلب التـرـيـخـيـصـ المـمـنـوـحـ لهـ بـالـبـيـعـ أوـ النـقـلـ إـلـىـ شـخـصـ ماـ إـلـاـ إـذـاـ اـتـبـعـتـ مـعـ المـالـكـ الـجـدـيـدـ نـفـسـ الـأـجـرـامـ الـتـيـ اـتـبـعـتـ مـعـ صـاحـبـ التـرـيـخـيـصـ الـأـصـيـلـ (١)ـ وـاـذـاـ أـرـادـ صـاحـبـ جـريـدةـ أـنـ يـضـيـفـ إـلـىـ جـريـدةـهـ مـوـادـ جـديـدةـ لـمـ يـذـكـرـهـاـ فـيـ تـرـيـخـصـهـ كـأـنـ يـضـيـفـ إـلـيـهـاـ الشـمـوـنـ السـيـاسـيـةـ وـكـانـتـ مـنـ قـبـلـ خـلـوـآـمـنـهـاـ اـتـبـعـتـ نـفـسـ الـإـجـرـامـ الـتـيـ اـتـبـعـتـ فـيـ طـلبـ التـرـيـخـيـصـ حـتـىـ يـلـغـ المـوـافـقـةـ أـوـ الرـفـضـ مـنـ الـخـدـيـوـ نـفـسـهـ (٢)ـ .

وقد حفلـتـ حـفـوـظـاتـ عـابـدـيـنـ التـارـيـخـيـةـ بـالـوـثـاقـاتـ الـتـيـ تـشـبـهـتـ أـنـ الـخـدـيـوـ وـحـدهـ كـانـ يـمـثـلـ قـانـونـ الـمـطـبـوـعـاتـ وـيـهـيـمـنـ بـنـفـسـهـ عـلـىـ شـمـوـنـ الصـحـافـةـ فـقـدـ طـلـبـ الـخـواـجـةـ «ـ بـيرـ يـنـيـهـ »ـ أـنـ يـسـمـحـ لـهـ يـاـصـدـارـ جـريـدةـ لـنـشـرـ وـإـذـاعـةـ أـخـبـارـ الـمـسـارـحـ وـالـقـهـوـاتـ عـلـىـ أـلـاـ تـتـدـخـلـ فـيـ السـيـاسـةـ مـطـلـقاـ يـدـ أـنـ «ـ الـمـعـيـةـ رـفـضـتـ التـصـرـيـحـ بـذـلـكـ »ـ (٣)ـ وـلـمـ يـكـنـ فـيـ وـسـعـ أـىـ سـلـطـةـ حـكـوـمـيـةـ حـتـىـ نـاظـرـ الـخـارـجـيـةـ أـنـ تـشـيرـ بـرأـيـ مـنـ منـحـ التـرـيـخـصـ دونـ الرـجـوعـ إـلـىـ الـخـدـيـوـ ،ـ يـدـلـنـاـ عـلـىـ ذـلـكـ وـثـيقـةـ تـقـولـ بـعـدـ المـوـافـقـةـ عـلـىـ طـلـبـ الـمـسـيـوـ الـكـسـنـدـرـ بـاـنـوـقـسـىـ يـاـصـدـارـ جـريـدةـ تـبـحـثـ فـيـ الـأـدـبـ وـالـقـيـشـلـ «ـ بـالـنـظـرـ لـتـغـيـبـ الـجـنـابـ الـعـالـىـ الـخـدـيـوـىـ »ـ (٤)ـ .ـ وـلـمـ تـسـكـنـ الـعـلـاقـةـ مـعـقـدـةـ هـكـذـاـ بـيـنـ الـحـكـوـمـةـ الـمـصـرـيـةـ وـالـصـحـافـةـ الـوـطـنـيـةـ ،ـ فـكـانـ الـمـوـاطـنـوـنـ مـنـ أـصـحـابـ الصـحـافـةـ الـعـرـيـةـ يـتـقـدـمـوـنـ

(١) راجـعـ فـذـلـكـ الـحـفـوـظـاتـ التـارـيـخـيـةـ بـسـرـايـ عـابـدـيـنـ .ـ وـنـيـقةـ رـقـمـ ٦٥ـ وـ ١١٠ـ أـصـلـيـةـ مـخـفـظـةـ ٣٠ـ مـعـيـةـ تـرـكـيـ فـيـ ٣ـ ذـيـ القـعـدـةـ ١٢٧٩ـ

(٢) مـحـفـوـظـاتـ عـابـدـيـنـ وـنـيـقةـ رـقـمـ ٣٨١ـ مـخـفـظـةـ ٤٧ـ مـعـيـةـ تـرـكـيـ فـيـ ٦ـ ذـيـ الـحـجـةـ ١٣٩٢ـ

(٣) مـحـفـوـظـاتـ عـابـدـيـنـ وـنـيـقةـ رـقـمـ ١٢٨٠ـ وـ ٥١٢٨٠ـ فـيـ ١٣ـ صـفـرـ ١٢٨٠ـ دـفـرـ ١ـ صـ ٦١ـ

(٤) مـحـفـوـظـاتـ عـابـدـيـنـ وـنـيـقةـ رـقـمـ ٤١ـ صـفـرـ ١٢٨٦ـ فـيـ ١٤ـ صـفـرـ ١٢٨٦ـ

إلى مكتبة الصحافة دون وساطة أو شفاعة يطلبون الترخيص لهم بإصدار صحفهم ويسمون طلفهم هذا « العرضحال » (١) ولا بد أن يمر الطلب في إجراءات مئاتة لما يجرى مع أصحاب الصحف من الآجالب ، بمعنى أن الخديو وحده كان صاحب السلطان في إجازة الترخيص أو رفضه .

وقد استمر الحال على ما ذكرنا إلى أن تقررت المسئولية الوزارية وكف الخديو إسماعيل يده عن التدخل في الشئون السياسية ، وأخذت الحكومة الشرعية في تنظيم شئون الصحافة فعملت المطبوعات الفرنجية والعربية في إدارة واحدة (٢) وحدد هذه الشئون قانون المطبوعات المصري الصادر في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨١ مشتملاً على ثلات وعشرين مادة نشرتها الوقائع في ٢٩ نوفمبر ١٨٨١ تضمنت المواد من الأولى إلى العاشرة شروط فتح مطبعة وضرورة الحصول على ترخيص بذلك مقابل دفع تأمين نقدي وفرضت على صاحب المطبعة عند قيامه بطبع أي صحيفية أن يخطر إدارة المطبوعات بنظرارة الداخلية كتابة بعزمها على ذلك . ثم حددت أنواع المطبوعات التي ينسحب عليها القانون فذكرت أنها جميع المطبوعات أيا كان نوعها ومهما تكن الطريقة التي استعملت في طبعها ، ولم ينس القانون أن يواجه الجزاء الذي يترب على مخالفة أحكام هذه المواد فذكر أنه الغرامه أو القفل أو المصادره على حسب الأحوال . وفي المواد من ١١ إلى ١٦ ينتقل القانون إلى الجرائم والوسائل الدورية فينص على ضرورة الإذن به من الحكومة قبل إصدارها كما ينص على أن هذه الإذن شخصى ويجب تجديده كلما تغير امتياز صاحب الجريدة أو النشرة أو رئيس تحريرها أو مديرها كما فرض دفع تأمين نقدي يتفاوت مقداره تبعاً لعدد مرات صدور الجريدة أو الرسالة في الأسبوع ، وأثبتت حق الحكومة في تعطيل أو مصادرة أو قفل أي جريدة أو رسالة دورية بأمر من ناظر الداخلية بعد إنذار وبقرار من مجلس النظار بدون إنذار ، وذلك بغية المحافظة على النظام

(١) راجع عرضحال الوطن المنصور فيها في ١٧ نوفمبر ١٨٧٧

(٢) المروسة في ١٥ نوفمبر ١٨٨١

العام أو الآداب أو الدين ، كأجاز الجمع بين التعطيل وبين توقيع غرامة تترواح بين خمسة وعشرة جنيهات .

وواجه القانون الجزاء الذي يتحقق بكل من يخالف قرار التعطيل أو يتحايل على صدر الجريدة أو الرسالة سواء كان ذلك تحت اسمها الأصيل أو تحت أي عنوان آخر فنص في هذه الحالة على عقاب كل من محررها وصاحب امتيازها وصاحب المطبعة بغرامة تترواح من خمسة إلى عشرين جنيهًا عن كل عدد أو صحيفة تصدر منها فضلاً عما يناله صاحب المطبعة من إلغاء رخصته وإغلاق مطبعته ، وتنصب المواد الأخيرة من القانون على المطبوعات والصحف التي تصدر في خارج القطر المصري فأعطت لنظر الداخلية حق منع دخول ما يراه منها وقررت غرامة لكل من يدخل أو يوجد في حيازته مطبوع جرى عليه قرار المنع ، كما واجهت بعض هذه المواد مسألة لصق المطبوعات ونشرها في الميادين والشوارع وقربت منها متى كانت تنطوي هذه المطبوعات على أخبار سياسية وقررت غرامة لكل من يرتكب هذا الفعل مع عدم الأخلاص بالمستوى الجنائي التي قد تنجم عن هذا العمل .

وكذلك فرضت المادة التاسعة عشر أصولاً للتوزيع فنecessity على ضرورة الحصول على ترخيص يعطى بالجانب كل من يوزع كتاباً أو صحيفة أو رسالة أو نقوشاً ، ويعنيها من المواد الباقية المادة الثانية والعشرون التي الغت بهذا القانون كل قانون أو لائحة أو أمر أو منشور مخالف له . ويعتبر هذا القانون صدى للقانون الفرنسي الصادر في سنة ١٨٥٣^(١) والمتأمل في نصوصه — عكس ماحتوى عليه قانون المطبوعات الفرنسي الصادر في سنة ١٨٨١ — يدرك مبلغ ما فيها من تزمر وتضييق وخاصة لأنها أجازت للسلطات الإدارية الحق في تعطيل الصحيفة على الوجه المبين في المادة الشائعة عشر وذلك كلما كان هذا التعطيل متعلقاً بصلاحية النظام العام أو الدين أو الآداب ، وهو سلاح خطير يستطيع الحكم أن يجهز به على حياة

(١) ملخص مبادئ الصحافة العامة لعمود عزمي ص ٣٩

(٢) — ١٨ — صحافة

الصحف في كل حين ، ولن تعوزه حجة في دفع غاشية تهدى النظام العام أو الآداب
كلما تحركت به شهوة العنت والاتقام .

وقد سجلت أحكام محكمة الاستئناف الخلاطة في هذه الفترة التي أعقبت
إصدار قانون المطبوعات المصرى مبادىء قانونية نبهت الحكومة إلى التخفيف من
ضغط نصوص هذا القانون ونزعها إلى التقليل من استعمال ما أجازته لنفسها
من حق التعطيل الإداري ، ويعتبر هذا الدور الذى لعبه القضاة الخلاط تمهيماً
للتشرعى ومصدراً من مصادر القانون (١) إذا أن القانون ليس مراسيم تصدر بل
هو مجموعة من التشريع ثم من الأحكام العليا التي تربت عليه يعود إليها القضاة كما
أعozهم تفسير أو تعليل ، وقد ترتب على ما ذكرنا أن أصدر ناظر الداخلية قراراً
بتاريخ ١٩ ديسمبر سنة ١٨٨١ (٢) فسر به بعض نصوص قانون ٢٦ نوفمبر ١٨٨١
يعنىانا منه أنه أعفى صاحب المطبعة من إخطار نظارة الداخلية بعزمها على طبع
الجريدة أو الرسالة كلما كان ميعاد صدور هذه الجريدة أو الرسالة أقل من شهر
اكتفاء بائرخيص للصحيفة أو الرسالة في هذه الحالة

ثم أصدرت إدارة المطبوعات في ١٧ يناير سنة ١٨٨٣ مذكرة أقررت فيه جواز
استبدال الضمان النقدي بكفالة شخصية في حالات معينة (٣) وهذا قرار يمثل
تطوراً ذا اثر فعال في زيادة النشاط الصحفى لأنه يعالج عقبة كبيرة في طريق
الكثيرين من توافر فريم الكفاية ويغزوهم المال . وفي ١٣ نوفمبر ١٨٨٣ صدر
قانون العقوبات الأهلى وقد خص الشارع جرائم النشر بباب خاص هو الباب
الرابع عشر من الكتاب الثاني وحدد فيه عقوبات الصحافيين ثم عدل قانون العقوبات
في ١٤ فبراير ١٩٠٤ لسد النقص الخاص بالصحف ، وقد ظل قانون المطبوعات
المصرى الأول الصادر في ١٨٨١ معمولاً به وإن أهمل تطبيقه أحياناً إلى أن

(١) رمضان في كتابه السابق ص ١١٠ — ١١٣

(٢) البرهان في ١٨٨٢

(٣) الواقع المصرى في ١٩ يناير ١٨٨٣

فرضت الظروف على المسئولين العودة إلى قانون المطبوعات وتطبيقه على الصحافة المصرية. وقد أعيد العمل بهذا القانون في ٢٥ مارس سنة ١٩٠٩ نتيجة للافلام السياسية البريطانية في حياة المصريين، وقد طبق على الصحف الحديثة وحدها، فألزم الصحفيين الجدد بالحصول على الترخيص الذي قد يمنح وقد يمنع، أما الصحف القديمة التي كانت قائمة في ذلك الوقت فقد أعفيت من وجوب طلب ترخيص جديد، وأعتبر أن مطابعها قد دفعت التأمين الذي نص عليه القانون.

وقد عدلت المادة الثانية عشر من قانون المطبوعات وكان ينبغي أن يعرض هذا التعديل على مجلس شورى القوانين كاقتضى بذلك المادة الثامنة عشر من القانون النظامي، كما أن عودة القانون بقرار من مجلس الناظار باطل من الناحية الفقهية لأن قانون العقوبات الأهلية الصادر في سنة ١٨٨٣ قد أفرد ببابا خاصاً لجرائم الصحافة، ومن القواعد المعروفة في التشريع أن كل قانون يصدر خالفاً لقانون سبقه يجب ما يخالفه من النصوص ولو لم ينص على الغاء هذه النصوص ومع ذلك نصت المادة الخامسة والعشرون من لائحة ترتيب المحاكم الأهلية على هذا المعنى، ثم عدل قانون العقوبات في سنة ١٩٠٤ لسد النقص في جرائم النشر ومعنى هذا كله أن قانون العقوبات الصادر في ١٨٨٣ والمعدل في سنة ١٩٠٤ قد جعلا قانون المطبوعات الصادر في ١٨٨١ ولا يملك مجلس الناظار العودة إليه بقرار منه لأن قرار المجلس أضعف قوة من أي قانون.

ثم عقبت الحكومة على العودة إلى قانون المطبوعات بسن قانون جديد يقضى بحالتهم الصحافة إلى محكمة الجنائيات وهو القانون رقم ٢٧ الصادر في ١٦ يونيو سنة ١٩١١ وكانت من قبل تجري محاكمة أمام محكمة الجناح^(١) وقد دعاها إلى إجراء هذا التعديل أنها رأت الصحافة تحاكم على درجتين ابتدائية واستئنافية وفي ذلك فرصة لأن الصحافة والصحفيين فضلاً عن أن أحکام محكمة الجنح في جرائم النشر كانت إذا ذاك هيئنة لا ترضى رغبات السلطات التي عادت بالصحف إلى قانون المطبوعات القديم، فرأى إحالة هذه الجرائم إلى محكمة الجنائيات لإرهاها.

(١) الرافعي — محمد فريد ص ١٨٨

للسchrift وحرمانها من درجتى التقاضى حسب النظام السابق ، ثم عدل قانون العقوبات تعديلا آخر فى نفس السنة^(١) وهو تعديل خاص بالاتفاقات الجنائية وهو يتصل بالصحافة من حيث منع نشر المرافعات فى القضايا الجنائية إذا اعتبر نشرها مضرآ بالأمن العام ، ثم قرر الشارع المستولية الجنائية على مديرى الصحف ولو لم يتوافر فىهم القصد الجنائى ، كما أضيف نص يعاقب على التهديد بالكتابة أو القول ولو لم يكن التهديد مفروضا بطلب ما ، بعد أن كان التشريع القديم لا يعاقب إلا إذا قرن التهديد بسلب المال

وتتابعت الأحداث السياسية على البلاد بعد الحرب العظمى إلى أن انتهت جاعلان تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ الذى قرر انتهاء الحماية البريطانية واعترف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وتبع ذلك صدور الأمر الملكى رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٣ بوضع نظام دستورى للدولة المصرية قرر في المادة الخامسة عشر من الباب الثانى الذى ينص على حقوق المصريين وواجباتهم أن الصحافة حرة في حدود القانون والرقابة على الصحف محظورة وإنذار الصحف أو وقفها أو الغاؤها بالطريق الإدارى محظور كذلك إلا إذا كان ذلك ضروريا للنظام الاجتماعى . واضح أن هذا النص يقرر حرية الصحافة وهي أهم مظاهر حرية الرأى، التي كفلها الدستور ، وهذه الحقوق تتقدّر للصحافة المصرية للمرة الأولى ، فلما يعترف لها تشريع سابق من التشريعات التي مرت بها بحق الحرية أو الحماية ضد عسف المحكם وزواجهم ، فيدأن المشرع ما عتم أن استطرد في نهاية النص فأجاز الرقابة وإنذار ووقف والإلغاء بالطريق الإدارى إذا كان ضروريا لوقاية النظام الاجتماعى ، فيكأن المشرع سلب باليسار ما أعطاه للصحافة باليمين

وقد حاول أحد ذو الفقار باشا وزير الحقانية وقتئذ أن يبرر الشطر الثانى من هذه المادة وهو يكتفى عن مذكرته الخاصة بالدستور ففسر حماية النظام الاجتماعى

(١) هو قانون رقم ٢٨ لسنة ١٩١٠ الصادر في ١٦ يونيو ١٩١٠

بالبلشفية مثلاً، ونرى أنه كان في قانون العقوبات غنية عن هذا التذليل الذي زعزع المبادئ التي استعمل عليها النص ورد الصحافة مرة أخرى إلى عهد السيطرة الفردية بما لا يحمل بهم يحب أن يقف فيه الدستور حائلا دون كل بطش أو إرهاب، والواقع أن هذا التذليل لم يكن من صنع لجنة الثلاثين التي وضع نصوص الدستور، فقد جاء نص المادة الخامسة عشر كاصاغته هذه اللجنة خلواً من كل قيد أو استثناء لمبدأ عدم جواز تعطيل أو وقف أو إلغاء الصحف بل تقرر هذا المبدأ للصحف بصفة مطلقة وغير مغلق على شرط، ولكن أبت التعديلات التي أدخلت على مشروع لجنة الثلاثين إلا أن تناول فيها تناولاته هذا النص فافتجمت بهذا التعقيب الذي نسخ مفعول النص ولواه عن قصده

وقد يكون من واجب الحكومة المصرية تدبر الحماية الكافية للمبادئ بين المجتمع وبين الاتجاهات البلشفية أو غيرها، بيد أن وسيلة ذلك لا تكون في تمكين الحكم من رقاب الصحف وإلا كان ذلك قتلاً حرية الرأي وخنقًا لنشاط الفكر والقول، ولا ينبغي أن ننسى أن المشرع قد كفل للحكومة حقوقها جميعاً في قانون العقوبات يحمي النظام العام والكيان الاجتماعي ويدرأ عن الدولة أخطار المذاهب التي تخافها الحكومة المصرية، وهنا يكون المهيمن على تطبيق الجزاء ضمير القاضي وهو على أي حال أمنع على الهوى من ضمير الحكم. وما تجدر ملاحظته أن جميع الدساتير الأوربية الحرية التي أخذ عنها الدستور المصري قد تجردت من هذا الاستثناء الذي تعلق به مشرعاً، ففي أوروبا الديمقراطية تكتب الصحف ما تريده وتنشر ما يريدون من المبادئ والدعایات، ولا تستطيع يد الحكومة أن تطاش بها إلا إذا ساقها إلى ساحات المحاكم وثبتت عليها خروجها على القانون والحدود المرسومة له، وما ذلك كله إلا مبالغة في حرية الصحافة وعصمة حرية الفكر من نزوات البطش والطغيان.

وقد صاحب صدور الدستور مشروع قانون المطبوعات ظل مشروعًا من سنة ١٩٢٣ إلى سنة ١٩٣١ وقضى هذا المشروع بأن يكون صدور الصحيفة خاضعاً

لمبدأ الإخطار، وكان هذا الإخطار مقيداً بفترة ثلاثة أيام إذا انتهت دون معارضه من الحكومة ملك صاحب الإخطار إصدار الصحيفة دون إذن بذلك، وإذا عارضت الحكومة في صدور الصحيفة خلال الثلاثة أيام التالية ليوم تقديم الإخطار رجع صاحب الإخطار إلى المحاكم يقاضي الحكومة ولو بالتعويض على الأقل، وفرض هذا المشروع شرطاً في رئيس التحرير ورؤسائه أقسام التحرير في الصحافة العربية تتصل بكفاياتهم العلمية وتجاربهم الصحفية وسمتهم وألا تكون قد صدرت ضدهم أحكام مخلة بالشرف أو بالإفلات أو بالفصل الإداري من وظيفة عامة أو الشطب من جداول المهن الحرة كائن مشروع القانون على ضمانة مالية للجريدة اليومية تختلف بعض الشيء عن المجالات

وبقي هذا المشروع معطلاً حتى جاء دستور ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٣٠ فأثبتت من جديد نص المادة الخامسة عشرة في دستور ١٩٢٣ بحذفها وما انتوت عليه من التعديل المعيب الذي أسلفنا ذكره، غير أنه لما كان روح الدستور يرمي إلى الضغط على الحريات العامة التي تقررت في دستور ١٩٢٣ فقد لجأت الحكومة — بزعم احتفاظ الدستور الجديد بنفس النص — إلى تعديل نصوص الباب الرابع عشر في قانون العقوبات الصادر في سنة ١٩٠٤ وهو الباب الذي تناول العقاب على الجنح التي تقع بواسطة الصحف وغيرها من طرق النشر، وكذلك الباب السابع من الكتاب الثالث من القانون المذكور بشأن القذف والسب، وصدر بهذا التعديل مرسوم بقانون في ١٨ يونيو ١٩٣١ وقد عدل المشروع نصوص المواد من ١٤٨ إلى ١٦٨ كما أضاف إليها بعض الأحكام الجديدة، وقد رمى المشروع بهذا التعديل إلى التشديد في العقاب المقرر للجنح وجرائم القذف والسب الأمر الذي يعرض — في رأيه — الأنظمة السياسية للفساد ويخرج بها عن الغرض المقصود منها ويجعل حرية الصحافة ذاتها في خطر، وأنه يعتقد أن هذا التعديل يمكن تعطيل الجريدة بالطريق الإداري ثم إحالتها إلى المحكمة حتى لا تستطيع التعرية بالآسماه التي من أجلها أحيلت إلى القضاء، وهذا التدبير إنما اتخذ في التعديل الأخير ضمماً لاحترام القضاة الجنائي

والقانون الذي يحكم الصحافة في الوقت الحاضر هو قانون المطبوعات رقم ٢٠ لسنة ١٩٣٦، ولذلك نتعرف على أهم القواعد التي اشتتمل عليها هذا القانون لابد أن نربط بيده وبين قانون آخر للمطبوعات وهو القانون رقم ٩٨ لسنة ١٩٣١^(١) وأول ما يطالعنا في قانون سنة ١٩٣٦ أنه ألغى ضرورة الحصول على ترخيص أو ضمانة مالية لفتح مطبعة كما كان يشترط قانون ١٨٨١ واكتفى باخطار الحكومة ثم تقديم بعض النسخ من كل مطبوع قبل التوزيع وكذلك الحال فيما يختص باصدار الجريدة فهو كقانون سنة ١٩٣١ وعلى خلاف قانون ١٨٨١ يكتفى باخطار المحافظة أو المديرية مع تقديم بيانات خاصة عن أصحاب الجريدة أو محرريها أو ناشريها والمطبعة التي تطبع فيها وغير ذلك : كما يتضمن بعض الإجراءات الخاصة بهذا الإخطار كحق صاحب الجريدة في إصدارها بعد شهر من يوم إخطار المحافظة أو المديرية مالم تسكن هناك معارضه من جانب السلطة المختصة في خلال هذا الشهر وكانتبار هذا الإخطار كأن لم يكن إذا لم تصدر الجريدة في ظرف الشهور الثلاثة التالية للإخطار ، كما وضعت بعض الأحكام الأخرى التفصيلية التي لا تختلف في جوهرها عن قانون سنة ١٩٣١ وإن اختلف القانون في هذه البيانات التفصيلية أشد الاختلاف مع قانون سنة ١٨٨١ الذي كان ينص صراحة على ضرورة الحصول على الترخيص ، ولم يكن يتضمن شيئاً عن نظام صدور الجريدة .

وقد عدل قانون ١٩٣٦ الشروط الواجب توافرها في رئيس التحرير أو رئيس
أقسام التحرير فرفع شرط عدم الحكم في جنائية على إطلاق التعبير ونص على عدم
الحكم في جنائية عادلة وأخرج جنائية العيب في الذات الملكية لأنها جنائية سياسية
ورفع شرط عدم الحكم مرتين في قذف وشرط عدم الفصل إداريا من وظيفة عامة
وشرط الشطب من جدول مهنة حرفة وعدم الجمع بين عضوية البرلمان والصحافة
كما أن القانون أجاز ضمان الكفيل ولم يفرض الكفالة النقدية التي تراوح بين

(١) انظر قانون العقوبات (السعيد مصطفى السعيد)

ثلاثمائة ومائة وخمسين جنيها والتى نص عليها قانون سنة ١٩٣١ وإنما ترك اطالب الترخيص اختيار ما يرضيه من الوسائلتين .

وقد تضمن قانون سنة ١٩٣٦ حكماً ما وهو إلغاء النص الذى كان يقضى به قانون ١٩٣١ وهو حق إلغاء الجريدة أو إقفال المطبعة بالطريق الإداري وأصبح هذا المنع الإداري مقصوراً على المطبوعات الواردة من الخارج والتى من شأنها أن تسيء إلى النظام العام أو المطبوعات المثيرة للشهوات أو المطبوعات التي تتعرض للأديان أو ما يكدر السلم العام، ولا يكون هذا المنع على أى حال إلا بقرار من مجلس الوزراء ، أما الجرائد التي تصدر في مصر بلغة أجنبية ولا يكون رئيس تحريرها أو محرروها المسئولون خاضعين لاختصاص المحاكم الأهلية فقد نص قانون ١٩٣٦ على حق مجلس الوزراء في تعطيلها بعد إنذار يوجه إليها وزير الداخلية أو بدون إنذار سابق ، وقد ألغى هذا النص بعد توحيد قانون العقوبات

وابتداء من ١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٧ وكأنه من آثار الغاء الامتيازات الأجنبية أصبح قانون العقوبات الذي تطبقه المحاكم الأهلية هو عينه الذي تطبقه المحاكم المختلطة ولم يعد لدينا سوى قانون واحد للعقوبات وهو القانون رقم ٥٨ سنة ١٩٣٧^(١) الذي اعتمد في أساسه على قانون العقوبات الأهلى القديم الصادر في سنة ١٩٠٤ ومع ما لازمه على مر السنوات وتحت الظروف المختلفة من التعديلات والإضافات ، ويهمنا من أمر هذا القانون الجديد أن المواد التي تعرضت منه للجرائم التي تقع بواسطه الصحف وغيرها من طرق النشر وهي الواردة تحت الباب الرابع عشر من الكتاب الثانى وكذلك المواد التي تعرضت للقذف والسب وإفساد الأسرار وهي الواردة في الباب السابع من الكتاب الثالث أصبحت سارية المفعول على المصريين والأجانب وتطبق أمام المحاكم الأهلية والمختلطة على سواء .

(١) قانون العقوبات المصرى الجديد — السعيد مصطفى السعيد .

وكان آخر ما اتصل بشئون التشريع الصحفى قانون نقابة الصحفيين وهى فكرة قديمة حاولها العاملون فى الصحافة الفرنجية فى مصر منذ خمسين سنة، وكانت فكرتهم تتميز بطابعها الأجنبى ، فقد أرادوا منها قوة تعيش فى ظل الامتيازات الأجنبية وتحول دون بطش الحكومة المصرية بهم ، ثم وجدت نقابة مصرية فى سنة ١٩٢٠ بيد أنها مضت متعثرة يغلب فيها اعتبار أصحاب الصحف واعتبار الامتيازات الخاصة بهم دون التفكير فى أرباب الأجر العاملين فيها^(١) وقد روى عن هذا الروح فى قانون « جماعة الصحافة » الذى صدر به مرسوم فى سنة ١٩٣٦ غير أن هذا القانون بقى معطلًا ولم ي العمل به ولم تجرؤ حكومة من الحكومات المصرية على تعين مجلس الإداره الأول وظلت أمور الصحافة على شىء من الفوضى إلى أن صدر قانون « نقابة الصحفيين » وعمل به سنة ١٩٤١^(٢)

ويشبه هذا القانون فى كثيير من النواحي أحد ث نقابات الصحافة فى العالم . وأهم ما جاء فى هذا القانون أنه خالف جميع المحاولات السابقة التى صدرت عن الجهد الخاص أو التشريعات الحكومية فانتقل بنا من اعتبار الصحفية وامتيازاتها إلى اعتبار وتقدير العاملين فيها وحقوقهم والتزاماتهم ، فسمى جماعتهم « نقابة الصحفيين » وهو يجمع فى الصحافة بين ملاك الصحف والمحررين فلا يجعل منهما طائفتين متنافرتين بل يعمل على تضامن عناصر الطائفة العاملة فى الصحافة وتقدير قواعد مزاولتها فى لون من ألوان الاحتراف ، ويسمى القانون على بيان العادات المرعية فى أسمى معانى المهنة الصحفية بدل أن يترك أمرهافوضى من غير ضابط ولا وازع ، وذلك أمر يدعم الصحافة ويؤكدها على يد المعاشر فى الشارع بعقد استخدام الصحف وكذلك ينظم تسوية المنازعات التى تنشأ بين أعضاء النقابة أو بينهم وبين غيرهم ثم ينشئ لهم صندوق ادخار بقى الأعضاء العوز والفاقة عند السكير أو العجز عن العمل .

(١) ملخص مبادىء الصحافة العامة ص ١١٠ - ١١١

(٢) الواقع المصرى فى ٣ أبريل ١٩٤١

وقد مضت المادة الثالثة من قانون نقابة الصحفيين تحدد أغراض النقابة ومن أهمها العمل على صيانة أوضاع الصحفيين وتحديد حقوقهم وتنظيم علاقة الصحافة مع الحكومة والجمهور وسن القواعد المنظمة لازالة المهنة وبيان العادات المرعية فيها وتوقيع الجزاء على المخالفين لمبادئ مهنة الصحافة ولو أكثراً عاداتها المرعية ثم العمل على تكريم الصحافة وإعلان شأوها بين الجماعة المصرية، كما فرض القانون على النقابة أن تبتعد عن المسائل السياسية والدينية.

وقرر القانون حقوق الصحفيين أهمها حصر لقب الصحف في أعضاء النقابة وتوقيع العقاب على من يدعى هذا اللقب كما جاء ذلك في المادة الثانية والعشرين، وأعطى القانون أعضاء النقابة مزايا كثيرة قررتها المادة الثالثة والعشرون فذكرت أن «لأعضاء النقابة وحدهم حق الانتفاع بالمرايا والمنح التي تمنتها السلطات العامة بقصد تسهيل إزالة المهنة كمتذكرة الانتقال والمرور، والشروط الخاصة فيما يتعلق بأعمال البريد والتلغرافات والتليفونات والسكك الحديدية وتعطى وزارة الداخلية تذكرة إثبات شخصية خاصة لجميع أعضاء النقابة»، وذلك بجانب بعض المزايا الأخرى الحاصلة فعلاً وإن لم تنص المادة عليها كلام تفاصيل المجزي كـ «امتياز أجور البريد وهو امتياز قديم منذ سنة ١٨٦٩». وتعتبر نقابة الصحفيين التي صدر بها القانون في سنة ١٩٤١ آخر جمهودات الحكومة في تنظيم مسائل الصحافة وعلاج مشاكلها، وهي على أي حال خطوة طيبة جداً في تحرير الصحافة من ربقة الفكرة الشائعة عنها بأنها مهنة لا تستأهل اهتماماً أو تستوجب تقديمها، كما أنها أظهرت الجمهودات التي بذلت لقرير حقوق الصحفي والعمل على صيانة كرامته.

وإذا كانت الحكومة قد رأت تكريماً للصحافة واعترافاً بفضلها على جوانب الحياة المصرية أن تنشئ لها وللعاملين فيها نقابة تحفظ حقوقها وحقوقهم فإن ذلك وحده لا يكفي ما دامت الاتجاهات في بعض العهود يشوبها التضيق على حرية الصحافة حتى إن الدستور لم يكفل لها حياة حررة طلقة، ولا يستطيع المؤرخ أن يزعم أن الاتجاه نحو التيسير على الصحافة والعاملين فيها كان اتجاهها مطلقاً ليس له حدود.

مراجع البحت

١ - ونائق لم ننشر (اكتفينا بالإشارة إليها في المقامش)

٢ - كتب عربية وعربية

تاریخ الطباعة والصحافة في مصر خلال الحملة الفرنسية

سنة ١٨٠١ - ١٧٩٨ القاهرة

ابراهيم عبده

تاریخ الواقع المصرية ١٨٢٨ - ١٩٤٢ القاهرة

ابراهيم عبده

أعلام الصحافة العربية طبعة ثلاثة ١٩٥٠

ابراهيم عبده

حول الصحافة في عصر إسماعيل (حقائق غير
مطبوعة) طبعة ١٩٤٧

ابراهيم عبده

جريدة الأهرام - تاریخ مصر في خمس وسبعين سنة

ابراهيم عبده

طبعة ١٩٥١

مذكراتي في نصف قرن . القاهرة . الطبعة الأولى

أحمد شفيق باشا

تاریخ التعليم في عصر محمد علي . القاهرة ١٩٣٨

أحمد عزت عبد السكري

مجموعة القوانين واللوائح المعمول بها في مصر . جزءان
في ١٩٢٦

أحمد محمد حسن بك

وايزيدور فلدمان

الإسلام والتجدد في مصر : ترجمة عباس محمود

آدمس (تشارلن)

جزءان في ١٩٢٦ القاهرة الطبعة الأولى

إسماعيل سرهنوك

حقائق الأخبار عن دول البحار . الجزء الثاني طبعة ١٣١٢

الجبرتي (الشيخ عبد الرحمن)

معاجيب الآثار في الترجم والأخبار . أربعة أجزاء

القاهرة ١٣٢٢

قانون العقوبات المصري ١٩٣٧

السعید مصطفى السعید

الواسطة في معرفة أحوال مالطة وكشف المخبا عن

الشدياق (أحمد فارس)

فنون أوربا . القدسية ١٢٩٩

- أمين باشا سامي
تقويم النيل . الجزءان الثاني والثالث ، القاهرة ١٩٢٨
- بلنت
التاريخ السرى لاحتلال إنجلترا مصر ، ترجمة البلاع
الطبعة الأولى
الأطيان والضرائب في القطر المصرى ، القاهرة ١٩٠٤
- جر جس حنين بك
جودت
تاريخ جودت . ترجمة عبد القادر أفندي الدنا ، بيروت
٥ ١٣٠٨
- جورجي زيدان بك
جورجي زيدان بك
رفاعه بك رافع الطهطاوى
زود ذشتين
- جورجي زيدان بك
جورجي زيدان بك
جورجي زيدان بك
- سليم خليل نقاش
وجر جس ميخائيل
- عبد الرحمن الرافاعي بك
عبد الرحمن الرافاعي بك
عبد الرحمن الرافاعي بك
- عبد الرحمن الرافاعي بك
عبد الرحمن الرافاعي بك
علي مبارك باشا
- فيليوب جلاد
- فيليوب دى طرازى
(الكونت)
- الطبيعة الشائعة
مصر للمصريين . الأجزاء الرابع والخامس والسادس
والسابع طبعة ١٨٨٦
- عصر إسماعيل ، جزمان ، القاهرة ١٩٣٢
- الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ١٩٣٧
- مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال (تاريخ مصر القومي من ١٨٨٢ - ١٨٩٢)
- مصطفي كامل باعت الحركة الوطنية طبعة ١٩٣٩
- محمد فريد رمز الإخلاص والتضحية ١٩٤٢
- الخطط التوفيقية ، عشرون جزءاً في خمسة مجلدات
- بولاق ١٣٠٦
- القاموس العام للإدارة والقضاء في ستة مجلدات
- طبعة ١٩٠١
- تاریخ الصحافة العربية ، أربعة أجزاء بيروت ١٩١٣
- و ١٩٣٣

- قسطاكي الياس عطارة
الحلبي
كرانيايتيس (بيير)
محمد مختار
محمود رشيد رضا
محمود عزمى
مصطفى محمد الفلكى
ومحمد نجيب
هنس رزز
يوسف محمد دسوقى
ومحمد كامل دسوقى
- تاریخ تکوین الصحف المصریة القاهرۃ ۱۹۲۸
إسماعیل المفتري عليه ، ترجمة صروف الطبعة الأولى
التوفیقات الاطھامیة في مقارنة التواریخ الهجریة بالسنین
الافرنجیة والقبطیة طبعة ۱۸۹۳
تاریخ الأستاذ الإمام الشیخ محمد عبده (ثلاثة أجزاء)
مطبعة المفار ۱۳۴۲
مبادی الصحافة القاهرۃ ۱۹۴۱
النتیجة المستحسنة لحساب مائة سنة طبعة ۱۸۹۵
مصر في عهد الاحتلال الانگلیزی ، طبعة ۱۸۹۷
في الصحافة . مطبعة جریدة الصباح

٣ - مخطوطات

حلیة الزمن في وصف مناقب خادم الوطن
(مخطوط) بدار السکتب المصرية ۱۳۹۰ هـ

السيد صالح مجدى بك

مقالات في صحف و مجلات

في سنة ۱۹۳۶
العدد الأول من السنة الأولى - الجرائد العربية في العالم
العدد الثامن من السنة الثانية عشر - تاریخ النهضة
الصحافية في اللغة العربية

مجلة الشباب

مجلة الہلال

مجلة الہلال

في ۲۶ حزیران سنة ۱۸۹۷ (الصحافة في القطر المصري)
السنة الثالثة ، العددان الرابع والسادس

مجلة الأجيال

مجلة الشرق

١ — كتب المراجع

Cambridge Modern History. Vol. VIII. IX

Deny, J. Sommaire des Archives Turques. Le Caire. 1930.

Hilmi, Ibrahim (Prince) : The Literature of Egypt and the Sudan from the earliest times. 2 Vols. London 1896.

Maunier, R. Bibliographie Economique, Juridique et Sociale de L'Egypte Moderne (1798—1916) Le Caire, 1918.

٢ — وثائق مطبوعة

Blue Books 1870—1914.

Correspondances de Napoleon Ier T. IV-V. Paris MDCCELX

Despatches on Egypt By the Consul of the United States. Palais d'Abdine.

Keller, A. Correspondances. Bulletins et Ordres du jour de Napoléon T. IV.

Législation Ottomane T. III. N 25/1 أرشيف وزارة الخارجية

Livres jaunes 1870—1914

Sachot.. L'Instruction Publique en Egypte. 1868.

Parliamentary Debates 1806 — 1882 (Cobbet's and Hansard's Parliamentary History of England)

٣ — وثائق لم تطبع

Diplomatic Documents Concerning affairs of Egypt, Sc. Soc. T. 1

N. 679. The Egyptian Library.

٤ — الكتب

Baignières. P. L'Egypte Satirique, 1896.

Blunt, W.S My Diaries. London. 1919—1920

Bowring. Report on Egypt and Candia. London 1840

Bréhier. L'Egypte de 1798—1900. Paris 1900

Charles—Roux, Bonaparte Gouverneur d'Egypte. Paris 1936.

- Clot, A. B. Aperçu général sur l'Egypte, Paris 1840.
- Cromer. Modern Egypt. 2. Vols. 1908.
- De Freycinet. La Question d'Egypte. Paris 2e Edition.
- De La Roque. Voyage au Liban et Syrie. Paris 1716.
- De Lesseps. F. Lettres, Journal et Documents pour servir à l'histoire du Canal de Suez. 2 Vol. 1875
- Douin. Histoire du Règne du Khédive Ismail. 6 V. 1932—1941.
- Douin. La Mission du Baron De Boislecomte. L'Egypte et la en 1833.
- Galal. K. E. Entstehung Und Entwicklung der Tagespresse i Agypten. Limburg 1939.
- Hartmann M. Arabic Press of Egypt 1899.
- Huart, C. La Littérature Arabe. Paris 1903
- Kyriacos Michael. Copts and Moslems Under British Control. London 1911.
- Le Groupe D Etudes de l'Islam. L'Egypte Indépendante, Le Caire 1937
- Lloyd. Egypt Since Cromer. 2 Vol 1933.
- Mahmoud Fouad, Le Régime De La Presse En Egypte. Paris 1912
- Merruau L'Egypte Contemporaine, Paris 1855.
- Munier : La Presse En Egypte (1799-1900) Notes et Souvenirs 1930
- Ninet. J. Arabi Pacha Paris 1884.
- Ramadan, A.M.S. Evolution De La Législation Sur La Presse en Egypte. Paris 1935.
- Rigault, G. Le Général Abdiullah Menou et La Dernière Phase de L'Expédition d'Egypte. Paris 1911.
- Rousseau. M.F. Kléber et Ménon en Egypte depuis le départ de Bonaparte (Août 1799—Septembre 1801) Paris 1900
- Sabry. M. La Genèse de l'Esprit National. Egyptien. Paris 1934
- Weill. G. Le Journal, Origines, Evolution et Rôle de La Presse Périodique. Paris 1934.
- Young, G. Egypt. London 1937.

◦ — الدوريات ◦

- Annuaire de La République Française L'AN. VII. Le Caire AN VII
La Décade Egyptienne 1798—1801.
Courrier de L'Egypte. 1798—1801
Le Progrés Egyptien. 1860—1878
L'Impartial d'Egypte 1868
Le Journal Officiel 1885—1942.
Le Moniteur Egyptien 1833
Le Moniteur Egyptien 1874—1884

٦ — مقالات في المجالات العلمية

- Artin, Y. Pacha. Etude Statistique sur La Presse Egyptienne, Bulletin de L'Institut Egyptien 1905.
Belin, M. Notice Nécrologique et Littéraire Sur N.j.j. Marcel . Journal Asiatique 5^{ème} série. Tome 111, 1854.
Bonola, F. Una Visita a Mohammed Ali nel 1822 La prima Stamperia et il primo giornale. Revue internationale d'Egypte. octobre 1905
Canivet, R.C. L'Expédition d'Egypte. La Revue Internationale d'Egypte 1906
Canivet, R. L'Imprimerie de l'Expédition d'Egypte. Les journaux et Les Procés-Verbaux de l'institut (1798 — 1800) Bulletin de l'Institut Egyptien 3^{ème} série Tome 111 Fasc. 1-2. 1909.
Geiss, M, A. Histoire de l'Imprimerie en Egypte. Bulletin de l'institut Egyptien 5^{ème} Série Tome 1, 1907.
Reinaud, De La Gazette Arabe Turque imprimée en Egypte. journal Asiatique 2^{ème} Série, Tome VIII, 1831.

قاموس الأعلام

(١)

ابراهيم (باشا)	٤٢ / ٤١ / ٤٠ / ٣٩
ابراهيم الدسوق (الشيخ)	٤٧
ابن تغري بردى	١٧
ابن خلكان	١٧
ابن هشام	١٧
أبوالسعود (عبد الله)	/ ٦٣ / ٥٦ / ٥٣
أبوالسعود (محمود)	٦٩ / ٥٦
أبو شادي (محمد بك الحاي)	١٦٩
أحمد أفندي (ناظر مطبعة ديوان الجهادية)	٣٧
أحمد أمين	٢١٥
أحمد خيري بك	٢٢٨
أحمد زكي باشا	٢١٨
أحمد سالم (المطرب)	٢٤٣
أحمد عبد الرحيم	٥٦
أحمد محمد حسن بك	٨
أدهم بك	٣٤
أديب اسحق	١٠١ / ٩٢ / ٧٨ / ٧٥
الرافعي (أمين بك)	٢١٣ / ٢٠٤ / ١٩٩
الرافعي (عبد الرحمن بك)	٨
الزييات (أحمد حسن)	٢١٥
السردار	٢١٢
السيد سراج ابراهيم المدنى	١١١
السيد شهاب الدين	٣٤
السيد عبد الخالق (شيخ السادات الوفاعية)	-
الشمسي (أمين بك)	١٦٧ / ١٦٦ / ١٦٥ / ١٦٤
الشمسي (حسن)	٤٥ / ١٢ / ٩ / ٨
المطار	٥٢
المقاد (عباس محمود)	٢١٤ / ٢٠٦
الغایاتي (علي)	٢٥٧ / ٢٥٦ / ١٩٦

«ت»

١٢٨ / ٧٦ / ٧٢ تقلا (بشاره)
 ٢٠٥ تقلا (جيائين)
 / ٧٣ / ٧٠ / ٦٦ تقلا (سليم)
 ١٤١ / ١٢٨ / ٩٤
 / ٩٤ / ٩٠ / ٨٩ توفيق الحديو ٥٤
 / ١٠٥ / ١٤ / ١٠٣ / ٩٩
 / ١٢٢ / ١١٨ / ١١٤ / ١٠٦
 / ١٣٥ / ١٢٨ / ١٢٧ / ١٢٥ / ١٢٤
 ٢٤٤ / ٢٢٩ / ٢٢١ / ١٦٨ / ١٥٠
 ٢٤٧

٢١٠ / ١٥٤ توفيق البكري (السيد)
 ٢١٦ توفيق الحكيم
 ٢١٤ / ٢٠٠ توفيق دياب (محمد)

«ث»

نات افندى (كاتب مجلس شورى العسكرية)
 ٣٧
 ثابت باشا (وزير الداخلية) ١٣٩

«ج»

٩ ج . فيل
 ٤٧ جليلة تمرهان (القابلة)
 ١٧٥ جندى ابراهيم بك
 ١٤ جوتنيرج
 ٢٢٠ جودار بك
 ٢٣٨ جورج دوماني
 / ١٧٧ / ١٧٥ جورست (الدون)
 ١٩٦ / ١٩٣ / ١٨٣ / ١٨٢ / ١٨٠
 ١٣٦ جوشن
 ٢٢٤ جون باورنج

«ح»

٢٠٢ حافظ ابراهيم
 ٢١٠ / ٢٠٩ حافظ عوض (أحمد بك)

٢٠٦ الفرابلى (محمد نجيب باشا)
 ٥٢ القضاوى
 ١٧ القاقدندي
 ٢٧١ الكسندر بانوتسى (المسيو)
 ٩٧ اللاقانى (ابراهيم)
 ٩١ الالبي (علي)
 ٢١٣ المازنى (ابراهيم عبد القادر)
 ٢١٤
 ١٤٥ المؤدى
 ٢٤٩ / ٦٥ المويلاوى (ابراهيم)
 ٨٩ / ٨٥ المويلاوى (عبد السلام بك)
 ١٨٩ المويلاوى (يوسف بك)
 ١٥١ الهمباوى (ابراهيم)
 / ١٨٧ الورداوى (ابراهيم ناصف)
 ١٩٣ / ١٩٠

٧ الياس عطاره الحلبي
 ٥٦ أمين أغا
 ١٤٩ / ٩ أمين عبد الحامى
 ٨ إيزيدور فلمنان

«ب»

١٤٧ / ١٣٤ بارنج (السير)
 ٢٣٠
 ٢٣٧ / ٢٣٦ باروت بك
 ١٠ باربير بك
 ٢٥٩ بانير
 بروكى
 بطرس غالى باشا ١٨٨ / ١٨٧ / ١٨٢
 ٢٥٢ / ١٩٢ / ١٩١ بلنت (المستر الفريد)
 / ١٤٩ / ١٣٧
 ٢٥٥ / ٢٣٤ بول دوبير
 ٢٤٤ بونابرت (الجنالـ نابليون) ٥ / ٢٣
 ٢٥٩
 ٢٧١ بيرينيه (الخواجة)
 ٢٦٠
 ٢٥٥ / ١٧٤ بيلوتى
 بيرلوسى

رياض باشا / ٩٤ / ٩٢ / ٩٠ / ٨٩
 ١٠٩ / ١٠٨ / ١٠٧ / ١٠٦ / ١٠٥
 ١٥١ / ١٤٧ / ١٣٩ / ١٢٤ / ١٢٢
 ٢٤٨ / ٢٤٧ / ١٩٤ / ١٧٢

« س »

سعد زغلول / ٢٠٦ / ٢٠٥ / ٢٠٤
 ٢١٢ / ٢١٠ / ٢٠٧
 ١٩ سعيد افندي
 سعيد باشا / ٥٩ / ٤٤ / ٤٣ / ١٢
 / ٢٢٥ / ٢٢٤ / ٢٠٧ / ٧٤ / ٦٠
 ٢٦٨ / ٢٦٧ / ٢٤ / ٢٦١
 سلطان (محمد باشا) / ١٢٦ / ١٠٨
 ١٣٧

سليم النقاش / ١٢٦ / ١٢٢ / ١١٧
 ٢١٥ سليمان فوزي
 ٢٦٠ سولت
 ٢٣٦ / ٢٣٤ سيرير (المسيو)

« ش »

شاهين مكاريوس / ١٤٨ / ١٣٠
 شريف باشا / ١٠٢ / ٩٩ / ٩٢ / ٩١
 ١٠٩ / ١٠٨ / ١٠٥ / ١٠٤ / ١٠٣
 ١٢٠ / ١١٨ / ١١٧ / ١١٣ / ١١٠
 ٢٤٤ / ٢٣٢ / ٢٢٨ / ١٣٩ / ١٣٨
 ٠ ٢٧٢ / ٢٦٩ / ٢٤٨ / ٢٤٧

٩٠ شيل (أمين)
 ١٣٠ شيل (الدكتور شيلي)
 ١٣٠ شفي (محرر باتيمس)
 ٢٠٢ شوق

« ص »

٣٦ صابو نجبي
 ٢١١ صادق عنبر
 ٥٦ صالح مجدى

٢١٢ / ٢١١ حسن أغا (وكيل الخراج)
 ٤٢ حسن الطويل (الشيخ)
 ٥٠ حسن بك
 ٢٢٧ حسن عاصم (باشا)
 ١٥١ حسن عبد الرزاق (باها)
 ١٧٥ حسن محمود (الدكتور)
 ٥٤ حفيظ ناصف
 ٢١٠ حمزة فتح الله (الشيخ)
 ١١٥ / ١١٤ / ١٢٨ / ١٢٤ / ١١٧ / ١١٦ حوى (شاعر السكوب)
 ٦٦

« خ »

خليل مطران
 خليل نقاش
 ١٦٠ دانلوب
 ٨ درجت
 ١٨٣ درية شفيق
 ٢٤ دنجراء
 ٢٢١ دوبلنيار
 ١٨٥ دوفربن (الورد)
 ١٢٣ / ٩٨ / ٨٣ ١٣٣ / ١٣٢

« ذ »

ذواللقار (باشا)
 ٢٧٦ رشيد رضا (السيد محمد)
 ٢٠٠ / ١٥٦ ٢١٨ / ٢١٧

رقاعة رامع الطهطاوى (الشيخ) / ٣٣ / ٣٤
 / ٦٣ / ٥٢ / ٥١ / ٥٧ / ٥٦ رفت (أحمد بك)
 ١٢٩ روز حداد

٢٤١	على الفندره لي أفندي
٢٤١	على جام أفندي
٢١٧	على عبد المرازق
/ ١٥٣ / ١٥١	على يوسف (الشيخ)
٢٠١ / ٢٠٠ / ١٦٨ / ١٦٧ / ١٦٦ / ١٦٤	
٢٥٦ / ٢٣٧ / ٢١٠	

« غ »

٢١٥	غنايم (محمود سليمان باشا)
	« ف »

١٤٨ / ١٣٠	فارس نمر
٢٩	فورني
١٢٧	فوريين (المسو)
٣٥	فيجيات (الجنرال)
٤٣	فيض الله آغا (الطاھي)

« ق »

/ ١٩٢ / ١٨٤ / ١٠	قرياقص ميخائيل
١٩٥	

« ك »

١٠١	كاستيلي
١٩٩ / ١٩٧	كتشر (اللورد)
١١١ / ١١٠ / ١١	كروس (اللورد)
/ ١٤٣ / ١٤٢ / ١٣٧ / ١٣٦ / ١٣٥ / ١٣٤	
١٥٥ / ١٥٣ / ١٥١ / ١٤٩ / ١٤٨ / ١٤٤	
١٧٣ / ١٧٢ / ١٧١ / ١٦٩ / ١٦٨ / ١٦٤	
٢٣٨ / ١٧٨ / ١٧٧ / ١٧٥ / ١٧٤	
٢١٤	كريم ثابت
١٢٠	كفن (السير أو كلند)
٢٥٥	كلود فارير
٢٣٥ / ١٣٩	كلينورد لويد
١٠	كامل الدين جلال

صبرى أبوعلم

« ط »

٦٣ / ٧ / ٦	طرازى (فليب)
٧	طمعت حرب باشا
/ ٢١٥ / ٢٠٠	طه حسين (الدكتور)
٢١٧	

« ع »

/ ٤٤ / ٤٢	عباس الاول (الخديو)
٢٦١ / ٥٠	
/ ١٥٤ / ١٥٣	عباس الثاني (الخديو)
/ ١٧٢ / ١٦٩ / ١٦٨	
٢١١ / ٢٠٢ / ١٧٣	
٤٥ / ٤٤	عبد الرحمن رشدى بك
/ ١٨٣	عبد العزيز جاويش (الشيخ)
/ ١٩٩ / ١٩٢ / ١٩١ / ١٨٦ / ١٨٥	
٢٥٧ / ٢٥٦	

/ ٢٠٧ / ٢٠٦ / ١٩٣	عبد القادر حزة
٢١٢ / ٢٠٨	

٢١٠ / ٥٦	عبد السكريم سلطان
١٢٧ / ١٢٦ / ١٢٥	عبد الله النديم
١٥٣	

٢٤٨	عبد الله بن مراد
١١	عبد الحميد صادق رمضان
٦٥ / ٥٦	عمان جلال

٢٦٠ / ٢٤١ / ٢٤٠	عمان نور الدين بك
١٢٤ / ١١٩ / ١١٤ / ١٠٩	عرابي (أحمد)
/ ٢٣٤ / ٢٣١ / ١٤٣ / ١٢٧	
٣٦ / ١٢٨	

٢٥٥	
٢١٥ / ٢٠٥	عزي (الدكتور محمود)
٢٥٨	
٥٦	علي السلام نكلى بك

« ل »

- ١٥٩ محمود سالمه
 ١٧٥ محمود سليمان باشا
 محمود محمد (كتابجي بخان الخليلي) ٤٦٢
 مختار الفازى باشا ١٤٤ / ١٣٥
 ٤٩ مصطفى بك
 مصطفى باشا (محافظ كريد) ٢٤١
 ١٨٢ / ١٥٠ مصطفى ذوى باشا
 مصطفى كامل باشا ١٥١ / ١٤٨ / ١٤٠ / ٨
 ٩٦٠ / ١٥٩ / ١٥٧ / ١٥٥ / ١٥٤ / ١٥٢
 ١٧٤ / ١٧٢ / ١٦٨ / ١٦٣ / ١٦٢ / ١٦١
 ٢٣٨ / ٢٣٧ / ٢٠١ / ١٩٠ / ١٧٩
 مظير بن وضاح (امضاء مستشار اللافافى)
 ٧٩
 ١١٤ معرض فريد
 ٢٠٠ / ١٣٦ ملز (الفرد)
 ٢٥٩ / ٢٤ منو (الجزال عبد الله)
 ٢٢٨ موريه (المسيو)
 ٤٣ موسى (اليهودي الآلاتي)
 ٩ مونيه (Munier)
 ٩ ميخائيل بن أنطون

« م »

- ١١٢ محمد (النبي صلعم)
 ١٦٠ محمد ابراهيم (الأمير)
 ٢١٥ محمد السباعى
 ١٧٠ محمد الشربلى (الشيخ)
 ٤٣ / ١٠ / ٩ محمد صبرى (الدكتور)
 ٥٤ محمد عبده (الاستاذ الامام الشیخ)
 ١٥٧ / ١٥٦ / ١٢٦ / ١٠٦ / ٧٢ / ٦٨ / ٥٦
 ٢٤٩ / ٢٤٣ / ٢٢١ / ٢١٠ / ١٧٠ / ١٦٩
 ٢٥٤ / ٢٥١ / ٢٥٠
 ٣١ / ٣٠ / ٢٩ / ٢٨ / ٢٦ / ١٢
 ٤٨ / ٤٤ / ٤١ / ٣٩ / ٣٨ / ٣٥ / ٣٣ / ٣٢
 ١٠٠ / ٧٤ / ٦٠ / ٥٨ / ٥٦ / ٥٢ / ٥١
 ٢٢٤ / ٢٢٣ / ٢٢١ / ١٥٩ / ١٤٦ / ١٠٧
 ٢٦٢ / ٢٦١ / ٢٦٠ / ٢٥٩ / ٢٤
 ٤٧ محمد على باشا الحكيم
 ١٧٨ / ١٤٩ / ١٤٦ / ٨ محمد فريد بك
 ٢٠٠ / ١٩٩ / ١٩٨ / ١٩٧ / ١٩٦ / ١٨٦
 ٢٥٧ / ٢٥٦ / ٢٥٥
 ١١ محمد فؤاد
 ٧ محمد كامل دسوق
 ٢١١ محمد مسعود بك
 ٢٦٧ محمد هاشم (السيد)
 ٢٨ محمود أفندي (جورنال ناظري)
 ٨٥١ محمود العطار بك

« ه »

- ٩٠ هارغان
 ٤٣٠ هايكاليس (باشا)
 ٢٣٠ هدى شعراوى
 ٢٠٥ هيكل (محمد حسين باشا)

يعقوب بن صنوع (ابن رافائيل) ١٠

/٢٤٥ /٢٤٤ /٢٤٣ /٢٤٢ /٧٨

٢٥٢ /٢٤٩ /٢٤٨ /٢٤٧ /٢٤٦

٢٥٨ /٢٥٦ /٢٥٤

يعقوب صروف ١٤٨ /١٣٠

يوسف طلمت باشا ١٦٩

يوسف محمد دسوق ٧

« و »

وائل (الجهاز المسير) ١٣٧

ولسن (ديفروز) /٨٢ /٨١ /٨٠

/٩٥ /٨٨ /٨٧ /٨٦ /٨٥ /٨٤

٠١٣٩ /٩٨

« ي »

يعقوب أرتين باشا ١٢

صحف عربية صدر في مصر

السنة	صحف عربية صدرت في مصر
١٨٠٠	التاسية .
١٨٢٢	(حوالي هذا التاريخ) جريدة الخديو .
١٨٢٨	الوقائع المصرية .
١٨٣٣	جريدة العسكرية .
١٨٤٧	جريدة التجارية الزراعية ، الجريدة الجماعي .
١٨٥٧	جريدة السلطنة .
١٨٦٥	يعسوب الطب . جريدة العسكرية المصرية .
١٨٦٦	وادي النيل .
١٨٦٩	نزهة الأفكار .
١٨٧٠	روضة المدارس . النحلة الحرة .
١٨٧٣	السكون الشرق .
١٨٧٤	جريدة أركان حرب الجيش المصري .
١٨٧٥	روضة الأخبار . الاهرام .
١٨٧٦	شعاع السكون . صدى الاهرام . المنارة .
١٨٧٧	مرأة الأحوال . الوقت . حقيقة الأخبار . أبو نضارة . الوطن . مصر (المهد الأول) .
١٨٧٨	اسكندرية . القاهرة الحرة . بستان الأخبار . التجارة .
١٨٧٩	مصر القاهرة (صدرت في باريس) . مرآة الشرق . السكون المصري . الميون المحروسة . مصر الجديدة .
١٨٨٠	النجاح . الحجاز . المنتخب . الاتحاد المصري . المقيد . النواذر . مصر (المهد الثاني) . التنسيق والتبيك . توفيق . البرهان . الطائف .
١٨٨١	التيمس المصري . الأحوال . الزمان . القسطاط . السفير .
١٨٨٢	الأعلام . الزمان . البيان .
١٨٨٤	الفلاح . النشرة البريدية .
١٨٨٥	الآداب . الأحكام . الصحة .
١٨٨٧	جريدة المصرية . النور التوفيقى . نهرة أسبوعية عن المواليد والوفيات .
١٨٨٨	مكارم الأخلاق . الرياضة المصرية . المنارة . الآداب . الحقيقة . الرواوى .
١٨٨٩	الأراضي المعدية . المقطم . الويد .
١٨٩٠	المحاكم . الشرق .
١٨٩١	صدى الشرق . الأعلام . النيل . البستان . وقائع البوائس . النشرة الدينية . الأسبوعية . الفوائد الصحية . الزراعة . كنز الزراعة .

اسم الصحيفة	السنة
رأي العام . المرشد . السكال . أبو الهول . الراوي . السرور . الميزان . المهندس . النيل . الالتفات . رياض التوفيق . البريد . الشرة . المهدى . الندى . رعمسيس . التلميذ . الشريان . العلم المصرى . المعتقد . سلسلة الفسحاءات . الحق المدرسة . التقدم المصرى .	١٨٩٣
الأمة . الحاسن . صهون . التغيرات الحقيقة . العمل . الأهلى . الفيوم . الأرغول . البانصيб . النور العباسى . الجلة الزراعية . الشمس . القضاء . منتخبات الروايات . الانعام منفيس . مصر . المتحف .	١٨٩٤
شهادة الحق . الظاهر . النبراس . صدى الشرق . الاخلاص . المقياس . البرق . العدل . الانصاف . بصير الشرق . السيارات . النحلة ، الناطور المصرى . العام الجديد . الـكتـنـيـة . النـشـرـةـ الشـهـرـيـة . الـظـرـائـف . الـعـارـف . مـصـبـاحـ الشـرق . سـوقـ المـصـر . الـمـغـربـ الـعـمـانـي . الـمـرـمـى . الـعـبـاـيـى . الـوـظـيـفـة .	١٨٩٥
المير . المنادمة . [الرـيـاضـة] . القاهرة الحرة . المبشر المصرى . الكوتور . التفريح . العمدة . السكمال . النهج القومى . الشرق . الفزانة . السكرياج والغفرىت . الأفلام . الأخبار . الوقت ، الصبح . الرائد المصرى . المنبه . المصرى العباسى . الثبات . الحرية .	١٨٩٦
الصاعقة . النصر . العمل العمانى . الآخر . الحـدـود . الشـيـرف . البوستة . الفردوس . التريا . باب الفتوح . الاعلانات . المـاـيـاـه . الحرية . مرآة الحسناء . المـهـاـيـه . حـفـظـ الحـيـاةـ . السـكـمـالـ . التـفـرـيـحـ . طـنـطـاـ . حـارـةـ مـيـنـيـ . المنصورـةـ . التـلـفـرـاـفـاتـ الـجـدـيـدـةـ . النـشـرـةـ العـمـانـيـةـ . تـرـكـيـاـ . السـلـطـنـةـ . نـشـرـةـ الدـاـلـةـ . المـهـاـيـهـ . النـجـاهـ . الأـجـيـالـ . الفـرـبـالـ . الـحاـكـمـ . النـشـأـةـ الـوطـنـيـةـ . أبو نـظـارـةـ مـعـظـمـةـ . الـاسـتـقـامـةـ . السـكـرـبـاـئـيـةـ . رـائـدـ الـلـيـلـ . أبو العـيـالـ . السـفـيرـ . الـبـاشـاـ . الـجـلـاءـ . النـشـرـةـ الـادـارـيـةـ . الـلـامـونـ . المـغـربـ . الـتـارـيـخـ . الـيـوـىـ . الـبـيـانـ . السـمـيرـ الصـفـيـدـ . الـتـجـارـةـ . سـرـأـةـ الـمـصـرـ . الـأـدـبـ . المنصورـةـ . الثـبـاتـ . السـلـامـ . الـحـارـىـ . الـبـناـهـ . حلـوانـ . الفـيـومـ .	١٨٩٧
القانون الأسـاميـ . الجـاسـوسـ . كـرـدـسـتـانـ . المـنـخـاسـ . القـوـلـ الحـقـ . المـنـارـ . الأـسـدـ . الشـيـطـانـ . مـصـبـاحـ الشـرقـ . المـطـابـ الحـقـةـ . المـعـتـمـ . جـهـيـنةـ . السـوـدـانـ . المصرىـ . أـئـىـسـ التـلـمـيـذـ . الوـاسـطـةـ . الـحـرـوبـ . الصـبـاحـ . شـمـسـ الحـقـيقـةـ . المـعـارـفـ . الشـهـباءـ . النـصـيـبـ . الـمـرـصادـ . الـلـعـاجـ . الـفـلـاحـةـ الـمـصـرـيـةـ . تـسـلـيـةـ الـحـواـطـرـ . الـجـمـيـعـةـ الـطـيـبـةـ الـمـصـرـيـةـ . الـرـقـبـ . الـضـيـاءـ . الـمـوـسـوعـاتـ . الـزـمـنـ . الـفـكـاهـةـ . الـذـيلـ .	١٨٩٨

السنة	اسم الصحيفة
١٨٩٩	الصادق . الصديق . الانسانية . الأفكار . الحقانية . الفزالة . أبو نواس . نبيلة الفخر .
١٩٠٠	سوق العصر . البورصة المصرية . أنين مظلوم . الأساس . العلمي . القوشي . الممتاز . المستشار . أبو الهدى . إدريس . روضة البحرين . غزل البنات . العائمة . الآمال . سلسلة الروايات . الحسكة . الشمرقة . الظاهور . المدارس . الارشاد . السكوب المצרי . الجمعية الزراعية الخديوية . الواجبات . النور . التدкар . الشهامة . الأسد الرقسي . مدرسة الزراعة . برهان الحق . السكوب الدرى — الاعتدال . السكون . المرصاد . الاخاء . العرب . الاسكندرية .
١٩٠١	المجموعة الرسمية للمحاكم الأهلية . الدواء . الفزالة . الانذار . الانسانية . العصر المجدي . الخبر . الأسبوع . الشمرات . البوستة . رائد النيل . الدواء . الأفكار . العرب . صدى لبنان . مكارم الأخلاق الإسلامية . التمثيل . الجلات العربية . الصبوة . نور الإسلام . الناظارة . الجلة المصرية . العمل العربي . الخزانة . سبيل الهدى . النهضة الأدبية . الهوان . الصباح الجديد . القليوبية . اليدر . المنير . القدس الشريف . السهام . السعادة في العائلة . الصبا . الاتقاد العام . الخبر . الرسول . الدين في باريز . بوق الاصلاح .
١٩٠٢	النسناس . ابوزيد . الخزان . التهذيب . تحرير سوريا . الصوت الصارخ . التمدن . المرأة في الإسلام . التعليم الابتدائي . شجرة الدو . النجاة . السكريبة . الأرنوز كسيبة . المرأة . عين شمس . تقابة مزارعي القطر المصري . الابتسام . الحقيقة . العاصمة . الغازى . الأمل . السوق المصور .
١٩٠٣	السهام . سوق العصر . ابوزيد . المصور . العجائب . العمران . الرشيد . الصياد . المقصود . التيس مصرى . المقاييس . الحوادث . بريد الأحد . الاكسبريس . الكلامة الحرة . الفريق . الحرية . الرجاء . القول الحق . الطب الحديث . الخطيب . الشرق المصور . الأمل . طريقة المعانى . العاصمة . الروايات الشهرية . دليل الطلاب . الإعلان . المأمون . بوق القداسة .
	الجيدي . الراوى . الجواب المصرية . القاهرة . الإمام . الاصلاح . البابا . غلو المصري . الطفرا . الخلاعة . الطرائف . ضد الخلاعة . الخلاعة المصرية . الازبكية . النيل . السودان . الجلة المدرسية . الاخاء . العلم الصناعى . زهرة الشرق . عروس النيل . المؤنس . صديقة الفــكاهة . السيدات والبنات . الفضيلة .

اسم الصحيفة	السنة
المرستان . الواقع . المصر الجديد . الجريدة الماسونية . الظاهر . الحوادث . المصور . المعانى . لمياء العلوم . الرائد العثمانى . مدين المتعل . النباتات . جهينة . الكلمة الحرة . المودة . مسامرات الندى . الأوقاف المصرية . السكاروز المنير . الزمار . الحرية . أبقراط الطبية . الصحة .	
المنزه . الفرسونغراف . الإنسانية . السياسة . المائة . الحق . الاجابة . المساواة . المستقبل . الواقع . الماجوس . الأمة الحرة . النادى . الغراب . سيف العدالة . العصر العباسى . المباحث . الأمة الشرقية . المنهل . البلاد . نبراس المشارقة والغاربة . المحكمة . الدنيا الجديدة . علم الشرق . المرصاد . الاعتدال المصرى . النافع . لسان الأمم . المفترج . التغير . الصميد . الملوسة . نغير الحرب . النادى . الهجرة . السوية . الطالب المنعم . السكوك . الحوادث العمومية .	١٩٠٤
الارشاد . الصحافة . التبكيت والتباكيت . الحجاز . السعيد . المشكاة . العالم الإسلامي . الضحى . الفاروق . العروة الوثقى . الحياة الأصلية . الأمير . المفید . الكون . الاعتدال المصري . عفريت الحارة . الحكومة . الأذربيجانية . الرياضة . الجموعة السننية . الموقودة . الدليل الصادق . التربية . المعلم . المعانى . النور . الهدى . الجمهور . المساعد . الأمة . السكوب . الهدایة . الماسونية . المجلة التعليمية . المدهد .	١٩٠٥
الصائم . الراية العثمانية . الأمة . الخطيب . الكلمة الحرة . الآستانة . المعرض المنير . الاتباء . كشف الغافيا . الحرمين . حقائق الشرق . الشوري . السكوب المصري . الشقاء . المجلة العثمانية . المنهل الصاف . الأذلام . وجع الصدي . سمير النديم . الحكومة . السكوثر . الجريدة الأسبوعية . الحقيقة . النصائح . الارشاد . الإنسانية . هبة الإناء . المقتبس . العلوم . نزاع سيدنا يسوع . عفريت الحارة .	١٩٠٦
البورصة . الدنيا الجديدة . الحق الصراح ، الشورى . الشرق . هاهاما . الديك . الجريدة . التمساح . مرآة تركيا . السبعة وذمتها . الأسد الإسلامي . خيال الطل . الجامعة المصرية . الدستور . سمير الشبان . الإيمان . الصدق . العنافق . الضراط . الأزهر العمور . الإنسان ، ضياء الألعاب . الحرمين . الأظهار . الصوت الصارخ . طريق الحياة . الهدایة الوطنية . الجهاد . السياسة المصورة	١٩٠٧
النهضة . الجريدة الأسبوعية . الأستاذ . ضياء الشرق . العزيز . الأقدام . عفريت المقاولين . الحق الصراح . البستان . الحكومة . الجهاد . الإنسانية	١٩٠٨

السنة	اسم الصحفة
١٩٠٩	القطر المصري . المصباح . المباحث السياسية . الولاء . الرعد . الأحوال . عصر الحديد . المباحث السياسية (مقدمة) . مصر الفتاة . الطلبة . مجلة الأعمال اليدوية للسيدات . الفضيلة ، حامل النور . القضاة والبولييس المصري . البستان الزاهر ، الشعب القبطي . صدق الاخاء . التذكرة . المرش الأبيض . القرطاس . المنتقد . الحكومة . الفسحات . المصرية . الباب . حدائق الظاهر . الأباء . الشعب المصري . الزهرة . الكاشف . العزيز . النهضة . الأسد الإسلامي . الزار . الحسنية . البلاغ المصري . السلام الطيب . البغ . الرواى القبطي . رسالة العمى . نادي دار العلوم . العدل . الأحرار . الريحانة .
١٩١٠	الظهور . المقطم الأسبوعي . الاستقامة . البهلوان . النظام . الخظيب . حذام المسامير . الأقباط الكاثوليك . الآمال . الولاء . المصور . الشجاعة . البشائر . المؤيد الوطني . السامي . الولاء . العلم العثماني . البرنسيس . الرفق الإسلامي . الطلبة . الأعمال اليدوية للسيدات . مرشد الأطفال . الأستاذ . الولاء . الساروخ . حديقة الروايات . نور المعرفة . القنبلة . السامي .
١٩١١	الآداب . الكائنات . العلم . الشعب . الاستقلال . السلام . السيف . البلاغ . المصري . مجلة الصحة . النصيحة . الترقى . العفاف . الاخاء .
١٩١٢	الجوهر الساطع . صحائف الحق . أبو المول . الشعب . المعدل . الارشاد . الرقيب . الكوكب .
١٩١٣	الإحصائية الزراعية الاقتصادية . جمعية النهضة الأدبية . إحصائية شهرية لمحصول القطن . الدلتا .
١٩١٤	عكاظ . القدام . الشائع .
١٩١٥	أقرانى . الجلة المصورة . الكشكوك . التجمة المصرية . المشرق . الشمرات . ملحق المقطم المصوّر . النصر . الحكم الأهلية . الدماء .
١٩١٦	اللطائف المصورة . الوطنية . السفور .
١٩١٧	الكوكب . المرأة . الحال . الشرفة . الصبوة . الصبا .

السنة	اسم الصحيفة
١٩١٨	الشباب . جريدة فلسطين . المنبر .
١٩١٩	الأخبار (أسبوعي) . النظام . الأفكار . الزراعة . مفتاح الاصلاح . الوفد المصري . اللسان . عصفور الليل . الحاوي . الرعد المصري . البلايل . روضة البحرين . المقص . المصارحات .
١٩٢٠	المزيدية . الخزوق . الطلبة ، الأخبار . إسرائيل . الزمان . الصنف . النشرة الاقتصادية المصرية . الحقائق . التحرير المصري . أبو الهول . الساعة .
١٩٢١	النيل المصري . الأخبار الماسونية . الوجديات . الصباح . المرصد . الضحاك . الفضائل . سقينة الأخبار . المؤدب . الصحيفة . النيل . الساعة (بصورة) . الديك . الاستهلال . البشير . الكشكوك المصور . إياك . السمير المصور . النهضة النسائية . الرواى . المعلقات . الواء المصري .
١٩٢٢	قصر النيل . الرجاء . العالمين ، القصص . شمس النيل . الصباح ، النشرة المصورة . الأحوال . مجلة الشرق الطبية الجديدة . النمضة المصرية . السياسة . الدستور . الحسان المصورة . الابتسام . الحركة التجارية ، شجرة الدر .
١٩٢٣	البرلمان . البلاغ . الأولاد . الفلك . الحضارة المصرية . عاصمة الشرق ، البناء . الإمام الشيشاني . الرشيد ، السداد ، الجمورو . سير الأفكار ، الحوادث المصورة . الفنير ، السكمال
١٩٢٤	السباق ، بريد المحاكم . الصحيفة المدرسية . الممثل . مجلة النهضة الاكاديميكية . المقرعة . الاتحاد الإسرائيلي . الجرس . لسان الشعب . الزراعة الحديثة . الشرق الجديد . القاهرة . سمير قطيه . مصر الفتاة . التوفيق ، العناية . مصر الجديدة . المنيا . المنطق . رحلة البحيرة . الحق . المنظر . السلام . خيال الظل . السمر . الفنون . الناس . ملحق البلاغ المصور . المطرقة . نشرة الازهر . المرأة الجديدة . التقاضي . الجريدة المصورة . أبو قردان . يمون . عظمة الشرق . البيجيج . كوكب الشرق . الشيوخ . الحوادث . الرشاد . التنو . التوبه . الشورى . المصور . السودان المصري . الحياة الجديدة . العفريت . البغيتان . المصر الجديد . الوادي . الفيوم . نهر النيل . السويس . الشفر الشرقي .
١٩٢٥	الواسطى . الفجر . العلم المصري . الاتحاد . المكناشة . الأجيال . تاريخ الحوادث

اسم الصحيفة	السنة
<p>المهد . شمس المعارف . تاج المعرف . الحظ . الراعي الصالح . نور الاسلام . الجهاد الأدبي . الاخلاص . الخبراء . النفس البريئة . لسان العرب . حرية الشعوب . أسيوط . الرشديات . النبراس . الأم . القرن العشرين . البوقي القبطي . الرضا . الفنار . البلاج . الملائم . النادي . الاخلاص المصري . المصلح . الغرف التجارية . المؤيد الجديد . الضحي . المنبر . القليوبيه . بنات النيل . المدن . المبتكر . النشرة الشهرية لنشرة الفهيس منصور دى بول . البصیر . الميزان . رسالة القدس توزرا . الطفل يسوع . الرقيب . الأنفيس . العلوم الطبيعية . بحر يوسف . الأخبار . الفيوم . المرأة . التهضة الفكريه . بريـد العاصمه . الفلاح . عنوان السلام . القاهرة المصورـة . المـنزلـة . أبو الهول الأسبوعـي . على عينـي . القصص . العـفـريـت . التـاج . البـشـرى . لـوـاءـ السـلام . الوـادـى . بـريـدـ الصـبـاح . الأـرـيـاف . السـجـاب . رـوـضـةـ المـعـارـف . المـصـرى . صـوتـ مصر . التـجـدـيد . الـهـدـير . حـوشـ عـيـسى . الـادـارـة . الـبـولـىـسـ الفـضـائـى . مصرـ الـاـقـصـادـيـة . حـنـقـىـ عـاـمـ . الـجـامـعـة . كـوكـبـ السـيـنـا . أـنـ وـهـوـ . الـبـورـصـة . زـقـرـوقـ وـظـرـيـفة . تـهـضـمـ مصر . سـامـرـاتـ كـامـلـ . الـموـاطـفـ . السـتاـرـ. الأـرـوـاحـ . الشـعـبـ . الـمـدـرـسـةـ . الـحـيـاةـ . الـجـلـةـ السـكـيـنـائـةـ . الشـيـخـ . مـاسـمـاتـ أـنـيـسـ الجـلوـسـ . السـنـدـ بـادـ البرـىـ . الـإـيجـارـاتـ . الـصـورـ الفـيـرـيـاضـيـ . الرـزـمـنـ . التـهـضـةـ الـقـوـمـيـةـ .</p>	١٩٣١
<p>الأحرار الدستوريون . الشمس المنيرة . الاستقلال العربي . نشرة المعرض . الأمير . المعرفة . الراديو . الاعلانات المنزلية . تهضـةـ مصر . الفـتحـ وـالـنـصرـ . مـفـيـسـ الـجـدـيـدـةـ . الـحـقـيـقـةـ . الـجـمـورـ الـمـصـرىـ . الـجـرـنـالـ . الـزـهـورـ الـيـانـعـةـ . إـسـلـامـىـ دـنـيـاـ . الشـرـائـعـ . الـقـانـونـ . الـاـقـتصـادـ . الـفـرـدـوسـ الـزـاهـىـ . النـصـوحـ . الـخـواـطـرـ الـحـدـيـثـ . نـقـدـ التـشـرـيمـ وـالـقـضـاءـ . الـعـائـلـةـ . الـمـعـلـومـاتـ . صـدـيقـ الشـعـبـ . الـدـوـلـةـ الـأـسـبـوـعـيـةـ . الـمـرـحـ الـمـصـرىـ . الـخـتـارـ . الـعـزـيـزـاتـ . الـبـولـىـسـ الـمـرـىـ . الـبـهـاءـ . الـطـبـ الـحـدـيـثـ . الـظـرـيـفـ . الـأـحـدـ الـمـصـورـ . الـراـوـيـ الـجـدـيـدـ . رـقـ المـارـفـ . رـسـيـ . الـمـيزـانـ . الـدـقـلـيـةـ . الـمـفـيدـ . الـطـلـبـةـ . الـتـجـارـةـ . الـنـصـولـ . الـقـنـالـ . الـطـفـولـةـ . الـسـمـيرـ . الـسـكـافـةـ الـإـسـلـامـيـةـ . الـعـلـمـ الـأـخـضرـ . الـرـيـاضـيـنـ . الـدـوـلـةـ . الـمـلـاـيـيـ للـصـورـةـ . الـقـادـسـيـةـ . الـشـفـقـ . التـهـضـةـ . دـلـيلـ الـمـلـاـيـيـ .</p>	

الصحف التي صدرت أو أذن لها بالصدور في الإسكندرية

السنة	اسم الصحيفة
١٨٨٢	الأحوال . الاعتدال . روضة الاسكندرية .
١٨٨٧	البيضاء .
١٨٨٨	المشاركة . الحقيقة .
١٨٩٢	المرور .
١٨٩٣	فرصة الأوقات .
١٨٩٤	المتحف . لسان العرب . النور العباسي . المشير .
١٨٩٥	السباق . المغربي العماني . حظ الحياة . في الطريق . أبو نواس . المربي .
١٨٩٦	الرفيق . العباس . الــكرباج والمغربيت . الإعلانات . فصل الخطاب . الأدب .
١٨٩٧	المأون . البصیر . التجارة .
١٨٩٨	الرجاء . الرقيب . التاريخ القوى . الحقانية . مجلة النيل . العماني . السلام . الحشاش . الصادق . السعادة .
١٨٩٩	صدى الأهرام . أبو نواس . برهان الحق . الارشاد . السكونك المצרי . السكونك السارى . الاسكندرية . الآمال . الصباح .
١٩٠٠	نجم المشرق . النجاة .
١٩٠١	المنصور . الإعلان . الرجاء . المعرى . النصر صف .
١٩٠٢	الجريدة الماسونية . المودة . الشرف . الزمار .
١٩٠٣	الهلوسة . الــكسبريس .
١٩٠٤	المساعد . الجمهور . الفندرة .
١٩٠٥	وادي النيل . الشعب المصرى . البعيم .
١٩٠٦	أبو النواس . الطنبورة .
١٩٠٧	ڪرافوز . الأهالى .
١٩١١	المدى .
١٩١٢	الاقــام .
١٩١٤	جريدة الإعلانات القضائية والتجارة . الدليل .
١٩١٥	السلام . الأمة .
١٩١٦	النجاح .
١٩١٧	التجارة .
١٩١٨	الهــوانم .
١٩١٩	المســلة .
١٩٢٠	الأمة .

اسم الصحيفة	السنة
الجريدة التجارية المصرية . الشبيبة .	١٩٢١ ١٩٢٢
الشعب المصري . البصیر القضايی .	١٩٢٣
حیران . المصباح . الاسنان الصادق . العمال . النشرة التجارية . السفير . الجهاد الاسكندرية	١٩٢٤
نہضة الشرق . النزهة . البعث . الطريف . الثروة . المذهب الأجيال . تفاصیل المدارس	١٩٢٥ ١٩٢٦
الوجдан . السهام . الرياضة . معرض السینما ، النديم الرياضة الأسبوعية	١٩٢٧ ١٩٢٨
الأجيال . الجرس . النفر . عالم السینما	١٩٢٩

الجرائد العربية المصرح بإصدارها يومية في القاهرة في سنة ١٩٤٠

الأهرام . المصري . المقطم . البلاغ . الوفد المصري . الدستور . مصر . الوادى . العلم .
الدفاع الوطني . المساء . أبو الهول اليومي . الاتجاه . مصر الفتاة . الحال . ومسامرات
الشعب ، النفر . الأداب . الفنون . اللواء القومى . الأمة . المروسة .

الصحف العربية المصرح بإصدارها ورئيسي في الأسبوع في القاهرة في سنة ١٩٤٠

الأمانى القومية . الأكابر . منبر الشرق . الصرخة . الظاهر . الأهالى . شهر زاد .
الألعاب الرياضية . السمير . المرشد .

الصحف العربية المصرح بإصدارها أسبوعية في القاهرة في سنة ١٩٤٠

المغير . الأخبار . الاستقلال . فني النيل . السكفاح . الحقائق . طنطا . الضحاك . المدينة .
ساعة . الجامعة الإسلامية . إسان العرب . شبرا .شيخ الصحافة . العام المصري .
المرصد . أنوار المدينة . الصدق . المباحث القضائية . الشمس . الناج المصري . حرية
الشعوب . الصاعقة . الشعوب . السحاب . الشمام . الضياء . الزعيم . ياهوه . المصور ،
الاثنين . الصباح . آخر ساعة . روزاليوسف . الشعلة . العزيمة . الفتاة . الراوى الجديد .
الـكشكوك . زهرة الشرق . اللطائف المchorة . الثقافة . الراديو المصري . الرسالة
والرواية . السياسة الأسبوعية . الجامعة : الرابطة العربية . مجلقى . المطرقة . الحوادث .
الجلة الجديدة . أبو الهول الأسبوعي . أنا وأنت . التيمس المصري . الأسبوع . الشهداء ،
النيل ، الحسان : مجلة المجالات ، الراديو والبعكوك . غريب . الشبان الوفديين .

المصرى أفندي . مصر العليا . أمراء السكون . النصوص . الدعاية . روايات الجيب . مسامرات الجيب . الروايات الجريدة . العشرين قصة . روايات الفتاة . بابا صادق . الصحف والقوفة . الرياضة البدنية . المنتخب . السيخ . الحديدة والمتنزل . النجم . الجلة الموسيقية . شيك . التريا . رابطة الشباب . التوبية الحميدة . الأمين . متوجو لدين ماير . المصرية . الحاما . الحاما الفرعونية . القانون والاقتصاد . المحاكم . الرشيد القضائي . كلية الحقوق . الحقوق القضائية . الأحكام . الجريدة القضائية . الادارة والبوليس القضائي . اقاضى المصرى . العدالة . الشرائع . الدوائر القضائية . الأسرار القضائية . المحامي . التشريم الاسلامي .

صحف دينية تصدر في سنة ١٩٤٠

الأزهر . الشبان المسلمين . المهدية الإسلامية . المنار . الاعتصام . نوز الإسلام . المهدى .
القوى . الإسلام . الوحدة الإسلامية . هدى الإسلام . المدينة المنورة . الفتح . مكارم
الأخلاق الإسلامية . نشرة الفضائل والأداب الإسلامية . الكاشف . الفضيلة . النذير .
الحديث . المهدى . النهار . الجلة الشرعية . اليقظة . صهيون . اليمان . رسالة الحبة .
رسالة الحياة . المنارة المصرية . النهضة . رسالة الإسلام . الشرق والغرب . المرشد
المدرس . المراعي الخضراء . كوكب الصبح . المهدى . المساعى . نجم المشرق . الصخرة
الصلاح . رسالة القديسة تريزا . التقدم .

الصحف العربية الدورية التي تصدر في سنة ١٩٤٠

الصحف العربية التي تصدر في الإسكندرية

البصیر . الاتّحاد المصرى . الدفافع الاسكندرى . الجريدة التجارية المصرية . البورصة .
التجارة . السفير . الرياضة . البصیر القضائی . المهد الجديد . العلم الأخضر . اتحاد الشرق .
الفارس . طريق الحياة . الراعي الصالح . بوق الانجیل . مملکة النحل . غرفة الاسكندرية

صحف تصدر في المحافظات والمديريات

دمياط . الصدق . البراس . الـكمال . الفؤاد . نهضة العمال . الرعد . مصباح النيل .
الفضائل . القاهرة . الاخلاص . الممتاز . الحضارة المصرية . سفينة الاخبار . بريد الصباح .
الأمير . عنوان السلام . المصورة . التوفيق . البيان . الفنون . اليراع . الواجب . الوفاق .
الوقت . البشير . الاصلاح . منبر الشرقيه . مدرسة الزقازيق الثانوية . البشرى : شمس
الكمال . الجيزة . البستان . الخود . الفيوم . بحر يوسف . فارون . المؤتمر . مدرسة
الفيوم الثانوية . السلام . بنى سويف . الضمير . الانذار . الأقاليم . مصر الجديدة .
الائتلاف . المنتظر . أسيوط . بوق الفداسة . كلية أسيوط . النادى . المثال المسيحي .
الشفق . الصعيد الأقصى .

الصحف اليومية العربية في القاهرة في سبتمبر ١٩٥١

الأهرام . الأساس . المصري . السياسة . الجريدة المسائية . صوت الأمة . المقطم . البلاغ . مصر . آخر لحظة . الأخبار المصورة . نشرة وكالة الأنباء العربية . نشرة أبناء وادي النيل . نداء اليوم . أبو الهول . الصراحة . النشرة الصباحية والنشرة المسائية . كل يوم . البحار . الدفاع . الفلسطيني . نشرة وكالة الشرق الأوسط الصحفية .

الجرائد والمجلات الأسبوعية بالقاهرة في سبتمبر ١٩٥١

المصور . الاثنين . آخر ساعة . روزاليوسف . الصباح . مسامرات الحبيب . الموادث . أخبار اليوم . السوادى . النداء . الإذاعة المصرية . شيخ الصحافة . المصري الأسبوعي . الرأية . رابطة الشباب . الراديو والمعلوكة . التسمية . الخبر . الاتحاد . الاستديو . منبر الشرق . الرسالة والرواية . الثقافة . الدفاع الوطني . الدستور . الوادي . المساء . المسمير . الألعاب الرياضية . المصري افندى . الرابطة العربية . الساعة ١٢ . العزيمة . الرياضة البدنية . المكاشف . الشبيبة . التوبة الحديثة . مصر العليا . روایات الحبيب . العهد السعيد . العلم المصري . أبو الهول . النيل . مجلة المجلات . الأحوال . ابن البلد . متوجل بين ملابس . المدنية . السحاب . الفنون . إسان العرب . المادى . الشيخ . الأخبار . الشعوب . العمرخة . المرشد . إخوان الحرية . الإسلام . المدينة المنورة . الاعتصام . مكارم الأخلاق الإسلامية والمصالح . النذير . المثارة المصرية . الوطنية . الهدى . نجم الشرق . المحاكم . العدالة . الأسرة القضائية . المباحث القضائية . الشعلة المصورة . الواجب . البشير . الرابطة الإسلامية . مراجعة السلام . الجلاء . الأنباء . أخبار الأسبوع . صوت الشعب . البلبل . الشرق العربي . الموسيقى والمسرح . السكتكتون . الأنوار . الفنون المعمارية . صحيفنة الجامعة الشعبية . الميزان . صوت الصعيد . رسالة بارجر جنس . الحق . الرياض . القصة . صباح الخير . كلة ونص . صدى الجنوب . جهينة . المباديء . الرقيب . المال والتجارة . الجمهور المصري . الفن . الاشاعة . الدعوة . اللواء الجديد . الأصول . الكاتب . أخبار النيل . السيدات المسلمات . الاقتصاد والمحاسبة . الأسرار . الوطن الجديد . الكوكب . الملائين . الوسيلة . النشرة الاخبارية للأدوية . المسلم . الجهاد الروحي . منزل الوحي . الاتصال . الناس . الجيل الجديد . المجلة الشرعية .

الجرائد والمجلات العربية المصرحة باصدارها نصف شهرية بالقاهرة

سبتمبر ١٩٥١

رسالة الحياة . الهدى النبوى . منبر الإسلام والمساجد . الروايات الجديدة . السكيم . بنت النيل . جهره نما . الحسان . أمريكا اليوم . التسريع والقضاء . العالم العربي . صوت الهند . رسالة الباكستان . الاستقلال . برامج محطة الشرق الأدنى للإذاعة . أنا وانت . حواء . روایات الأسبوع . الافكار . الأمانى القومية . الرشيد القضائى . العمل . الساعة . صوت الطلبة . المعلم الأول .

جرائد ومجلات شهرية باللغة العربية بالقاهرة في سبتمبر ١٩٥١

المقطف . الهلال . الكتاب . روایات الهلال . الطالبة . قصر العيني . الحقيقة . المستقبل . الجامعة . الأحكام . الصريح . الجامعة الإسلامية . الهدایة الإسلامية . البريد الإسلامي . البقعة .

رسالة السلام . المرشد المدرسي . الصخرة . الشرق والغرب . الصلاح . بوق الاجيل . مجلة نهضة الكنائس . مجلة مدارس الأحد . المراعي الحضراء . اليمان . رسالة الحبة . عالم الروح . نور الاسلام . رسالة العلم . الجلة الطبية المصرية . مجلة الجمعية الصناعية المصرية . الجلة الطبية الفرعونية المصرية . الدكتور . صحتك . الانصار . العلوم . الامة . الرياضة البدنية المصرية . النشرة الزراعية والصناعية . المهندسين . الممارسة . مجلة شئون الغرائب . الغرفة التجارية بالقاهرة . الحمامات . الحمامات الفرعونية . صحيفية النساء الاباضية . كتب للجميع . المختار . الخبراء . المصباح . النصوص . التعاون . الأزهر . مجلة الصحة المدرسية . العلامات التجارية . مجلة سكان حديد وتغارات وتأريخونات الحكومة . القلب . الفراشة . هليوبوليس ، مجلة بنبا قادن الثانوية . صحيفية مدرسة فاروق الأول . مجلة كلية الطب البيطري . مجلة المدرسة الابراهيمية الثانوية . كنوز الفرقان . الفلاح الاقتصادي . رسالة الاسلام . الاهداف . أخبار الطيران . السكاوكب . الرجاء . التلغراف . قصص للجميع . الصحيفة . حققنا . العالم الاسلامي . صديق الكاهن . التنظيم والادارة . مختار النداء . الشاعر . صوت الفنان . الشهر . الاهرام في خدمة التجارة والصناعة . الشبان المسلمين . بواء الاسلام . كلية ونص . الاصلاح الاجتماعي ، مصر الصناعية . حكم البيت . الشباب . الحديث . علاج النفس . كلية الحقوق . ثمس البر . الامانة . المرصاد . طنطا . كتاب اليوم . كتاب الملال . الموتر . كوكب الصبح . علم التنور المغناطيسي . طريق الحق .

مجلات عربية دورية وسنوية تصدر في القاهرة في سبتمبر ١٩٥١

دائرة المعارف الاسلامية . القانون والاقتصاد . بلادي . دار العلوم . الشرايع . الموظف . التقوى . مجلة كلية البوليس والادارة . علم النفس . صحيفية التربية . التربية الحديثة . حلقات كلية الآداب . نشرة الاتحاد الدولي للرسم . دليل الشرق . مجلة مدرسة الهندسة التطبيقية . التجارة العربية الانجليزية . مجلة سلاح الفرسان الماسكي . مجلة المدرسة الخديوية . مجلة المشاة . مجلة مدارس مصرية عين ثمس الثانوية . مجلة مدرسة شبرا الثانوية . نشرة الأخبار الطيبة . مجلة مدارس الاهرام . مجلة مدرسة خليل أغا الثانوية . مجلة مدرسة حلوان الثانوية . صحيفية الدهمد العالمي . معلمات الفنون . مجلة مدرسة الأميرة فوزية . صحيفية التجارة بالجيزة . مجلة مدرسة النهضة . المصرية . مجلة المدرسة الملكية . صحيفية اتحاد كلية الحقوق . الدليل المصري . القضاء المصري . هي . وحي العلم . الفلاح . مجلة كلية التجارة . فتاة الفد . الجرس . الشروق . أطلس . الحدايق . وهي المهد . مجلة مدرسة تحسين الخطوط الملكية . مجلة جمعية الآباء . مجلة المعلمين العلما .

صحف ومجلات عربية تصدر في الاسكندرية حتى سبتمبر ١٩٥١

البصیر . الاتحاد المصرى . الرياضة . الجريدة التجارية المصرية . البورصة . السفير . الشرق الأوسط . اتحاد الشرق . الدفاع الاسكندرى . مجلة مصر المالية . العلم الآخر . الفارزى . الراى . الصالح . المستشار . الأسبوع . المهد الجديد . الرأى الحر . نشرة محكمة الاسكندرية . غرفة

الاسكندرية . صحيفه كرموز الابتدائية . مجلة الحقوق . مجلة كلية الآداب . المسرح .
المصرى . الشاطئى . الهندسى . الثروة الحيوانية . النشرة الطائفية . شباب الملال الأحمر . الجليلة .
المصرية للقانون الدولى العام . الفنار . مجلة اتحاد كلية التجارة . مجلة مدرسة رأس القصرين الثانوية .
الفائز . بوق القدس .

الجرائم والمحلات الإقليمية في شهر سبتمبر ١٩٥١

الآراء . أخبار دمياط . دمياط . صحيفة الجامعة الشعبية . الــكمــال . نــســنةــالــعــمــالــ .ــالــإــضــائــاــلــ .ــالــرــعــدــ .ــالــإــلــاــخــاــصــ .ــالــمــتــازــ .ــالــحــضــارــةــ الــمــرــوــرــيــةــ .ــســفــيــنــةــ الــأــخــبــارــ .ــجــلــةــ مــدــرــســةــ طــنــطــاــ الــحــامــةــ .ــجــلــةــ مــدــرــســةــ طــنــطــاــ الــصــبــاــحــ .ــنــورــ الــحــيــاــةــ .ــنــطــنــطــاــ الــثــانــوــيــةــ .ــنــجــلــةــ مــدــرــســةــ فــارــوــقــ الــأــوــلــ الــثــانــوــيــةــ بــطــنــطــاــ .ــجــلــةــ مــدــرــســةــ طــنــطــاــ الــثــانــوــيــةــ .ــجــلــةــ مــدــرــســةــ ثــوــهــ الــابــدــائــيــةــ وــالــثــانــوــيــةــ .ــعــنــوــانــ الســلــاــمــ .ــعــاــمــ الــحــلــةــ .ــالــوــفــاقــ .ــالــنــهــارــ .ــالــعــبــوــنــ .ــالــبــيــانــ .ــالــمــنــصــورــهــ .ــالــدــقــلــيــهــ .ــنــدــاءــ الــشــعــبــ .ــجــلــةــ مــدــرــســةــ الــمــصــوــرــةــ الــثــانــوــيــةــ .ــالــشــعــلــةــ الــتــعــاــوــيــةــ .ــالــأــمــيــرــ .ــمــيــتــ عــمــرــ .ــجــلــةــ مــدــرــســةــ فــارــســكــوــرــ .ــالــاصــلــاحــ .ــالــفــنــارــ .ــجــلــةــ الــرــفــاظــيــقـ~ـ الــثــانــوــيـ~ـةـ~ـ .ــالــصــدــقـ~ـ .ــالــهــدــهــدــ .ــجــلــةـ~ـ مــدــرــسـ~ـةـ~ـ اــيــتـ~ـاــيـ~ـ الــبـ~ـارـ~ـوـ~ـدـ~ـ .ــجـ~ـلـ~ـةـ~ـ مـ~ـدـ~ـرـ~ـسـ~ـةـ~ـ كـ~ـفـ~ـ الدـ~ـوـ~ـارـ~ـ الـ~ـابـ~ـدـ~ـائـ~ـيـ~ـةـ~ـ .ــالـ~ـبـ~ـرـ~ـاــسـ~ـ .ــجـ~ـلـ~ـةـ~ـ مـ~ـدـ~ـرـ~ـسـ~ـةـ~ـ الـ~ـبـ~ـاجـ~ـوـ~ـ الـ~ـابـ~ـدـ~ـائـ~ـيـ~ـةـ~ـ .ــالـ~ـبـ~ـهـ~ـرـ~ـىـ~ـ .ــسـ~ـمـ~ـيرـ~ـ التـ~ـلـ~ـيـ~ـيـ~ـ .ــجـ~ـلـ~ـةـ~ـ الـ~ـغـ~ـرـ~ـفـ~ـةـ~ـ الـ~ـتـ~ـيـ~ـجـ~ـارـ~ـيـ~ـةـ~ـ لـ~ـلـ~ـجـ~ـيـ~ـزـ~ـةـ~ـ .ــجـ~ـلـ~ـةـ~ـ كـ~ـلـ~ـيـ~ـةـ~ـ الـ~ـآــدـ~ـاـ~ـبـ~ـ .ــحـ~ـقـ~ـمـ~ـوـ~ـرـ~ـ .ــالـ~ـلـ~ـعـ~ـوـ~ـمـ~ـ الـ~ـزـ~ـرـ~ـاعـ~ـيـ~ـةـ~ـ .ــالـ~ـسـ~ـلـ~ـاـ~ـمـ~ـ .ــبـ~ـنـ~ـ سـ~ـوـ~ـيـ~ـفـ~ـ .ــالـ~ـرـ~ـصـ~ـدـ~ـ .ــالـ~ـفـ~ـيـ~ـوـ~ـمـ~ـ .ــبـ~ـكـ~ـرـ~ـ يـ~ـوـ~ـسـ~ـفـ~ـ .ــقـ~ـارـ~ـوـ~ـنـ~ـ .ــجـ~ـلـ~ـةـ~ـ الـ~ـاتـ~ـخـ~ـادـ~ـ الـ~ـتـ~ـعـ~ـاـ~ـوـ~ـيـ~ـ .ــالـ~ـمـ~ـؤـ~ـتـ~ـمـ~ـ .ــالـ~ـجـ~ـبـ~ـعـ~ـ .ــجـ~ـلـ~ـةـ~ـ مـ~ـدـ~ـرـ~ـسـ~ـةـ~ـ الـ~ـقـ~ـيـ~ـوـ~ـمـ~ـ الـ~ـثـ~ـانـ~ـوـ~ـيـ~ـةـ~ـ .ــالـ~ـإـ~ـنـ~ـذـ~ـارـ~ـ .ــالـ~ـإـ~ـقـ~ـاـ~ـيـ~ـمـ~ـ .ــمـ~ـصـ~ـرـ~ـ .ــالـ~ـجـ~ـدـ~ـيـ~ـدـ~ـ .ــتـ~ـعـ~ـالـ~ـمـ~ـ الـ~ـكـ~ـنـ~ـيـ~ـةـ~ـ .ــالـ~ـمـ~ـنـ~ـتـ~ـظـ~ـارـ~ـ .ــأـ~ـسـ~ـيـ~ـوـ~ـطـ~ـ .ــكـ~ـلـ~ـيـ~ـةـ~ـ أـ~ـسـ~ـيـ~ـوـ~ـطـ~ـ .ــالـ~ـنـ~ـادـ~ـىـ~ـ .ــالـ~ـنـ~ـالـ~ـ الـ~ـمـ~ـسـ~ـيـ~ـعـ~ـىـ~ـ .ــالـ~ـشـ~ـفـ~ـقـ~ـ .ــجـ~ـلـ~ـةـ~ـ الصـ~ـمـ~ـدـ~ـ الـ~ـأـ~ـقـ~ـعـ~ـىـ~ـ .ــ

صحن فرنجية صدرت في مصر

Année	
1798	Courier de L'Egypte. (1) La Décade Egyptienne.
1833	Le Moniteur Egyptien.
1846	Le Spettatore Egiziano.
1852	Manifeste.
1853	Manifesto Giornaliero.
1857	Il Commercio. Il Progresso Di Egitto.
1859	Le Courier de la Gironde. La Presse Egyptienne. Le Sphynx Egyptien. Bulletin de L'Institut Egyptien.
1860	La Trombetta.
1862	L'Eco D'Egitto. Echo D'Europe.
1863	L'Egypte.
1865	L'Avenir D'Egitto.
1866	Le Nil.
1867	Le Journal du Canal. Le Moniteur de la Publicité en Egypte.
1868	Le Progrès Egyptien.
1869	L'impartial d'Egypte.
1870	The Egyptian Messenger.
1871	L'Indépendant d'Egypte. Le Phare d'Alexandrie. L'Avenir Commercial de Port-Said.
1872	Il Corriere Egiziano. L'Ezbekieh. Le Sport. Hmpeia Nea.
1874	Le Stafille. L'Economiste. Le Commerce. Courrier de Port-Said. Le Moniteur Egyptien.
1875	La Farfalla. Gazette des Tribunaux. Bulletin de la Société Khédiviale de Géographie.

(١) الأعداد التي كتبت فيها بالرقم هي ١٧٦١٦١٤٦١٣٦١٢٦١٠٩٦٦٦٥ فقط من ١٦٥١ عدد.

Année	Nom du Journal.
1876	Lloyd Egiziano. La Jurisprudence. Kekpux. Masr. L'Egypte Judiciaire.
1877	Bulletin de législation et de Jurisprudence. Le Droit. Messagero Egiziano.
1880	Bulletin Mensuel de la Société Egyptienne d'Agriculture. Homonia. The Egyptian Gazette.
1881	Le Bosphore Egyptien, Le Darabouke.
1882	The Times of Egypt. Bulletin du Comité Agricole.
1884	Le Courier d'Egypte.
1885	Metarithmissis.
1887	Neos Syndesmos. Bulletin de Législation et de Jurisprudence Egyptienne
1889	Revue Egyptienne Littéraire et Scientifique. Revista Mensile.
1891	Le Progrès.
1893	Phos-Chronos. Le Progrès Egyptien. The Sphinx. Neos Syndesmos.
1894	Réveil Egyptien (organe bimensuel). L'Impiaziale, Le Journal Egyptien. L'Egypte (Revue industrielle et commerciale). Revue d'Egypte.
1895	Revue Internationale de Législation et Jurisprudence Musulmanes. La Correspondance Egyptienne Illustrée
1897	Panession.

Année	Nom du Journal
1898	Le Courrier du Nil. La Vérité. Courier d'Orient. Bollettino Mensile della Camera Itailana di Com- mercio. Le Journal du Caire.
1899	Bulletin de la Société Médical du Caire. La Bourse Egyptienne. Journal of the Khedivial Society. Archajouyce. Bulletin Commercial. Bulletin de la Société Khédiviale de Médecine
1900	Bulletin de l'Union Syndicale des Agriculteurs d'Egypte.
1901	Le Lotus.
1902	Nouvelle Revue d'Egypte Littéraire, Artistique et Sociale. Université Populaire Libre d'Alexandrie. Il Giornale.
1903	Bulletin de la Chambre de Commerce Internationale. Eethiniki. Anagennissis.
1904	Egypte. The Egyptian Morning News.. Houssaper.
1905	Société Khédiviale de Médecine. La Revue Internatio- nale d'Egypte.
1906	Buzantion. Le Bosphore Egyptien. Cairo Scientific Journal. La Finance Egyptienne et Moniteur Com- mercial. Il Corriere Egiziano.
1907	Les Nouvelles Egyptiennes. Aegyptische Nachrichten. L'Etandard Egyptien. The Egyptian Standard. Risorgetto. Annuaire de la Finance Egyptienne.
1908	Eon. The Egyptian Daily Post. Cairo Programme. Union Delle Democrazia.
1909	Roma. Le Progrès Egyptien. Le Journal du Caire. Les Pyramides. La Bourse Egyptienne. L'Egypte.

Année	Nom du Journal
	<p>The Egyptian Daily Post. Morning News. L'Im-Farziale. Kairon. Chronos. Occident et Orient. Vosdoros. Le Courier d'Egypte. The Egyptian Gazette. La Réforme. Le Phare d'Alexandrie. Les Nouvelles. Telegraphos. Omonia. Nilós. Messagero. La Vérité. Le Moniteur International des Annonces ou l'Oasis d'Heliopolis. Panellian ou Osmodeos. Avel. Phos. Sphinx. Aegyptische Nachrichten. Eeon Ephiniki. Pharos Ecclesiasticos. Pantairos. Gosmos. Moniteur Commercial. Cairo Programme. Tachydromos. Byzantion. Ergassia Egyp to s. Archalouyse. Bulletin de la Législation et de Jurisprudence Egyptiennes. Neos Syndesmos. Dépêches Télégraphiques. La Gazette. Egyptischer L'oyd. Li Standard Tal Maltin. Les Coulisses. Le Monde Sportif ou la Saison d'Egypte et L'Egypte Sportive. Ikaro. Nea ynéa (Simea). The Sphinx. Vox Veritafis. La Voix d'Alexandrie. La Jeune Egypte. Gazette de Renseignements.</p>
1910	<p>La Dépêche Egyptienne. Bulletin Médical d'Egypte. Agence Télégraphique Orientale. L'Écho Sportif. Israïl. The Egyptian Observer.</p>
1911	<p>The Syse. Ephimeris. Ta Vima. Amyna. Union della Democrazia. Gazette des Tribunaux Mixtes. Monsieur. Anagcis. Promachos. Epitheorissis. Nea Ergassia. L'Unita Maltia. Delta. Le Nil. Le Phare de L'Eiythrée. Revue Théâtrale et Sportive, Le Journal de Helouan. La Santé. Mealessi L'Univers. L'Anthropismos. Hossanak. La Griffe. Miontioum.</p>
1912	<p>Le Courier du Canal. Neve. Il Pensiero. L'Echo</p>

Année	Nom du Journal
	d'Egypte, Les Sports (Sporting News). Revue Israelite d'Egypte. Revue Egyptienne. Cairo Scientific Journal. The Egyptian Mail. Bulletin de l'Association Internationale de Propriétaires et Urbains en Egypte. La Renaissance Juive. La Vie Egyptienne. Y,M,C,A, Review. L'Avenir. Steno-Dactylo. Les Affiches Egyptiennes. Cairo Sports. Bulletin de la Chambre Commerciale Française du Caire. Dapline. Revue Medicale d'Egypte.
1913	La Finance Egyptienne. Lumen. Psit. Ana Mali. L'Ecole Egyptien. L'Egypte Contemporaine. L'Union. Cinegraphe. Journal. Ta Chronita. Le Courier. Le Réveil de l'Egypte ou Le Scorpion. Lisez-Moi. El Afrita. La Griffe Egyptienne.
1914	L'Echo Egyptien. Le Journal Illustré. Eso Etmos. L'Orient Nouveau. Kyrix. Neon Hellemon. IL Mattino Egiziano. IL Corriere di Cairo. Giornale d'Egitto. La Semaine Illustrée. Times of Egypt. Egyptian Illustrated Bully Sketches.
1915	Ta Nea. The Cairo Herald. Embros. High Life Review. Il Piccolo Delia Dominisa. The Truth. The Camp. Arev. Courrier. IL Nilo. Les Feuillets. The Egyptian School Magazine.
1916	Klio. Bulletin de la Société Entomologique. Hevdomas. Phinicas.
1917	Phono tis Cassou. Revue Sioniste. Papyrus.
1918	Souvenez-Vous. L'Economiste Egyptien. Le Lotus.
1919	Manifestes Séditieux. The Egyptian Commercial and Shipping Review. Sports.
1920	Savarnah. Israel. Le Miroir Egyptien. L' Orient.

Année	Nom du Journal
	The Egyptian Advertiser Journal. Le Roseau. Feamma. Emporicos Chotographoo. Bulleti Pharmaceutique d'Egypte. Mardil Agha Revue Sociale. O.Pharos. L'Eclair. Revue du Monde Egyptien. Le Levant. Btr, Sté, Sultan Agriculture Les Nouvelles Maçoniques. Grammata.
1921	Epitheoris. Revue Hippique. Ishepsis. Le Moteur. Zizanioun Soussourada. Agon. Enquire Within. La Liberté. Cambouris. The Sportinq News. Varieats Italia Tribuna. Egiziana Bar Poesia. Arabesques. La Publicité Egyptienne. L'Intermédiaire International. The Deocesan Magazine. La Presse Médicale. Palestine News. Egipta Espirantisto.
1922	Yatros. L'Egypte Nouvelle. Revue Médicale de l'Orient. La Palestra.
1923	Le Scarabée. Mois Pharmaceutique Médical. Valetta. Anatoli Papagallo. The Orient Trade Review. La Quarta Italia. L'Orient Musicale. Le Quotidien. Proscopihi Echo. Athletic News. L'Action. L'Aurore. Le Lloyd Egyptien. The Egyptian Advertiser Journal.
1924	The Near East Trader. Mephie opihdes. Le Lotus. La Verdade Texph. Le Moniteur Commercial. Memphis. Panjios Taphos. Neos Romos JL.des Reclames. La Tribune breillustre. Eon Feuille d'Avis. L'Esploratore. Maalesche. Emporium Music. L'Egypte Industrielle. Palestine.
1925	Le Volant Egyptien. Le Phare Egyptien. Bisedimet. Haygagan Cinema. L'Independance Egyp. Arax. L'Egyptienne. Il Mediterraneo. Sphinx. To Yeoli. Bulletin Commercial d'Alexandrie. Kypatia.

Année	Nom du Journal
	<p>To Roudouni. Panorama du Canal. L'Indépendent. L'Intermédiaire. Revue Scientifique. Isis. Sporting. La Dodecnaese. Dansez. Pountch. La Revue Hebdomadaire. Le Dimanche Illustré. To Hellinopoulo. L'Espoir. La Gazette. L'Informaton. Le Magazine Eg. Othoni. Le Jocky. Revue Egyptienne ds Publicité. Le Courier des Lettres et des Arts. La Vie Française. Bulletin de l'Union des Professeurs de Danse d'Egypte. L'Obelisque. Josy Journal. Journal des Enfants en Couleurs. Le Stade. Heamis. Le Pharaon. Le Phoenise. Le Reveil Les Messages d'Orient. Le Scemo. Iglua Ke Dinamis.</p>
1926	<p>Nea Zoi. Messager du Canal de Suez. I'Kini Gnomi. Le Diable Enragé. Le journal de Gohà. Le Mercure Eg. Rad. Revue des Dèbats. La Vie Juive. L'Ami Kentri. La Semaine Eg. Le Petit Egyptien. La Seimaine d'Alex. L'Orient Stenographique. La Settimana Sportiva. Tribune Libre d'Egypte. Philathlos. Abraeadabra. Hay Varjarn. Annales Judiciaires. Le Cinema d'Orient Radio Programme Eg. Hermes. La Vie Partemeniaire Egyptienne. Revue de Droit Egyptien. Mixte. Alexandrie. Techni. Oasis. Panegyptia. La Pratique Médicale. Prudentia. El Effro Typos. Erevna. Le Turf. Record. Le Théâtre Illustré. The A U C Rev. Views & Reviews.</p>
1927	<p>Phanos. Le Soudeur Boupeur. Le Periscope. Lo Specchio. Excelsior. Il Papagallo. Aradamanthi. Courrier des Bourses. Antinèa. Le Marché. La Revue d'Egypte. Palestine. Nil Und Zeitung, C.E. Magazine Standard. Le Mondain. La Danse. The Egyptian Trader. La Bourse Eg. d'Alexandrie. Hregħen Sune. Le Crocodile Corriere Egiziano. Massonie Echo. The Lotus. La Caravache. Fan-</p>

Année	Nom du Journal
	-tasio. Ana Mali. Le Sportsman. La Rigotade. Isis. La Cloche. La Panache. Panorama. International Dentistry. L'Hygiène Pratique des Familles
1928	Le Rayon. To Hamogeto. La Patrie. Il Quaderno. Il Quari Malti. Viribus. Unitis. Hippodrome. Le Therapie Médical. Le Courier. Juif Numéro. Bulletin de Khoronfish. La Piastrina. La Mascotie La Stella. Le Sacre Cœur. L'Illustration Juive; Aegyptos. Le Bouffon. Alexandria Nouvelle. la Rose de Éisieur Eestrés. Sport. Société de Comptabilité de France. Bulletin de la Section d'Egypte. Revue du Droit de La Femme. R H C E. Natch. The Monthly Medical Review. Papogalo. The Front Man in Egypt. Le Mercure Egyptien.
1929	Le Flambeau. Eediterànea. Journal du Combattant. Un Peu de Tout. Deuch Aehptische Rundschau. L'Avenir. La Dèpêche. Le Petit Chose. Vivre. Le Caire. Eelect. La Rampe. Le Courier. L'Obelisque. Kytix L'Egypte Française. La Gazette Illustrée. Proini. Tenui ex Valnere Salus. Boite de Pandore. Tic Tac. Bulletin Maritime et Commerciale. Le Courier Automobiles J-L des Trages et de la Bourse ou la Commerciale Courier Médical d'Egypte. Bulletin de l'Union des Agriculteurs d'Egypte. L'Egypte Agricole. Gaizag. The Bee Kingdom. L'Informateur. Tip Top. Die Technik in Nahem Osten. La Jeunesse Illustrée.
1930	Les Spectacles. L'Action Sportive. Le boude Le Touriste S'Egypte. Le Rumeur. Le Petit Egyptien. Les Pyramides. Scorpion. Le Tequin. Backchiche. La Comptabilité. Printemps de vie. la Revue. Nor Kir. Donnina. Un Effort Kyriaki. Elegantia. Scaravéos. Bulletin Commercial. Alexandria. The Egyptian Statesman. Oesaha Femoeda. L'Occasion. Salpgix tou Evangilious. L'Ausion. Nile. Il Giornale d'Or-

Année	Nom du Journal
	-ienta. Mon Journal. Ceres. The Sunday Chronicle. Karavani. Derby. L'Argus. Bulletin de l'Agence Eg. Eeon et Finance. The Talkative. L'Eclair. Le Sportif Egyptien. Le Moniteur.
1931	Revue Ophthalmologique d'Orient. I. Phoni Vie. Zepetine. Panegyptia. Rassagna Cattolica. Ciné Globe. Le Jeune Espoir. Un Effort. Athlitis Marions Nous. Le Merie Blanc. Athlitiki Ebdomos. Le Navori. Coton & Capital. Pantio. Sports. La Nation Egyptienne. Emporica Chronica. La Pelo-ponesse. L'Evolution Egyptienne .

LIST OF NEWSPAPERS PUBLISHED IN CAIRO IN ENGLISH September 1951.

The Egyptian Gazette. 1 The Egyptian Mail. Views.
Reuter. Arab Press Digest. The Sphinx. Cairo Calling. News and
Views. Rotary Bulletin. The Tewfikieh. The Fellowship Leaflet.
The Readers Digest. Campus Caravan. The Shell. B. O. A. C
News letter. The Cartouche. The E. M. C. Magazine. Laboratory
and Medical Progress.

LISTE

Des Journaux paraissant au Caire en Langues Etrangères
En Septembre 1951.

Phos. Kyrix. Sphinx. Nea - Echo. Christopolitia. Bhma.
I. Aphibinissis. Chronos. Cadmus. Arev. Houssaper. Savarnak.
Tchahakir. Oriente. Gronaca. Il Habbar Malti En Egitto. Pon
Bosco in Egitto. Rivista degli Scambi. Press Bulletin.

LISTE

Des Journaux Paraissant au Caire en Français.

La Bourse Egyptienne. Le Progrès Egyptien. Le journal
d'Egypte. La Patrie. Le Matin Egyptien. Agence Française. Sumer
Anatolie. Office de la Presse Egyp. L Observateur Commercial.
Image. Le Rayon d' Egypte. Journal d' Egypte du Dimanche.
Progrès Dimanche. Je dis. Le Samedi. Actualités. La Revue
d' Egypte Eco. et F. L' Egypte Nouvelle. Echos. La Voix de l' Orient.
Le Messager. Nouvelle Belges. S. I. F. Ciné Film. Gazette du
Caire & Heliopolis. La Semaine Egyptienne. I. T. Information. La
Lanterne. La Vie Littéraire.

La Revue du Caire. Les Nouvelles de la Colonie. La Presse Médicale d'Egypte. R. A. C. E. La Rose de Lisieux. Le Lien. Revues des Conférences. Bulletin Mensuel des Valeurs. Proche-Orient. Bulletin de la Chambre du Commerce. Le Magazine. Union Mutuelle des Anciens Combattants. L'Egypte Contemporaine. Cahiers d'histoire Egypt. L'Egypte Agricole. C. S. F. La femme Nouvelle. L'Orient Philatélique. Bulletin de Khoronfish. Papyrus.

L I S T E

Des Journaux Français paraissant à Alexandrie
En Septembre 1951

La Réforme. Le Journal d'Alexandrie et la Bourse Egyptienne. Le Phare Egyptien. Journal du Commerce et de la Marine. Courrier des Bourses. Le Stade. Le Favori. La Gazette d'Orient. L'Informateur. La Semaine Financière et Politique. L'Economiste Egyptien. Les Nouvelles. La Réforme Illustrée. Journal Suisse d'Egypte et du Proche- Orient. Egypte- Sports. L'Echo- Sportif. Le Turf. Ciné Magazine. Bulletin de Législation et de jurisprudence Rg. La Gazette Ficcale Le Periscope. Bulletin de la chambre de Commerce Suisse. Loisirs, Ste de Comptabilité de France — Section d'Egypte, Journal de la Chambre de Commerce Fr, à Alex. Répertoire Permanent de Législation Egyptienne. Feuilles Agricoles.

L I S T E

Des Journaux Paraissant à Alexandrie en Langues Etrangères
En Septembre 1951

British Chamber of Commerce of Egypt. International Dentistry. Tachydromos-Homonia. Aegptos. Ephimeris. Anatoli

Embros. Heméra. Imerissia Nea. Pantainos. Vias. Hebdomadie a
Egyptos. Ecclisiasticos Pharos. Minytor. Bulletin de la Chambre
de Commerce Hellenique. Arax.

DES JOURNAUX PARISSANT A PORT—SAID

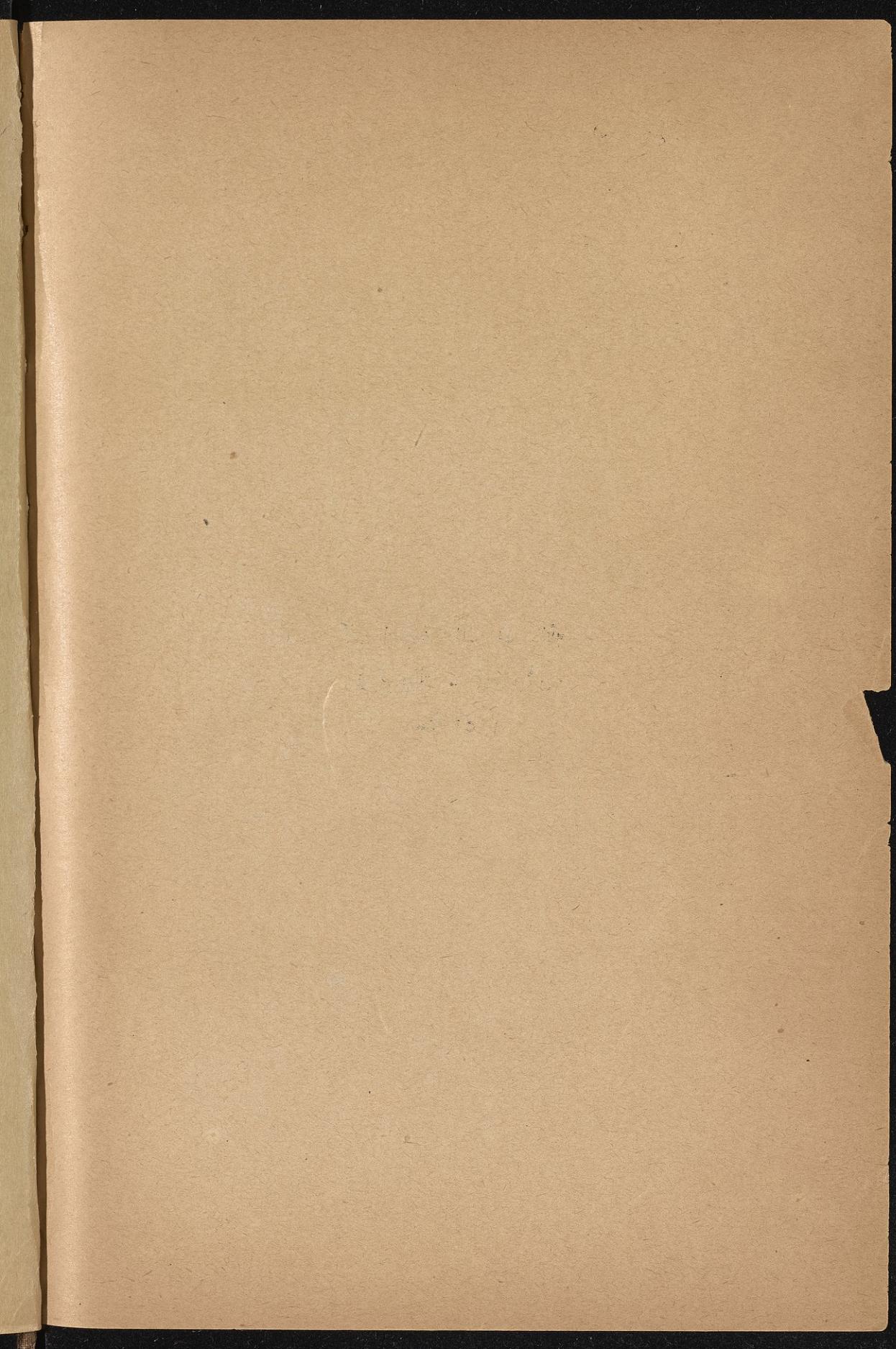
En Langues Etrangères en Septembre 1951

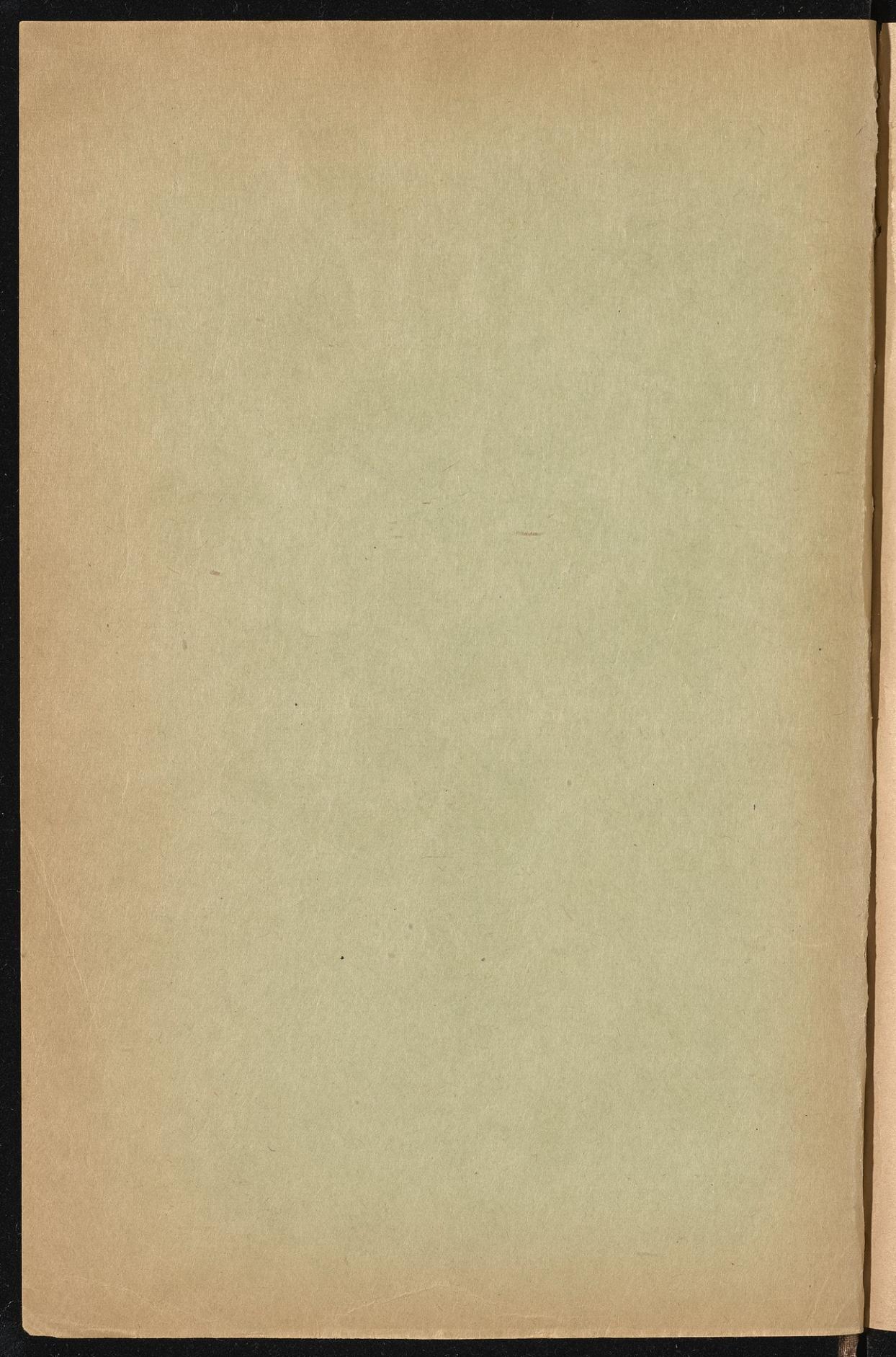
Port-Said. La Tribune. Neos Syndesmos. Phénitit.
Gassou. LE Qari Malti.

فهرست الكتاب

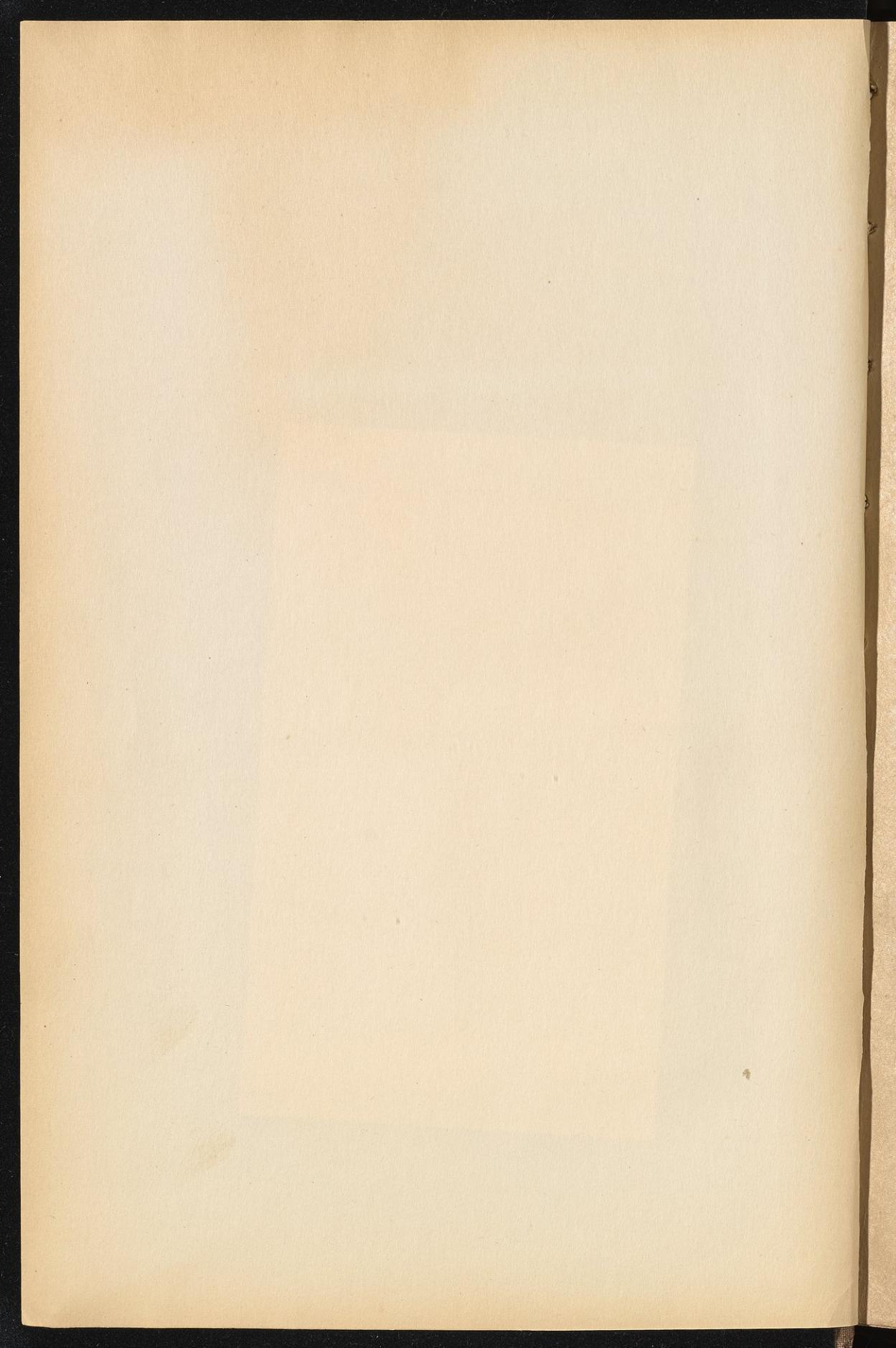
الصفحة	الموضوع
٥	فصل في مراجع البحث
١٤	مقدمة
٢٦	الصحافة الرسمية في مصر
٥٩	الصحافة الشعبية في مصر
١٠٢	الصحافة خلال الثورة الفرائية
١٢٣	الصحافة في عهد الاحتلال
٢٠٤	الصحافة المصرية المعاصرة
٢٢٣	الصحافة الفرنجية في مصر
٢٤٠	الصحافة المصرية في الخارج
٢٥٩	تشريعات الصحافة في مصر
٢٨٣	مراجع البحث
٢٨٩	قاموس الأعلام
٢٩٥	صحف عربية صدرت في مصر
٣١٠	صحف فرنجية صدرت في مصر

تمت الطبعة الثالثة بحمد الله
في يوم الثلاثاء ٢٧ نوفمبر
سنة ١٩٥١





100



DATE DUE

FEB 16 2009

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.

	DATE DUE	DATE DUE
	SEP 12 1976	OCT 14 1976
LOC	CALL NUMBER / MAIN ENTRY	
893.785 AB323 C1\$	05362288	
		PRINTED IN U.S.A.
		27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 11 12 13 14 15 16 17 18 19 80
		INSERT
		COOK CARD PLEASE DO NOT REMOVE. A TWO DOLLAR FINE WILL BE CHARGED FOR THE LOSS OR MUTILATION OF THIS CARD.
		05362288
		893.785
		AB323 C1
		OCT 31 1957
		05362288

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58889361

893.785 Ab323

Tatawwur al-sihafah

RECAP